موقف الصحافة المصرية من الصهيونية
خلال الفترة من ١٨٩٧ ـ ١٩١٧

دراسة تحليلية لصحف
الأهرام، المقطم، والمؤيد، واللواء، والجريدة، والأهالى

د. سهام نصار

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٣

تقديم

متى استشعرت الصحافة المصرية الخطر الصهيونى على فلسطين؟ أو بالأحرى متى بدأت هذه الصحافة تعنى بالوجود الصهيونى فى هذا البلد العربى ؟

طرحت هذا السؤال على الدكتورة سهام نصار بعد حصولها على درجة الدكتوراة فى الاعلام من قسم الصحافة بكلية الاعلام جامعة القاهرة على رسالتها الممتازة التى تناولت فيها "صحافة اليهود الفرنسية فى مصر". وكانت قد حصلت قبل ذلك على درجة الماجستير فى "صحافة اليهود العربية فى مصر" مما أكد تخصصهافى الصحافة اليهودية فى مصر. وكان من الطبيعى أن أجد عندهاأذنا صاغية، اذ مالبثت ان حددت لموضوع البحث الجديد الفترة الواقعة بين ١٨٩٧ و١٩١٧ باعتبارهابداية الحركة الصهيونية الحديثة. ففى أغسطس ١٨٩٧ انعقد المؤتمر الصهيونى العالمى الأول فى مدينة (بال) بسويسرا، وفى ٢ نوفمبر ١٩١٧ صدرءوعد بلفور المشؤم باعتراف بريطانيا بوطن قومى لليهود فى فلسطين.

وكان على صاحبة البحث أن تجيب فيه عن عدد من الأسئلة جاء فى مقدمتها السؤال : هل كان هناك وعى لدى الصحافة المصرية أو الرأى العام بخطورة الحركة الصهيونية و أهدافها قبل صدور وعد بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧؟

و كان على الباحثة، بعد ذلك ،أن تتناول مفهوم الصهيونية وأهدافها فى الصحف المصرية خلال العشرين سنة، مجتمع الدراسة. و أن تعين الصحف المصرية التى اهتمت اكثر من غيرها بموضوع الصهيونية ، و كانت اكثر و عيابأهدافها، و أن تتبين موقف تلك الصحافة من الهجرة اليهودية الى فلسطين و من شراء اليهود للأراضى العربية. و أن تحدد مواقف الصحافة المصرية من فكرة

انشاء دولة يهودية في فلسطين، ذلك ان بعضها بارك - عن جهل - هذه الفكرة و البعض أظهر تخوفه منها و حذر من مغباتها.

و ذهبت مؤلفة الكتاب الى كشف العلاقة بين انتماء الصحف السياسي وموقفها من الحركة الصهونية. و كان عليها أخيرا أن تحدد اسماء الكتاب الذين تناولوا هذه الحركة و اتجاه كل منهم وأدت مهمتها من هذه الناحية على خير وجه.

لقد استطاعت صاحبة هذا البحث أن تجيب عن كل هذه الأسئلة وغيرها معتمدة أساسا على الصحف نفسها التى صدرت فى فترة البحث أو عينة ممثلة لها، ولم تكتف بذكر ما كتبته هذه الصحف، بل قامت بتفسيرها فى ضوء حقائق أخرى ربطت فيما بينها. و قامت باخضاع صحف المقطم و الأهرام و المؤيد و اللواء و الجريدة والأهالى للتحليل العلمى السليم، و أسلوب تحليل المضمون، أحد أدوات المنهج الاحصائى.

وقد خرجت الدكتورة سهام بنتائج تعتبر اضافة مهمة لدراسة موقف الصحافة المصرية من الحركة الصهيونية، فقد كشفت اتجاه كل صحيفة من الصحف موضع الدراسة وحاولت أن تفسر كل موقف من هذه المواقف.

وأنى أعتبر هذا المصنف المجلد الأول من موضوع "موقف الصحافة المصرية من الصهيونية" وانتظر من الباحثة أن تتبعه بمجلد ثان يتناول موقف صحافتنا من الصهيونية من ١٩١٧ الى ١٩٢٩ وبمجلد ثالث يتناول هذا الموضوع حتى حرب ١٩٤٨ وما ترتب عليها.

فهذا الجانب من تاريخ الصحافة المصرية يعتبر غاية فى الأهمية وان الدكتورة سهام نصار هى خير من يتناوله وفق المناهج العلمية التى تجيد استخدامها بهدف الوصول الى الحقيقة.

خليل صابات

مقدمة

لعل السؤال الأول الذى قد يتبادر إلى ذهن أى باحث يتصدى لدراسة موقف الصحافة المصرية من الصهيونية هو : هل كانت الصحافة فى مصر على علم بالحركة الصهيونية وأهدافها منذ بداية نشاطها فى عام ١٨٩٧ أم لا؟

وإذا كانت الإجابة بالإيجاب، فإن السؤال التالى الذى قد يتبادر إلى الذهن أيضا هو : هل قامت الصحافة بدورها فى التعريف بأهداف هذه الحركة وبيان ما تنطوى عليه من أخطار تتربص بفلسطين، ومصر، والمنطقة العربية كلها؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات كان لا بد من العودة إلى الدارسات السابقة التى تطرقت إلى هذا الموضوع، وباستعراض هذه الدارسات أمكن حصر خمس منها لها صلة مباشرة بهذه الدراسة وهى :

١ ـ الدراسة التى قدمتها الدكتورة عواطف عبد الرحمن إلى كلية الإعلام بجامعة القاهرة للحصول على درجة الدكتوراه عام ١٩٧٥ بعنوان «اتجاهات الصحافة المصرية إزاء القضية الفلسطينية»، وتم نشرها فى سلسلة عالم المعرفة عام ١٩٨٠ تحت عنوان (مصر وفلسطين).

ويستنتج القارىء من هذه الدراسة أن ثمة اعتقاد ساد فى أوساط الباحثين بأنه لم يكن هناك وعى لدى الصحافة المصرية أو الرأى العام المصرى بخطورة الصهيونية وأهدافها، قبل صدور وعد بلفور

عام ١٩١٧، وقد عبر هذا الاعتقاد عن نفسه بإهمال الباحثين دراسة الفترة من عام ١٨٩٧ ـ بداية الحركة الصهيونية الحديثة ـ حتى عام ١٩١٧، بل وحتى عام ١٩٢٥، يؤكد ذلك أن الدراسة المشار إليها آنفا، اختارت الفترة الواقعة بين عامى ١٩٢٥ إلى عام ١٩٣٦، وتذكر الباحثة فى هذا الصدد، «إن الصحافة المصرية بدت أكثر إداركا ووعيا بالخطر الصهيونى من الحكومات المصرية منذ بداية العشرينات.. وإن الإهتمام المصرى بالقضية الفلسطينية بدأ من المدخل الإسلامى، حينما حركت أحداث البراق فى فسلطين عام ١٩٢٩ المشاعر الوطنية الإسلامية والعربية الوليدة لدى الشعب المصرى»[١].

وإذا اتفقنا على أن الحدث لا يخلق وعيا ـ إلا اذا كان هذا الحدث يمس مصالح الناس مسا مباشرا ـ وإذا أخذنا فى الاعتبار أن وظيفة الإخبار التى تقوم بها وسائل الإعلام هى خلق وعى عن القضايا العامة، وأن وسائل الإعلام فى أثناء قيامها بهذه الوظيفة يمكن أن تسهم فى توجيه اهتمام الجمهور نحو قضايا معينة، وفى ترتيب أولويات اهتمام الرأى العام بهذه القضايا، كما يمكن أن تثير اهتمام بعضها البعض أيضا، طبقا لما كشفت عنه دراسات «ترتيب أولويات الاهتمام Agenda Setting [٢]. فإن السؤال الذى يطرح نفسه هنا: هل الوعى الذى أبدته الصحافة المصرية بالخطر الصهيونى منذ بداية العشرينات، وكذلك الاهتمام الذى أبداه الرأى العام المصرى بالقضية الفلسطينية منذ أحداث البراق عام ١٩٢٩ قد تبلور فجأة، أم سبقته مرحلة من الإخبار والتعريف وإثارة الاهتمام، أدت فى النهاية إلى خلق الوعى لدى القائمين بالاتصال، ولدى الرأى العام بالقضية الفلسطينية.

لا شك فى أن وعى الرأى العام بقضية ما يتكون نتيجة ما يحصل عليه من معلومات حول هذه القضية، وكلما زادت كمية المعلومات التى حصل عليها، كلما ازدادت سرعة تكوين هذا الوعى، ولذلك فإن هذه الدراسة معنية بالبحث فى الفترة التى سبقت بلورة وعى الرأى العام المصرى تجاه القضية الفلسطينية، ودراسة ما نشر خلالها من معلومات أسهمت فى إثارة الإهتمام بهذه القضية.

٢ ـ الدراستان اللتان قدمتهما مؤلفة هذا الكتاب إلى كلية الاعلام جامعة القاهرة: الأولى للحصول على درجة الماجستير عام ١٩٧٩بعنوان «صحافة اليهود العربية فى مصر»، والثانية للحصول على درجة الدكتوراه عام ١٩٨٦ بعنوان «صحافة اليهود الفرنسية فى مصر»، وقد اقتصرت الدراستان على دراسة الصحف التى أصدرتها «الطائفة الإسر ائيلية فى مصر»(٢) بأقلام يهودية ولجمهور يهودى خلال الفترة منذ عام ١٨٧٧ إلى عام ١٩٥٤، ولم تتطرق هاتان الدراستان إلى دراسة أى من الصحف المصرية الأخرى، وقد سعت الباحثة خلال هاتين الدراستين إلى الكشف عن أهداف هذه الصحف، وعن موقفها من الحركة الصهيونية والهجرة اليهودية إلى فلسطين، كما سعت إلى اكتشاف الأساليب الدعائية التى مارستها الحركة الصهيونية فى الأوساط اليهودية فى مصر من أجل حشد أبناء الطائفة وراء الفكرة الصهيونية والحصول على دعمهم المادى لإنشاء دولة يهودية فى فلسطين.

٣ ـ الدراسة التى قدمتها الدكتورة راجية أحمد قنديل إلى كلية الإعلام جامعة القاهرة عام ١٩٨١ للحصول على درجة الدكتوراه بعنوان «صورة إسرائيل فى الصحافة المصرية». وعلى الرغم من أن صحيفة «الأهرام» ـ إحدى صحف الدراسة التى نحن بصددها ـ

تدخل ضمن عينة الصحف التى اختارتها راجية قنديل إلا أنها اقتصرت فى دراستها على أعوام ٧٢، ٧٤، ١٩٧٨.

٤ ـ دراسة الدكتورة خيرية قاسمية التى نشرها مركز الأبحاث الفلسطينى عام ١٩٧٣ بعنوان «النشاط الصهيونى فى الشرق العربى وصداه ١٩٠٨ ـ ١٩١٨»، وقد تخصصت هذه الدراسة فى تتبع النشاط الصهيونى فى دوائر حكومة الآستانة، وخصوصا فى عهد حكومات الاتحاديين، وردود الفعل العربية إزاء تلك العلاقات الوثيقة التى نشأت بين الصهيونيين والاتحاديين، وقد أفادت هذه الدراسة فى تزويد هذا البحث بخلفية تاريخية قيمة، كما أن بعض الاقتباسات التى أوردتها نقلا عن بعض الصحف المصرية والعربية أعطت مؤشرا واضحا على أن المسألة اليهودية كانت موضع نقاش على صفحات الجرائد المصرية فى تلك المرحلة المبكرة.

وفضلا عن ذلك فإن معظم الدراسات التى تناولت تاريخ الصحافة المصرية ـ ان لم يكن كلها ـ لم تتطرق إلى موقف هذه الصحافة من الصهيونية، فيما عدا دراسة الدكتور إبراهيم عبده عن «جريدة الاهرام»[٤] التى أشارت باختصار إلى أنه كان لصحيفة «الأهرام» موقف من الحركة الصهيونية فى ذلك الوقت المبكر.

وإذا كان قد تبين من العرض السابق أن الدافع إلى اختيار موضوع هذه الدراسة ـ موقف الصحافة المصرية من الصهيونية منذ عام ١٨٩٧ إلى عام ١٩١٧ـ هو أن أيا من الدراسات السابقة لم تتناولها، فإن ثمة دوافع أخرى كانت وراء اختيار الباحثة هذا الموضوع منها: أنه على الرغم من بدء مسيرة السلام فى المنطقة منذ زيارة السادات إلى القدس عام ١٩٧٦، فان استقراء التاريخ يدلنا على أن الصراع العربى الإسرائيلى سوف يظل يطل برأسه عبر

القرون والاجيال المختلفة، طالما كان هناك يهود يؤمنون بحقهم في دولة تمتد من الفرات إلى النيل، وفلسطينيون وعرب يؤمنون بحقهم في هذه الارض. وكان ايمان الباحثة بضرورة سبر أغوار الصراع العربي الإسرائيلي من جميع جوانبه حتى نتمكن من وضع تصور لما يمكن أن يكون عليه تحركنا في المستقبل وراء القيام بهذه الدراسة، التي لعلها تسهم في توفير قدر من المعلومات التي قد تتطلبها تلك النظرة المستقبلية التي افتقدناها خلال تعاملنا مع هذا الصراع، وخصوصا فيما يتعلق بالأمن القومي العربي بصفة عامة، والأمن القومي المصري بصفة خاصة. وقد تبين أن بعض الصهيونيين في مصر استخدموا بعض الصحف العربية الصادرة في البلاد كمنابر لهم، يخاطبون منها الرأى العام المصرى، والجمهور اليهودى، ويردون على الدعاية المضادة، خصوصا وأنه لم يصدر لهم في فترة الدراسة سوى ثلاث صحف طائفية ناطقة باللغة العربية، لم تعمر طويلا، وكانت محدودة الإنتشار والتوزيع، ومثل هذه الدراسة يمكنها الكشف عن الكيفية التي استفاد بها الصهيونيين من حق الرد الذى كفله قانون المطبوعات في النفاذ إلى الجمهور المصرى، وفي محاصرة بعض الأقلام العربية المعارضة لهم، وإسكاتها.

تساؤلات الدراسة :

تستهدف هذه الدراسة الكشف عن موقف الصحافة المصرية من الصهيونية خلال الفترة (١) ١٨٩٧ - ١٩١٧ وذلك من خلا ل الإجابة عن التساؤلات التالية :

١ ـ ما مفهوم الصهيونية وأهدافها في الصحافة المصرية خلال فترة الدراسة؟

٢ ـ أى الصحف المصرية كان أكثر اهتماما بموضوع الصهيونية، وأكثر وعيا بأهدافها: صحف الشاميين، أم صحف المصريين؟

٣ ـ ما موقف الصحافة المصرية من الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ومن شراء اليهود للأراضى فيها؟

٤ ـ ما موقف الصحافة المصرية من فكرة انشاء دولة يهودية فى فلسطين؟

٥ ـ هل اختلفت مواقف الصحافة المصرية إزاء فكرة إنشاء دولة يهودية فى فلسطين، وإزاء الهجرة اليهودية إليها، وشراء اليهود لأراضيها؟

٦ ـ هل كانت هناك علاقة بين اتجاهات الصحف نحو الصهيونية وبين انتمائها السياسى؟

٧ ـ من هم الكتاب الذين اهتموا بالكتابة فى هذا الموضوع، وما اتجاهات كتاباتهم؟

منهج الدراسة :

يدخل هذا البحث ضمن البحوث الوصفية التى تسعى إلى جمع الحقائق والبيانات وتصنيفها وتفسيرها، وتحليلها تحليلا شاملا، واستخلاص نتائج ودلالات مفيدة منها تؤدى إلى إمكانية إصدار تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة محل الدراسة، وبناء أساس للحقائق التى يمكن أن تبنى عليها فروض ايضاحية أو تفسيرية للموقف أو الظاهرة بما يسهم فى تقدم المعرفة (٥).

ولتحقيق أهداف الدراسة بالإجابة عن التساؤلات التى تطرحها، سوف تستخدم الباحثة المناهج والأساليب التالية:

١- المنهج التاريخى :

توظف هذه الدراسة المنهج التاريخى فى كتابة الإطار النظرى، وفى تتبع التطور التاريخى للأفكار والمواقف التى عبرت عنها صحف الدراسة.

ويقوم المنهج التاريخى على جمع الأصول والمصادر الأولية وإثبات صحتها، ونقدها نقدا داخليا وخارجيا، وإثبات الحقائق التاريخية وترتيبها وعرضها على نحو يخدم أهداف الدراسة (٦).

ونظرا لأن هذه الإجراءات وحدها لا تقيم منهجا، فإن منهج هذه الدراسة يقوم أيضا على مبدأين مرتبطين ببعضهما البعض وهما (٧):

أ - أن التاريخ ليس مجرد سرد للوقائع بل هو تفسير لها من خلال تحليل المكونات المختلفة للظاهرة موضع الدراسة والتغيرات التى طرأت عليها خلال انتقالها من مرحلة إلى اخرى، واكتشاف ا^ليات هذا التحول، والعوامل المختلفة التى أسهمت فى إنجازه، والقوانين التى حكمت عملية التحول هذه .

ب - إن الظاهرة التاريخية لا توجد من فراغ بل هى جزء من السياق السياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى توجد فيه.

وهذان المبدأن لهما أهميتهما فى الدراسة الحالية، فلا معنى لسرد المواقف التى اتخذتها صحف الدراسة نحو الصهيونية دون تفسير ما حدث وبيان مغزاه، ودون التوصل إلى العوامل التى أدت إلى اتخاذ تلك المواقف وربطها فى الوقت نفسه بالظروف السياسية والاجتماعية التى أحاطت بها.

٢ ـ منهج المسح :

لما كان الهدف الأساسى للدراسات الوصفية تصوير وتحليل وتقويم خصائص ظاهرة، أو مجموعة من الظواهر، فإن أهم منهج تعتمد عليه فى تحقيق هذا الهدف هو منهج المسح الذى يعد جهدا علميا منظما للحصول على بيانات ومعلومات وأوصاف عن الظاهرة موضوع البحث من العدد الحدى من المفردات المكونة لمجتمع البحث ولفترة زمنية كافية للدراسة، إما بهدف تكوين القاعدة الاساسية من البيانات والمعلومات المطلوبة فى مجال تخصص معين، أو تحديد كفاءة الأوضاع القائمة عن طريق مقارنة المعلومات التى تم الحصول عليها بمستويات أو معايير قياسية سبق اختيارها وإعدادها، أو التعرف على الطرق والأساليب والممارسات التى اتبعت لمواجهة مشكلات معينة او استخدام هذه البيانات الشاملة فى رسم السياسات، ووضع الخطط على أساس من الاستبصار الكامل بجوانب الموقف [٨].

ونظرا لطبيعة مشكلة الدراسة فقد استخدمت الباحثة منهج المسح فى دراستها لعينة الصحف موضوع الدراسة.

٣ ـ اسلوب تحليل المضمون :

وفى إطار منهج المسح استخدمت الباحثة أسلوب تحليل المضمون الذى يساعد فى دراسة الموضوعات التى نشرتها صحف الدراسة وتحليلها للكشف عما تتضمنه من معلومات وبيانات، واتجاهات، وما تحاول أن تؤكده من انطباعات وتأثيرات إعلامية معينة، كما يساعد فى دراسة الجوانب الشكلية التى تقدم بها المادة الصحفية، والأهمية النسبية التى توليها كل صحيفة لموضوع الدراسة [٩].

وقد سارت الدراسة التحليلية وفقا للخطوات التالية :

أولا - تحديد مجتمع الدراسة :

اعتمدت الباحثة فى اختيارها لعينة الصحف التى خضعت للدراسة على عاملين :

الأول : أن تكون هذه الصحف ممثلة لجميع الاتجاهات والتيارات السياسية والفكرية التى سادت خلال فترة الدراسة.

الثانى : أن تكون من أكثر الصحف المصرية توزيعا، حتى يمكن أن تكفل للأفكار التى تطرحها الذيوع والانتشار، وتتمتع بالتالى بالقدرة على التأثير.

ومن هذا المنطلق تم اختيار الصحف التالية :

١- صحيفتا المقطم والأهرام : وكلاهما من صحف الشاميين التى كانت تصدر فى مصر، ومن أكثر الصحف توزيعا، وقد صدرتا بانتظام طوال فترة الدراسة وقبلها وبعدها، وقد تمتعت الصحيفة الأولى بالحماية البريطانية، فى حين تمتعت الثانية بالحماية الفرنسية، وفى حين كانت الأولى ناطقة بلسان سلطات الاحتلال البريطانى فى مصر، نجد الثانية تحمل لواء الحركة الوطنية بعد الاحتلال مباشرة، ثم تتخذ خطا معتدلا فيما بعد.

٢ - صحيفتا المؤيد واللواء : وهما من الصحف الوطنية المصرية، وقد صدرت «المؤيد» عام ١٨٨٩ وتوقفت عن الصدور عام ١٩١٥، أما صحيفة «اللواء» فقد صدرت فى عام ١٩٠٠ وتوقفت عن الصدور عام ١٩١٣، وكانت الصحيفتان تمثلان التيار الإسلامى، وتؤيدان دولة الخلافة العثمانية، ولكن انحاز «المؤيد» فيما بعد إلى الإنجليز، فى

حين تحول «اللواء» عن فكرة الجامعة الإسلامية، وعن الاعتماد على القوى الأجنبية إلى الاتجاه القومى المصرى.

٣ ـ صحيفة الجريدة : صدرت عام ١٩٠٧ وتوقفت عن الصدور عام ١٩١٥، وكانت تمثل مصالح كبار الملاك فى مصر، وكان هؤلاء يرتبطون بعلاقات ومصالح مع الرأسماليين اليهود فى مصر، كما كان منهم معظم الشخصيات التى حكمت مصر فيما بعد، وقد تبنت هذه الصحيفة فكرة القومية المصرية.

٤ ـ صحيفة الاهالى : صدرت عام ١٩١١ وواصلت الصدور حتى عام ١٩١٩، وكانت صحيفة شبه رسمية، وشديدة الصلة برئيس الحكومة المصرية، واتخذت خطا معتدلا، كما اهتمت بمقاومة التعصب وخصوصا بين المسلمين والمسيحيين فى مصر، ولذلك فهى تقدم نموذجا متميزا لصحيفة وطنية ذات صلة بالقوى المصرية الحاكمة، وتسعى فى الوقت نفسه إلى استبعاد كل ما من شأنه التفريق بين عناصر الأمة على أساس الدين .

ونظرا لأن المسألة الصهيونية لم تكن مثارة فى فترة هذه الدراسة على نطاق واسع، اعتمدت الباحثة على أسلوب الحصر الشامل فى دراستها لعينة هذه الصحف، وقد أمكن حصر المواد التالية التى تناولت موضوع الصهيونية وفلسطين: ١٨١ خبرا، ١٥٣ مقالا، و٢٤ رسالة للقراء، وحديثين صحفيين، بإجمالى ٣٦١ موضوعا(١٠).

ثانيا ـ تحديد الفترة الزمنية للدراسة:

اختارت الباحثة الفترة الواقعة بين شهرى أغسطس ١٨٩٧ ونوفمبر ١٩١٧، ويرجع السبب فى اختيار هذه الفترة إلى انها تعتبر من الفترات الحاسمة فى تاريخ إنشاء الدولة اليهودية، ففى اغسطس

عام ١٨٩٧ انعقد المؤتمر الصهيوني العالمي الأول في مدينة «بال» بسويسرا، وفي هذا المؤتمر اتخذ الصهيونيون قرارا صريحا بإنشاء وطن لليهود في فلسطين، كما تم وضع الأسس اللازمة لتحقيق هذا الهدف، وفي نوفمبر ١٩١٧ أصدرت بريطانيا لليهود وعدها الشهير «بوعد بلفور» الذي ينص على إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين، ومن هنا نرى أن هذه الفترة تبدأ وتنتهي بحدثين مهمين في تاريخ القضية الفلسطينية، الحدث الأول الذي يمثل بداية النشاط الصهيوني الجاد لتحقيق الهدف، والحدث الثاني الذي يمثل ثمرة ذلك النشاط الذي استمر نحو عشرين عاما.

وفضلا عن ذلك فقد كانت هذه الفترة حافلة بالنشاط الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، كما شهدت اتصالات دبلوماسية، ونشاطا سياسيا وإعلاميا مكثفا بذلته المنظمة الصهيونية العالمية لدى القوى العظمى في ذلك الوقت من أجل الحصول على تحرك مماثل لذلك الذي قامت به بريطانيا، مما يجعلنا نتساءل أين كانت الصحافة المصرية من كل ذلك؟!

وقد توقفت الباحثة عند عام ١٩١٧ حيث أن الفترة التي اختارتها كانت تمثل مرحلة متصلة ومتجانسة إلى حد ما، أما ما تلى ذلك من مراحل فقد شهد تحولات تاريخية على الصعيدين المصري والدولي، فعلى الصعيد المصري نشط المصريون إلى الحصول على استقلالهم، وبلغت حدة الصراع مع القوات المحتلة ذروتها بقيام ثورة ١٩١٩، التي أسفرت عن ظهور قوى سياسية جديدة على المسرح السياسي المصري، واختفاء قوى قديمة، وقد تأثرت الصحافة المصرية بهذه التحولات، وكان من مظاهر هذا التأثير موت صحف قديمة، وظهور صحف جديدة تعبر عن التيارات الفكرية للقوى السياسية الوليدة.

اما على الصعيد الدولى، فقد شهدت الفترة التالية انتصار دول التحالف فى الحرب العالمية الاولى وهزيمة دول الوسط - ومن بينها الدولة العثمانية - وترتب على ذلك اقتسام الدول الغربية أملاكها، فخضعت باقى البلاد العربية التى كانت ماتزال تحت سلطة الدولة العثمانية للانتداب الانجليزى أو الفرنسى ومن بينها سوريا وفلسطين، كما شهدت تلك الفترة أيضا انعقاد موتمر الصلح وتأليف عصبة الأمم، وقد انشغلت الصحافة المصرية بهذه التحولات، كما شغلتها أحداث الحرب، حتى أنه حينما صدر تصريح بلفور فى ٢نوفمبر١٩١٧، لم يحدث رد الفعل المتوقع فى الأوساط الصحفية المصرية بمصر.. كما سنرى.

وقد أمكن التمييز خلال هذه الفترة بين مرحلتين:

أ - المرحلة الاولى: وتمتد خلال الفترة من عام ١٨٩٧ وحتى عام ١٩٠٨ وهى التى كان فيها السلطان عبدالحميد على رأس السلطة فى الآستانة.

ب - المرحلة الثانية: وتمتد بين عامى ١٩٠٩ و١٩١٧، وشهدت الإطاحة بالسلطان عبدالحميد، واعتلاء حزب الإتحاد والترقى سدة الحكم، وإعلان الدستور، كما شهدت الكثير من الأحداث والتقلبات السياسية، ولذلك سنجد أن معالجة صحف الدراسة لمسألة الصهيونية وفلسطين اختلفت خلال المرحلتين، تبعا لاختلاف الظروف والأحداث، وهو ما ستكشف عنه هذه الدراسة.

ثالثا - تحديد فئات تحليل المضمون :

استهدفت الباحثة من الدراسة التحليلية تحليل مضمون الموضوعات التى تناولت المسألة الصهيونية وعلاقتها بفلسطين بهدف

الكشف عن درجة وعى الصحافة المصرية بالأهداف الحقيقية للصهيونية فى المراحل الأولى للنشاط الصهيونى، فقد كان التصدى للأطماع والنوايا الصهيونية وإحباطها فى مهدها قبل أن تتمكن من فلسطين، يعتمد بدرجة كبيرة على إدراك حقيقة هذه النوايا والأخطار المترتبة عليها، ولتحقيق أهداف التحليل، استخدمت الباحثة الفئات التالية:

١ ـ فئات ماذا قيل؟

أ ـ فئة الموضوع :

هى الفئة الأكثر استخداما فى دراسات تحليل المضمون، وتقوم بتصنيفه وفقا لموضوعاته وتجيب على التساؤل الأساسى الخاص بالموضوع أو مجموعة الموضوعات التى تدور حولها المادة الإعلامية، الذى يترتب على الإجابة عليه تقدير الأهمية والتركيز النسبى الذى توليه المادة الإعلامية للنقاط المختلفة فى المضمون (١٠) ويمكن أن تنقسم الفئات الرئيسية إلى فئات فرعية، وقد استخدمت الباحثة فئات الموضوعات التالية :

١ـ ما هى الصهيونية : وقد استلزم تعريف ما هى الصهيونية استخدام مجموعة من الفئات الفرعية وهى : منظمة، جمعية، حركة إسرائيلية، حركة انسانية، حركة اجتماعية.

٢ ـ أهداف الصهيونية : واندرج تحتها مجموعة من الفئات الفرعية وهى : انشاء دولة مستقلة فى فلسطين، إنشاء دولة فى فلسطين تحت السيادة العثمانية، إنشاء ملجأ فى فلسطين يضمنه القانون العام، استعادة فلسطين، الإستيلاء على أورشليم.

٣ ـ سبل تحقيق الاهداف الصهيونية : وقد تم تقسيم هذه الفئة إلى فئتين فرعيتين اندرجت تحت كل منهما مجموعة من الفئات الفرعية على النحو التالى :

× الهجرة اليهودية إلى فلسطين : وقد اندرج تحت هذه الفئة أيضا الفئات الفرعية التالية : مزايا الهجرة ـ أضرار الهجرة ـ سبل منع الهجرة.

× شراء الأراضى فى فلسطين : واشتملت هذه الفئة على مجموعة من الفئات الفرعية هى: سبل شراء الأراضى ـ مزايا شراء الأراضى ـ أضرار شراء الأراضى ـ وسائل منع بيع الأراضى.

ب ـ فئة الاتجاه :

وهى الفئة التى توضح التابيد أو الرفض أو الحياد فى المضمون موضع التحليل بالنسبة للمواقف أو القضايا المتضمنة فيه [١١]. وقد استخدمت الباحثة فى هذا الصدد ثلاث صفات لقياس اتجاه صحف الدراسة وكتابها بالنسبة لموضوع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وشراء اليهود لأراضيها، والدعوة إلى التفاهم والاتفاق مع الصهيونيين وذلك على النحو التالى :

مؤيد ـ مؤيد بشروط ـ معارض ـ لا موقف له.

ج ـ فئة الجمهور المستهدف :

وقد استخدمت هذه الفئة للتعرف إلى الجمهور الذى استهدفت الصحف توجيه مادتها الإعلامية إليه، وتفيد هذه الفئة فى معرفة ما

إذا كان القائمون بالاتصال يستهدفون الوصول إلى قطاعات معينة من الجمهور، أم إلى الجمهور العام، وقد حددت الباحثة فى فئات فرعية قطاعات الجمهور التى استهدفتها صحف الدراسة على النحو التالى :

القراء بصفة عامة - السلطان العثمانى - ولاة الأمور فى فلسطين - المصريون - الفلسطينيون - الصهيونيون - الإسرائيليون(١٢).

د - فئة كتاب صحف الدراسة :

استخدمت الباحثة هذه الفئة للتعرف إلى الكتاب الذين خاضوا موضوع الصهيونية وفلسطين من حيث سماتهم الشخصية، وهدفهم من الكتابة، والإطار المرجعى الذى استندوا إليه فى كتاباتهم. ونظرا لعدم توفر معلومات عن السمات الشخصية لبعض كتاب صحف الدراسة وخصوصا الصهيونيين منهم اقتصرت الباحثة على الفئات الفرعية التالية :

المهنة : محرر - كاتب من خارج الصحيفة - مسؤول.

الديانة : مسلم - مسيحى - يهودى.

الانتماء السياسى : مصرى - سورى - عثمانى - صهيونى.

هـ - فئة أهداف الاتصال :

أما فئة الهدف من الاتصال فقد اندرج تحتها الفئات الفرعية التالية :

الإخبار - الدعوة إلى اتخاذ موقف - الرد على الدعاية المضادة.

وفيما يتعلق بالإطار المرجعي للكاتب أمكن تحديد هذه الفئات : المشاهدة الذاتية - ما ينشر في الصحف - قرارات المؤتمرات الصهيونية - خطب وتصريحات الزعماء الصهاينة - التاريخ - تصريحات المسئولين العثمانيين.

٢ - فئات كيف قيل ؟

نظرا لوجود علاقة قوية بين مضمون المادة الإعلامية والشكل الذى تقدم به، فإن هذه الفئة تسعى إلى التعرف على النواحي المتصلة بالشكل الذى قدمت من خلاله المادة الصحفية وذلك من خلال فئات فرعية متعددة، اختارت الباحثة منها ما وجدته يتناسب وموضوع دراستها في تلك الفترة الزمنية المبكرة التى لم تكن فيها بعض الاشكال والفنون الصحفية تستخدم على نطاق واسع:

أ - **فئة شكل او نمط المادة الإعلامية** : وقد اندرج تحت هذه الفئة الفئات الفرعية التالية :

خبر - مقال - حديث - رسائل القراء.

ب - **فئة المساحة** : وتقيس حجم المضمون موضع التحليل ، حيث يشير عنصر الحجم إلى مدى الاهتمام بعرض الموضوع وتقديمه، بحيث كلما زادت المساحة كان ذلك دليلا على ازدياد الاهتمام.

جـ - **فئة موقع المادة موضع التحليل** : وتوضح مدى الاهتمام بعرض الموضوع وقد كانت الصفحة الأولى في صحف ذلك العهد تأتى في المقدمة من حيث الأهمية بالنسبة للمادة التحريرية، تليها الصفحة الثانية، ثم الصفحة الثالثة، أما الصفحة الرابعة والأخيرة

التى تحتل المركز الثانى فى صحافة اليوم فقد كانت مخصصة فى صحف الدراسة للإعلانات، وحتى حينما زادت بعض الصحف عدد صفحاتها ظلت الإعلانات تحتل الصفحة الأخيرة، ولذلك فإنه تم تحديد فئات موقع المادة فى صحف الدراسة على النحو التالى :

صفحة أولى - صفحة ثانية - صفحات داخلية - النصف الأعلى من الصفحة - النصف الأسفل من الصفحة.

د - فئة المعالجة التيبوغرافية :

وهى المعالجة الإخراجية للمادة الإعلامية باستخدام العناصر التيبوغرافية وذلك لتحقيق أكبر تأثير ممكن على القراء، وخلق انطباع معين لديهم مرتبط بأهمية الموضوع مثل استخدام عناوين رئيسية ضخمة، وعناوين فرعية تساعد القارئ على متابعة الموضوع، أو استخدام أبناط كبيرة سوداء بالنسبة للموضوع كله أو مقدمته أو فقرات أو كلمات معينة منه، واستخدام الصور والرسوم وغيرها.

رابعا - تحديد وحدات تحليل المضمون :

استخدمت الباحثة الوحدات التالية فى تحليل الموضوعات المنشورة فى صحف الدراسة عن الصهيونية وعلاقتها بفلسطين :

أ - وحدة الفكرة THEME وتعد من أهم الوحدات فى عملية تحليل المضمون وقد استخدمتها الباحثة بشكل أساسى فى هذه الدراسة.

ب - وحدة الكلمة ووحدة الموضوع واستخدمتهما الباحثة فى بعض الأحيان فى حصر عدد بعض المصطلحات وبعض الموضوعات.

جـ - وحدة المساحة : استخدمت وحدة السنتيمتر العمود لقياس مساحة الموضوعات الخاضعة للتحليل فى صحف المقطم واللواء،

والمؤيد والجريدة، كما استخدمت وحدة العمود والسطر بالنسبة لجريدة «الاهرام» بسبب تعذر القياس عليها لوجودها على ميكروفيلم.

خامسا ـ تطبيق اختبارى الصدق والثبات :

أعدت الباحثة استمارة تحليل المضمون وطبقت عليها اختبارى الصدق والثبات على النحو التالى:

١ ـ صدق التحليل :

بعد الانتهاء من تصميم استمارة تحليل المضمون ووضع التعريف الدقيق لكل فئة، قامت الباحثة بعرضها على مجموعة من المحكمين[١٣] للحكم على مدى صلاحيتها، وقد أسفر ذلك عن تغييرات فى تعريف بعض الفئات لتصبح أكثر دقة، وأيضا إضافة بعض الفئات وحذف بعضها بما يسهم فى الوفاء بأهداف التحليل.

٢ ـ ثبات التحليل :

بعد الانتهاء من إجراءات الصدق، قامت الباحثة بإجراء اختبار الثبات لاستمارة تحليل المضمون وذلك بالتطبيق على أعداد الصحف مجال البحث فى شهر اكتوبر ١٨٨٩ بالنسبة لجريدة «المؤيد» وشهر مايو ١٩٠٣ بالنسبة لصحيفتي «الأهرام واللواء» وشهر أبريل ١٩١٤ لجريدتى «المقطم والأهالى»، ثم استعانت الباحثة بمجموعة من الباحثين[١٤] لإجراء اختبار الثبات مرة أخرى، وقد ظهرت درجة عالية من الاتساق بين النتائج التى توصلت إليها الباحثة والنتائج التى خرج بها الباحثون بلغت نسبتها ٩٢٪ وقد وفر ذلك درجة عالية من الثقة فى صلاحية الاستمارة للتحليل.

سادسا - أسلوب جمع البيانات :

اعتمدت الباحثة فى جمع البيانات على الاطلاع على مجموعات الصحف الموجودة بدار الكتب المصرية.

وقد واجهت الباحثة صعوبات جمة اضطرتها إلى بذل مزيد من الجهد والوقت حتى يمكن إنجاز هذا البحث، وأول هذه العقبات صدور قرار داخلى فى دار الكتب المصرية بمنع الاطلاع على الصحف الصادرة قبل عام ١٩٢٠، وذلك بسبب ما وصلت اليه حال مجموعات هذه الصحف من سوء.

وإزاء عدم وجود بارقة أمل فى ترميم هذه الصحف ورفع الحظر عنها، اضطرت الباحثة إلى بذل الجهود لدى المسئولين بدار الكتب المصرية حتى يمكن السماح لها بالاطلاع على أعداد صحف الدراسة، مع وعد ببذل أقصى درجات الحرص والعناية فى التعامل مع المجلدات. وعلى الرغم من ذلك فقد كانت هناك بعض الأعداد من صحيفة «المؤيد» التى كان من المستحيل الاطلاع عليها بسبب اهتراء صفحاتها، واختلاط أجزاء هذه الصفحات ببعضها البعض.

ومما يؤسف له أن دار الكتب المصرية لا تحتفظ بمعظم مجموعة «الأهرام» منذ عام ١٨٩٧ وحتى عام ١٩١٧، ولذلك فقد اطلعت الباحثة على هذه الفترة مسجلة على الميكروفيلم فى مبنى مؤسسة «الأهرام» باستخدام جهاز «الريدر».

ومما يؤسف له أيضا ان دار الكتب المصرية تستخدم خامات رديئة فى ترميم الصحف، بدرجة أدت إلى تقليل درجة وضوح بعض المجلدات من صحيفة «المقطم».

وقد يؤخذ على عينة الدراسة اختلاف فترات الصدور، بالإضافة إلى نقص بعض المجلدات [١٥] حيث لا تحتفظ دار الكتب المصرية بالمجموعات الكاملة لهذه الصحف، الأمر الذى لن يسمح بعقد مقارنات بين صحف الدراسة - إلا فى حالة تفوق الصحف التى لا توجد مجموعتها كاملة على تلك التى توجد مجموعتها شبه كاملة - مما جعل الباحثة تكتفى بعقد مقارنات بين الموضوعات التى عالجتها كل صحيفة منفردة.

وقد قسمت الدراسة على النحو التالى :

مقدمة : وتشتمل على الاجراءات المنهجية للدراسة وأسباب اختيار هذا الموضوع والصعوبات التى واجهت الباحثة أثناء اعداده .

الفصل الاول : التيارات السياسية والاتجاهات الفكرية فى مصر فيما بين عامى ١٨٩٧ - ١٩١٧ :

ويتعرض للحياة السياسية فى مصر خلال تلك الفترة ،ولأهم التيارات الفكرية والسياسية التى برزت على المسرح السياسى فى مصر ، والتى كانت سببا فى انشغال الحكومة المصرية بمشاكلها الخاصة ، وعدم اعطائها الاهتمام الواجب للخطر الصهيونى فى تلك المرحلة ، مما أسهم فى استغلال الصهيونية لهذه الظروف بزيادة نشاطها وتوسيع دائرة أنصارها فى البلاد .

الفصل الثانى : صحف الدراسة وكتابها :

ويتناول اتجاهات صحف الدراسة ، والسياسات التحريرية التى كانت تحكم عمليات النشر فيها ، كما يتناول أهم الكتاب الذين

خاضوا فى موضوع الصهيونية وفلسطين ، سواء من هيئة تحرير هذه الصحف أو من خارجها : من العرب والصهيونيين واليهود بصفة عامة ، والظروف التى أملت على كل واحد منهم الموقف الذى اتخذه من هذه المسألة انطلاقا من درجة وعيه بها أو الارتباط بمصالحه فيها.

الفصل الثالث : مفهوم الصهيونية فى الصحافة المصرية:

ويتعرض لمفهوم صحف الدراسة لأهداف الحركة الصهيونية فى تلك المرحلة المبكرة ، وما اذا كانت هذه الصحف على وعى بأهدافها الحقيقية أم لا ؟

الفصل الرابع : موقف الصحافة المصرية من الهجرة اليهودية الى فلسطين:

يسعى هذا الفصل الى التعرف على موقف صحف الدراسة من هجرة اليهود الى فلسطين ، ومما كان يطلق عليه « الاستعمار اليهودى لفلسطين » ، وهل كانت ترى فيه اعمارا لفلسطين ، أم استعمارا استيطانيا .

الفصل الخامس : موقف الصحافة المصرية من الدعوة الى الاتفاق مع الصهيونيين :

ويتناول الدور الذى قامت به بعض صحف الدراسة فى المجالات التى بذلت للتوصل الى اتفاق مع الصهيونيين ، بعد أن تبين لها عجز الحكومة العثمانية عن عمل شىء لدفع الخطر الصهيونى الذى تتعرض له البلاد ، وكان الهدف من هذه المحاولات هو صيانة حقوق أهالى فلسطين ، ولكن تبين سريعا لتلك الصحف عدم امكانية تحقيق

مثل هذا الاتفاق ، لتعارض الأهداف الصهيونية مع المصالح الفلسطينية .

الفصل السادس : صورة اليهود والفلسطنيين فى الصحافة المصرية :

يهدف هذا الفصل الى التعرف على أبعاد الصورة الذهنية التى رسمتها صحف الدراسةلليهود والفلسطينيين وفلسطين ، وكيف ساهمت هذه الصحف فى رسم صورة لليهود تخدم أهداف الصهيونية دون وعى من هذه الصحف .

الخاتمة :

وتشمل أهم النتائج والتوصيات التى أظهرت أن صحف الدراسة كانت على علم بالنشاط الصهيونى منذ بدايته ، وعلى وعى بالأهداف الحقيقية للصهيونية ، كما كشفت عن عمليات اختراق العقل العربى من جانب الصهيونيين ، ومن خلال وسائلنا الاعلامية المحلية ، الأمر الذى يتطلب منا مزيدا من اليقظة والحذر أكثر من أى وقت مضى ، فى ظل المتغيرات السياسية والاعلامية الدولية .

وانني اذ أرجو أن أكون قد أسهمت بهذا الجهد المتواضع فى تغطية مرحلة كانت تنقص الدراسات الاعلامية التى تناولت الصراع الفلسطينى الاسرائيلى ، فانني أتمنى أن أرى فى القريب العاجل مركزا عربيا يخصص لدراسة دور الاعلام واستخداماته فى هذا الصراع سواء فى الماضى أم فى الحاضر أم فى المستقبل .

والله ولى التوفيق .

هوامش المقدمة

(١) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٦، الكويت، ١٩٨٠، ص٧.

(2) Emery, Michael and Smythe, Ted Curtis: Readings in Mass Communication, WM. C. Brown Company Publishers, Iawa 1988. P 216.

(٣) كانت التسمية الرسمية للطائفة اليهودية فى مصر هى «الطائفة الاسرئيلية» وكان يطلق على اليهودى أ يضا اسرائيلى.

(٤) انظر إبراهيم عبده: جريدة الأهرام، تاريخ مصر فى خمس وسبعين سنة، دار المعارف، القاهرة ١٩٥١، ص٤٠٢ ـ ٤٠٣

(٥) د. سمير حسين : بحوث الأعلام الأسس والمبادىء، عالم الكتب، القاهرة ١٩٧٦، ص١٢٣.

(٦) حسن عثمان : منهج البحث التاريخى، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهـرة، ١٩٦٥، ص٢٠.

كولنجوود، ر.ح : فكرة التاريخ، ترجمة محمد بكر خليل، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦١، ص٢٤ ـ ٣٩.

(٧) المرجع السابق .

(٨) سمير حسين : مرجع سابق ص ١٢٧.

(٩) المرجع السابق، ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

(١٠) انظر ملحق رقم (١) .

(١١) د. سمير حسين : تحليل المضمون ، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٣، ص ٨٩.

(١٢) كانت صحف الدراسة تقصد بالاسرائيليين اليهود بصفة عامة تمييزا لهم عن الصهيونيين الذين كانوا يعتنقون الفكر الصهيونى الرامى الى انشاء دولة يهودية فى فلسطين

(١٣) الاساتذة الدكاترة : خليل صابات، محمد سيد محمد، عاصم الدسوقى، منير حجاب.

(١٤) انظر بيان بأعداد صحف الدراسة ص

(١٥) المدرسون المساعدون سامى نصار، محمود عبد الغنى، أحمد حسين.

الفصل الأول

التيارات السياسية والاتجاهات الفكرية
فى مصر
فيما بين عامى ١٨٩٧ ـ ١٩١٧

ترتبط الأوضاع الصحفية فى أى بلد من البلدان بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية السائدة فيها، لذلك فان دراسة موقف الصحافة تجاه أية قضية من القضايا يقتضى منا أولا التعرف إلى هذه الظروف التى صدرت فى ظلها الصحف، حتى يمكننا فهم الأسباب والدوافع التى أملت على كل واحدة منها تبنى الموقف الذى اتخذته.

ونظرا لأن هذه الدراسة تسعى إلى التعرف إلى موقف الصحف التى صدرت فى مصر تجاه الصهيونية خلال الفترة من عام ١٨٩٧ حتى عام ١٩١٧، كان من الضرورى التعرف إلى الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى سادت البلاد خلال تلك الفترة.

وفى الواقع كانت الظروف التى عاشتها مصر فى ذلك الوقت امتدادا لفترة سابقة تصل إلى عام ١٨٨٢، حينما انهزم العرابيون فى موقعة التل الكبير، وخضعت البلاد للاحتلال البريطانى، الذى سعى لأن يكون صاحب الكلمة العليا، والحاكم الفعلى للبلاد.

فعلى الصعيد الدولى استطاعت انجلترا حسم الصراع الاستعمارى الذى كان دائرا بينها وبين فرنسا على احتلال مصر لصالحها، وذلك حينما تمكنت قواتها من السيطرة عل البلاد، وفرضت الأمر الواقع على فرنسا. أما فيما يتعلق بالدولة العثمانية، صاحبة السيادة على مصر، فسنجد أن الإنجليز لم يكن بمقدورهم إعلان الحماية السافرة على البلاد، أولا بسبب مركز مصر الدولى المكفول بمعاهدة لندن سنة ١٨٤٠، وثانيا بسبب سياسة التوازنات الدولية، وخصوصا مع فرنسا، ولهذا احتفظت بريطانيا بالسيادة الإسمية للدولة العثمانية على مصر، واستعاضت عن إعلان الحماية السافرة بحماية مقنعة قوامها بقاء جيش الاحتلال[1].

أما على الصعيد الداخلي فسنجد أن الإنجليز استطاعوا القضاء على الحركة الوطنية المصرية لعدة سنوات قادمة بهزيمتهم للعرابيين، فقد تسلم الإنجليز بعد معركة التل الكبير أمة ذاهلة أو في شبة ذهول من هول نكبتها في زعمائها وفي استقلالها، ولهذا كان الجو مهيئا أمام الإنجليز كي يحكموا قبضتهم على البلاد، فقاموا بإرغام الحكومة المصرية على العمل بما أسموه «نصائح» وكانت هذه النصائح وسيلة إنجلترا للتدخل في شئون مصر، ففي إطارها تم إلغاء النظام الدستوري الذي كان أداة لمقاومة التدخل الأجنبي، والحد من سلطة الخديوي، وأنشأت بريطانيا بدلا منه نظاما صوريا قوامه مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية، وهما هيئتان محرومتان من أي سلطة حقيقية أو نفوذ حقيقي، كما أقصى العنصر الوطني عن إدارة الحكم في حين غصت المناصب الرئيسية بالإنجليز وصنائعم من مختلف البلدان(٢).

ويذكر عبد الرحمن الرافعي أن الحكومة المصرية استسلمت لسلطات الاحتلال، كما استسلم الجيش الذي كان يقود الحركة الوطنية قبل الاحتلال، واستسلم الخديوي وجمهرة الشعب، فخيم على البلاد جو من الخضوع والإذعان، وعم اليأس والقنوط كثيرا من كبراء البلاد وموظفيها وأعيانها، ومثقفيها وخاصتها وعامتها تحت تأثير الهزيمة العرابية فبدأوا يتنكرون للحركة الوطنية، ويوالون الاحتلال، ويبتغون الزلفى لديه، وعمل الاحتلال من ناحيته على توطيد هذه الحالة النفسية، فلم يكن يرقى في وظائف الحكومة من تعرف عنه الميول الوطنية، وإنما من يتنكرون لهذه الميول، ولذلك هبط مستوى الوطنية في النفوس، وتحللت الأخلاق والفضائل، وتفشى الجبن والذل والرياء، وعمت النفعية والأنانية (٣).

وبعد أن قضى الاحتلال على رموز الحركة الوطنية وقادتها، قام بإسكات ألسنة حالهم، فتوقفت صحيفة عبد الله النديم «خطيب الثورة العرابية» وأصبح طريدا يجد رجال الاحتلال والأمن فى مصر فى القبض عليه، ولقى القبض على حسن شمس ـ وكان من أنصار عرابى ـ كما صدر أمر بإلغاء صحيفتى «السفير» و«النجاح» [٤].

من ناحية أخرى قام رجال الاحتلال بمنع دخول الصحف العربية التى كانت تطبع فى فرنسا وتدعو إلى المقاومة[٥].. وفضلا عن ذلك أصبح قانون المطبوعات سلاحا تشهره الحكومة فى وجه الصحف غير المرغوب فيها، كما أقيمت الصعاب المختلفة أمامها، فمن تعطيل للبريد، إلى زيادة فى رسوم التمغة.. وغيرها، وهكذا لم يستطع البقاء سوى الصحف التى تمتعت بحماية أجنبية[٦]، أو تلك التى التزمت بنص الأمر الصادر فى ٤ اغسطس عام ١٨٨٣، بعدم المساس بالاحتلال[٧] وحتى هذه وتلك كانت تتعرض للإنذار أو التعطيل أحيانا[٨].

وسمح الاحتلال لأصحاب جريدة «الأهرام» الذين غادروا البلاد إبان حكم العرابيين بالعودة إلى مصر، ومعاودة إصدار صحيفتهم، فصدرت «الأهرام»، وحملت على «العاصى عرابى ورفاقه البغاة»، فى حين امتدحت أنصار الخديوى، ونشرت صورة رائعة للجنرال «ولسلى» قائد الحملة الإنجليزية على مصر، وأرخت لحياته فى معظم صفحتها الاولى [٩].

وعلى الرغم من مشاعر الامتنان والعرفان التى أبدتها «الأهرام» تجاه الإنجليز إلا أنها لم تلبث أن رفعت راية الجهاد بمفردها منذ عام ١٨٨٤. وقد أدى مسلك «الأهرام» المناوىء للاحتلال البريطانى إلى اتساع شعبيتها، وازدياد خطرها، ولهذا بدأ اللورد كرومر فى التفكير

فى «محاربة الصحافة بالصحافة» تجنبا للمشكلات التى يمكن أن تنجم عن تعطيل «الأهرام» التى كانت تحظى بحماية فرنسا، فأوعز إلى ثلاثة من الشاميين هم : فارس نمر، ويعقوب صروف، وشاهين مكاريوس ـ اصحاب مجلة «المقتطف» ـ بإصدار صحيفة «المقطم» عام ١٨٨٩، كى تتصدى «للأهرام» وتتولى الدفاع عن المصالح البريطانية فى مصر، مثلما تؤيد «الأهرام» المصالح الفرنسية فى البلاد(١٠).

وحتى تنجح «المقطم» فى التصدى «للأهرام» ـ وفر لها كرومر كل ما يمكن أن يكفل لها الذيوع والانتشار، فقد أمدتها سلطات الاحتلال بالمال، كما خصتها بنشر الأخبار الرسمية، وسمحت لها بنشر الأحكام القضائية قبل النطق بها، واستخدم البوليس فى توزيعها، بل أشيع أن الناس أجبروا على الإشتراك فيها ووصل الأمر إلى حد حماية الصحيفة من التعرض للمساءلة أثناء ممارستها للدور الذى رسمته لها السلطات البريطانية فى مصر(١١).

ووصلت مساعدات الاحتلال «للمقطم» إلى حد أنه تم إعداد مطبعة خاصة للصحيفة فى إنجلترا،أارسلت إلى مصر لطبع «المقطم»، ثم تقوم بطيه فى طيات صغيرة بحيث يسهل حمله، وبخاصة فى جيوب العمد ومشايخ البلد، وأطلق على هذا النوع من المطابع تعبير «مطبعة حجم المقطم Mokattam size (١٢).

ونجحت سياسة كرومر من حيث «محاربة الصحافة بالصحافة»، فقد تمكنت «المقطم» من الذيوع والانتشار، وكانت خصما لا يستهان به، ولم تعد «الأهرام» باتزانها، و «الوطن» بتفاهة وتحريرها، قادرتين على مواجهة حماسة «المقطم»(١٣).

وعلى الرغم من حالة الخضوع والإذعان التى عمت البلاد فى أعقاب الاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢، فإن الإنجليز لم يفلحوا فى

القضاء نهائيا على الروح الوطنية، فمع قرب نهاية حكم توفيق، وبداية حكم إبنه الخديوى عباس حلمى الثانى، بدأت فى مصر مرحلة بعث وطنى جديد.

وكان صدور صحيفة «المؤيد» عام ١٨٨٩ لصاحبها الشيخ على يوسف - أحد تلاميذ السيد جمال الدين الأفغانى - إيذانا ببزوغ فجر الحركة الوطنية فى مصر، فكما هو معروف فى التاريخ المصرى، كانت الحركات الوطنية هى التى تقوم بإصدار الصحف، وليست الصحف هى التى تقوم بخلق الحركة الوطنية. ولهذا سنجد أن مجموعة من الأعيان الذين ساءتهم سياسة «المقطم»، اجتمعوا وقرروا إنشاء صحيفة «المؤيد»، كى تقوم بمحاربة الاحتلال البريطانى، والإعلان عن أخطائه، وتنشئة الأحداث على كراهيته، وكان طبيعيا أن تفتح «المؤيد» صفحاتها أمام الأقلام الوطنية الشابة، فكتب فيها الزعيم الوطنى مصطفى كامل الذى أصبح من كتابها المعروفين(١٤)، كما التف حولها الشبان المصريون الذين زودوها باعانات مالية حتى تتمكن من الاستمرار فى الصدور، وكان من بين هؤلاء الشبان سعد زغلول ومحمد فريد(١٥).

وقد استطاعت «المؤيد» أن تؤدى دورا مهما فى بعث الروح الوطنية، وفى تنبيه الرأى العام إلى تعرف حقائق الحالة السياسية التى وصلت إليها البلاد فى عهد الاحتلال، وقد لاقت «المؤيد» رواجا كبيرا إذ ارتفع توزيعها من ٨٠٠ نسخة عام ١٨٩٠ إلى ٤٠٠٠ نسخة عام ١٨٩٥، ثم وصل إلى سبعة آلاف نسخة عام ١٩٠٠(١٦)، مما يدل على حدوث صحوة لدى الرأى العام المصرى، وعلى أن الصحيفة نجحت فى إحراز شعبية كبيرة بين صحف العصر.

وكان الفضل فى هذه الصحوة يرجع فى أحد أسبابه إلى ارتقاء الخديوى عباس حلمى عرش مصر فى عام ١٨٩٢، فى أعقاب وفاة والده الخديوى توفيق، فقد كان عباس حلمى شابا فى الثامنة عشرة من عمره، وكان عازما على ممارسة سلطاته كحاكم فعلى، وكصاحب للسلطة الشرعية فى البلاد، فظهر بمظهر الوطنى الغيور، وقد شاع عنه أنه قال للمحيطين به «إما أن أكون خديويا بالمعنى الصحيح، وإما أن أحمل حقيبتى»، ولذلك فرح به الناس، وتوسموا خيرا فى حكمه وأحبوه غاية الحب [١٧].

بدأ عباس حلمى حكمه لمصر بمناهضة الاحتلال، ولهذا كان اللورد كرومر له بالمرصاد، وكانت سياسته أن يحرمه من كل سلطة بحجة أن سلطة الخديوى معناها عودة الحكم التركى البغيض إلى نفوس المصريين[١٨]، ولهذا حينما بدأ عباس حلمى عهده بإقالة وزارة مصطفى فهمى باشا[١٩] الموالية للاحتلال عام ١٨٩٣، وأسندها إلى حسين فخرى باشا، دون مشاورة اللورد كرومر، أجبرته بريطانيا فى الشهر نفسه على إعادة تغيير الوزارة وإسنادها إلى رجلها مصطفى رياض باشا الذى كان معروفا بولايه للإنجليز .

على أية حال فقد شجع موقف الخديوى من الإنجليز جميع العناصر المناوئة للاحتلال على الالتفاف حوله، فقد تشكلت فى ظل القصر «اللجنة الفرنسية السرية» التى تكونت من أربعة من الفرنسيين برئاسة السفير الفرنسى فى القاهرة، وقد بذلت هذه اللجنة جهودا كبيرة لاطلاع أوربا على قضية الاستقلال المصرى[٢٠]، وكانت فرنسا قد أدركت بعد احتلال بريطانيا مصر أنها اخطأت فى تركها بريطانيا تنفرد بحكم البلاد بعد أن كانت شريكة لها فى كل أمر من أمورها، ولهذا كان من الطبيعى ألا تعترف فرنسا بشرعية هذا الاحتلال، وأن تعمل على مناوأته .

على أن الخديوى عباس حلمى رأى أنه من الأفضل إعداد بعض الوطنيين للدفاع عن القضية المصرية فى الخارج، ويقال أن مصطفى كامل كان أول من نبه إلى ذلك، ولهذا استقر الرأى على تشكيل جمعية سرية تدعى «جمعية إحياء الوطن» ضمت الوطنيين المصريين إلى جانب الأوروبيين الذين شكلوا «اللجنة الفرنسية السرية». وقد وقع اختيار رجال الجمعية الجديدة على مصطفى كامل ليقوم بهذه المهمة، وقد سافر بالفعل إلى أوروبا عام ١٨٩٥، وتحمل الخديوى نفقة الرحلة على أن يعلن بأنه مرسل من قبل جمعية وطنية، مع إغفال ذكر اسم الخديوى[٢١].

وقد انضم الشيخ على يوسف إلى جبهة الخديوى، وقيل أن جريدة «المؤيد» كانت لسان حال هذه الجمعية السرية ولسان حال الخديوى نفسه[٢٢]، إلا أن هذا التنظيم الذى أقامه القصر عام ١٨٩٥ لم يلبث أن انهار نتيجة الانقسام الذى حدث بين الأوربيين والمصريين من أعضائه، ولذلك أعاد مصطفى كامل تشكيله عام ١٨٩٦ من المصريين وحدهم وعلى رأسهم الخديوى، كما نجح مصطفى كامل فى إقناع محام شاب يدعى أحمد لطفى السيد كان قد أسس جمعية وطنية مماثلة من زملائه بمكتب النائب العام بالقاهرة، بإدماج جمعيته فى جماعة القصر، وتكون من الجمعيتين التنظيم السرى الذى عرف باسم «الحزب الوطنى»، وتولى رئاسته عباس حلمى نفسه[٢٣].

وقد فتحت «الأهرام» صدر صفحاتها لمصطفى كامل ورفاقه وأفردت لهم غرفة فى مبناها، وهى فى اعتبار التاريخ أول ناد للحزب الوطنى[٢٤].

وإذا كان بعض الباحثين يرون أن نشاط الخديوى عباس حلمى المعادى للإنجليز كان بدافع الرغبة فى الاستئثار بالسلطة لنفسه، فإن

هذا ينبغى ألا يمنعنا من الاعتراف بأن الحركة الوطنية تلقت دفعة قوية إلى الأمام بتوليه مقاليد الحكم، فقد استمد منه الوطنيون المصريون الحماية والتأييد، والدعم المادى والمعنوى، كما اكتسبوا منه الشرعية خلال ممارستهم لنشاطهم .

على أن الخديوى لم يستطع الصمود أمام القوة البريطانية الغاشمة، فقد كان الإنجليز يقفون بالمرصاد لكل تحركاته، ولم يلبثوا أن وانتهم الفرصة لتحجيمه فيما هو معروف باسم «حادث الحدود» عام ١٨٩٤ ، حينما أجبروا الخديوى على الاعتذار عن تصريحاته التى أبدى فيها بعض الملاحظات عن نقص الجيش، وذلك بسبب تهديد كرومر بخلعه، ويقال أن الخديوى انكمش بعد هذا الحادث، وترك الإنجليز يملون إرادتهم على الوزارة، ويتدخلون فى تعيينه[٢٥]، ولذلك حينما نصحه كرومر عام ١٨٩٩ بتعيين مصطفى فهمى باشا رئيسا للحكومة خلفا لنوبار، وافق دون تردد .

وإذا كان حادث الحدود قد جعل الخديوى يتخلى عن مقاومته لكرومر، إلا أنه لم يمنعه من مواصلة دعم الحركة الوطنية، فقد أوفد الخديوى مصطفى كامل - كما أشرنا آنفا - إلى أوربا على نفقته للدعوة للقضية المصرية .

تيار الجامعة الاسلامية:

اعتمدت الحركة الوطنية المصرية خلال نضالها ضد الاحتلال البريطانى فى تلك المرحلة على كسب تأييد أوربا والدولة العثمانية لإجلاء الإنجليز عن مصر، ومن هذا المنطلق ساد تيار «الجامعة الإسلامية» الذى كان من أقوى التيارات الفكرية والسياسية التى سادت على الساحة المصرية، وكان من أبرز أنصاره مصطفى كامل والشيخ على يوسف، والخديوى عباس حلمى.

كان نامق كمال ـ أحد أعلام الفكر الإسلامى العثمانى فى القرن التاسع عشر ـ وجمال الدين الأفغانى هما صاحبا فكرة «الجامعة الإسلامية»، ولكن بينما طالب نامق كمال بأن تأخذ الدولة العثمانية زمام المبادرة إلى حماية العالم الإسلامى أمام الخطر الغربى الثقافى والاستعمارى الزاحف على العالم الإسلامى بالاعتماد على الوسائل الثقافية أكثر من الوسائل السياسية، نجد أن الافغانى نادى بقيام وحدة إسلامية تضم العالم الإسلامى، وذلك بإحياء نظام الخلافة وإعادتها إلى مكانتها اللائقة وهيبتها اللتين كانتا لها فى صدر الإسلام، وكان الإفغانى يميل فى بعض الإحيان إلى أن يكون الخليفة عثمانيا باعتباره سلطانا للدولة العثمانية .

وبينما نجد نامق كمال يقتصر فى دعوته على الأوساط التركية وباللغة التركية، نجد أن دعوة الأفغانى كانت أكثر رواجا، كما كان الأفغانى أكثر شهرة، لأن نشاط الأفغانى امتد من أفغانستان إلى الهند وفارس ومصر وسوريا واستانبول ولندن وباريس(٢٦).

تلقف السلطان عبد الحميد الثانى فكرة «الجامعة الإسلامية» بعد أن هيأ لها نامق كمال فى الوسط التركى، وجمال الدين الأفغانى فى نطاق العالمين العربى والاسلامى، فقد وجد السلطان العثمانى فى هذه الفكرة أداة تعينه فى التغلب على المشكلات الداخلية والخارجية التى كانت تواجه حكمه، فمن ناحية اراد عبدالحميد بهذه الدعوة امتصاص الآثار الناجمة عن إقالة رئيس وزرائه (الصدر الأعظم) مدحت باشا سنة ١٨٧٧، وتعطيل الدستور الذى لم يستغرق العمل به أكثر من عام(٢٧)، ثم مقاومة شبح الحكم الدستورى الذى كان الاتحاديون يرفعون لواءه والذى كان يتهدد سلطته من ناحية ثانية، ومواجهة حركة القوميات التى كانت قد بدأت تنتشر بين الشعوب

الخاضعة لسلطانه من ناحية ثالثة[٢٨] . وأخيرا التصدى للأخطار الخارجية التى كانت تتربص بالسلطنة ممثلة فى أطماع روسيا والنمسا والمجر وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا، ونظرية جلادستون زعيم حزب الأحرار البريطانى، الذى كان ينادى بطرد العثمانيين من أوربا، وتأييد الشعوب البلقانية المسيحية فى نضالها للتحرر من الحكم العثمانى الإسلامى المتخلف من وجهة نظره[٢٩].

وحينما بعثت الحركة الوطنية فى مصر فى عهد عباس حلمى تبنت دعوة «الجامعة الإسلامية»، فقد أراد الوطنيون الإفادة من معونة السلطان العثمانى بوصفه صاحب السلطة الشرعية على مصر، وبوصفه رئيس إحدى القوى العظمى فى ذلك الوقت، هذا فضلا عن أنهم أرادوا الإفادة أيضا من معاهدة لندن - التى اعترفت فيها الدول الأوربية بالسيادة العثمانية على مصر - فى سعيهم من أجل إخراج الإنجليز - الحكام الفعليين من البلاد.

وفى إطار هذه الدعوة بنت الحركة الوطنية خطتها اعتمادا على تأيد الدولة العثمانية وفرنسا بوصفهما القوتين المناوئتين للاحتلال البريطانى فى مصر، ولكن تطور الأحداث فيما بعد، أقنع المصريين بعدم جدوى هذه السياسة، وكان ذلك إيذانا ببدء ظهور تيارات سياسية واتجاهات فكرية جديدة.

ففى عام ١٨٩٨ أسفر «حادث فاشودة»[٣٠]عن إدراك المصريين فشل خطتهم التى كانت تعتمد على استثمار التناقض الدولى، وبخاصة فيما يتعلق بالمصالح الفرنسية البريطانية المتعارضة فى تحقيق جلاء بريطانيا عن مصر، ولهذا توقفت الصحافة المصرية والقوى الوطنية عن الاعتماد على فرنسا لترد لمصر استقلالها وتفرض على الإنجليز جلاءهم عنها، وإنما بدأت الصحف والحركة

الوطنية فى استنفار الهمم لتحقيق الأمانى القومية، وكان ممثل هذا الرأى مصطفى كامل الذى كان قد بدأ فى نشر فكرة القومية المصرية منذ عام ١٨٩٥، حينما أخذ يطوف بالريف المصرى محذرا مواطنيه من خطر احتلال إنجليزى طويل(٣١).

من ناحية أخرى كان من الآثار السلبية لهذا الحادث أن الإنجليز بدأوا يشتدون فى معاملة المصريين، ولا يتحرجون من الإساءة إلى الخديوى، كما حدث انشقاق فى الحركة الوطنية، فالخديوى - وقد يئس من الاعتماد على الاوربيين بصفة عامة، والفرنسيين بصفة خاصة - بدأ فى الانحياز إلى الإنجليز بشكل واضح، وأخذ يتودد إلى الاحتلال ويذعن للأمر الواقع، وكان أول مظهر لهذه السياسة الجديدة زيارته لأول مرة العاصمة البريطانية عام ١٩٠٠، حيث أقام صداقة مع أمير ويلز الذى أصبح فيما بعد الملك ادوارد السابع(٣٢).

كذلك فإن أحمد لطفى السيد وجماعته من الأعيان انسحبوا من التحالف الذى كان يتزعمه الخديوى بعد انحيازه للإنجلين، أما الشيخ على يوسف وصحيفته «المؤيد» فقد لوحظ عليهما شىء من الفتور من حيث الترحيب بمقالات مصطفى كامل، أو العناية بالمسائل العليا التى تتصل بشئون مصر(٣٣)، فى الوقت الذى بدأ فيه مصطفى كامل فى الاتجاه نحو مزيد من الاستقلال عن الخديوى، وفى تحويل نشاطه من الخارج إلى الداخل، حيث ركز جهوده على استنهاضهم الشعب المصرى، وبدأ يعد العدة عام ١٨٩٩ لإصدار صحيفة «اللواء» وقد صدر العدد الأول منها بالفعل فى ٢ يناير عام ١٩٠٠، وكان صدور هذه الصحيفة بمثابة أول تحد حقيقى لجريدة «المؤيد»، فقد مثلت البديل الأكثر قدرة على التعبير عن ضيق الشعب المصرى من الاحتلال، وسعيه من أجل الاستقلال والدستور، كذلك كان صدور

«اللواء» تهديدا كبيرا للمكانة التى احتلها «المؤيد» بوصفها الجريدة الوطنية الإسلامية الأولى(٣٤) فى مصر.

وعلى الرغم من الجهد المبذول فى تحرير «اللواء» وإخراجها، فإنها لم تستطع بلوغ المكانة التى كان يحتلها «المؤيد» من حيث الذيوع والانتشار فى بادىء الامر، «فالمؤيد» كصحيفة إسلامية قديمة لها خطرها وقدرها فى حياة المصريين والشرقيين جميعا، لم يكن بمقدور «اللواء»(٣٥) لدى ظهوره الحد من نشاطها، أو الحيلولة دون قدرها فى نفوس الجماهير، ولكن حينما انحرف صاحب «المؤيد» بعض الشىء، واستطاع الإنجليز ضمه إلى جانبهم، وقال فى عاصمتهم كلمته الشهيرة «أن لو ندرة كعبة المصريين السياسية» فقد جزءا كبيرا من عطف المصريين والاتراك معا،واخذت صحيفته تهوى وبدأ «اللواء» يتقدم عليها، ثم جاء الاتفاق الودى بين إنجلترا وفرنسا عام ١٩٠٤، فكان فاصلا فى تاريخ «المؤيد» بسبب موقفه الفاتر ازاءه(٣٦).

وكانت نهاية «المؤيد» كمنافس لجريدة «اللواء» ومنازع لها واضحة بعد قضية صاحبة المشهورة «بقضية الزوجية»» فى العام نفسه، فقد وقف الخديوى والحكومة الإنجليز فى هذه القضية إلى جانب صاحب «المؤيد» فى حين وقف الرأى العام و«اللواء» ومعظم الصحف المصرية ضده، وكان لهذه القضية أثرها فى ازدياد شعبية «اللواء» على حساب «المؤيد».

وقد ألقت هذه القضية بظلالها أيضا على العلاقة المتردية بين الخديوى ومصطفى كامل، إذ اقدم الأخير على قطع علاقته بالخديوى بسبب تحديه للرأى العام المصرى بوقوفه مع الإنجليز إلى جانب الشيخ على يوسف، ثم إصراره على الاستهانه بالرأى العام خلال مقابلة تمت بينهما فى باريس عام ١٩٠٤، ولذلك حينما عاد مصطفى

كامل إلى مصر، نشر رسالة فى «الأهرام» و«اللواء» أعلن فيها انفصاله عن القصر[٣٨].

ولقد كان الاتفاق الودى عام ١٩٠٤ عاملا من العوامل الأساسية فى تغيير الاتجاهات الصحيفة، فقد كان من نتيجة هذا الاتفاق فتور الحماسة الوطنية فى نفوس الكثيرين، ففترت معها شدة معظم الصحف الوطنية، «فالمؤيد» لانت سياست، و«الأهرام» التزمت جانب الحياد إلى حين، أما «اللواء» فقد مضت فى سياستها الأولى، وأبت إلا أن تبلغ الازمة ذروتها من حيث الجهاد، واستكمال عناصر الوطنية وتوطيدها فى نفوس المصريين[٣٩]. وكان عام ١٩٠٤ نقطة تحول فى تاريخ «اللواء» التى ازداد اقبال المصريين عليها بعد التخاذل الذى أبداه «المؤيد»، وظل قدر «اللواء» فى ازدياد خصوصا بعد حادثة دنشواى عام ١٩٠٦، حيث احتلت مكانتها كصحيفة جميع المصريين، وأصبحت تقرأ فى القرى والنجوع[٤٠].

تيار القومية المصرية:

كان «لحادث دنشواى» ومن قبله «أزمة العقبة» أو ما عرف «بحادث طابا»[٤١] اللذين وقعا فى النصف الأول من عام ١٩٠٦ أثرهما فى بعث الشعور الوطنى فى مصر، وفى دفع المزيد من المصريين إلى الاشتغال بالعمل السياسى كما كان «لحادث طابا» أثره فى تشعب الطرق أمام الحركة الوطنية.

وقد تفجرت «أزمة العقبة» عندما أعلنت تركيا أن طابا تقع فى أراضيها بينما تمسك الإنجليز بأن طابا أرض مصرية، وقد انتهت الأزمة بإذعان تركيا وانسحاب القوات التركية التى أرسلت لاحتلالها، وانتصار الإرادة البريطانية[٤٢].

وقد وقعت القوى الوطنية فى مصر فى مأزق نتيجة لهذا الحادث، فقد كان من المستحيل على زعامة الحركة الوطنية أن تقف مع بريطانيا فى خندق واحد، بالرغم من أنها فى موقف المدافع عن الثرى المصرى ضد اعتداء القوات التركية، كما أنه كان من الصعب عليها تأييد الدولة العثمانية التى كانت فى موقف المعتدى على أرض مصرية، ومع ذلك فقد وقع اختيار مصطفى كامل وعلى يوسف على الحل الثانى بحكم تأييدهما لدولة الخلافة(٤٣) من ناحية، وعلى اعتبار أن مصر فى تلك الفترة كانت تعتبر جزءا من دولة الخلافة، وحل تلك المسألة يدخل فى صميم العلاقات المضرية العثمانية، وأنه لا يمكن أن يكون تدخل بريطانيا إلا من قبيل الوقيعة من الناحية الاخرى.

وقد أدى هذا الحادث إلى ظهور تيار فكرى جديد على الساحة المصرية هو تيار القومية المصرية، وكان من أنصاره أحمد لطفى السيد ومجموعته من الأعيان، وقد فكر لطفى السيد فى ضرورة إنشاء صحيفة مصرية حرة تنطق بلسان مصر وحدها دون أن يكون لها ميل خاص إلى تركيا والجامعة الإسلامية، أو إلى إحدى السلطتين الشرعية والفعلية فى البلاد ـ أى الخديوى والإنجليز(٤٤).

وكان الاتجاه السائد بين لطفى السيد وجماعته أن تكون هذه الجريدة ملكا لشركة من الأعيان، أصحاب المصالح الحقيقية وقد تأسست الشركة برأسمال قدره ٢٠ ألف جنيه، وبلغ عدد المساهمين فيها نحو ٦٠ ألف عضوا تم إختيارهم بعناية كبيرة، وكانوا من أصحاب الثروة والمكانة العالية(٤٥) وقد جرى الإعداد لإصدار هذه الصحيفة التى أطلق عليها اسم «الجريدة» منذ عام ١٩٠٦، إلا أنها لم تصدر إلا فى مارس عام١٩٠٧ وعلى الرغم من أن «الجريدة» لم تؤيد الإنجليز بصورة مطلقة، إلا إن الوطنيين إعتبروها مؤيدة للبريطانيين،

معادية للأتراك، والواقع أن «الجريدة» كما يقول آرثر جولد شميت - لم تؤيد الإنجليز، وكل ما فى الأمر أنها أكدت الرأى القائل بأن مصر ينبغى أن تنال استقلالها تدريجيا حين تصبح قادرة على تولى الحكم الذاتى، ولتحقق ذلك طالبت بالتوسع فى التعليم على كل المستويات، وكانت خلافاتها الحقيقية مع الوطنيين حول الوسائل أكثر من الأهداف، وكان المبدأ الرئيسى «للجريدة» هو معارضة السلطة المطلقة للخديوى(٤٦).

من ناحية أخرى أسفر حادث دنشواى فى ١٣ يونيو ١٩٠٦ عن قيام بريطانيا بتغيير سياستها فى مصر إنقاذا لسمعتها أمام العالم المتمدين أولا وتخفيفا من حدة الشعور الوطنى الذى استعر بعد ذلك الحادث ثانيا، فقد أدى الحادث إلى عودة العلاقات المقطوعة بين مصطفى كامل والخديوى عباس حلمى، كما أدى إلى انضمام جمهرة المصريين إلى الحركة الوطنية(٤٧).

وكان التغيير فى السياسة البريطانية فى مصر ينطوى على إيجاد جو من التفاهم بين المعتمد البريطانى وقصر عابدين بهدف إبعاد الخديوى عن الحركة الوطنية، ووقف دعمه لها، ولهذا قامت بريطانيا بتعيين السير الدون جورست خلفا للورد كرومر الذى قدم استقالته فى إبريل عام ١٩٠٧، ليقوم بتنفيذ هذه السياسة الجديدة.

وكان من أثر هذه السياسة أن انفسح المجال أمام الخديوى، فأصبح يحقق من أغراضه ما لم يكن يستطيع تحقيقه فى عهد كرومر، وكان لطفى السيد يصف فى «الجريدة» هاتين السياستين بأنهما: سياسة الخلاف وسياسة الائتلاف بين السلطتين الشرعية الفعلية: الخديوى والإنجليز(٤٨).

فى ظل المناخ الجديد تبلورت خلال عام ١٩٠٧ ثلاثة تيارات أو اتجاهات من العمل الوطني: التيار الأول مثله مصطفى كامل وصحيفته «اللواء» وكان يطلق عليه مجازا اسم «الحزب الوطنى» وكان هذا التيار يضم علية العاملين فى حقل الحركة الوطنية، وبنى سياسته ومواقفه على العداء للاحتلال البريطانى، والسعى بكل الوسائل للاتفاق مع الخديوى ممثل السلطة «الاوتوقراطية»[٤٩] والارتباط بالدولة العثمانية صاحبة السلطة القانونية[٥٠].

أما التيار الثانى فقد تكون من مجموعة صغيرة ممن وقفوا موقف النقيض من التيار الأول وأطلقوا على أنفسهم «الحزب الوطنى الحر»، واتخذوا من جريدة «المقطم» منبرا لهم ، ويتضح موقفهم من الرسائل التى وجهوها إلى الخديوى وجاء فيها: «سلامة الوطن والأمة فى مسالمة المحتلين المصلحين»[٥٠].

التيار الثالث رفض سياسة التيارين الأول والثانى واختط منهجا وسطا بين الاثنين أسماه بالمنهج المعتدل، ومثل هذا الاتجاه صحيفة «الجريدة» التى أسسها لطفى السيد وزملاؤه ممن ساءهم موقف الحزب الوطنى الممالىء للدولة العثمانية خلال أزمة طابا[٥١].

وفى ظل هذه التيارات أصبح الجو مهيئا لظهور الأحزاب المصرية، ففى منتصف يونية عام ١٩٠٧ أعلن أنصار التيار الثانى تأسيس «الحزب الوطنى الحر» وكان هذا الحزب يضم مجموعة صغيرة جدا ومنبوذة بحكم مسالمتها للاحتلال، ثم تلا ذلك تأسيس «حزب الأمة» الذى ضم أنصار التيار المعتدل من سراة الشعب ووجهائه، ومن المفكرين ذوى العقائد الحرة أمثال أحمد لطفى السيد وأحمد فتحى زغلول وقاسم أمين وطلعت حرب غيرهم.

وعلى الرغم من أن أحزاب الصفوة تكون فى العادة محدودة التأثير، إلا أن تأثير «حزب الأمة» امتد عبر المرحلة التالية إلى درجة جاوزت حجمه الحقيقى بكثير، فقد كان معظم من تولوا قيادة دفة الحكم فى السنوات التالية حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ينتمون بفكرهم إلى هذا الحزب، ويرجعون فى أصولهم الاجتماعية إلى طبقة الأعيان، وقد انحصرت أهداف الأمة فى أمرين: أولهما، المطالبة بالدستور، وثانيهما: الاستقلال عن كل من تركيا وإنجلترا، لهذا كانوا يكرهون فى الحزب الوطنى سعيه إلى توثيق العلاقة مع تركيا ودعوته إلى الجامعة الإسلامية[٥٤].

وقد تبنى أنصار «حزب الأمة» فكرة «القومية المصرية» فى مواجهة تيار الجامعة الإسلامية ورفعوا شعار «مصر للمصرين» الذى ظهر خلال الربع الأخير من القرن الماضى، وقاد أحمد لطفى السيد تيار المصرية غير المرتبط بالخلافه الإسلامية، وقد وجد هذا الاتجاه ترحيبا من الإحتلال البريطانى[٥٥].

وعلى الرغم من أن صحيفة «الجريدة» لم تحظ بانتشار يماثل جرائد الحزب الوطنى إلا أن «حزب الأمة» استطاع أن يضع أسس القومية المصرية تدريجيا، وأن يلقى بذور الاستقلال عن كل من تركيا وبريطانيا[٥٦].

وقد كان للحملة التى شنتها صحيفة «الجريدة» على مصطفى كامل ورفاقة، وسخريتها منهم لترددهم فى إقامة حزبهم، أثر فى مبادرة مصطفى كامل بإعلان تأسيس «الحزب الوطنى» فى ٢٢ أكتوبر١٩٠٧[٥٧]. وكان «الحزب الوطنى» هو حزب الأغلبية فى ذلك الوقت، كما أنه لم يكن حزب طبقة، وإنما كان حزب جبهة يجمع مختلف فصائل العمل الوطنى، بالإضافة الى بعض الأعيان المتصلين

بالسراى، وكثيرا من الفئات المثقفة من الطبقة الوسطى من أوساط الموظفين والطلبة والمحامين وخصوصا الشباب منهم(٥٨).

أثار تأسيس «حزب الأمة» و«الحزب الوطنى» انزعاج الخديوى عباس حلمى، فأوعز إلى الشيخ على يوسف بتأسيس «حزب الإصلاح على المبادىء الدستورية» ليحافظ على مركز الخديوى ضد تطرف رجال «الحزب الوطنى» وضد معاداة رجال «حزب الأمة» وقد أعلن تأسيس هذا الحزب فى ٩ ديسمبر ١٩٠٧ وكان يتألف من حاشية الخديوى وبعض الموظفين ذوى المصالح، وقد نشرت هذه الجماعة برنامجا لا يكاد يختلف عن برنامج الوطنيين إلا فى تأكيده لسلطة الخديوى، وقد تعرض لهجوم من الوطنيين، ونظرا لأنه لم يكن يتمتع بأى قدر من الشعبية فسرعان ما انهار، إذ تحول إلى عرض يضطلع ببطولته ويخرجه فرد واحد هو على يوسف، ولهذا فانه بمجرد وفاة زعيمه الشيخ على يوسف عام ١٩١٣، وتوقف جريدة «المؤيد» لسان حاله فى العام التالى، اختفى هذا الحزب من الوجود تماما(٥٩).

مما سبق يتضح أن الحزب الوطنى كان هو أقوى التنظيمات على الساحة السياسية المصرية، ولكنة لم يلبث أن تلقى ضربات قاصمة من الإنجليز بعد وفاة زعيمه مصطفى كامل عام ١٩٠٨، فقد مال الحزب إلى التطرف تحت قيادة خلفه محمد فريد، ولهذا لجأت سلطات الاحتلال إلى اتباع سياسة البطش معه. كذلك فإنه بعد وفاة اللورد جورست، أوفدت بريطانيا إلى مصر عام ١٩١١ اللورد كتشنر لتنفيذ سياسة كرومر السابقة، ولكن بروح عسكرية صرفة، فتعقب العناصر المتطرفة فى الحزب الوطنى، وعرضهم لسلسلة من المحاكمات والاضطهادات المتتالية، ولم يكد يمضى عام على مجيئة إلا وكان زعيم الحزب الوطنى قد هاجر إلى خارج البلاد(٦٠).

تيار القومية العربية

كان تيار «الجامعة الإسلامية» وتيار «القومية المصرية» من أبرز التيارات السياسية والفكرية السائدة فى ذلك الوقت، ولكن ابتداء من عام ١٩٠٧ بدأ تيار جديد يسود إلى جانب التيارين السابقين وهو تيار «القومية العربية».

وفى الواقع فإن بعض الباحثين يرجعون وجود تيار القومية العربية فى مصر إلى أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات من هذا القرن، فى حين يعود باحثون آخرون بجذور الفكرة العربية فى مصر إلى أيام محمد على(٦١)، والثورة العرابية(٦٢) ويخلصون إلى أنها أصبحت تيارا سائدا إلى جانب التيارات الأخرى فى عهد الخديوى عباس حلمى.

ومن المثير للدهشة أن هذه الدراسات تكشف عن أن الشيخ على يوسف والخديوى عباس أنصار فكرة الجامعة الإسلامية، كانا فى الوقت نفسه من أبرز أنصار فكرة القومية العربية.

ويعود هؤلاء الباحثين بميول الشيخ على يوسف العربية إلى ما قبل إصداره صحيفة «المؤيد» حينما نشر سلسلة من المقالات فى جريدة «الأداب» رفض فيها اعتبار الدين مقوما من مقومات القومية، ثم حدد فى «المؤيد» عام ١٨٨٩ مقومات القومية بأنها الأرض المشتركة، ووحدة التاريخ، ووحدة اللغة، والثقافة المشتركة.... إلخ، إلا أنه اعتبر اللغة أهم هذه المقومات (٦٣)، وفى ذلك ما يجعل انتماء المصريين إلى العرب أقوى من انتمائهم إلى الدولة العثمانية.

وقد أشار الخديوى عباس حلمى فى مذكراته إلى أن سياسة على يوسف كانت قائمة بصفة خاصة على الوحدة العربية، ويؤكد محمد

فريد أيضا أن على يوسف عمل مع الخديوى عباس على تحقيق الوحدة العربية عن طريق إثارة الدسائس فى بلاد العرب ضد الدولة العلية.

من ناحية أخرى ذكر مراسل صحيفة «الستاندارد» فى القاهرة عام ١٨٩٢ ان الحزب العربى فى مصر قائم لنشر مبادىء جديدة مقتضاها حدوث إنقلاب مهم، أنهم عازمون على تمديد سلطة الخديوى عباس إلى طرابس، ولكن «المؤيد» نفت ذلك، وأكدت أن المصريين جميعا شعارهم الطاعة المطلقة للسلطان(٦٤).

ويرجع السبب فى نفى «المؤيد» إلى رغبة الخديوى فى الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع الباب العالى خلال صراعه مع كرومر، ولكن مع عزل كرومر عام ١٩٠٧، وبدء الإنجليز سياسة الوفاق مع الخديوى، لم يعد عباس حلمى بحاجة إلى دعم السلطان العثمانى، ولهذا نجده يشجع فكرة الخلافة العربية، ويشجعها معه رجله الشيخ على يوسف على صفحات «المؤيد»، وبدأ اسم عباس حلمى يتردد كمرشح للخلافة على الدولة العربية الموحدة - بعد انسلاخها عن تركيا - إلى جانب اسم الشريف حسين بن على أمير مكة(٦٥).

وفى تلك الأثناء ضم «حزب الإصلاح على المبادىء الدستورية» - الذى أسسه على يوسف بإيعاز من القصر - عددا من الذين يتفاخرون بأصولهم العربية وبدأت بعض الجرائد تنشر أخبارا عن اجتماعات الداعين إلى القومية العربية فى دار جريدة «المؤيد» حتى أن البعض عبر عن مخاوف السلطان عبد الحميد من مساعى «المؤيد بقولهم: «إن السلطان كان ينام فى يلدز - مقر الخلافة العثمانية فى تركيا - وعيناه على شارع محمد على» - مقر جريدة «المؤيد» فى القاهرة(٦٦).

وقد تعرض على يوسف لهجوم شديد من معارضي الفكرة العربية وخاصة رجال الحزب الوطني وحزب الأمة، فقد هاجمه أحمد حلمي - ثالث شخصية في الحزب الوطني - واتهمه بأنه يجمع حوله الخارجين على الدولة العثمانية، كما اتهمه بأنه من الداعين إلى الخلافة العربية(٦٧).

ويخلص الباحثون من ذلك إلى أنه لا يمكن أن تدور المعارك الفكرية بين أحد الصحف من أجل قضية لا يهتم بها أحد، كما أن وجود على يوسف على رأس المنادين بفكرة العروبة، ووضع اسمه كأحد المرشحين للخلافة العربية، دليل على أن هذه الفكرة لم تكن تيارا هامشيا فى الحياة الفكرية والسياسية المصرية، وإنما كانت تيارا رئيسيا لا يقل فى قوته وتأثيره عن تيار الجامعة الإسلامية أو تيار القومية المصرية(٦٨)، يؤكد ذلك أيضا ما ذكرته صحيفة «فرانكفورتر زيتنج» الألمانية فى عددها الصادر فى ٦ اغسطس ١٩١٦ بقلم محررها «يوهان تاو» الذى قال: لا يخفى أن مصر المهد العربى لدعوة العرب القومية ولها تأثير عظيم فى نفوس العرب ولا سيما قبائل الشرق... وقد ارتقت الآداب العربية العصرية فى القطر المصرى قبل سواه من الأقطار العربية مع شدة فعل عوامل الحضارة الأوربية أو بسبب ما أنتجته هذه العوامل من تحرير الأفكار. ولمصر فى هذا القبيل تأثير عظيم فى سورية وفلسطين. فقد كانت لقراءة الصحف الحرة فى عهد عبدالحميد لذة لا يجرؤ الناس على التمتع بها إلا فى الخفاء، أما فى مصر فإن الصحافة الحديثة - لا سيما العربية - قد ارتقت ارتقاء عظيما وأدركت شأوا بعيدا من التقدم يكاد يضاهى تقدم الصحف الأوربية. ففى القاهرة جريدة «المقطم» العظيمة الانتشار... وهنالك جرائد أخرى أصغر منها وأقل شأنا تمثل مذاهب سياسية

شتى، فهذه الصحف المصرية تقرأ فى مدن سورية-وفلسطين وتوثق عرى الألفة والوداد بين شعبيهما والقطر المصرى. وقد صارت القاهرة موئلا لأكبر زعماء الحزب المعارض من العرب والسوريين الذين اضطروا لمغادرة تركيا بعد الانتخاب البرلمانى الاخير...»[٦٩].

على أية حال فإن بعض الباحثين يرجعون السبب فى سيطرة فكرة الجامعة الإسلامية فى مصر على غيرها من الأفكار منذ الاحتلال البريطانى وحتى سقوط الخلافة العثمانية فى نهاية الحرب العالمية الأولى إلى الانشقاق القومى الذى فصل بين مصر وشعوب المشرق العربى[٧٠]، فبينما كانت مصر تتمسك بالسيادة العثمانية فى مواجهة الاحتلال البريطانى كوسيلة لتحقيق الجلاء، نجد أن شعوب المشرق العربى التى عانت من السيطرة العثمانية تستعين بالإنجليز - أعداء المصريين - للتخلص من الاستبداد التركى، وربما كان تشجيع الإنجليز للفكرة العربية التى تستهدف تقليص السيطرة العثمانية أحد العوامل التى جعلت مصطفى كامل يبتعد عنها، خصوصا وأن مصر كانت تتمتع باستقلال حقيقى فى ظل السيادة الاسمية للدولة العثمانية قبل الاحتلال البريطانى، ومع ذلك فإنه حينما ارتفعت بعض الأصوات تطالب بتمثيل مصر فى مجلس المبعوثان - البرلمان التركى - رفض الحزب الوطنى فى «اللواء» هذه الدعوة، وكانت حجة الوطنيين أن مصر أصبحت تملك سيادتها فى الداخل والخارج بمقتضى الفرمانات التى حصلت عليها من الدولة العثمانية[٧١].

فى الواقع كانت علاقة العثمانيين بالوطنيين فى مصر قد بدأ يعتريها الفتور، وخاصة بعد خلع السلطان عبدالحميد عام ١٩٠٨، ومجىء حزب الاتحاد والترقى إلى الحكم، فقد كان الاتحاديون من أنصار العودة إلى الجذور التركية القديمة، كما كانت كراهيتهم للعرب

قضية أساسية فى تفكيرهم، وكانوا لا يتورعون عن الاعتراف بذلك صراحة، ولكن مع حلول عام ١٩٠٩ بدات آمال الوطنيين فى الانتعاش وتحقق لهم نصر صغير، حينما عين الباب العالى «مندوبا عثمانيا» جديدا فى مصر متجاهلا معارضة الخديوى وجورست، كذلك فقد كتب الصدر الأعظم إلى الخديوى - ربما بتحريض من الوطنيين كما يقول شميت - يطلب تفسيرا للاتفاقية التى أقيم بموجبها حكم ثنائى مصرى - إنجليزى فى السودان، كما أن السلطان الجديد استقبل فى يونيو من العام نفسه وفدا صغيرا من الوطنيين مما أثار انزعاج الخديوى والسفير البريطانى فى تركيا، اللذين عبرا عن امتعاضهما، فكان من نتيجة ذلك حرمان وفد برئاسة محمد فريد من الفوز بمقابلة السلطان(٧٢).

هكذا ظلت علاقات الوطنيين المصريين بحكومة الاتحاديين فى تركيا بين مد وجزر، بتأثير الضغوط التى كانت تمارسها بريطانيا أحيانا، والخديوى عباس حلمى أحيانا أخرى، ولكن بعد محاولات الحرص والحذر التى أبداها الاتحاديون نحوهم، بداوا فى عام ١٩١٠ فى استقطاب الحزب الوطنى باعتباره التنظيم الذى يمثل الثقل الأساسى فى ميدان السياسة المصرية(٧٣).

وفى الوقت الذى ران فيه الفتور على علاقة الحزب الوطنى بالاتحاديين تعززت علاقات الصهيونيين بالنظام العثمانى الجديد، وذلك بفضل مساهمات يهود الدونمة(٧٤) فى سالونيك فى مجالس تركيا الفتاة، وفى إحداث الانقلاب السياسى ضد السلطان عبدالحميد، الذى وقف ضد مشاريعهم فى فلسطين(٧٥).

وقد انتهز اليهود فى فلسطين فرصة الثورة عام ١٩٠٨ وشعارات الحرية التى ترددها، وأخذوا يطالبون بانتخاب بعض الصهيونيين

لتمثيلهم فى البرلمان العثمانى، حتى يتمكنوا من عرض مطالبهم الخاصة بحصول فلسطين على الحكم الذاتى.

وعقب قيام الثورة التركية مباشرة، تم تعيين د.فيكتور جاكوبسون[٧٦] ممثلا للمنظمة الصهيونية فى الآستانة، حيث أخذ يتعاون مع كبير الحاخامات، واليهود الخمسة الأعضاء فى البرلمان العثمانى على أساس عدم معارضتهم للمشروعات الصهيونية فى فلسطين[٧٧]، فقد كان لليهود العثمانيين أربعة نواب فى مجلس المبعوثان، ونائب واحد فى مجلس الأعيان[٧٨]، الأمر الذى أتاح لهم الفرصة لعرض وجهات نظرهم، والدفاع عن مصالحهم، فى الوقت الذى رفض فيه الحزب الوطنى أن يكون لمصر ممثلون فى هذا البرلمان.

وفضلا عن النواب اليهود فى البرلمان العثمانى، كان فى الوزارة الاتحادية الجديدة وزير من أصل يهودى هو: جاويد بك، وكان من يهود الدونمة الذين اعتنقوا الإسلام، وحمل لقب شيخ الإسلام، وشغل منصب ناظر المالية، وقد قدمه أحمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثان إلى وفد الحزب الوطنى الذى سافر إلى الآستانة عام ١٩٠٩- لتهنئة رجال الثورة بالدستور[٧٩]. وقد أثيرت اتهامات ضد جاويد بك وطلعت بك ناظر الداخلية بأنهما من ذوى الميول الصهيونية. فقد اتهم جاويد بأنه انتهز فرصة احتياج الدولة العثمانية للأموال وقام بعقد عدة قروض من بنوك يهودية أودعت فيها أموال الجمعية الصهيونية، كما تردد أن مفاوضة جاويد فى باريس مع الماليين من أجل عقد أحد القروض فى صيف عام ١٩١٠ كانت من مصلحة الصهيونيين الذين يمثلهم بنك تركيا الأهلى، وقد نفى جاويد فى جريدة «طنين» التركية هذه الاتهامات[٨٠]، كذلك فإن الصدر الأعظم نفى هذه الاتهامات أيضا

حينما أثيرت هذه المسألة فى مجلس المبعوثان عام ١٩١١ ولكنه اعترف بأن البنوك الفرنسية التى اتفقوا معها كان من بينها بنك يهودى وأن البنوك الألمانية والنمساوية التى اشتركت لمساعدتهم قد يكون من بينها بعض الإسرائيليين، ولكنه نفى أن يكون ما حمل هذه البنوك على مساعدتهم أمر صهيونى أو دينى(٨١).

من ناحية أخرى أثيرت اتهامات ضد جاويد بأنه أراد أن يتفق سرا مع شركة فرنسية على بيع أراضى «تقسيم» الواسعة فى «بيرا» حيث توجد ساحة التعليم العسكرى وقصر الثكنة العسكرية، وانحصرت الإتهامات فى أن المبلغ الذى بيعت به الأرض مبلغ زهيد، وأن شروط البيع كانت مجحفة، ولذلك أثارت السخط والغضب، وجلبت المطاعن من المعارضة على النظار، وعلى الوسطاء وهم ثلاثة من الوسطاء الإسرائيليين الحائزين على ثقة جاويد(٨٢).

وقد أدى تفجر هذه المسائل على صفحات الجرائد التركية، واهتمام الرأى العام بها إلى مناقشة المسألة الصهيونية فى مجلس المبعوثان عام ١٩١١، حيث طرح شكرى بك العسلى نائب دمشق فى المبعوثان مسألة بيع إلياس سرسق مساحة كبيرة من الأراضى فى القدس كما نبه إلى ازدياد عدد اليهود فى متصرفية القدس فقال إن عددهم بلغ مائة ألف يهودى(٨٣)، كما نوقشت باقى المسائل والاتهامات التى أشرنا اليها آنفا.

وقد أوضحت هذه المناقشات أن هناك استياء كبيرا بدأ فى الظهور فى صفوف العثمانيين والعرب، وقد عبر مراسل «الأهرام» عن ذلك فى تعقيبه على هذه المناقشات بقوله: «فمما قيل، وما لايزال يقال فى المجلس وخارجه ضد مهاجرة اليهود إلى فلسطين، أو مع تلك المهاجرة، يستنتج منه أن كراهة اليهود التى لم تكن موجودة قبل اليوم

فى تركيا قد ولدت بيننا، ودخلت أخلاقنا، وسبب ذلك كله المضارية الغريبة بأراضى تقسيم»[٨٤].

أدت المناقشات التى أثيرت فى مجلس المبعوثان، والمعارضة العربية لاتحاديين إلى القيام ببعض التحركات على الصعيدين العثمانى والصهيونى، فعلى الصعيد العثمانى قام الاتحاديون فى أواخر عام ١٩١١ بإصدار تشريع جديد ضد الهجرة اليهودية من أجل تهدئة العرب[٨٥]، أما على الصعيد الصهيونى فقد عقدت المنظمة الصهيونية العالمية اجتماعا طارئا اتخذت فيه قرارا أوضحت فيه أن التهم الموجهة إلى الصهيونية مؤخرا قامت على معرفة ناقصة بطبيعة الحركة الحقيقية، ورأى خاطىء بأهدافها ووجودها، وأشارت المنظمة إلى اقتناعها بأن آمال الصهيونين فى توافق تام مع مصالح الامبراطورية العثمانية. ولذلك اعتبرت أن من أهم واجباتها أن تستمر فى جهودها لشرح معنى الحركة الصهيونية وأهدافها فى تركيا بشكل صحيح. وقد أظهرت هذه التطورات للمنظمة الصهيونية أنه ينبغى اتباع خط أكثر تشددا فى الدعاية، ينفى الأغراض السياسية للحركة ويؤكد المصالح المشتركة للطرفين[٨٦].

ومن هذا المنطلق قامت البعثة الصهيونية فى الآستانة بحملة واسعة تتلخص فى أن الصهيونية لا تهدف إلى فصل فلسطين عن الدولة العثمانية. ولكن الدستور العثمانى بما يحمله من معانى الحرية والمساواة شجع الصحف العربية فى فلسطين ومصر على إثارة القضية أيضا، والتعبير عن مخاوف العرب إزاء التقدم الصهيونى والتساهل العثمانى[٨٧].

وحينما أسقط الاتحاديون الوزارة الإئتلافية عام ١٩١٢ بسبب هزيمة القوات التركية فى حرب البلقان، وقاموا بتشكيل وزارة جديدة،

عينوا فيها لأول مرة وزيرا سرائيليا هو نسيم مازلياح المحامى[٨٨] ناظرا للتجارة والزراعة، ولكن رشيد رضا صاحب «المنار» وآخرين وجدوا أن الوزارة لم تقتصر على ذلك الوزير اليهودى فقط، وإنما ضمت وزيرين يهوديين آخرين هما جاويد بك ناظر المالية وبساريا افندى[٨٩] ناظر النافعة - أى وزير الأشغال - وأن هؤلاء الثلاثة أصبح بيدهم ينابيع الثروة فى البلاد[٩٠]، وقد أثار هذا التعيين مشاعر الغضب لدى العرب، وبدأوا يتحدثون مرة أخرى عن النفوذ السياسى للصهيونية فى الحكومة الاتحادية، وهو ما سنتعرض له فيما بعد.

ولم يقف نفوذ الصهيونيين عند الدوائر السياسية فى الآستانة وإنما امتد إلى مجال الإعلام والصحافة أضا، فقد كان مدير مكتب الصحافة الذى انشىء فى طل الأحكام العرفية يهوديا، وكان لهذا المنصب أهمية كبيرة لأن صاحبه كان بإمكانه قمع أى صحيفة تقوم بنقد نظام الحكم الجديد للاتحاديين، وأن يقدم صاحبها ورئيس تحريرها إلى المحاكمة[٩١].

وفضلا عن ذلك تولى الصهيونين الإشراف على جريدة «الجون ترك» الاتحادية كما تردد أن وكالة الأنباء العثمانية - شركة الأجانس أوتومان - هى شركة إسرائيلية صهيونية، وأن كليهما لسان حال الوزارة الاتحادية[٩٢].

حزب اللامركزية الادارية العثماني:

وفى عام ١٩١٢ تأسس فى القاهرة حزب يدعى «حزب اللامركزية الإدارية العثمانية»، وقد تألف هذا الحزب من مجموعة من السوريين ذوى الخبرة والمكانة المرموقة من المقيمين فى مصر، وكان هدف هذا الحزب إقامة نظام لا مركزى فى الولايات العربية الخاضعة لسلطة

الدولة العثمانية، وتعبئة الرأى العام العربى لتأيد هذا المطلب، وقد تولى رياسته رفيق العظم، وشغل منصب سكرتير الحزب حقى العظم، وهما مسلمان من دمشق. وكان من بين السوريين الذين انضموا للحزب رشيد رضا، وفؤاد الخطيب، وداود بركات - رئيس تحرير «الأهرام» - والثلاثة مسلمون من لبنان، واسكندر عمون - مسيحى من لبنان أيضا، وسليم عبد الهادى وحافظ السعيد، وعلى النشاشيبى من فلسطين(٩٣).

وتأسست لحزب اللامركزية فروع فى مدن سوريا، كما كان على اتصال بالجمعيات الأخرى التى تأسست فى الشام والعراق، وبالمنتدى الأدبى فى الآستانة(٩٤).

وأما السبب فى اختيار القاهرة مقرا للحزب فهو أن مصر على الرغم من تبعيتها الرسمية للدولة العثمانية، إلا انها كانت خاضعة من الناحية الفعلية لسلطات الاحتلال البريطانى، ولذلك لم يكن من السهل على السلطات العثمانية تعقب نشاط الحزب، كما أن تدهور العلاقات فى ذلك الوقت بين بريطانيا والدولة العثمانية جعل الأولى ترحب بهذا النشاط الموجه ضد خصمها بشرط ألا يمتد إلى القضية المصرية، ويؤكد البعض أن كتشنر المعتمد البريطانى فى مصر كان على علاقة طيبة بهذا الحزب (٩٥).

وقد انعقد تحت رعاية هذا الحزب فى العام التالى لتأسيسه «المؤتمر العربى الأول» الذى عقدته العناصر النشطة فى الحقل القومى بباريس، وفى هذا المؤتمر تبلور الفكر القومى العربى الذى أكد أن العرب أمة متميزة قوميا، وأن العثمانية هى مجرد رابطة سياسية لا دينية(٩٦).

وكعادة الصهيونيين دائما فى إقامة علاقات مع الحركات الجديدة أو التغلغل فيها، بهدف كسبها إلى جانبهم، سنجد أن نسيم ملول أحد الكوادر الصهيونية النشطة داخل الحركة الصهيونية فى فلسطين، والنشاط الصهيونى فى مصر، قد أصبح من العاملين النشيطين فى حزب اللامركزية، فأقام علاقات طيبة مع رئيس الحزب وسكرتيره، ومع شخصيات أخرى من بينها داود بركات رئيس تحرير «الأهرام». وتطوع ملول بنشر فكرة الحزب فى فلسطين، فسعى إلى تأليف لجان للحزب فى جميع أنحاء البلاد، وجند صاحب جريدة «النفير العثمانى» لمساعدته فى تأليف هذه اللجان، على أن تقوم جريدته بنشر أخبار الحزب، كما أبدى ملول استعداده بأن تقوم بعض الصحف الصهيونية بنشر كل ما يتعلق بالحزب ومنها صحيفة «هاحيروت» العبرية التى كانت تصدر فى القدس، وصحيفة «الأخبار» اليافيه لصاحبتها استير موبال.

ويبدو أن جهود ملول فى سبيل خدمة حزب اللامركزية، قد استحقت من الحزب أن يقرر فى جلسته بتاريخ ١٦ مارس ١٩١٣ إرسال خطاب شكر إلى نسيم ملول على مابذله من الهمة لتأسيس فرع للحزب فى فلسطين(٩٧). وفى عام ١٩١٣ تبنى الحزب دعوة إلى الإتفاق مع الصهيونيين بما يضمن صيانة مصالح العرب فى فلسطين، وقد تبلورت الفكرة فيما بعد إلى دعوة إلى عقد مؤتمر مشترك بين العرب والصهيونيين، ولكن هذه الفكرة لم يكتب لها النجاح - وهو ماسنتناوله فيما بعد بالتفصيل.

ولعل مايسترعى الانتباه أن دعوة حزب اللامركزية إلى التفاهم بين العرب واليهود، جاءت مواكبة لتحرك مماثل من جانب الاتحاديين الذين أبلغوا الصهيونيين من خلال الحاخام الأكبر فى الآستانة،

بأنهم إذا استطاعوا التفاهم مع العرب، فإن الاتحاديين كفيلون بالقضاء على القيود المفروضة على الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وبالفعل قاموا بإلغاء مهلة الثلاثة أشهر المحددة لإقامة الحجاج اليهود فى فلسطين قبل نهاية عام ١٩١٣[٩٨].

ومع نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، توقف الحديث عن الوفاق بين العرب والصهيونيين، ومع انهيار الامبراطورية العثمانية فى نهاية الحرب دخلت المنطقة فى مرحلة جديدة...

ومن العرض السابق يتضح لنا ان الخديوى عباس حلمى صاحب السلطة الشرعية فى البلاد، والذى بدأ عهده باتخاذ موقف مناهض للاحتلال البريطانى، قد انتهى الأمر سريعا بخضوعه للقوة البريطانية، أما الحركة الوطنية التى اعتمدت فى صراعها ضد الاحتلال البريطانى على دعم الخديوى والسلطان العثمانى وفرنسا، فيبدو أنها راهنت على الأوراق الخاسرة، فسرعان ما انحاز الخديوى إلى الإنجليز - كما رأينا - كذلك فإن القوى التى استندت إليها إما أنها كانت من الضعف بحيث أنه لم يكن بمقدورها حشد ضغط دولى لإجبار الإنجليز على الجلاء عن مصر كما هو الحال بالنسبة للدولة العثمانية، أو أنها كانت مستعدة للتخلى عن الوطنيين المصريين فى سبيل مصالحها - كما فعلت فرنسا عام ١٩٠٤ - حينما أطلقت يد إنجلترا فى مصر فى مقابل إطلاق يدها فى مستعمراتها فى شمال إفريقيا.

وفى ظل الانشقاقات التى أصابت الحركة الوطنية، وانفراط عقد التحالف بينها وبين الخديوى، كان الاحتلال البريطانى هو القوة الوحيدة الحاكمة والمتحكمة فى أمور مصر الداخلية والخارجية، مما أعطى الحركة الصهيونية ميزة كبيرة فى بلد مجاور لفلسطين، فلقد

كانت بريطانيا هى إحدى القوى الدولية التى اعتمدت عليها المنظمة الصهيونية العالمية فى تحقيق مشروعها الرامى إلى إنشاء وطن لليهود فى فلسطين منذ وقت مبكر، ولم يكن ذلك خافيا على المصريين، فقد كتبت «الأهرام» فى عام ١٩٠٠ تقول «ليس بين الدول الأوربية دولة أميل إلى اليهود من إنكلترا، ولذلك نرى معظم الإسرائيليين يميلون إليها، كما كانوا يميلون إلى فرنسا»(٩٩).

من ناحية أخرى كان هناك وعى وإدراك بأن ميل إنجلترا لليهود، وشكواها من الاضطهادات النازلة بهم فى روسيا ورومانيا وغيرها، لم يكن ناجما عن حب إنجلترا لليهود، أو عن مشاعرها الإنسانية نحوهم، وإنما كان ناجما عن حرصها على الحفاظ على مصالح البريطانيين التى أصبحت مهددة بسبب الهجرة اليهودية المكثفة إلى لندن، ولذلك كانت ترغب فى وقف الاضطهاد حتى تتوقف الهجرة، وقد عبرت صحيفة «الأهرام» عن وعيها بالدوافع الكامنة وراء موقف بريطانيا حينما تحدثت عن أن اليهود أنشاوا «مدينة إسرائيلية» فى قلب لندن، وصفتها الصحيفة بأنها «قدس جديدة»، زاحموا فيها صغار العمال والأهالى مزاحمة لم تعد خافية على العامة والخاصة، لدرجة أنه تشكلت لجان، ووضعت تقارير لبحثها(١٠٠)، كما نقلت الصحيفة عن أحد الشخصيات اليهودية أنه بدأت تظهر فى بريطانيا دلائل لطرد اليهود منه(١٠١).

أدت رغبة بريطانيا فى وقف هجرة اليهود إليها وإبعادهم عنها إلى خلق استعداد لديها لمساعدتهم على الإقامة فى أرض بعيدة عنها، ولذلك سنجد أن وجود بريطانيا فى مصر كقوة فعلية ومسيطرة، جعل المناخ مواتيا أمام النشاط الصهيونى الذى بدأ فى البلاد منذ عام ١٨٩٦، ولهذا كان بمقدور الصهيونيين تحقيق مصالحهم حتى ولو كانت على حساب المصلحة العليا للبلاد، إذ يذكر لنا التاريخ أن

الحكومة المصرية برياسة مصطفى رياض باشا وافقت لثرى يهودى ألمانى يدعى بول فريدمان عام ١٨٩٠ على إنشاء مستوطنة يهودية فى مدين بشبه جزيرة سيناء[١٠٢]، كذلك فإنه حينما تعذر على هرتزل تنفيذ المشروع اليهودى فى فلسطين بسبب رفض السلطان العثمانى، فكر فى إقامة مشروع بديل فى العريش[١٠٣]، وقد وافقت الحكومة المصرية برياسة بطرس غالى عام ١٩٠٣ على هذا المشروع ولكن كرومر رفضه بعد ذلك خوفا من أن يؤثر تزويد المشروع الصهيونى بمياه النيل على زراعة القطن فى مصر.

من ناحية أخرى كان وجود طائفة إسرائيلية فى مصر تشكل جزءا من البناء التحتى فى المجتمع المصرى، وسيطرتها على جوانب مهمة من الاقتصاد المصرى، ثم ارتباطها بعلاقات طيبة بباقى طوائف الشعب المصرى، وتغلغل بعض أفرادها الصهيونيين داخل بعض الحركات السياسية وبعض الصحف[١٠٤]، كل ذلك جعل تناول المسألة الصهيونية محفوفا بالمحاذير، وإذا أضفنا إلى ذلك سيطرة البعد القومى المصرى والبعد الإسلامى على فكر الحركة الوطنية المصرية، ثم عجز العقل المصرى فى ذلك الوقت عن تخيل إمكانية تحقيق تلك الفكرة الصهيونية الخيالية، لأمكننا أن نتفهم لماذا لم تول الحركة الوطنية المصرية المسألة الصهيونية الإهتمام الواجب.

وإذا كان الموقف الرسمى للحكومة المصرية لم يبد أى اهتمام بالأطماع الصهيونية فى فلسطين - فى فترة هذه الدراسة - وكذلك الحركة الوطنية التى ركزت اهتمامها على جلاء الإنجليز من مصر، فماذا كان موقف الصحافة التى مثلت التيارات السياسية والفكرية المختلفة بوصفها قائدة للرأى العام، ومؤثرة على رسم السياسة وصنع القرار فى بعض الاحيان؟ هذا هو ما ستسعى هذه الدراسة إلى الاجابة عليه .

هوامش الفصل الأول

(١) عبدالرحمن الرافعي: مصر البعث الوطني، سلسلة دراسات قومية رقم(١٣)، العدد الخامس، مركز النيل للإعلام ، القاهرة ، ١٩٧٩، ص ٨.

(٢)و (٣) المرجع السابق ص ٥ـ ١٨.

(٤) د. سامى عزيز: الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٨ ص ٦٩.

(٥) د .إبراهيم عبده: تطور الصحافة المصرية ١٧٩٨ـ١٩٨١، مؤسسة سجل العرب، الطبعة الرابعة، القاهرة ١٩٨٢، ص١٣٧.

(٦) سامى عزيز: مرجع سابق ص, ٧٢

(٧) سليمان سالم صالح : جريدة المؤيد ١٨٨٩ـ ١٩١٥، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الإعلام جامعة القاهرة، ١٩٨٥ ص٨.

(٨) انظر سامى عزيز: مرجع سابق ص٨١.

(٩) انظر سامى عزيز: مرجع سابق، ص١٣٨.

(١٠) المرجع السابق ص١٥٠.

(١١) تيسير أبوعرجة: جريدة المقطم ودورها فى الدعاية للاحتلال الإنجليزى ١٨٨٩ـ١٩١٩ رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الإعلام جامعة القاهرة ١٩٧٨ ص٢٨ـ٣٤.

(١٢) سامى عزيز: مرجع سابق ص٩٩.

(١٣) إبراهيم عبده: مرجع سابق ص ١٥٢.

(١٤) المرجع السابق ص١٥٣.

(١٥) آرثر إدوارد جولد شميت (الإبن): الحزب الوطنى المصرى (مصطفى كامل ـ محمد فريد) ترجمة فؤاد دوارة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣ ص ٦٥.

(١٦) المرجع السابق ص١٥٠.

(١٧) محمد على علوية: ذكريات اجتماعية وسياسية، المركز العربي للبحث والنشر، القاهرة، ١٩٨٢ص٦٢.

(١٨) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية، الأول مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١ص٢٢.

(١٩) كان مصطفى فهمى باشا اخر العرابيين، وكان مدرسة فى الوطنية المغلوبة على أمرها والتى أدركت فى مرحلة الاحتلال البريطانى الكرومرية، أن مصر للمصريين أمل قادم، وليست أملا حاضرا، وأنه لا خيار فى الوقت الحاضر إلا بين مصر الإنجليز أو العثمانيين، وأنه لا مفاضلة وقتئذ إلا بين الاستعمار المتقدم المستنير، والاستعمار الجاهل المتخلف (نقلا عن لويس عوض، تاريخ الفكر المصرى الحديث، جـ٢ ص١٤٩).

(٢٠) عصام ضياء الدين السيد على الصغير: الحزب الوطنى والنضال السرى ١٩٠٧ـ ١٩١٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧ص١٩ـ٢٠.

(٢١) و (٢٢) المرجع السابق نفسه.

(٢٣) ارثر جولد شميت: مرجع سابق ص٨٩.

(٢٤) إبراهيم الدسوقى المسلمى: صحافة الحزب الوطنى١٩٠٠ـ١٩٥٣ رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الإعلام جامعة القاهرة عام ١٩٨٥ ص١٩.

(٢٥) عبدالرحمن الرافعى: مرجع سابق ص ٣٨.

(٢٦) عبدالعزيز محمد الشناوى: الدولة العثمانية دولة إسلامية معتدى عليها، جـ٣ مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٣ ص١١٩٩.

(٢٧) محمود صالح منسى: حركة اليقظة العربية، ط١ دار الفكر العربى ـ القاهرة ١٩٧٤

(٢٨) عبدالعظيم رمضان: تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨ـ١٩٣٦، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولى،القاهرة، ١٩٨٣، ص٣٥.

(٢٩) عبدالعزيز الشناوى: مرجع سابق ص١١٩٩.

(٣٠) وقع حادث فاشودة عندما إحتلت قوة فرنسية بلدة فاشودة الواقعة على

النيل فى السودان بهدف صد التيار الإنجليزى المتقدم فى إفريقيا، ثم فتح المسألة المصرية برمتها، وإجبار بريطانيا على تنفيذ وعدها بالجلاء عن مصر، ولكن سرعان ما انتهت الأزمة بتخاذل فرنسا وانسحاب قواتها مع التسليم بوجهة نظر بريطانيا (نقلا عن عبدالرحمن الرافعي: مصطفى كامل باعث النهضة الوطنية، كتاب الهلال، العدد٤٧، الطبعة الثانية، القاهرة١٩٩٠ ص٥٩.

(٣١) إبرهيم عبده: مرجع سابق ص١٦٥، آرثر جولد شميت: مرجع سابق ص١٥٦.

(٣٢) المرجع السابق ص٩٠.

(٣٣) إبراهيم عبده: مرجع سابق ص١٥٩.

(٣٤) سليمان سالم صالح: مصدر سابق ص ٦٢.

(٣٥) قدر جينش jenish توزيع «اللواء» عام١٩٠٣ بما يتراوح بين١٥٠٠-٢٠٠٠ نسخة فى حين كان توزيع «المؤيد» فى العام نفسه يتراوح بين ٤٠٠٠-٤٥٠٠ نسخة (نقلا عن آرثر جولد شميت ص٩٩ وسليمان صالح ص٦٧).

(٣٦) إبراهيم عبده: مرجع سابق ص١٦٧.

(٣٧) انظر قضية الزوجية: المرجع السابق ص١٦٨.

(٣٨) آرثر جولد شميت: مرجع سابق ص١٠١.

(٣٩) إبراهيم عبده: مرجع سابق ص١٦٨.

(٤٠) وصل توزيع (اللواء) فى عام ١٩٠٨ إلى نحو ١٤ ألف نسخة فى حين كان متوسط توزيع الصحيفة التالية لها وهى «المؤيد» ٧ آلاف نسخة نقلا عن: يونان لبيب: الأحزاب السياسية فى مصر ص٣٣)، كذلك فقد وصل توزيع «اللواء» فى أثناء جنازة مصطفى كامل نحو ٢٩ الف نسخة، وهو رقم لم تصل إليه أية صحيفة قبل ثورة ١٩١٩.

(٤١) طابا قرية مصرية صغيرة تقع على خليج العقبة، وهى التى كانت محل نزاع مؤخرا بين مصر واسرائيل، وقد استعادتها مصر عام ١٩٨٩ من

السيطرة الإسرائيلية بعد صدور حكم من محكمة العدل الدولية يؤكد أن طابا مصرية.

(٤٢) يونان لبيب رزق: الأحزاب السياسية في مصر ١٩٠٧_١٩٨٤، كتاب الهلال، العدد٤٠٨ القاهرة ١٩٨٤ص٢٠.

(٤٣) المرجع السابق ص٢١.

(٤٤) عبدالعظيم رمضان: مرجع سابق ص٤١.

(٤٥) يونان لبيب: مرجع سابق ص ٤٠.

(٤٦) آرثر جولد شميت: مرجع سابق ص١٢٦.

(٤٧) عبدالرحمن الرافعي: بعث مصر الوطني ص٥٥.

(٤٨) محمد حسين هيكل: مرجع سابق ص٣٧.

(٤٩) كلمة يونانية مكونة من مقطعين هما (أوتوس) بمعنى نفس و(أرخوس) بمعنى حكم ويقصد بها نظام الحكم الفردي (نقلا عن: د. أحمد عطية: القاموس السياسي، الطبعة الرابعة، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٠ ص١٨٠).

(٥٠) يونان لبيب: مرجع سابق ص٢١.

(٥١) المرجع السابق ص٢١.

(٥٢) المرجع السابق ص٢٢.

(٥٣) المرجع السابق ص٤٢.

(٥٤) عبدالعظيم رمضان: مرجع سابق ص٤١.

(٥٥) د. نبيه بيومي عبدالله: تطور فكرة القومية العربية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٥ ص١٠.

(٥٦) عبدالعظيم رمضان: مرجع سابق ص٤٥.

(٥٧) يونان لبيب: مرجع سابق ص٢٩.

(٥٨) عبدالعظيم رمضان: مرجع سابق ص ٣٤_٣٦.

(٥٩) يونان لبيب: مرجع سابق ص٥٨_٦٠.

آرثر جولد شميت: مرجع سابق ص٣٦.

(٦٠) عبدالعظيم رمضان: مرجع سابق ص٣٦.

(٦١) انظر: مركز دراسات الوحدة العربية: القومية العربية والإسلام، مجموعة بحوث ومناقشات، الندوة الفكرية التى نظمها المركز، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٢ـ ص١٦٣.

(٦٢) انظر: طاهر عبدالحكيم: الشخصية الوطنية المصرية، الطبعة الأولى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٦ إلى ١٦٦.

د. فاروق ابوزيد: صفحات مجهولة من عصر التنوير الصحفى، العربى للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨١، ص١٣٠،١٣١.

(٦٣) سليمان صالح: مصدر سابق، ص٣٧٦.

(٦٤) المصدر السابق ص٣٧٧.

(٦٥) فاروق أبوزيد: مرجع سابق ص١٢٨.

(٦٦) المرجع السابق ص١٣٨.

(٦٧) المرجع السابق ص١٣٨ـ١٣٩.

(٦٨) المرجع السابق ص١٤٤.

(٦٩) المقطم فى ٢٨ ديسمبر ١٩١٦ العدد٨٤٤٩ رأى ألمانى فى استقلال العرب ص١.

(٧٠) فاروق أبوزيد: مرجع سابق ص١٣٥.

(٧١) إبراهيم الدسوقى عبدالله المسلمى: مصدر سابق ص٤٩.

(٧٢) أرثر جولد شميت: مرجع سابق ص١٩٠ـ١٩١.

(٧٣) المرجع السابق ص١٩٠ـ١٩١.

(٧٤) يونان لبيب: مرجع سابق ص٢١. الدونمة كلمة تركية تعنى (المرتدون) وهى طائفة يهودية تركية تألفت من اليهود الذين طردوا من إسبانيا، استقروا فى سالونيك، وأشهروا إسلامهم، ولكنهم ظلوا متمسكين سرا بتقاليد اليهودية، وكان لكل واحد منهم اسم تركى مسلم يستعمله علانية، وآخر عبرى يعرف به بين أفراد مجتمعه السرى، كما كانوا يحتفلون بالأعياد اليهودية،

ويقيمون شعائرهم فيما عدا شعيرة الكف عن العمل يوم السبت حتى لا يلفتوا النظر إلى حقيقتهم، وقد أدى كثير من الدونمة دورا قياديا فى الثورة التركية سنة ١٩٠٩ وخصوصا داود بك (جاويد بك) الذى أصبح فيما بعد وزيرا للمالية (نقلا عن عبدالوهاب المسيرى: موسوعة المصطلحات الصهيونية وإسرائيل ص١٩١).

(٧٥) خيرية قاسمية: النشاط الصهيونى فى الشرق العربى وصداه ١٩٠٨ـ١٩١٨، مركز الابحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت ١٩٧٣، ص ٤٢.

(٧٦) صهيونى روسى المولد، كان يدير الشركة الانجليزية الفلسطينية فى بيروت.

(٧٧) محمود حسن صالح منسى: تاريخ الشرق العربى الحديث، دار الوزان للطباعة والنشر القاهرة ١٩٩٠ ص١٤٦.

(٧٨) خيرية قاسمية: مرجع سابق ص٥١.

(٧٩) محمد على علوبة: مرجع سابق ص٥٠.

(٨٠) خيرية قاسمية: مرجع سابق ص٨٩ ـ ٩٠.

(٨١) الأهرام فى ١١ مارس ١٩١١ (الصهيونيون فى مجلس المبعوثان).

(٨٢) المصدر السابق فى ١٥ مارس ١٩١١ الاستانة العلية فى ١٠مارس.

(٨٣) محمود حسن صالح منسى: تاريخ الشرق العربى الحديث ص ١٤٩.

(٨٤) الأهرام فى ١٥ مارس ١٩١١ «الاستانة العلية فى ١٠مارس».

(٨٥) محمود حسن صالح منسى: تاريخ الشرق العربى الحديث ص١٥٠.

(٨٦) و (٨٧) خيرية قاسمية مرجع سابق ص٥١ـ٨٩.

(٨٨) نسيم مازلياح كان محاميا يهوديا، وكان مندوب الجمعية الصهيونية فى الآستانة.

(٨٩) يذكر رشيد رضا أن بساريا افندى كان قبل تعيينه فى منصب ناظر النافعة - أى وزير الأشغال - يعمل رئيسا لتحرير جريدة «الجون ترك» ومراقبا من قبل الجمعية الصهيونية على ما ينشر بها.

(٩٠) خيرية قاسمية: مرجع سابق ص ١٥٠ .

(٩١) المرجع السابق، ص ٥١ .

(٩٢) الأهرام فى ٧ فبراير ١٩١٣ العدد ١٠٦٢١«حكاية الهجوم على الباب العالى» ص ١ .

(٩٣) جورج انطونيوس: يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة ناصر الدين الاسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت ,١٩٨٢ ص١٨٥ .

(٩٤) محمود حسن صالح منسى: تاريخ الشرق العربى ص٢٥٩ .

(٩٥) المرجع السابق نفسه، ص١٨٥ .

(٩٦) خيرية قاسمية: مرجع سابق ص٢٥٩ .

(٩٧) المرجع السابق ص١٦٠ .

(٩٨) محمود حسن صالح منسى: تاريخ الشرق العربى الحديث ص١٥٠ .

(٩٩) الأهرام فى ١٩ديسمبر ١٩٠٠ العدد ٦٩٢٠ «الصهيونيون» ص١ .

(١٠٠) المصدر السابق فى ٧ أكتوبر ١٩٠٢«اليهود فى رومانيا» ص١ .

(١٠١) المصدر السابق فى ٢٨ مايو ١٩٠٣ العدد ٧٦٥٤ «الحركة الصهيونية فى انجلترا» ص١ .

(١٠٢) سهام نصار: الصحافة الإسرائيلية والدعاية الصهيونية فى مصر، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة ١٩٩١ ص٤١ .

(١٠٣) المرجع السابق ص٤١

(١٠٤) المرجع السابق ص١١ ـ٩٢

الفصل الثانى

صحف الدراسة وكتابها

أشرنا فى الصفحات الماضية إلى الاتجاهات السياسية لصحف الدراسة، وإلى علاقتها بالقوى المسيطرة على الساحة السياسية فى مصر فى الفترة من عام١٨٩٧ وحتى عام ١٩١٧، ولكن حتى تكتمل الحلقة، وحتى يمكن فهم الدوافع الكامنة وراء الموقف الذى اتخذته كل صحيفة منها إزاء المسألة الصهيونية، كان من الضرورى التعرف أيضا على القائمين بالاتصال فى هذه الصحف، وكشف النوايا والأهداف التى دفعتهم إلى الخوض فى هذه المسألة دون غيرهم، وكشف الأساليب الإقناعية التى لجأوا اليها. ونعنى بالقائمين بالاتصال هنا ما يلى:

١- أصحاب الصحف الذين يقررون السياسة التحريرية للصحيفة.

٢- الصحفيون العاملون بهذه الصحف.

٣- الكتاب من خارج الصحيفة وهؤلاء كانوا ينقسمون قسمين:

أ - كتابا عربا .

ب - كتابا صهيونيين.

ونظرا لأن هذه الدراسة تعود إلى فترة قديمة،نوعا ما، فسوف يكون من المستحيل استخدام بعض الأدوات البحثية المهمة مثل المقابلة وصحيفة الاستبيان التى كانت ستفيد فى الحصول على معلومات صحيحة ودقيقة عن القائمين بالاتصال وأهدافهم واتجاهاتهم وخلفيتهم الاجتماعية، وعلاقتهم بالمؤسسة التى يعملون فيها، وذلك لأن هؤلاء الكتاب والقائمين بالاتصال رحلوا عن عالمنا منذ فترة طويلة، ولهذا فسوف اعتمد على الكتابات المتاحة عنهم، وهذه أيضا

يشوبها القصور، فبعض الكتاب تتوافر عنهم المعلومات، وبعضهم تكاد تنعدم، وكذلك فسوف يتم الاعتماد على كتاباتهم فى محاولة للكشف عن نواياهم وأهدافهم الاتصالية، وسمات أسلوبهم.

ومن ناحية أخرى سوف نسعى فى هذا الفصل إلى دراسة المعالجة الصحفية للموضوعات المتعلقة بالصهيونية وفلسطين لمعرفة الكيفية التى قدمت بها صحف الدراسة مضمون هذه المادة، وهل يمكن الاستناد إليها فى الحصول على مؤشرات تبين درجة اهتمام الصحافة بموضوع هذه الدراسة، واستكشاف ما إذا كان قد تم استخدام الفنون الصحفية المختلفة فى تحقيق أهداف الرسالة الإعلامية، وفى تحقيق التأثير المطلوب على الجمهور، وسوف نبدأ أولا بدراسة كتاب صحف الدراسة.

أولا - أصحاب الصحف والصحفيين:

١ - صحيفة الأهرام:

كان سليم تقلا وبشارة تقلا صاحبا «الأهرام» من اللبنانيين، فقد ولدا فى كفر شيمة بلبنان، وتلقيا تعليمهما هناك، ثم انتقلا إلى الإسكندرية حيث أصدرا «الأهرام» عام ١٨٧٦ .

وعلى الرغم من أن صاحبى «الأهرام» كانا حاصلين على الحماية الفرنسية، إلا أنه يمكن القول بأن الصحيفة كانت مستقلة إلى حد ما، فلم تنتم إلى أى من التيارات أو القوى السياسية التى ظهرت فى مصر خلال الاحتلال البريطانى، وأفسحت صدر صفحاتها للزعيم الوطنى مصطفى كامل، كما أشرنا من قبل.

كان بشاره تقلا يقوم بأكبر قسط فى تحرير «الأهرام» ويكاد يكون المحرر الوحيد فى الجريدة بعد شقيقه سليم، ثم انفرد «بالأهرام» بعد وفاة الاخير عام ١٨٩٢، فكان يشرف على كل صغيرة وكبيرة فى الصحيفة: يتلقى الصحف الغربية ويشير بقلمه على أهم موضوعاتها لتترجم، ثم يراجع الترجمة، فإذا أقرها نشرت، وكان يستقبل المخبرين ويناقش أخبارهم، ثم يربل الأخبار، فلا ينشر نبأ إلا إذا تأكد من صحته(١).

وبعد وفاة بشارة تقلا عام ١٩٠١ نزلت زوجته إلى الميدان الصحفى، وأشرفت بنجاح على سياسة الصحيفة إلى أن تمكن ابنها جبرائيل تقلا من الإضطلاع بأعباء «الأهرام» إبتداء من عام ١٩١٢(٢).

وقد استعان «الأهرام» بمجموعة من المحررين فى عهد بشارة تقلا من أهمهم سليم حداد، ورشيد سعادة، وعبده بدران، وأمين بدران، ومسيحة إلياس، والشاعر خليل مطران... وغيرهم، وكان فى مقدمة اللذين عملوا مع زوجة بشارة تقلا بعد وفاته: خليل مطران، ومن بعده داود بركات، اللذين توليا مسئولية رياسة تحرير الأهرام»(٣).

كان خليل مطران (١٨٧١ ـ ١٩٤٩)وداود بركات (١٨٦٧ـ١٩٣٣) لبنانيين أيضا، فقد ولد خليل مطران فى بعلبك، وكان من كبار الشعراء، ولقب بشاعر القطرين، كما كان معروفا ككاتب له اشتغال بالصحافة وكتابة التاريخ والترجمة(٤).

أما داود بركات فقد ولد بقرية يحشوش بكسروان بلبنان، وأجاد العربية والفرنسية، وانتقل إلى مصر عام ١٨٩٠، حيث عمل مدرسا فى زفتى وطنطا، ثم كاتبا فى جريدة «المحروسة» عام١٨٩٤، واشترك فى إصدار جريدة «الأخبار»، ثم دخل أسرة تحرير «الأهرام»

عام١٨٩٩، وتولاها بعد وفاة صاحبها بشارة تقلا عام١٩٠١، فنهض بها، واتسعت في أيامه، فقد تسلمها وهى تصدر فى أربع صفحات، وتوفى عام١٩٢٣وهى أكبر صحيفة في الشرق تصدر في ١٤ صفحة(٥).

مما سبق يتضح لنا أن بشارة تقلا وزوجته وابنه جبرائيل بالإضافة إلى خليل مطران وداود بركات رئيسى التحرير كانوا هم المسئولين عن رسم السياسة التحريرية للجريدة، وعن كل ما ينشر بها.

وإذا عدنا إلى ما نشر فى «الأهرام» خلال تلك الفترة عن الصهيونية وفلسطين سنجد أن أيا من هؤلاء المسئولين لم يتعرض قط للكتابة فى هذا الموضوع، اللهم إلا مقالة واحدة لبشارة تقلا نشرها فى ١٨ أكتوبر١٨٩٧عن زيارة قام بها لمدينة القدس، لم يتعرض فيها للمسألة الصهيونية، وأن كان قد أشار إلى تعاظم هجرة اليهود إلى المدينة المقدسة حتى أصبحوا يمثلون السواد الأعظم من سكانها، وأنه لو لم تصدر الإرادة السنية بمنع تملك الإسرائيليين لاشتروا أكثر أراضى القدس وفلسطين، كما أشار إلى أن ذلك المنع تم على أثر تشكى الأهلين، ولأسباب اقتصادية وسياسية.

وخلال الفترة من١٨٩٧ـ ١٩٠٨ فتحت «الأهرام » صفحاتها للكتاب من خارجها للتعبير عن آرائهم فيما يتعلق بالهجرة اليهودية إلى فلسطين، فى حين اكتفت هى بتعريف قرائها بالصهيونية وأهدافها من خلال ما كانت تنشره من أخبار خارجية مترجمة عن الصحافة الغربية.

وقد اعتمدت «الأهرام» فى استقائها للأنباء الخارجية على مصادر أوربية فى معظمها شأنها فى ذلك شأن باقى الصحف المصرية، وكان

من أهم هذه المصادر وكالتا رويتر وهافاس[٦] ، والصحف الأجنبية، بالإضافة إلى مصادرها الخاصة التى كانت تتمثل فى المكاتبين الخصوصيين المقيمين فى الخارج بالقرب من مسرح الأحداث، والذين كانوا يوافونها بالأخبار والمعلومات، فعلى سبيل المثال، كان لصحيفة «الأهرام» نحو اثنى عشر وكيلا موزعين فى الآستانة والشام والعراق ولندن وباريس، بالإضافة إلى المندوبين الذين كانت توفدهم إلى الخارج فى مهمات صحفية خاصة[٧].

وكانت هذه الإمكانات والمصادر كفيلة بأن تجعل الصحافة المصرية على اطلاع وثيق بما يدور فى أوربا، ومنه النشاط الصهيونى الذى اجتذب اهتمام الصحافة الأوربية لعلاقته بالمسألة اليهودية[٨] ، التى أزعجت الأوربيين فى ذلك الوقت من ناحية، ولتغلغل النفوذ اليهودى والصهيونى داخل الصحافة الغربية من الناحية الأخرى، ومما يؤكد ذلك أن الأخبار الأولى عن انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى بال بسويسرا عام١٨٩٧بعثها مكاتب «المقطم» فى باريس ، كما أن أخبار النشاط الصهيونى التى نشرت فى «الأهرام» جاءت نقلا عن مكاتب الصحيفة الخصوصى فى لندن، وعن الصحافة الأوربية، ووكالتى رويتر وهافاس، وفضلا عن ذلك كان اهتمام الصحافة فى مصر بقضية دريفوس[٩] التى تفجرت خلال تلك الفترة صدى لاهتمام الصحافة الغربية بها.

وخلاصة القول فان صحيفة «الأهرام » عزفت هى وكتابها خلال الفترة من١٨٩٧ـ١٩٠٨ عن إبداء الرأى فى المسألة الصهيونية من خلال المقال، وإنما ركزت على التغطية الخبرية للنشاط الصهيونى، وتركت للكتاب من خارجها وللقراء إبداء رأيهم فى هذه المسألة، ولذلك كان عدد المقالات التى نشرت بها فى هذه الفترة ست مقالات فقط،

ثلاثا منها لكتاب من خارجها، والثلاث الأخرى للصحيفة نفسها: مقالة بشارة تقلا التى أشرنا إليها آنفا، والمقالتان الأخريان بدون توقيع، وتناولت إحداهما التعريف بالجمعية الصهيونية وتقلب أدوارها فى فلسطين، فى حين تناولت الأخرى اليهود وعلاقتهم بالشعوب الأخرى واضطهادها لهم، أما الأخبار فقد بلغ عددها ٧٢ خبرا(١٠).

وخلال الفترة من عام ١٩٠٩ وحتى عام ١٩١٥، وهى الفترة التى كان على رأس «الأهرام» فيها كل من أرملة بشارة تقلا وإبنه جبرائيل، وداود بركات مديرا للتحرير، طرقت «الأهرام» المسألة الصهيونية من خلال المقالة والتعليق، فقد أبدت الصحيفة وجهة نظرها فى الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وفى مسألة التفاهم والإتفاق مع الصهيونيين من خلال التعليقات التى كانت تنشرها فى بعض الأحيان على بعض الأخبار والمقالات، ومن خلال بعض المقالات غير الموقعة، فمن بين ٨٠ مقالة(١١) نشرت خلال هذه الفترة، نشرت «الأهرام» مقالا واحدا بدون توقيع، وست مقالات موقعة: خمسة لإبراهيم سليم نجار مكاتبها الخصوصى فى الآستانة، ومقالة واحدة لأنطون الجميل، كما عقبت«الأهرام» على سبع مقالات لكتاب صهيونيين وعرب، أما باقى المقالات فقد كانت لبعض الكتاب من خارج الصحيفة، وبعض القراء.

وفيما يتعلق بالأخبار علقت «الأهرام» على خمسة أخبار من بين ٥٣ خبرا نشرتها فى تلك الفترة.

وإذا عدنا إلى كتاب «الأهرام» سنجد أن إبراهيم سليم نجار كان الصحفى الوحيد فى الجريدة الذى أبدى إهتماما ملحوظا بالمسألة الصهيونية، وكان «نجار» من الشاميين المقيمين فى مصر، ولكنه عمل مراسلا للصحيفة فى الآستانة، فكان من أهم واخطر مراسليها فى العاصمة العثمانية، فقد كان يوافى «الأهرام» برسائل غاية فى

الأهمية، وكانت رسائله ـ كما يقول د.ابراهيم عبده ـ تهز الناس هزا لما انطوت عليه من صراحة ودقة، وكانت «الأهرام» تحتفى بتلك الرسائل، وتنشرها أحيانا فى افتتاحيتها(١٢).

وقد أتاح لنجار عمله مراسلا خصوصيا «للأهرام» فى الآستانة الفرصة لإقامة علاقات وثيقة مع عدد من الشخصيات البارزة سواء فى الدوائر السياسية العثمانية والعربية، أو فى الدوائر الصهيونية فى العاصمة العثمانية، الأمر الذى مكنه من الاطلاع على دقائق أسرار الدولة العلية، وبخاصة فى الفترة التى توثقت فيها علاقات الصهيونيين بالاتحاديين بعد الثورة العثمانية عام١٩٠٩.

من ناحية أخرى كانت لنجار علاقات وثيقة برجال حزب اللامركزية الإدارية الذى تأسس فى القاهرة عام ١٩١٢، كما كان من بين الأقلام التى ناهضت الحكم العثمانى ودعت إلى تحرير سوريا ولبنان، ولذلك كان من بين الذين حكمت عليهم السلطات العثمانية بالإعدام غيابيا فى أثناء الحرب العالمية الاولى(١٣).

وبالإضافة إلى الرسائل التى كان يبعثها نجار من الآستانة بوصفه مراسلا خصوصيا «للأهرام»، نشر نجار حوالى خمس مقالات: أربعة بتوقيعه، وواحدة بتوقيع مستعار هو «لمراسل عابر سبيل»(١٤) ـ نشرتها الأهرام فى افتتاحيتها ـ وكشف فيها كاتبها وجود تواطؤ بين الصهيونيين والحكومة الاتحادية الجديدة التى تشكلت عام١٩١٣.

أما المقالة الثانية فكانت بعنوان «فلسطين» أحوالها الاقتصادية والاجتماعية والإدارية»(١٥) تناول فيها نجار مسألتين قال أنهما يشغلان الرأى العام فى فلسطين، ولكن لا يشعر بهما أهل مصر والشام، وهما المسألة الاسرائيلية ـ لا الصهيونية ـ والمسألة

الأرثوذكسية، وقد ركز الكاتب في هذه المقالة على المسألة الأرثوذكسية، واعتبرها توطئة لنشر مقالتيه التاليتين عن المسألة الإسرائيلية.

وقد أطلق نجار على «المسألة الصهيونية» تسمية «المسألة الإسرائيلية» مؤكدا أنه يعنيها، وذلك حينما وضع عبارة «لا الصهيونية» بين شرطتين، فقد رأى أن الفكرة الدينية تسلطت على الأذهان عند البحث في المسألة الصهيونية، فبات أول ما يتبادر منها إلى ذهن القارىء عند قراءة كلمتي (الحركة الصهيونية) خلاف بين الإسرائيليين وغير أبناء دينهم، ولهذا يبدو أنه أراد أن يربأ بنفسه عن الاتهام بالتعصب الديني، فأوضح أنه ينظر إلى المسألة من وجوهها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، تاركا كل ما له صلة بالدين، وإن كان يرى أن هذه الصفة من أهم صفات الحركة الصهيونية[١٦].

وقد نشر نجار المقالتين الثالثة والرابعة تحت عنوان «الاسرائيليون في فلسطين»[١٧]، وكانتا عبارة عن خلاصة بحث اجراه، وانفق شهرين كاملين في درسه وتنقيبه وتمحيصه، حيث اعتمد فيه على الدراسة الميدانية، فطاف فلسطين، وزار مستعمرات الإسرائيليين هناك مستعمرة مستعمرة، والتقى بالحكام الوطنيين والإسرائيليين، وتقصى أفكارهم عن مستقبل فلسطين وتناول الموضوع بالبحث من جميع جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ودعمه بالأرقام وبخاصة فيما يتعلق بتعداد اليهود في فلسطين، ولهذا جاءت الآراء التي أبداها - كما يقول - بعد درس وبحث وتدقيق، ووقوف على دقائق المسألة.

وكانت المقالة الخامسة بعنوان «الحركة الصهيونية، مراميها ووجوه الخلاف فيها»[١٨]، تناول فيها الصهيونية كحركة سياسية

واقتصادية ولغوية تستحق عناية العثمانيين، خصوصا أهل فلسطين وسوريا، كما أبدى رأيه في فكرة عقد مؤتمر في مصر من الصهيونيين والعرب.

وقد اعتمد نجار في مقالاته على الاستشهاد بكتابات بعض اليهود في دعم آرائه وأفكاره، والإستناد إلى لغة الأرقام والاعتماد على أسلوب المقابلة، والنزول إلى أرض الواقع لسبر أغوار المسألة التي يتعرض لدراستها. كما أشرنا من قبل، كما تميز نجار بنظرته الشمولية والمستقبلية خلال تناوله «للمسألة الإسرائيلية» و«الحركة الصهيونية»، وخلال تعرضه أيضا لمستقبل الإسرائيليين في فلسطين.

وكان أنطون الجميل (١٨٨٧-١٩٤٨) هو الكاتب الثاني من صحفيي «الأهرام» الذي تناول المسألة الصهيونية في واحدة من مقالاته بعنوان «أوراق مسافر»(١٩).

والجميل لبناني ماروني ولد في بيروت وتلقى تعليمه عند اليسوعيين الذين عهدوا إليه بتحرير مجلتهم «البشير» سنة ١٩٠٨، ثم انتقل إلى مصر، واشترك مع أمين تقي الدين في إصدار «مجلة الزهور»، وعمل في وزارة المالية المصرية، ثم في جريدة «الأهرام» إلى أن تولى رياسة تحريرها بعد وفاة داود بركات. وقد نشط الجميل في الحياة السياسية والأدبية في مصر، إذ عين عضوا في مجلس الشيوخ المصري، واختير عضوا بالمجمع اللغوي، ومنح في أواخر حياته لقب باشا، واستمر في رياسة تحرير «الأهرام» إلى أن توفي بالقاهرة عام ١٩٤٨(٢٠).

وقد كتب الجميل مقالته المشار إليها بمناسبة زيارة قام بها إلى مدينة يافا عام ١٩٠٩ للوقوف على حقيقة مسألتين خطيرتين خاضت فيهما الجرائد وهي: الحركة اليونانية والحركة الصهيونية اللتان

ظهرتا فى تلك الأنحاء... وقال الجميل أن الأهالى أثنوا على «الأهرام» أجمل الثناء لأبحاثها الوافية فى هاتين المسألتين اللتين تشغلان الأهالى أكثر مما يتصوره القارئ».

٢ ـ صحيفة المقطم :

مثل صحيفة «الأهرام» كان أصحاب «المقطم » الثلاثة: د يعقوب صروف (١٨٥٢ـ١٩٢٧) ود فارس نمر (١٨٥٦ـ١٩٥١) وشاهين مكاريوس (١٨٥٣ـ١٩١٠) من اللبنانيين، وقد نشأوا فى أكبر مدرسة غربية تأسست فى الشرق، وهى الكلية الأمريكية فى بيروت[٢١].

وكان أصحاب «المقطم» قد أحرزوا شهرة فى عالم الآداب والصحافة بفضل «المقتطف » تلك المجلة العلمية الشهيرة التى أنشأها صروف بالاشتراك مع رصيفه فارس نمر فى بيروت عام ١٨٧٦، ويبدو أن السبب فى شهرة هذه المجلة هو أنها اهتمت بنشر كل ما هو جديد، وقد عبر عن ذلك قسطاكى الحلبى بقوله إن «أصحاب هذه المجلة جعلوا جل اقتطاف «المقتطف » كل بدعة ظهرت على وجه الأرض.....» فعلى سبيل المثال حينما ظهرت نظرية دارون أصبح «المقتطف» من أكبر دعاة هذا المذهب: «مذهب النشوء والارتقاء» الذى دعاه أصحاب «المقتطف» بمذهب «تنازع البقاء» الذى يقول بأن العيش فى هذه الدنيا لا يصلح إلا للقوى، وأن الضعيف لا بد أن يضمحل[٢٢].

ولهذا عندما انتقل أصحاب «المقتطف» بمجلتهم إلى مصر عام ١٨٨٥ كانت شهرتهم قد سبقتهم إليها فرحب بهم عظماء مصر وعلماؤها. وقد ازدادات شهرة أصحاب «المقتطف» بعد أن أصدروا صحيفة «المقطم» عام ١٨٨٩، وتمكنوا من إقامة علاقات وثيقة مع السلطات الحاكمة فى البلاد، إذ أصبح فارس نمر صديقا حميما

للخديوى عباس حلمى، وكان رسوله إلى السير إدوارد جراى وزير خارجية بريطانيا عندما تحرجت علاقات الخديوى مع الحكومة البريطانية، كما كان صديقا للخديوى توفيق وللسلطان حسين، وللملك فؤاد وللأمير محمد على، وكان مستشارا غير رسمى، ووسيطا غير رسمى أيضا لهم[٢٣].

أما عن علاقة أصحاب «المقتطف» بالإنجليز أصحاب السلطة الفعلية فى البلاد فيكفى أن نذكر أن أصحاب «المقتطف» الثلاثة هم الذين وقع عليهم اختيار كرومر لإصدار صحيفة «المقطم» لتكون لسان حال الاحتلال البريطانى فى مصر، ولاستخدامها فى تنفيذ سياسته الرامية إلى محاربة الصحافة بالصحافة.

وفضلا عن ذلك كان فارس نمر قد اقترن فى عام ١٨٨٨ بابنة قنصل إنجلترا السابق فى الاسكندرية، ثم سافر إلى لندن واجتمع فيها بكبار السياسيين[٢٤]، ويذكر جون مارلو أن نمر كان يعتبر من أخلص الأصدقاء والمستشارين الثقاة للورد كرومر، وأن سكرتير كرومر الشرقى للاتصال بالرأى العام المحلى غير الرسمى فى مصر كان واقعا تحت تأثير فارس نمر[٢٥].

لم يكن فارس نمر وحده الذى تمتع بعلاقات وثيقة مع الإنجليز وإنما كان لزميليه ايضا علاقات وثيقة بسلطات الاحتلال، كما كانت لثلاثتهم علاقات بالدوائر الماسونية التى كان يسيطر عليها اليهود فى مصر[٢٦]، فقد أصبح شاهين مكاريوس أحد أصحاب «المقتطف»، و«المقطم»، ورئيس تحرير مجلة «اللطائف» الماسونية من كبار زعماء الماسونية فى مصر والشرق، أما زميله يعقوب صروف فقد تولى فى أثناء وجوده فى بيروت قبل مجيئه إلى مصر رياسة المحفل الماسونى، كما دخل فارس نمر الماسونية منذ عام ١٨٧٤، وعين رئيسا لأحد

المحافل بلبنان، ثم انتخبه محفل «الثبات» بمصر رئيس شرف له فى سنة ١٨٨٧[٢٧].

ويبدو أن العلاقات التى نشأت بين شاهين مكاريوس وبعض الشخصيات اليهودية داخل المحافل الماسونية وخارجها، قد أثمرت ذلك الكتاب الذى أصدره مكاريوس فى عام ١٩٠٤ بعنوان «تاريخ الإسرائيليين» وطبعه بمطبعة «المقتطف»، ووصف فيه الجمعية الصهيونية بأنها «عظيمة وتهدف إلى شراء قرية المطلة فى قضاء مرج عيون بولاية بيروت واستيطان اليهود لها، وشراء أراضى فى جهات الحولة وطبريا ويافا وحيفا»، كما تناول تاريخ اليهود فى مصر وأعمالهم بالتمجيد[٢٨].

وفى ظل العلاقات التى نشأت بين أصحاب «المقطم» والسلطات البريطانية فى القاهرة ولندن، تلك السلطات التى قامت بدور كبير فى إخراج الحلم الصهيونى إلى حيز الوجود، وفى ظل علاقات الإخاء التى لا شك فى أنها نشأت وترعرعت أيضا بين أصحاب «المقطم» وبعض الشخصيات اليهودية والصهيونية داخل المحافل الماسونية، يمكن للمرء توقع السياسة التى سارت عليها «المقطم» فيما يتعلق بالصهيونية وفلسطين، تلك السياسة التى لمس حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية نتائجها حينما زار مصر عام ١٩١٨، فقد أشار فى مذكراته إلى أنه لم يلمس أى روح عدائية فى الدوائر التى كان يسيطر عليها الدكتور فارس نمر وأمثاله أصحاب «المقطم» العظيم[٢٩].

كذلك فقد عبر أحد الكتاب اليهود فى مصر، وهو روفائيل لينادو عن ثقة اليهود فى «المقطم» بقوله: «نرى فى «المقطم» الحر مجالا لأقلامنا وبث أفكارنا، فعلينا أن نثق به كما نثق بالصحف الخاصة بنا»[٣٠].

وبعيدا عن أية توقعات أو تكهنات وبدون الاعتماد على أحكام الآخرين، فإن الأسلوب العلمى يقتضى العودة إلى «المقطم» ذاته، للتعرف بالأرقام والحقائق على حقيقة موقفه من الصهيونية وفلسطين.

وبالرجوع إلى صحيفة«المقطم» خلال الفترة من عام ١٨٩٧ حتى عام ١٩٠٨، عثرنا على عشرة مقالات: سبعة منها لكتاب من خارج «المقطم»، واثنان بدون توقيع يمثلان وجهة نظر «المقطم» فى استعمار اليهود لفلسطين، ومقال واحد بتوقيع أمين أرسلان مكاتب«المقطم» فى باريس، بالإضافة إلى ثلاثة أخبار ورسالة واحدة لقارئ.

وما يهمنا هنا المقالات الثلاثة التى تمثل وجهة نظر الصحيفة ومراسلها، ويكشف أحد المقالات غير الموقعة أنه كان «للمقطم» رأى عبرت عنه فى المراحل الأولى للاستعمار الإسرائيلى لفلسطين، وهذا الرأى مفاده أن هذا الاستعمار سيعود بالضعف على الفلسطينيين على مر الأيام[٣١]، ولكنها حادت عن هذا الرأى فيما بعد - كما سنرى.

أما أمين أرسلان الذى كان أول من كتب فى صحف الدراسة عن انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول، وعن أهداف الصهيونية والنشاط الصهيونى، فهو الأمير أمين مجيد أرسلان[٣٢] أديب وصحفى وسياسى ينتمى إلى الأسرة الأرسلانية، ولد فى قرية الشويفات التى تقع على مسافة عشرة أميال من بيروت، ودرس عند اليسوعيين، ثم رحل إلى باريس حيث، أصدر فيها جريدة باللغة العربية تدعى «كشف النقاب»، كما اشترك مع خليل غانم فى إصدار جريدة «تركيا الفتاة» باللغتين العربية والفرنسية[٣٣].

ويبدو أن أمين أرسلان عمل فى أثناء إقامته فى باريس مراسلا لجريدة «المقطم»، فقد وافاها من هناك بالعديد من الرسائل، كان منها تلك المقالة التى كتبها تحت عنوان «مملكة صهيون» بمناسبة انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى بال بسويسرا عام١٨٩٧.

وقد أتاحت له إقامته فى باريس وعمله فى الصحافة فيها، أن يلمس عن كثب قوة النفوذ اليهودى فى فرنسا - بل وفى العالم - فى دنيا المال والصحافة، كما أتاحت له إقامته فى باريس أيضا فرصة الاحتكاك بالمجتمع اليهودى فيها، وإقامة علاقات صداقة مع بعض أفراده، إذ يحدثنا أرسلان أنه كان يعمل فى جريدة «السوسيال» التى كان يمتلكها صديق له يدعى برنار لازار، ثم اكتشف أن هذا الصديق إسرائيلى حينما بدأ اسمه يتردد كثيرا بسبب الكراسة التى طبعها فى بلجيكا على نفقته لإظهار براءة دريفوس، بعد أن أبت مطابع فرنسا طبعها.

ويقول أرسلان أنه التقى فيما بعد وبرنار لازار فى مكتبة الأمة، وعلم منه أنه سيصدر جريدة حرة اسمها «الشفق» (اورور)، وعرض عليه أن يساعده فى تحريرها، كما ساعده فى جريدته «السوسيال» فسأله إن كان له يد فيها، فأجابه بالإيجاب، وبأنه من محرريها، وأنها الجريدة الوحيدة التى تقبل نشر مقالاته[٣٤].

ويذكر أرسلان أنه كان من بين معارفه أيضا ضابط يهودى متقاعد كان يقيم معه فى المنزل الذى كان يسكنه فى باريس، وأنه اختاره ذات يوم كأحد شاهديه على المبارزة التى جرت بينه وبين ضابط آخر متقاعد، بسبب اختلافهما فى الرأى حول قضية دريفوس[٣٥].

ويتضح تأثير علاقة أرسلان بالأوساط اليهودية فى أنه كان أول كاتب فى صحف الدراسة يورد نبأ انعقاد مؤتمر بال، وأنباء النشاط الصهيونى فى أوربا الذى سبق انعقاد هذا المؤتمر، ويذكر لنا خلفياته، كما يتضح لنا تأثير هذه العلاقة أيضا فى حجم الاخبار التى نشرتها «المقطم» عن قضية دريفوس، وفى تحوله عن رأيه

بالنسبة لدريفوس، فبعد أن كان يصفه بأنه «الضابط الذى خان بلاده» وباع أسرار دولته وأمته لألمانيا عدوتها اللدود»، بدأ يتحدث عن اعتقاد الإسرائيليين ببراءة دريفوس، وعن نجاحهم فى إيقاظ الرأى العام وتنبيه الخواطر، حتى عادت المسألة إلى ثورتها التى كانت عليها منذ ثلاث سنوات، بالمطالبة بإعادة محاكمته، لأنه راح ضحية مؤامرة أو خطأ قضائى.

وخلال الفترة بين عامى ١٩٠٩و١٩١٧ فتحت «المقطم» الباب لمناقشة «المسألة الصهيونية» بين الحين والآخر، ففى عام ١٩٠٩ على سبيل المثال فتحت الصحيفة «المسألة الإسرائيلية»، وعرضتها على بساط البحث لمناقشة موضوع استعمار الإسرائيليين لبلاد ما بين النهرين[٣٦]، وفى عام ١٩١٢ أعلنت فتح الباب لمناقشة «المسألة الصهيونية»، ورحبت بنشر ما يأتيها بأقلام المهاجمين لها، والمنادين بضررها، بدعوى توضيح الحقيقة للقراء من خلال تناقش الفريقين، ولكنها اشترطت لذلك التأدب فى المقال، وعدم الخروج عن دائرة الاعتدال فى المناظرة والاقتصار على ما قل ودل لضيق المقام[٣٧].

وكانت حصيلة المقالات التى أمكن رصدها خلال تلك الفترة نحو أربع وثلاثين مقالة، كان منها اثنان وثلاثون لكتاب من خارج «المقطم» من العرب واليهود والصهيونيين، واثنان منهما: واحدة لمندوب المقطم الخصوصى، والثانية نقلا عن جريدة «التايمز»، بالإضافة إلى سبعة عشر خبرا وحديثين مع زعيمين صهيونيين.

وتجدر الإشارة إلى أن عدد المقالات التى نشرت فى «المقطم» خلال تلك الفترة لكتاب صهيونيين ويهود بلغ اثنتين وعشرين مقالة كتبها ثلاثة عشر كاتبا فى حين كتب العرب عشر مقالات كتبها ستة كتاب، وهو ما يعنى أنه كانت لدى الصهيونيين واليهود الفرصة لاستخدام «المقطم» كمنبر لهم .

ويرجع السبب فى قلة المادةالمنشورة عن الصهيونية وفلسطين فى صحيفة «المقطم » بالمقارنة مع صحيفة « الأهرام » الى عدم توفر المجموعة الكاملة لصحيفة « المقطم » ، اذ لم نعثر على أعداد « المقطم فى عامى ١٩٠٢ ، ١٩١١ ، بالاضافة الى ستة شهور من عام ١٩٠٦ ، وتسعة شهور من عام ١٩٠٧ ، وثلاثة شهور من عام ١٩١٤وكان الجدل قد احتدم خلال بعض هذه الأعداد المفقودة حول المسألة الصهيونية .

٣ ـ صحف المؤيد واللواء والجريدة والأهالى:

كان أصحاب هذه الصحف من المصريين لا من الشاميين كما هو الحال بالنسبة لأصحاب «الأهرام» و«المقطم»، كذلك كان جل العاملين فيها.

وفيما يتعلق بصحيفة «المؤيد» فقد عثرنا بها خلال فترة الدراسة على نحو ١٥ مقالا و٢١ خبرا، ورسالتين للقراء، ولكن كانت جميع المقالات التى نشرتها «المؤيد» لكتاب من خارج الصحيفة أو مترجمة عن صحف تركية أو صهيونية وأما الصحيفة نفسها فانها لم تتعرض للمسألة الصهيونية التى كانت تتهدد قطرا عربيا متاخما لمصر، على الرغم مما ذكر فى الفصل الأول عن الاتجاهات الإسلامية والعربية لصاحبها.

فخلال الفترة من عام ١٨٩٩ إلى عام ١٩٠٨ عثرنا على خمس مقالات فى «المؤيد» كانت جميعها لكتاب عرب من خارج الصحيفة، أما فى الفترة من عام ١٩٠٩ إلى عام ١٩١٣، فعثرنا على عشر مقالات كان خمس منها لكتاب عرب، ومقال واحد لكاتب صهيونى ومقال موقع باسم مستعار هو «لقمان»، وأغلب الظن أنه كان صهيونيا ـ ومقال بدون توقيع.

والشيء نفسه يمكن أن يقال عن صحف «اللواء» و«الجريدة» و«الأهالى» اذ لم تحفل الصحف الثلاث بالصهيونية وأطماعها فى فلسطين، وكان ما نشرته فى هذا الخصوص لا يقارن بما كانت تنشره «الأهرام» و«المقطم».

فبالنسبة لصحيفة «اللواء» لم نعثر بها سوى على سبع مقالات بتوقيع (عثمانى) تناولت تاريخ اليهود فى الدولة العثمانية وإسبانيا وفرنسا وألمانيا، وأغلب الظن أن كاتبها يهودى صهيونى، لأن محتوى تلك المقالات كان يتماشى مع الخط الصهيونى الرامى إلى إعادة كتابة التاريخ اليهودى.

وفضلا عن ذلك نشرت الصحيفة خمسة عشر خبرا كانت فى معظمها عن اضطهاد اليهود فى روسيا فيما عدا ثلاثة أخبار أحدها عن المؤتمر الصهيونى، والثانى عن البارون أوبنهايم، والثالث بعنوان اليهود فى رفح، وتعليق بعنوان «اليهود فى مصر».

ويكشف خبر «اليهود فى رفح» وتعليقها عليه عن مدى جهل الصحيفة بتطورات الحركة الصهيونية وأهدافها ونشاطها فى فلسطين، فقد ذكرت الصحيفة فى هذا الخبر الذى نشرته عام ١٩١١ أن الجمعية الصهيونية تنازلت عن غرضها فى استعمار فلسطين ورضيت باستعمار رفح، كما رحبت الصحيفة باستعمار اليهود لقطعة من الأراضى المصرية دون أن تدرك ما يمكن أن ينطوى عليه زرع جسم غريب فى البلاد.. فقد اتضح مما كتبته أن كل ما كان يقلقها فى هذا الموضوع هو أن رفح وما حولها خالية من الماء، أو أن يقف الاحتلال ضد تقدم البلاد بمنع الهجرة اليهودية إلى رفح[٣٨].

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الخبر نشر فى «اللواء» خلال الفترة التى كانت قد بدأت تتخلى فيها عن خطها الوطنى بعد تعيين يوسف

بك المويلحى حارسا قضائيا عليها فى نوفمبر عام ١٩١٠، واستقالة محمد فريد وهيئة المحررين ككل وقيام المويلحى بتعيين محررين جدد، وتغييره سياسة الصحيفة... حيث بدأت الصحيفة تقترب من الإنجليز، وقد ظل الحال على هذا المنوال حتى نوفمبر عام ١٩١٢، حينما عاد على فهمى إلى الصحيفة.

ثانيا ـ الكتاب من خارج الصحف:

يقصد بالكتاب من خارج الصحف أولئك الذين يعبرون عن رأيهم فى القضايا المهمة، والأحداث الجارية على صفحات الصحف، دون أن يكونوا من العاملين فيها.

وقد فتحت صحف الدراسة بصفة عامة صدر صفحاتها للكتاب من خارجها، للادلاء برأيهم فى المسألة الصهيونية وغيرها من القضايا التى رافقتها، أولا:لحساسية هذه المسألة، وثانيا: بسبب الجدل الذى أثير حولها، ولهذا كان عدد المقالات التى كتبها الكتاب من خارج الصحف يفوق إلى درجة كبيرة عدد المقالات التى كتبتها صحف الدراسة، فقد بلغ عدد المقالات المنشورة فى صحف الدراسة مائة وخمسة وستين مقالا، كان عدد المقالات التى كتبها كتاب من خارجها حوالى مائة وتسعة عشر مقالا بنسبة ٧٢٪ من إجمالى هذه المقالات، فى حين كان عدد المقالات التى عبرت عن رأى صحف الدراسة حوالى ١٢ مقالة بنسبة ٧,٣٪،أما الباقى ٣٤ مقالة بنسبة ٢٠,٦٪ فكان نقلا عن الصحافة الغربية.

وتجدر الإشارة إلى أن صحف الدراسة لم تفسح المجال أمام الكتاب العرب من خارجها فقط، وإنما أعطت الفرصة لكتاب صهيونيين ويهود أيضا، لتوضيح وجهة النظر الصهيونية، أو للرد

على كتابات العرب، وقد شارك القراء اليهود غير الصهيونين فى تفنيد ادعاءات الصهيونيين فى بعض الأحيان، ولكن كانت نسبتهم قليلة جدا.

ويكشف التحليل الكمى عن أن عدد المقالات التى نشرها الكتاب الصهيونيون كان يفوق عدد ما كتبه العرب، فقد كان عدد مقالات العرب حوالى ٤٢ مقالة بنسبة ٣٥,٢٪ من إجمالى مقالات الكتاب من خارج الصحف، أما اليهود والصهيونيون فكان عدد مقالاتهم نحو ٧٧ مقاله بنسبة ٦٤,٨٪، وسوف نتناول هؤلاء الكتاب فيما يلى بشئ من التفصيل:

أ - الكتاب العرب:

كان الأمير شكيب أرسلان، ورفيق العظم، وحقى العظم، وشبلى شميل، وسليم قبعين، وفرح أنطون، وعيسى داود العيسى، ومحمد القلقيلى، ومحمد عبد الرحمن العلمي، وشخص رمز لنفسه بتوقيع الدكتور ع.ح من أهم الكتاب العرب من خارج صحف الدراسة الذين كتبوا فى موضوع الصهيونية وفلسطين، وفى صحيفتى «الأهرام» و«المقطم» على وجه التحديد.

الأمير شكيب أرسلان (١٨٦٩ - ١٩٤٦):

ولد الأمير شكيب أرسلان فى ٢٥ ديسمبر ١٨٦٩ فى قرية الشويفات التى تبعد حوالى عشرة أميال عن العاصمة اللبنانية بيروت، وتوفى فى ديسمبر ١٩٤٦. وينتمى أرسلان من الناحية السياسية الطائفية الرسمية إلى طائفة الدروز، ونشأ فى أسرة عريقة عرفت بالثراء وسمو المكانة، وبأمجادها التاريخية، فوالده هو الأمير حمود بن حسن الأرسلانى من سلالة الأشراف وآل البيت، فقد

تناسل أجداده من الفواطم، وكذلك فإن الأمير عون جد الأسرة شارك مع خالد بن الوليد فى نجدته لأبى عبيده الجراح فى فتوح الشام، واستشهد فى موقعة أجنادين... وفى الحروب الصليبية أبلى آل أرسلان بلاء حسنا، كما عاونوا دولة الخلافة فى فتوحاتها(٣٩).

عاش شكيب أرسلان حياة حافلة فى عصر حافل بالأحداث، فتفاعل معها وتأثر بها، وأثر فيها. ومنذ طفولته تتلمذ على أئمة عصره وتأثر بهم، ومنهم الأمام محمد عبده، ثم تعرف على الشيخ على يوسف فى أثناء زيارته لمصر عام ١٨٩٠ وبدأ اتصاله «بالأهرام» خلال هذه الزيارة حيث بدأ ينشر فيها مقالات بتوقيع رمزى أو صريح، والتقى بالسيد جمال الدين الأفغانى فى العام نفسه حينما زار الآستانة، فسمع منه وتأثر به، ثم تعرف على الشاعر أحمد شوقى حينما زار فرنسا عام ١٨٩٢(٤٠).

شغل أرسلان عدة مناصب سياسية، ففى عام ١٩٠٨ عين مديرا فى رتبة قائمقام لقاطعة الشوف لمدة ثلاثة أعوام، وحينما تألف مجلس المبعوثان فى الآستانة عام ١٩٠٩ اختير أرسلان نائبا عن حوران، وكان فى ذلك الوقت عثمانى النزعة، فقد كان يرى فى الخلافة العثمانية عزا للإسلام وقوة للعرب، ولذلك كان من أنصار التعاون بين العرب والترك، وكان من الموالين للخلافة العثمانية، لهذا كان يحظى بمكانة مرموقة فى ديوان السلطان العثمانى(٤١).

وكان لأرسلان دور فى الحياة العربية والعثمانية، فحينما احتلت إيطاليا طرابلس الغرب عام ١٩١١ كتب أرسلان إلى مختلف الأطراف يحثهم على نجدة العرب والترك، وتمكن من الدخول إلى طرابلس مع مجموعة من المجاهدين، حيث انضم إلى القائد العثمانى أنور باشا(٤٢).

وفى أثناء وجـوده فى مـصـر وهو فى طريقـه إلى طرابلس التـقى بالشـريف على بن عـمـر ابن عم الشـريف حسـين أميـر مكة، ونشـأت صداقة بينهما، وفى عام ١٩١٢سافر أرسـلان من طرابلس إلى تركيا حيث اختير مفتشا لبعثات الهلال الأحمر المصرى، فقام بمهمته على خير وجه.

وحينما تألف الوفد السورى الفلسطينى عام ١٩٢٢ لعرض قضايا العرب وحقوقهم أمام عصبة الأمم فى جنيف، اختير أرسلان عضوا بارزا فى ذلـك الوفـد.

وفى عام ١٩٢٤ أسس أرسـلان فى برلين جمعية أسماها «هيئة الشعائر الإسلامية» لتكون بعيدة عن الشئون السياسية، وتهتم بأمور المسلمين فى ألمانيا وسافر فى عام ١٩٢٦ على رأس الوفد السورى إلى روما لعرض القضية السورية أمام لجنة الانتدابات.

وتعرض أرسـلان بسبب اهتمامه بالقضايا العربية، وحملته على الحكام الأتراك لتنكرهم للخـلافـة والإسـلام للمطارده من تركـيـا وإنجلترا وفرنسا، كما كان الملك فؤاد يطارده فى مصر ظنا منه أنه على اتصال بالخديوى عباس حلمى الذى كان يعمل للعودة إلى عرش مصر [٤٣].

باختصار كان شكيب أرسلان يحظى بمكانة مرموقة فى الأوساط السياسية والأدبية والثقافية العربية، حتى أن البعض يضعه فى قائمة الرواد فى التاريخ العربى والإسلامى من أمثال جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا وأحمد شوقى وعبد العزيز جاويش وغـيـرهم[٤٤]، ولذلك كانت كتاباته تحظى باهتمام كبير فى جميع الأوساط السياسية والأدبية.

وقد خاض شكيب أرسلان موضوع الصهيونية وفلسطين، حيث عثرنا له على أربع مقالات إثنتان منها فى «الأهرام» وإثنتان فى «المقطم»، وقد كان أرسلان من أوائل الكتاب الذين تناولوا هذا الموضوع، فمقالتاه فى «الأهرام» نشرتا عام ١٨٩٩، إحداهما بعنوان «حيفا ببيروت الصغيرة»[٤٥] وفيها يبدى إعجابه بالمستعمرات اليهودية والمستعمرات الألمانية فى فلسطين. وعلى الرغم من أن هذه المقالة يمكن أن تدخل ضمن أدب الرحلات من ناحية الوصف والأسلوب الأدبى والتعبير عن الانطباعات، إلا أنها كانت تقدم أفضل خدمة للدعاية الصهيونية التى كان أحد المداخل التى اعتمدت عليها فى إقناع العرب بقبول الهجرة اليهودية إلى فلسطين هو إظهار مدى التقدم والعمران الذى طرأ على فلسطين بسبب تلك الهجرة. وحينما يأتى ذلك بقلم شخصية كبيرة لها وزنها مثل شكيب أرسلان، فلا شك فى أنه كان سيحظى ببعد إقناعى قوى.

أما المقالة الثانية فكانت بعنوان «سكنى الاسرائيليين فلسطين»[٤٦] وتحظى هذه المقالة بأهمية خاصة لأنها كانت من أوائل الكتابات التى كشفت أهداف الصهيونيين الحقيقية فى وقت لم يكن قد سمع فيه الكثيرون عن الصهيونية (عام ١٨٩٩).

ونظرا لأن شكيب أرسلان كان عثمانى النزعة ـ كما اشرنا من قبل ـ فقد عبر فى مقالته عن السياسة العثمانية إزاء الهجرة اليهودية فى ذلك الوقت، والتى كانت تتلخص فى أنه من غير المسموح لليهود بالاستقرار فى فلسطين، ولكنهم يستطيعون الانتقال إلى الأقاليم الأخرى فى الامبراطورية العثمانية حيث يمكنهم الإقامة شريطة أن يصيروا رعايا عثمانيين، وأن يقبلوا الالتزام بتنفيذ القوانين المعمول

بها فى الامبراطورية العثمانية[٤٧]، ولكن أرسلان رأى أنه يمكن للدولة أن تجرى على نمط آخر فى أمر قبولهم وإسكانهم حرصا على المنافع المتأتية من وجودهم في فلسطين بالا تبيح لهم فى كل قضاء شراء أكثر من قرية واحده..

أما المقالان الآخران اللذان نشرهما فى «المقطم» فقد رد بهما على ادعاءات الصهيونيين عن الفوائد التى عادت على الدولة العثمانية وعلى فلسطين من هجرة اليهود إليها .فقد وجد أرسلان أنه اذا قورنت فائدة الدولة منهم بفائدتهم من الدولة كان الربح فى جانبهم[٤٨]

وقد كثرت ردود الصهيونيين على شكيب أرسلان بسبب هذا المقال فاضطر الى الرد عليهم بمقال اخر بعنوان « ولم يبق بد من الجواب»[٤٩] ، أوضح فيه أنه مازال عند رأيه فى عدم الانقباض من المهاجرين اليهود أو التعنت في دخولهم ، ولكنه عدد الاضرار التى تنجم عن عدم دخولهم فى الجنسية العثمانية ، وتطرق مرة اخرى الى القول بانهم لم يفوا بالتعهدات المنتظرة منهم.

وقد تميزت مقالات أرسلان بأسلوبها الأدبى من حيث جزالة الألفاظ، ولكن هذا الأسلوب كان مناسبا للفترة التى كان يكتب فيها والتى تميزت بازدهار الأدب، كذلك كان أرسلان يستخدم أحيانا بعض المحسنات البديعية كالسجع والجناس كما كان يلجأ إلى تكرار المعنى ولكن بعبارات مختلفة، وذلك لتأكيد الفكرة التى يتحدث عنها. وتتضح ثقافة أرسلان الدينية والتاريخية فى استخدامه بعض عبارات القرآن الكريم للتعبير عن المعنى الذى يريده، وفى استشهاده بحوادث التاريخ.

رفيق العظم (١٨٦٧ - ١٩٢٥):

من رجال النهضة الفكرية فى سوريا، ولد فى دمشق، ونشأ مقبلا على كتب التاريخ والأدب، زار مصر فى صباه ثم استقر فيها عام ١٣١٦هـ، واشترك فى كثير من الأعمال والجمعيات الإصلاحية والسياسية والعلمية، كان من أهمها رياسته لحزب اللامركزية، نشر بحوثا قيمة في كبريات الصحف والمجلات. وقد جمع شقيقه بعد وفاته مجموعة من مقالاته فى كتاب سماه «مجموعة آثار رفيق العظم»[٥٠].

وقد نشر رفيق العظم ثلاث مقالات فى جريدة «المقطم» عام ١٩١٤رد فى أولها على تصريحات أدلى بها الزعيم الصهيونى ناحوم سوكولوف فى حديث لمراسل«المقطم» في فلسطين[٥١]، وقد لاقى هذا المقال استحسانا لدى الفلسطينيين وغيرهم، فكتب إليه الكثيرون من فلسطين وغيرها يطلبون إليه أن يعيد الكرة، ويشبع الموضوع بحثا، فكتب المقال الثانى بعنوان «المسألة الصهيونية وكيف يدفع خطرها»[٥٢]، اما المقال الثالث، فقد رد به على الحديث الذى أجرته «المقطم» مع أكبر زعماء الصهيونية فى الآستانة، وعلق فيه على مقال رفيق العظم فى «المقطم» بشأن عرض الاتفاق مع الإسرائيليين.

حقى العظم ١٨٦٥ - ١٩٥٥:

إدارى وكاتب سورى ولد وتعلم فى دمشق حيث أجاد مع العربية التركية والفرنسية، وعين فى بعض الوظائف فى دمشق والآستانة والقاهرة، وكان له فى العهد العثمانى نشاط فى سياسة العرب مع الترك، فقد حمل على الاتحاديين وندد بسياسة التتريك، وحينما تألف «حزب اللامركزية الإدارية العثمانى» فى القاهرة، اختير سكرتيرا له، حيث كان من مؤيدى فكرة اللامركزية.

وحينما نشبت الحرب العالمية الأولى أخذت رسائله تتعاقب إلى مؤيدى هذه الفكرة فى بلاد الشام، ووقعت مجموعة منها فى أيدى السلطات العثمانية، فكانت أكبر سند «لديوان الحرب العرفى» فى أحكامه ضد الأحرار العرب يوم علقت المشانق، وقد استكتبته صحف الدعاية الفرنسية مقالات فى أثناء الحرب، كان يستعين فيها بالصحفى خليل زينية الذى كان من أبواق هذه الدعاية (٥٣).

وحينما احتل الفرنسيون سورية أبرقوا إليه فى القاهرة، ونصبوه حاكما على ما أسموه دولة دمشق لمدة خمس سنوات، تنقل بعدها بين رئاسة مجلس الشورى ورئاسة مجلس الوزراء إلى أن عاد إلى القاهرة عام ١٩٣٨ وأقام بها إلى حين وفاته.

وقد نشر حقى العظم مقالة واحدة فى « الأهرام » فى ٢٥ فبراير عام ١٩١٣ بعنوان » « الصهيونيون فى فلسطين وسورية » رد بها على مقال نشره أحدهم فيها بتوقيع «صهيونى » ، اتهم فيه السوريين بأنهم كانوا أقل العثمانيين حبا فى الموافقة على استيطان اليهود النازحين من الظلم أراضى فلسطين ، كما تطرق العظم فى هذا المقال أيضا الى فكرة التفاهم بين السوريين والصهيونيين .

سليم قبعين:

كان سليم قبعين فلسطينيا من بلدة الناصرة، عمل وكيلا «للمؤيد» فى سوريا، ولكن السلطات العثمانية فى ولاية بيروت أبعدته إلى بلدة الناصرة، ووضعته تحت مراقبة البوليس لأنه كان يتلقى مع جريدته جريدة أخرى ممنوعة «كالمقطم» أو «المشير» مع علمه بأن الأوامر تقضى بسجن من يتلقى جريدة معادية للدولة، كذلك فإن البوليس

وجد معه رسائل باسم الصحف المعادية للدولة وكان «المقطم» - وليس «المؤيد» - هو الذى كتب يستحث الصحف المصرية لترفع صوتها للدفاع عن سليم أفندى قبعين[٥٤].

وقد أصدر سليم قبعين فى مصر مجموعة من الصحف منها: «الأسبوع» صحيفة أسبوعية عام ١٩٠٠، «عروس النيل» نصف شهرية عام ١٩٠٣، كما اصدر بالاشتراك مع محمد غانم صحيفة أخرى فى العام نفسه تدعى «النيل»، وفى عام ١٩٢٤ أصدر قبعين مجلة «الإخاء» مجلة ماسونية شهرية، وفى عام ١٩٣٧ أصدر صحيفة أسبوعية باسم «النجم»[٥٥].

وإلى جانب الصحف التى أصدرها قبعين، وإلى جانب عمله وكيلا «للمؤيد» عمل عام ١٩٠٥ مدرسا للغة العربية بمدرسة الاتحاد الإسرائيلى بمصر، كما ترجم عددا من الكتب إلى اللغة العربية عن الفرنسية والروسية، ونشر الكثير من المقالات فى الصحافة المصرية والسورية.

وكان سليم قبعين من المؤيدين للاستعمار الإسرائيلى فى فلسطين، فقد نشر عدة مقالات فى صحف الدراسة بلغ عدد ما عثرنا عليه منها ست مقالات، كان بعضها دفاعا عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وعن شراء اليهود للأراضى هناك، وكان بعضها يمثل دعاية غير مباشرة لهجرة اليهود إلى فلسطين، فعلى سبيل المثال نشر قبعين فى «المؤيد» أربع مقالات، إحداها كانت بعنوان «سكة حديد حيفا»[٥٦]، والثلاثة الأخرى بعنوان «القدس»[٥٧]، وقد اشتملت المقالة الأولى على دعاية للمستعمرات اليهودية التى أنشاها روتشيلد فى فلسطين وللمستعمرة الألمانية فى حيفا، وفى المقالات الثلاثة الأخرى اعتمد على المقارنة بين القدس القديمة والقدس الحديثة لإظهار الفارق بين

الإثنتين، كما تحدث عن سكان القدس القديمة من العرب، وعن فقرهم وسوء أخلاقهم وتخلفهم، وعن سكان القدس الحديثة من اليهود، وعن تقدمهم واجتهادهم ونشاطهم وتحسن أحوالهم.

وقد تعرض قبعين للهجوم بسبب المقالات الثلاثة الأخيرة من أحد الفلسطينيين المقيمين في مصر، الذى اتهم قبعين بأنه مغرض، وبأنه يساير هواه، واستنكر أن تنشر له جريدة محترمة «كالمؤيد» مقالة أقل نتائجها تشويه سمعة أهل بلد كبير بغير حق، ويعيش عدد غير قليل منهم في القطر المصرى(٥٨).

ومن ناحية أخرى نشر قبعين ثلاث مقالات أخرى فى «المقطم» بعنوان «استعمار فلسطين» - عثرنا على اثنتين منها فقط - تولى الرد عليه فيها بثلاث مقالات مماثلة محمد القلقيلي من قلقيلية بفلسطين، وقد زعم القلقيلي أن قبعين كان أول من نبه الأفكار ضد استعمار اليهود لفلسطين، وأول من حرض حكومة يافا على منع المهاجرين منهم من دخول مينائها بتوقيع منتحل فى جريدة «المؤيد» وفى جريدة «الإخلاص»، ثم أبدى عجبه لذلك الانقلاب الذى حدث فى مقال قبعين الذى نشره فى «المقطم» لأنه أخذ بناصر المستعمرين، ودافع عنهم دفاع الأبطال، ووقف امام خصومهم وقفة الاسد الذاب عن عرينه...(٥٩).

وقد اعترف قبعين بانه ندد بأعمال بوليس يافا ليس بسبب تسهيله لليهود طريق دخولهم البلاد، ولكن بسبب ما يأتيه من المظالم مع المهاجرين منهم إلى فلسطين، ومع القادمين لزيارة الأراضى المقدسة.

وهكذا كان سليم قبعين أول كاتب عربى - بل فلسطينى - يكتب فى صحف الدراسة مدافعا عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ومروجا لنشاطهم الاستيطانى فيها، ويبدو أن هذا الموقف كانت تمليه مصالح

قبعين الخاصة كعمله مدرسا للغة العربية فى مدرسة يهودية، ثم انتمائه إلى الماسونية.

د. شبلى شميل ١٨٥٣-١٩١٧ :

ولد شبلى شميل فى قرية كفر شيما بلدة النوابغ مثل آل اليازجى وآل تقلا وسواهم من اللبنانيين، وتلقى تعليمه باللغة الفرنسية فى مدرسة عينطورة، ثم انتقل إلى بيروت حيث درس الطب واللغة الانجليزية فى الكلية الأمريكية(٦٠)، وبعد ذلك سافر إلى فرنسا لاستكمال دراسة الطب، ثم عاد إلى مسقط رأسه فى لبنان، وأقام بها إلى أن رحل إلى مصر حيث أقام فى طنطا وافتتح بها عيادة لعلاج المرضى ولكنه نزح إلى القاهرة لأن آراءه بدأت تثير عليه العامة هناك، فافتتح عام ١٨٩٠ عيادة فى الغورية كان يعالج فيها الفقراء بالمجان، ثم انتقل إلى شارع عماد الدين فى عام ١٩١٥(٦١).

كان شبلى شميل طبيبا وباحثا، وكان ينحو منحى الفلاسفة فى عيشته وفى آرائه. فقد اعتنق الفكر المادى، وأصبح رائد الدعوة إلى هذا الفكر فى الشرق والعالم العربى، كما صار أستاذا للمدرسة التى سارت فى الطريق نفسه من بعده مثل: فرح أنطون، اسماعيل مظهر، وسلامة موسى(٦٢).

وإلى جانب اشتغاله بالطب كانت للشميل اهتمامات بالأدب، فقد كان يكتب الشعر، كما الف العديد من الكتب كان منها كتابه عن «فلسفة دارون» الذى أثار ضجة كبرى، وقد تابعه بأبحاث أخرى عن أصل الأنواع وفلسفة النشوء والارتقاء(٦٣).

وكان للشميل اهتمامات صحفية أيضا، فقد كان فى أثناء إقامته فى طنطا دائب الكتابة فى مجلة «المقتطف» ،حيث أفسح له زميل

دراسته الدكتور يعقوب صروف صدر صحيفته لينشر فيها مقالاته، وإن كان على خلاف معه فى الراى.

من ناحية أخرى أسهم شبلى شميل مع أخيه أمين فى تحرير صحيفة «الأهرام» ولكن على نطاق ضيق بالقياس إلى نشاط أمين الصحفى، وكانت مقالات د.شبلى شميل فى «الأهرام» منذ عام ١٨٧٩ مقالات طبية متصلة بالشئون الصحية.

ولم يقف نشاطه الصحفى عند مجرد الكتابة فى الصحف الأخرى، وإنما أنشأ فى عام ١٨٨٦ مجلة «الشفاء» التى بوأته مكانا طبيا بين أعلام النهضة الفكرية المعاصرة بما نشر من مقالات وبحوث فى الشئون الاجتماعية والأدبية والفلسفية والطبية، ومضى يشغل معاصريه بما كتب حتى وافته المنية خلال الحرب العالمية الاولى[٦٤].

كان شميل معروفا بأنه يريد أن يكون حرا فى أن يقول ما يشاء، لا تحول أية قوة دون هذه الحرية، ولذلك انصرف عن دنيا الناس وعن غاياتهم وعظمائهم، وكان يبادر إلى المجاهرة بما يعتقده صوابا ولو خالف المألوف وان لم تقم أداة قاطعة على تأييده. ويرى البعض أن شميل إنما يمثل رمزا للعوامل المؤثرة التى دفعها الفكر الغربى أمام الثقافة العربية، وأنه كان ناقوسا مدويا بالرأى الجديد على نحو بالغ فى الجرأة، وفى الذهاب إلى آخر الشوط دون توسط أو تحفظ أو مواءمة[٦٥].

تعرف شميل على أعلام عصره وفى مقدمتهم جمال الدين الأفغانى، كما سافر إلى الآستانة فعرف كبار رجالها وعلمائها، ولكنه أبى كل وظيفة عرضت عليه لأنه طبع منذ الصغر على حب الحرية.

وكان شميل نفسه علما من أعلام عصره، فقد كانت آراءه وكتاباته تحظى بالتقدير والاحترام فى الأوساط العلمية الأدبية والسياسية، ولم

يكن معروفا كطبيب فحسب، وإنما كعالم اجتماع، وقد وصل من المكانة إلى حد أن «جمعية الإخاء العثمانية» اقترحت تعيينه عضوا فى مجلس الأعيان عام ١٩٠٨ بموافقة جميع الأعضاء الذين أرسلوا عريضة وتلغرافات إلى الصدر الأعظم بهذا المعنى قالوا فيها «إن وجود أمثال د.شميل في مجلس الأعيان يشرف الحكومة التى تختارهم، ويعود على الأمة بخير عظيم»(٦٦).

وبفضل المكانة التى كان يتمتع بها شبلى شميل، وبسبب جرأته فى عرض أفكاره حرصت الأوساط الصهيونية على الاستفاده من هذه المزايا، ولذلك نجد أنه كان ضمن الحضور فى الاجتماع الذى نظمه الصهيونى النشط نسيم ملول فى حديقة الأزبكية لاستطلاع أفكار كبار الكتاب فى إنشاء صحيفة يهودية ناطقة بلسان الطائفة اليهودية فى مصر، وقد ابان شميل فى حديثه ما للصحافة من اليد الطولى فى تقدم الأمم ورقى الشعوب(٦٧).

وفيما يتعلق بالمساله الصهيونية وفلسطين نشر شميل مقالتين اثنتين إحداهما فى «المقطم» والأخرى فى «الأهرام»، وقد أدلى بدلوه فى مقال «المقطم» فى الجدل الدائر حول الصهيونية والصهيونيين، أما المقال الثانى فقد كان دفاعا وتوضيحا لرأيه الذى أبداه فى «المقطم» وجلب عليه السخط من العرب، فى حين لاقى القبول والاستحسان لدى الصهيونيين.

لقد كان المقال الذى نشره شبلى شميل فى المقطم بعنوان «عمروا واستعمروا فالأرض ميراث المجتهدين»(٦٨) انعكاسا لفكره المادى، ومثالا لجراته فى ابداء رأيه ولو خرج على المألوف، فقد كانت وجهة نظر شميل أن حق الإنسان فى الأرض حقا عاما مشتركا يؤيده العمل، ولا تدفعه النصوص النظرية، وإلا لبقيت الأرض من أول

الخليقة إلى اليوم حقا خاصا غير مشاع يستأثر بها قوم ولا يخلفهم فيها سواهم.

وقال إن حجة العرب على الصهيونيين بأنهم دخلاء غرباء يعتدون علينا ويسلبوننا أرضا هى ملك لنا، سفكنا دماء زكية لأجلها هى حجة واهية كبكاء الأطفال، وأنه باستطاعتهم أن يحجونا بمثل حجتنا ويقولون: «الأرض أرض آبائنا وقد سلبت منا بالسيف، ونحن نستردها اليوم ولكن بغير السيف...»

وكان الحل فى رأى شميل هو أن يناهض العرب الصهيونيين مناهضة رجال العقل لا رجال الجهل... «فما ذنب الأرض المسكينة حتى نحرمها اجتهاد المجتهدين...».

وقد نشر شميل المقالة الثانية فى «الأهرام» بعنوان «الصهيونية وخصومها»(٦٩)، وأشار فيها إلى أنه تعرض للهجوم بسبب آرائه فى رسائل خاصة وصلته، كما أن إبراهيم سليم نجار عرض به بإبهام فى «الأهرام»، حينما وصف الكتاب غير الإسرائيليين الذين يدافعون عن الصهيونية بأنهم إنما يفعلون ذلك لمنفعة يحاولون أن تتناسب قيمتها المادية مع الشدة التى يستعملونها فى مناقشة مناظريهم.

من ناحية اخرى كتب إليه أحد الصهيونيين يشكره على ما نشره فى هذا الموضوع ويستحثه على المزيد منه، ولذلك كتب شبلى شميل فى «الأهرام» مدافعا عن وجهة نظره، موضحا رأيه لكلا الفريقين، فذكر لمعارضيه أنه أراد من الذين يغارون على مصلحة أنفسهم ان يناظروا الذين يخشون بأسهم على أنفسهم لا على الأرض الصالحة بهم بنفس السلاح الذى يخشونه، وقال أنه لا يميل إلى طرد اليهود لأن البلاد ستبقى من دونهم خرابا، وإنما يطالب بمقاومتهم بالاقتداء بهم.

وفيما يتعلق بمن استحسنوا كتابته من الصهيونيين أوضح أنه كتب ما كتب ليبين حق الإنسان فى الأرض، وحق الأرض على الإنسان ليس إلا.

فرح انطون ١٨٧٤ - ١٩٢٢:

كاتب وباحث وصحفي وروائى ولد فى طرابلس بلبنان، وتلقى تعليمه بها ثم هاجر إلى مصر عام ١٨٩٧ حيث أقام بها، وأصدر مجلة «الجامعة» وتولى تحرير «صدى الأهرام» ستة أشهر، وأنشأ لشقيقته روز أنطوان حداد مجلة «السيدات» وكان يكتب فيها بتوقيعات مستعارة. رحل إلى أمريكا سنة١٩٠٧ اصدر هناك صحيفة باسم «الجامعة»، ثم عاد مرة أخرى إلى مصر حيث شارك فى تحرير عدة صحف وكتب عدة روايات تمثيلية، ثم عاود إصدار مجلته(٦٦)، وقد اعتنق الفكر المادى - كما أشرنا آنفا - وأصبح واحدا من أبرز انصاره، واستمر فى إقامته بمصر إلى أن توفى بالقاهرة.

وكان أنطون فرح أول من كتبوا فى «الأهرام» عن الحركة الصهيونية وأهدافها فى مقال بعنوان «الحمام الإسرائيلى ووطنه القديم»، وذلك بمناسبة انعقاد المؤتمر الصهيونى العالمى الثانى عام ١٨٩٨.

محمد عبد الرحمن العلمى:

فلسطيني كان يلقب نفسه «بخادم العلم الشريف» ونشر ثلاث مقالات فى «المقطم» عام ١٩١٤ ،للمشاركة فى النقاش الذى دار على صفحات الجريدة بمناسبة تجديدها الدعوة إلى تحقيق التفاهم والاتفاق مع الصهيونيين. وقد ركز العلمى فى مقالاته على إظهار الأضرار التى عادت على الوطنيين من مزاحمة الإسرائيليين لهم،

وعلى تحمل الحكومة المحلية وأغنياء الوطن مسئولية تلك الحركة، كما اهتم بإبراز الأهداف الحقيقية للصهيونيين مقدما الأدلة على صدق ادعاءاته بالاقتباس من أقوال ساساتهم، وقرارات مؤتمراتهم، وكان من أهم الزعماء الذين استشهد بتصريحاتهم وكتاباتهم فى هذا الصدد: ماكس نوردو، وأوسشكين، ود. أورباخ، وإسرائيل زانجويل، ودافيد فرسكو، بالإضافة إلى الاستشهاد بقرارات المؤتمر الصهيونى الأول والسابع.

واستشهد العلمى بإصدار الصهيونيين لعملة خاصة بهم، وكذلك طوابع للبريد، وتكوينهم لجهاز للبوليس كدليل على سعيهم إلى إنشاء دولة مستقلة، ولكن هذه الأدلة كان يعوزها نشر الصور التى تعزز أقواله، وقد تميز العلمى فى كتاباته بطرح حلول للمشكلة، وبيان عواقبها الوخيمة إذا تم إهمالها أو تجاهلها كما تميز أيضا بنظرته المستقبلية فيما يتعلق بفلسطين، واستمرار الصهيونيين فى سياستهم.

عيسى داود العيسى:

صحفى فلسطينى، صاحب جريدة «فلسطين» التى صدرت فى يافا عام ١٩١١ ومديرها المسئول، نشر مقالا واحدا فى جريدة المقطم عام ١٩١٤ للرد على حديث «زعيم صهيونى» فى «المقطم» وقد أشار إلى أنه يتعرض للرد بوصفه فلسطينى تتعلق الحركة الصهيونية ببلاده، وكصحافى عالج هذا الموضوع مرارا.

واعتمد العيسى فى رده على الزعيم الصهيونى على إظهار أن هناك فارقا بين ما يصرح به الصهيونيون على صفحات الجرائد العربية، وما يقررونه فى مؤتمراتهم وينشرونه فى مجلاتهم وجرائدهم،

وما يراه الفلسطينيون من أفعالهم، ولإظهار هذا التناقض عمد إلى المقابلة بين التصريحات التى أدلى بها الزعيم الصهيونى فى «المقطم» وتصريحات ماكس نوردو فى صحيفة « الايكونوميست » - الذى وصفه بأنه أشهر زعماء الصهيونية بعد هرتزل - وكتابات الزعيم الصهيونى أوسشكين فى كتابه «بروجرام الصهيونية فى فلسطين»، وهو مجموع المقالات التى نشرت فى «دى ولت» - صحيفة الصهيونيين - عام ١٩١١، وتصريحات د.روبين رئيس الوكالة اليهودية أمام المؤتمر الصهيونى الحادى عشر[٧١] .

كامل مدور:

صحفى فلسطينى، صاحب جريدة «الرأى العام» البيروتية التى كانت تصدر قبل الحرب العالمية الأولى[٧٢].

نشر كامل مدور فى «الأهرام» ثلاث مقالات عام ١٩١٥ بعنوان «لماذا يجب ألا تعطى فلسطين لليهود» وذلك بمناسبة مناقشة مبدأ الجنسيات فى المؤتمر الذى انعقد بهذا الخصوص فى تلك الفترة، ومطالبة اليهود بالاعتراف بهم كأمة، والرجوع إلى صهيون.

وعلى الرغم مما كانت تنشره الصحافة المصرية فى تلك المرحلة عن الصهيونية، فقد رأى كامل مدور أن الجمهور المصرى لم يسمع حتى ذلك الوقت سوى صوت الصهيونيين، ولذلك طلب من «الأهرام» ان تفسح رحابة صدرها له، كى يصرح بصوت أهالى فلسطين.

وقد اعتمد مدور فى مقالاته الثلاث على التاريخ، وعلى حساب الفترات التى حكم فيها اليهود فلسطين لنسف اداعاءاتهم بحقهم فى البلاد، وتأكيد هذا الحق للفلسطينيين، كما تطرق إلى الاعتبارات الدينية التى يستندون إليها، وأوضح أنها لا تؤيد مطالب الصهيونيين أكثر مما تؤيد غيرهم.

وكانت أهم المراجع التى استند إليها الكاتب فى مقالاته الكتاب المقدس، وكتاب «ماسبرو» فى تاريخ شعوب المشرق القديمة، واتسم أسلوبه بالتسلسل المنطقى، حيث كان يعرض لحججه. ثم يتوصل فى النهاية إلى النتائج اعتمادا على الحجج التى يقدمها.

محمد القلقيلى:

من بلدة قلقيلية بفلسطين، نشر فى «المقطم» عام ١٩٠٥ ثلاث مقالات للرد على مقالات قبعين فى الصحيفة نفسها بعنوان «استعمار فلسطين»، وكان الهدف من هذه المقالات الثلاث فى البداية إثبات الأضرار التى تعود على الفلسطينيين من الاستعمار الصهيونى، وإثبات أن اليهود يدخلون إلى فلسطين ويتملكون الأراضى فيها بسبل غير مشروعة، وذلك بهدف تفنيد ادعاءات سليم قبعين، ولكن حجج القلقيلى كان يعوزها الدليل القوى، والبرهان الساطع، ولذلك كان من السهل على سليم قبعين دحضها، كذلك فإن قبعين استطاع أن يستدرجه إلى قضايا ثانوية لا تدخل فى صميم الموضوع، كإثبات أن قبعين كتب من قبل ضد اليهود ثم تحول عن موقفه، وإثبات أن المهاجرين اليهود أفسدوا أخلاق مجاوريهم من الفلسطينيين وعلموهم معاقرة بنت الحان، وإقامة علاقات غير مشروعة مع بعض الفتيات الفلسطينيات، كما ناقش مسألة ما إذا كان المهاجرون اليهود يتجنسون بالجنسية العثمانية أم لا....

وقد عمد القلقيلى فى كتاباته إلى استخدام التساؤل الاستنكارى، والبحث عن المتناقضات فى مقالات مناظره، كما اعتمد على الإستشهاد بالشعر لإحداث الأثر المطلوب فى نفس قارئه.

وفضلا عن هؤلاء الكتاب كان هناك كاتب عربى آخر رمز لنفسه بتوقيع الدكتور (ع.ح)، وقد نشر مقالتين فى صحيفة «الأهرام»

إحداهما بعنوان «تواطؤ الاتحاديين والصهيونيين»، وكان الهدف من نشرها الرد على مقالة لكاتب صهيونى هو جاك ليفى طنطاوى، كان يرد فيها على مقال لمراسل الأهرام فى الآستانة عن اليهود ومعاضدتهم للاتحاديين.

أما المقالة الثانية فكانت بعنوان «الصهيونيون والعرب» وكانت بهدف الرد على مقالة بعنوان «الصهيونيون والشعوب» بإمضاء صهيونى رد بها على مقالة (ع.ح) فى «الأهرام» وقد استند (ع.ح) إلى الرسائل التى نشرتها «المؤيد» لبعض القراء والكتاب، والتى أكد فيها أصحابها علاقة التواطؤ بين الصهيونيين والإتحاديين.

ب ـ الكتاب الصهيونيون واليهود :

نسيم ملول:

كان من أكثر الكتاب الصهيونيين كتابة فى الصحف العربية، فقد عثرنا له على نحو ١٣ مقال تتعلق بالمسألة الصهيونية وفلسطين فى صحف الدراسة (بنسبة ١٦,٨٨٪)من إجمالى المقالات التى كتبها اليهود والصهيونيين. وقد نشر ملول معظم مقالاته فى صحيفة «المقطم» (٨ مقالات)، تليها «الأهرام» أربعة مقالات أما فى «المؤيد» فقد نشر مقاله واحدة.

ونسيم ملول يهودى تونسى عاش فى مصر، وانخرط فى سلك الحركة الصهيونية، وكانت له ميول أدبية وصحفية، فقد كان البعض يطلق عليه لقب «الأديب» وقد استغل مكتب فلسطين الصهيونى هذه الميول لدى نسيم ملول وكلفه بمتابعة ما ينشر فى الصحف العربية عن المسألة الفلسطينية وترجمته إلى العربية. وكان ملول من أكثر الكتاب الصهيونيين كتابة فى الصحف العربية، وأبرز من تصدى للدفاع عن الحركة الصهيونية فى الصحافةالعربية[٧٣].

وقد استطاع ملول أن يتغلغل فى أوساط السوريين المقيمين فى مصر، وأن يقيم علاقات وثيقة مع الشخصيات البارزة فيهم، ومنهم زعماء حزب اللامركزية وأصحاب ومديرو التحرير فى صحف «المقطم» و«الأهرام»، ولذلك سنجده يعمل مراسلا «للمقطم» فى يافا، حينما انتقل للإقامة فى فلسطين(٧٤) كما كان يوافى «الأهرام» ببعض الأخبار التى كانت تنشرها منسوبة إليه أحيانا، وقد كان بمقدور ملول أن يقوم بدور حارس البوابة بالنسبة للأخبار التى تتعلق بالصهيونية وفلسطين،. فيسمح بمرور ما يتفق ومصالح حركته، ويحجب ما يتناقض معها، أو يكشف حقيقتها.

وساهم ملول مع بعض زملائه الصهيونيين فى إنشاء لجنة إصلاح شئون الطائفة الإسرائيلية بمصر، وتولى هو رئاسة لجنة القاهرة فى حين تولى آخرون فروع هذه اللجنة فى الإسكندرية وبورسعيد وغيرها من المدن المصرية، وقد كان الهدف من وراء هذا التحرك هو أثارة اهتمام الطائفة اليهودية بمصر بالحركة الصهيونية، والحصول على أقصى قدر ممكن من مساهماتها فى إنشاء الوطن اليهودى فى فلسطين، وكان تحقيق هذا الهدف يمر عبر الاهتمام بالتعليم، وإحياء اللغة العبرية، وزيادة الاهتمام بالدين، وقد حاول أعضاء هذه اللجنة إنجاز هذه الأهداف من خلال الدعوة إلى إنشاء صحيفة يهودية طائفية، وإنشاء مكتبة يهودية بالقاهرة ومستشفى ومدرسة، وانتخاب أحد أعيان اليهود لعضوية مجلس شورى القوانين، وقد كتب ملول وزملاؤه العديد من المقالات بهذا الشأن فى «الأهرام» و«المقطم» وكان ملول يوقع مقالاته بصفته «رئيس لجنة الإصلاح التنفيذية للنهضة الإسرائيلية بمصر».

وقد درج ملول فى مقالاته على الاستشهاد بالشعر لإحداث التأثير المطلوب في نفوس قرائه بشأن الفكرة التى يتحدث عنها، وكان حينما

يقوم بالرد على الكتاب العرب وتفنيد ادعاءاتهم، يستند إلى السنوات الاربع[٧٥] التى أمضاها فى فلسطين، لإثبات أنه أكثر علما ببواطن الامور، وأن المعلومات التى يوردها أكثر دقة من تلك التى يوردها كاتب اعتمد على الاستماع فقط، وحرم من ميزة الرؤية والمعايشة.

وتميز ملول فى أسلوبه بالاستناد إلى لغة الأرقام - حتى وإن كانت غير حقيقية - لإضفاء المصداقية على ما يقول، كما أنه كان يتحدث عن الصهيونيين وكأنه ليس منهم، حتى لا يبدو منحازا إلى ذويه.

وتميز ملول بإحالة مناظرية إلى الصحف الأوربية والعربية التى كان يكتب فيها الصهيونيون عن إنجازاتهم فى فلسطين، وعن مساعداتهم للدولة العثمانية - للإيحاء بأن هناك من يدرك المزايا التى ستعود على الدولة العثمانية من استيطان اليهود لفلسطين.

وقد سعى ملول فى ردوده إلى مجاذبة الكتاب العرب أهداب المسألة الصهيونية لإيجاد الفرصة لعرض قضيتهم على الملأ العثمانى[٧٦].

جاك ليفى طنطاوى:

يبدو مما نشره جاك ليفى طنطاوى انه كان ينتمى إلى الحركة الصهيونية كما يبدو أيضا أنه كان مكلفا من بعض الجهات الصهيونية بالرد على ما ينشر فى الصحافة المصرية، بل ومحاولة فتح باب المناقشة فى هذه الصحف، لتوضيح وجهة النظر الصهيونية، فقد أعرب عن سروره لفتح «المسألة الإسرائيلية» وجعلها على بساط البحث، بمناسبة طرح مشروع استعمار اليهود لبلاد ما بين النهرين عام ١٩٠٩ ، كما طلب من أصحاب الجرائد اليومية والكتاب الا يبخلوا على الإسرائيليين بما وهبهم الله من الحكم والأدبيات.

وفى حين تصدى نسيم ملول للرد على ما كان ينشر فى «المقطم» سنجد أن جاك ليفى طنطاوى تصدى للرد على ما كان ينشر فى «الأهرام»، فقد بلغ عدد المقالات التى كتبها فى هذا الشأن نحو اثنتا عشرة مقالة، نشر عشرا منها فى «الأهرام» واثنتين فى «المقطم».

وكان طنطاوى فظا فى رده على «الأهرام» فقد اتهمها بأنها كانت فى طليعة الصحف التى دأبت على معاكستهم فى كل مشروع، وبأنها تكتب باستمرار ضد الحركة الصهيونية، كما تفردت فى استهجان مشروع استيطان اليهود لبلاد ما بين النهرين، مما حفز احد اليهود رمز لنفسه بتوقيع «يهودى مدرس» إلى الرد على طنطاوى والدفاع عن «الأهرام»، ومع ذلك فقد نشر بالصحيفة أغلب مقالاته كماأشرنا آنفا.

وقد تميز طنطاوى فى كتاباته بالكذب والتضليل، فقد حاول ان ينفى عن الصهيونيين أنهم يقومون بشراء الأراضى فى فلسطين، وادعى أن بيت روتشيلد هو الذى يقوم بالشراء، أما الصهيونيين فقد زعم أن هدفهم إنسانى يرمى إلى مساعدة منكوبى الاضطهاد فى العالم، ونفى أن يكون للصهيونية دخل فى الشئون السياسية.

وتميز طنطاوى أيضا بكتابة المقدمات الطويلة التى يمهد فيها للموضوع الذى يتناوله فى محاولة لإقناع القارىء بالفكرة التى سيتناولها، كما سعى طنطاوى إلى إثارة اهتمام قرائه بما يكتب، وذلك من خلال الاكثار من التساؤلات التى يطرحها، ولم يدع طنطاوى فرصة تمر دون حث الإسرائيليين على مد يد المساعدة لما أسماه بالحزب الصهيونى.

نسيم بن سهل:

لم تتوفر معلومات كافية عن شخصية ابن سهل، وكل ما أمكن جمعه ثمانى مقالات نشر خمسا منها فى «الأهرام» وثلاثا فى

«المقطم»، وقد كان نسيم ابن سهل معنيا أيضا بالرد على كتابات العرب فى صحف الدراسة وبالكتابه عن المؤتمرات الصهيونية.

ومثل جاك طنطاوى، هاجم ابن سهل صحيفة «الأهرام» بسبب موقفها من الهجرة اليهودية إلى فلسطين أو أية بقعة فى الدولة العثمانية، واتهمها بأنها كانت أول من بوق فى الشرق بالتخويف والتحذير من نهضتهم، وأجهد النفس وأتعب القلم فى حل عزائمهم، وتحويل أولى النفوذ عن نجدة إخوانهم، ومع ذلك فقد نشر أكثر مقالاته «بالأهرام».

وقد سعى ابن سهل إلى اكتساب «الأهرام» إلى جانبهم، أو إلى تحييدها باتباع أسلوب الوعيد والتهديد، فقد وجه حديثه إلى «الأهرام» قائلا: «إننا نعدكم ان نضرب صفحا عن مواقفكم المشهودة معنا، لو تنازلتم للحق وذويه، ونعدكم ان نترك الماضى البعيد دفينا طى الكتمان»(٧٧).

ويبدو أن الضغوط التى مارسها ابن سهل وغيره على «الأهرام» قد اثمرت، إذ أفسحت «الأهرام» صفحاتها لابن سهل لنشر بعض التقارير عن المؤتمر الصهيونى عام ١٩١١، وقد أشاد ابن سهل «بالأهرام» لأنها سمحت له بأن ينشر أن الصهيونية لا ترمى إلى إنشاء دولة مستقلة فى فلسطين بقوله :«هذا هو معنى الصهيونية المقصود لا غيره...ولقد يسرنا أن تعلن «الأهرام» الغراء ذلك للعثمانيين والناطقين بالضاد، فعهدنا بها لا تبغى من نشرها الا الحقائق وإن كانت لا توافق أحيانا مبادئها الخاصة».

وكان ابن سهل يكتب بأسلوب أدبى جزل يدل على تمكنه من اللغة العربية، ولكنه اعتمد على الكذب والتضليل - مثل جاك طنطاوى - فى رده على الكتاب العرب، فقد زعم أن الصهيونية لا تسعى إلى

الانفصال عن الدولة العثمانية، وادعى أن أموالها قليلة ومخصصة للإنفاق على العمال المتعطلين ورعاية الأيامى والأيتام. واتبع ابن سهل فى رده على الكتاب العرب ايضا اسلوب توجيه الاسئلة وترك الاجابة لمناظره.

وفضلا عن نسيم ملول وجاك ليفى طنطاوى ونسيم ابن سهل كان هناك بعض الكتاب الصهيونيين واليهود الذين كتبوا فى صحف الدراسة، ولكن لم تتوفر معلومات عنهم، ومنهم: جبر فارحى الذى نشر ثلاث مقالات: اثنتان فى «الأهرام» وواحدة فى «المقطم»، وكان جبر فارحى ذا ميول أدبية ، وله مؤلفات عن اللغة العبرية والعربية ، وكان يرأس لجنة الاصلاح التنفيذية للنهضة الاسرائيلية فى الاسكندرية، وقد نشر كثيرا من المقالات فى الصحف المصرية ، وفى صحف الطائفة الاسرائيليه بمصر تناول فيها المسائل الطائفية .

وهناك ايضا جاك هونشتين الذى نشر مقالتين فى «الأهرام » ، ومقالة فى «المقطم » ، ويبدو أنه كان يعمل بالصحافة ، اذ وقع مقالاته بصفته « مكاتب صحف أوربية » فى حين وقع مقالة أخرى بصفته سكرتير حزب الله .

اما المقالتان اللتان نشرهما فى « الأهرام » فقد كانت احداهما بهدف الرد على مقال نشر فى المقطم بتوقيع «اسرائيلى»، وجد فيه هرنشتين كثيرا من المغالطات التى تضر بالاسرائيليين ولذلك قدم بعض الإيضاحات عن الصهيونية وأهدافها(٧٨)، أما المقالة الثانية، فقد تناولت موقف الصهيونيين من مشروع استيطان اليهود لبلاد ما بين النهرين، وفى المقالة الثالثة التى نشرها فى «المقطم» تحدث عن حزب الله الذى هو سكرتيره، وقال: إن أحد أهدافه توحيد الأمة العثمانية التى يعتبر اليهود جزءا منها، وقد ادعى هرنشتين أن الحركة

الصهيونية هدفها إنشاء مركز صناعى أدبى مالى أخلاقى علمى لليهود فى فلسطين تحت سلطة ونفوذ الدولة العلية، وأن محمد أفندى حبيب مؤسس حزب الله دافع عن الصهيونيين فى بعض مقالاته بعد بحثه الدقيق، وإطلاعه على مجلاتهم وجرائدهم وكتبهم، وبعد محاوراته مع بعض زعماء الصهيونية الرسميين، ولا سيما الأمريكيون منهم(٧٩).

ومن بين الكتاب الصهيونين الذين كتبوا فى صحف الدراسة هارون برجمان الذى كتب فى «الأهرام» بصفته «زراعى» يرد على مانشرته هذه الصحيفة من أن مستعمرات الإسرائيليين فى فلسطين كادت أن تبور، وأن الذين أرسلوا لاستعمارها يكرهون العمل بالأرض، وقد احتج برجمان على كلام «الأهرام» بصفته أحد أبناء هؤلاء المستعمرين، وادعى بأنه يعلم الحالة أكثر من أى أحد، وأنه يجتهد للعودة إلى فلسطين للاشتغال فى أرض أسرته. وقد سعى برجمان فى تكذيبه «للأهرام» إلى البحث عن المتناقضات فى أقوالها كما أنه أكثر من استخدام الأسئلة الاستنكارية أيضا .

وفضلا عن ذلك كتب بعض اليهود مقالات بتوقيع «صهيونى» أو «إسرائيلى» أو «يهودى مدرس»، ولكن لم نستطع التعرف على شخصية أى من كتابها.

مما سبق يتضح لنا أن صحف الدراسة عزفت عن الخوض فى المسألة الصهيونية وعلاقتها بفلسطين، وتركت هذه المسألة للكتاب من خارجها، ويمكن إرجاع السبب فى ذلك إلى عدة عوامل منها:-

١- أن قضية الجلاء والاستقلال كانت هى القضية الأولى فى اهتمامات الصحافة المصرية، لهذا كان لا بد أن تنزوى أى قضية أخرى إلى جوارها.

٢- تقييد الحريات سواء من جانب الدولة العثمانية، أو من جانب سلطات الاحتلال البريطاني فى مصر التى كانت تتعاطف وأمانى الصهيونيين، ولهذا فإنه ما أن سقط السلطان عبدالحميد،وأعلن الاتحاديون الدستور، حتى وجدت الصحافة المصرية حريتها فى معالجة هذه المسألة، وقد تصادف ذلك مع بدء سياسة الإنفراج التى اتبعها الإنجليز فى مصر منذ عام ١٩٠٧ بعد إقالة اللورد كرومر.

٣- حساسية تلك المسألة فى ظل وجود طائفة يهودية فى مصر، يتمتع الرأسماليون من أعضائها بعلاقات وثيقة مع المسئولين وكبار الشخصيات المصرية والبريطانية في البلاد من ناحية ثم تمتعهم بنظام الإمتيازات الأجنبية الذى كان يتيح لهم حماية القناصل الأجانب، كل هذا كان يجعلهم فى وضع يمكنهم من ممارسة الضغوط على الصحافة المصرية إذا تعرضت لمصالحهم(٨٠)، ويمكننا أن نذكر فى هذا السياق ما حدث فى عام ١٩٠١، حينما نشر «الأهرام» مقالا عن السمسرة والسماسرة(٨١)، والأضرار التى يلحقونا بالبلاد، مما ساء السماسرة فى مصر فى ذلك الوقت - ومعظمهم من اليهود فأحرقوا أعداد صحيفة «الأهرام» وطردوا مراسلها من البورصة، أما البارون منشه(٨٢)، فقد ثار لما نشرته الصحيفة عن صهره الخواجة روبينو - زوج شقيقته - وزعم منشه أن «للأهرام» هدفا ومصالح ذاتية من وراء هجومه على السماسرة، وذهب إلى دار «الأهرام» والسوط فى يده، طالبا صاحب «الأهرام» للمبارزة، ولا شك في ان ذلك لم يكن ليحدث، لو لم يكن اليهود يشعرون بانهم مركز قوة فى المجتمع المصرى بحكم الامتيازات الاجنبية(٨٣).

٤ـ تفجرت فى تلك المرحلة قضية الضابط اليهودى الفريد دريفوس الذى اتهم بالتجسس لصالح الألمان، وتسليمهم وثائق تتعلق بالجيش الفرنسي، وحكم عليه بالنفى إلى جزيرة الشيطان. وقد استغل الصهيونيون هذه القضية كمثال صارخ على الظلم والاضطهاد الذين يتعرض له اليهود، حتى أولئك الذين اندمجوا فى المجتمعات الأوربية، وأخذوا يطالبون بضرورة أن يكون لليهود وطن يجمعهم ويحميهم من الاضطهادات المختلفة. وقد نجح اليهود فى حمل الحكومة الفرنسية على فتح ملف القضية من جديد، وإعادة محاكمة دريفوس، على الرغم من أن الحكم الصادر ضده كان من محكمة النقض(٨٤) . وقد انتهت المحاكمة بتبرئة ساحته.

ومايهمنا فى هذه القضية أن وكالتى رويتر وهافاس اللتين كانتا تحتكران جمع الأخبار وتوزيعها فى ذلك الوقت، تابعتا أخبار القضية بصفة يومية، وكذلك الصحف الأوربية مما خلق موجة من التعاطف والاهتمام انتقلت بالتالى إلى الصحافة فى مصر، فقامت بترجمة بعض المقالات الأجنبية التى تناولت هذه القضية، بل ان بعض الصحف المصرية ـ ومنها جريدة «المؤيد ـ كانت تقوم بنشر تفصيلات وقائع الجلسات، وتنشر المقالات التى عبرت عن رأيها فيها.

وقد أدت قضية دريفوس، وكذلك بعض الاشتباكات التى وقعت بين اليهود ومواطنيهم فى روسيا ورومانيا.. وغيرهما، إلى خلق موجة من التعاطف مع اليهود. وفى ظل هذا المناخ كان من الصعب على أية صحيفة أو أى صحفى الكتابة ضد الصهيونية، خشية مواجهة الاتهام باضطهاد اليهود، أو بمعاداة السامية.

٥- شهدت تلك الفترة بعض الأحداث المهمة التى شغلت اهتمام الصحافة فى مصر منها نشوب الحرب الطرابلسية التركية عام ١٩١١، وحرب البلقان عام ١٩٢٣، والحرب العالمية الأولى عام١٩١٤ .

تلك كانت فى رأينا أهم العوامل التى حدت من اهتمام صحف الدراسة بالمسألة الصهيونية وفلسطين وخصوصا بالنسبة لصحف الشاميين الذين كانوا أكثر إدراكا لخطورة الحركة الصهيونية التى كانت تستهدف الاستيلاء على جزء من سوريا التى ينتمون إليها، ومع ذلك فربما وجدوا الحل فى إتاحة الفرصة للكتاب من خارج الصحيفة لإثارة هذه المسألة ومناقشتها.

وتجدر الإشارة إلى أن كل الكتاب العرب الذين كتبوا فى هذه المسألة كانوا من الشاميين، وكانوا إما من الشخصيات العامة ذات المكانة فى الحياة السياسية والأدبية، أو ممن لهم اشتغال بالصحافة. أما الكتاب اليهود فكان غالبيتهم من الصهيونيين الذين تمكنوا من اللغة العربية، كما كان لبعضهم علاقات وثيقة وبعض أصحاب ومديرى الصحف فى مصر بالإضافة إلى بعض الشخصيات البارزة فى الحياة السياسية والأدبية فى مصر.

وقد كان هناك خمسة أهداف وراء دخول هؤلاء الكتاب ميدان الكتابة عن المسألة الصهيونية وفلسطين وهى:-

١- الرد على الدعاية المضادة وتفنيدها.

٢- الشرح والتفسير.

٣- الدعوة إلى اتخاذ موقف.

٤- الشكر والتأييد والإشادة.

٥- التعبير عن الرأى.

وفيما يتعلق بهدف الرد على الدعايات المضادة للصهيونية وتفنيدها سنجد أنه جاء في الترتيب الأول، فقد بلغ عدد المقالات التي نشرها الصهيونيون في الأهرام والمقطم والجريدة بهدف الرد والتصحيح حوالى ٣٠ مقالة تمثل نحو ٣٩٪ من إجمالي المقالات التي نشروها في صحف الدراسة، ونحو ٢٥٪ من إجمالي المقالات المتعلقة بموضوع الصهيونية وفلسطين التي كتبها اليهود والعرب، أما المقالات التي نشرها الكتاب العرب بهدف الرد على الصهيونيين فقد بلغ عددها حوالى ١٥ مقالة فقط بنسبة ٣٦٪ من مقالات العرب و ١٣٪ من إجمالي مقالات العرب والصهيونيين.

وقد اتبع الصهيونيون عدة أساليب في الرد على الكتاب العرب منها قيام إثنين أو ثلاثة منهم أحيانا بالرد في عدة صحف على أي مقال يكتبه كاتب عربي في صحيفة واحدة، وحينما يهم هذا الكاتب بالرد على مقالة أحدهم، يكون هؤلاء قد ردوا مرة ثانية على مقالته، مما يضطر ذلك الكاتب إلى التوقف عن الكتابة، وقد حدث مثل هذا الموقف مع الأمير شكيب أرسلان في عام ١٩١٢ حينما نشر مقالا، وتصدى للرد عليه كل من جاك ليفي طنطاوي ونسيم بن سهل ونسيم ملول بخمسة مقالات في مقابل مقالين كتبهما هو، وقد عبر شكيب أرسلان عن ذلك بقوله: «كثرت على الردادة من إخواننا الإسرائيليين مع علمهم بجميل رأيي فيهم.. فكأنما هم يريدون مجاذبتي أهداب المسألة الصهيونية لعرض ظلامتهم على الملأ العثماني، ويتخذون هذه الفرصة سبيلا للعتاب والتواجد، وليبثوا ما عندهم في هذه القضية»، وإزاء ذلك فقد توقف أرسلان عن الكتابة والرد بعد أن أوضح موقفه بأنه لا يشك أصلا في إخلاص الإسرائيليين للدولة العثمانية.. وذهب إلى عدم جواز التخوف من دولة صهيونية، واعتد هذا التوهم وسواسا

بغير محله. ويبدو أن أرسلان لم يكن ينوى الكتابة بعد مقاله الأول، ولكنه اضطر إلى كتابة مقاله الثانى للإيضاح، بعد أن كثرت الردود عليه، ولذلك نشره تحت عنوان «ولم يبق بد من الجواب»[٨٥].

وكذلك ذكرت صحيفة «فلسطين» أن كاتبا يهوديا - ربما كانت تقصد نسيم ملول - كان يراسل عدة صحف مسلمة تحت أسماء وهمية عربية، للرد على أى خبر مهما كان بسيطا بمجرد أن يرى فيه كلمة إسرائيلى أو إسرائيليين[٨٦].

وجاء هدف الشرح والتفسير فى المركز الثانى، فقد نشر الصهيونيون ٢٥ مقالا بنسبة ٢١٪ من إجمالى المقالات، فى حين نشر العرب ١٥ مقالا بنسبة ١٢,٦٪ .

وجاءت المقالات التى نشرت بهدف الدعوة إلى اتخاذ موقف فى المركز الثالث إذ بلغ عدد مقالات الصهيونيين تسع مقالات، ومقالات العرب ايضا تسع مقالات بنسبة ٧,٧٪ لكل منهما، وكانت المواقف التى دعا إليها الصهيونيون هى مد يد المساعدة للصهيونية. والتمسك باستعمار فلسطين دون غيرها، والحض على مساعدة الدولة العثمانية، والدعوة إلى الكتابة فى المسألة الإسرائيلية، أما مقالات العرب فكان بعضها يدعو إلى العناية بشئون فلسطين ومنع تدخل الأجانب فى شئونها، ومعارضة استيطان اليهود لفلسطين، والدعوة إلى التفاهم والاتفاق مع الصهيونيين.

وجاء هدف الشكر والتأييد والإشادة فى الترتيب الرابع بالنسبة لمقالات الصهيونيين، فقد نشر الصهيونيون سبع مقالات بنسبة ٥,٩٪ لتوجيه الشكر إلى الصحف والأفراد الذين تحدثوا عن مزايا الهجرة اليهودية إلى فلسطين وإلى الدولة العثمانية ككل ولم يعارضوها، أو الذين لم يتخذوا اتجاها عدائيا نحو الأهداف الصهيونية.

وأخيرا جاء هدف التعبير عن الرأى فى الترتيب الخامس، وكان عدد المقالات التى نشرها كل جانب ست مقالات بنسبة ٥٪ لكل منهما

ثالثا ـ المعالجة الصحفية لموضوعات الصهيونية:

تحظى الكيفية التى تقدم بها المواد الإعلامية فى وسائل الإعلام المختلفة باهتمام الباحثين، لما لها من تأثيرات هامة ليس على مضمون تلك المادة فحسب، وإنما على تحقيق أهداف الرسالة الإعلامية، وعلى درجة اهتمام الجمهور المستهدف بها، وفضلا عن ذلك فإنه يمكن الإستناد إليها فى الاستدلال على مدى الأهمية التى أولتها وسيلة إعلامية ما بالنسبة لموضوع معين.

وفى دراستنا هذه لا يمكن الاعتماد على الشكل الذى قدم به المضمون فقط، للحكم على درجة اهتمام صحف الدراسة بالحركة الصهيونية وأطماعها فى فلسطين وذلك لعدة اعتبارات أولها: أن الصحافة المصرية ذاتها كانت تهتم بالمضمون أكثر من اهتمامها بالشكل، ففى هذه المرحلة المبكرة من عمر الصحافة، لم تكن أهمية استخدام عوامل الإبراز والفنون الصحفية المختلفة قد اتضحت بعد، ولهذا فإننا سنقتصر فى هذا الفصل على تفسير الأمر الواقع، واستنباط دلالاته.

وقد اخترت الفئات التالية ـ التى أشرنا إليها فى المقدمة ـ للتعرف على الكيفية التى قدم بها المضمون الخاص بموضوع هذه الدراسة:

١ـ فئة المساحة.

٢ـ فئة شكل أو نمط المادة الإعلامية.

٣ـ فئة موقع المادة.

٤ـ المعالجة التيبوغرافية.

أ- صحيفة الأهرام:

كانت صحيفة «الأهرام» تصدر فى أربع صفحات من القطع الكبير وذلك خلال الفترة من عام ١٨٩٧ وحتى مايو عام ١٩١٣، حينما بدأت تصدر فى ست صفحات، ثم فى ثمانى صفحات ابتداء من عام ١٩١٤، وكانت الصفحة مقسمة إلى سبعة أعمدة وقد اشتملت الصفحة الأولى على فهرس محتويات العدد، يليه المقال الإفتتاحى للجريدة، ثم «أخبار البريد» وكانت تشتمل على الأخبار الخارجية، ثم بريد الشام وفلسطين ورسائل الإسكندرية، وكانت رسائل الإسكندرية تنتقل إلى الصفحات الداخلية فى كثير من الأحيان، وذلك تبعا لظرووف الأحداث، وحجم المادة المتوافرة للنشر فى الصفحة الاولى.

أما الصفحة الثانية فكانت تنشر بها الرسائل الداخلية - أى رسائل مراسلى الصحيفة فى المديريات المختلفة، و«الحوادث المحلية» بالإضافة إلى بعض الإعلانات. وخصصت الصفحة الثالثة لنشر اخبار وكالتى رويتر وهافاس تحت عنوان «تلغرافات عمومية»، ولنشر التلغرافات الخصوصية التى كان يبعث بها مراسلو الجريدة الخصوصيون، بالإضافة إلى بعض الإعلانات تحت عنوان «خلاصة تجارية»، و«التجارة» أما الصفحة الرابعة فكانت مخصصة بكاملها للاعلانات .

وإذا ما حاولنا التعرف على المساحة التى شغلتها الموضوعات التى تناولت الحركة الصهيونية وأطماعها فى فلسطين سنجد انها بلغت نحو ثمانى صفحات فقط بنسبة ٠٥,٠٪ من إجمالى مساحة الجريدة بما فيها الإعلانات وذلك خلال الفترة من ١٨٩٨ وحتى عام ١٩٠٨، ثم ارتفعت هذه المساحة إلى ٣٢ صفحة بنسبة ١٢,٠٪ خلال الفترة من ١٩٠٩ إلى عام ١٩١٧، وبإجمالى حوالى ٤٠ صفحة بنسبة ١٧,٠٪ من إجمالى مساحة الجريدة.

وفيما يتعلق بالفنون الصحفية التى استخدمتها الصحيفة لمعالجة هذا الموضوع سنجد أنها انحصرت فى ثلاثة فنون فقط هى:-

أ - الخبر.

ب - المقال.

ج - بريد القراء.

وقد كشف تحليل مضمون المادة المنشورة أن صحيفة «الأهرام» اعتمدت أساسا على الخبر فى معالجتها لموضوع الصهيونية وفلسطين خلال الفترة من ١٨٩٧ إلى ١٩٠٨، فقد بلغ عدد الموضوعات المنشورة فى الصحيفة عن الحركة الصهيونية خلال هذه المرحلة حوالى ٨٠ وحدة، كان نصيب الأخبار منها ٧٢ خبرا بنسبة ٩٠٪ أما المقالات فبلغ عددها ست مقالات بنسبة ٧,٥٪، وبريد القراء رسالتان بنسبة ٢,٥٪، وقد نشر حوالى ٣٨ خبرا من هذه الإخبار بنسبة ٥٢,٨٪ فى باب «أخبار البريد»، وكانت كلها نقلا عن الصحافة الأوربية، فيما عدا خبر واحد كان منقولا عن صحيفة «الأرشيف الإسرائيلية»، ثم ١٩ خبرا بنسبة ٢٦,٤٪ نقلا عن مراسلى «الأهرام» فى سوريا وفلسطين، وعشرة أخبار بنسبة ١٣,٩٪ فى باب(حوادث محلية)، وأخيرا خمسة أخبار بنسبة ٦,٩٪ لمكاتبى الصحيفة الخصوصيين فى باريس ولندن وبطرسبرج.

وتشير هذه النتائج إلى أن الخبر كان هو الفن الصحفى الأكثر استخداما فى هذه المرحلة بالنسبة لأخبار الحركة الصهيونية، كما تشير إلى أن الصحيفة قامت بوظيفة الاخبار فيما يتعلق بالحركة الصهيونية، وكان ذلك أمرا طبيعيا بالنسبة لحركة جديدة ليست معروفة معرفة كافية، بل تضاربت الأحاديث بشأنها.

من ناحية أخرى تشير هذه النتائج إلى ان الصحافة الاوربية كانت هى المصدر الرئيسى الذى استقت منه صحيفة «الأهرام» معلوماتها، والأخبار التى نشرتها عن الحركة الصهيونية، وقد أدى ذلك فى بعض الأحيان إلى وقوع «الأهرام» مأزق خدمة الدعاية الصهيونية، أو التعبير عن وجهة نظر الصهيونيين، من ذلك ما نقلته عن هرتزل فى المؤتمر الصهيونى عام ١٩٠٢ من أن «مصالح اليهود لا تقوم إلا باليهود أنفسهم، فيقتضى (كذا) نبذ التقاليد القديمة، والاقتداء بالشعوب المتجهة نحو العمران.. وقوله «إن السلطان العثمانى أظهر له من التعطف ما لم يكن ينتظره،وأمره بأن يعلن ذلك للأمة اليهودية»(٨٧)، وما نشرته «الأهرام» أيضا نقلا عن «الغازيتا ديل بوبولو» من «أن جلالة السلطان أظهر استعدادا لمنح المستعمرين اليهود إذنا بالإقامة فى فلسطين وبعض جهات آسيا».

وهناك ما نشرتة «الأهرام» نقلا عن «المانشستر جارديان» من أنه «سرى فى عروق اليهود دم جديد يدفعهم إلى خدمة الجمعية الصهيونية بجد ونشاط، وقد جعلوا لهذه الغاية من كل سنة يوما يتفاوضون فيه ويتشاورون ويجمعون المال سموه «يوم الشاقل»(٨٨).

ولا يخفى ما فى نشر هذه الأخبار من خدمة للصهيونية بنقل دعايتها إلى أوساط اليهود المصريين، كما لا يخفى أيضا أن ما كان ينشر عن عطف السلطان العثمانى على الصهيونيين، واستعداده لمنح المستعمرين اليهود إذنا بالإقامة فى فلسطين من شأنه تهدئة مخاوف المتشائمين، فالسلطان فى نظر الجميع يدرك أكثر من غيره إن كانت الصهيونية تمثل خطرا على فلسطين أم لا، واستعداده للموافقة على إقامتهم فى فلسطين يعنى أنه ليس ثمة أى خطر من هجرة اليهود إليها.

وجاء اعتماد «الأهرام» على مراسليها في سوريا وفلسطين في المركز الثاني، ولكن يتضح من الأخبار التي أرسلوها أنهم لم يهتموا بسبر أغوار النشاط الصهيوني هناك، فقد كان بإمكانهم تسليط الأضواء على التدفق المستمر للمهاجرين اليهود إلى فلسطين، ورصد التوسع الاستيطاني الصهيوني، والأضرار التي عادت على الفلسطينيين من وراء ذلك، ولكن تغطيتهم لهذا النشاط عجزت عن جذب الانتباه إلى خطورته، وربما يرجع ذلك إلى ضآلة ما كانوا يوافون به الصحيفة في هذا الشأن من ناحية، ولأن بعضهم انبهروا بالقرى والمستعمرات التي أقامها اليهود في فلسطين، فكتبوا يقارنون بين ما حققه اليهود في قراهم ومستعمراتهم، وبين قرى الفلسطينيين المجاورة التي لم تمتد إليها أيدي اليهود ولذلك ظلت على حالها[٨٩].

وقد اتضح تقصير مراسلي «الأهرام» حينما وقعت اعتداءات بين الفلسطينيين والمهاجرين الأجانب في يافا، وكتبت الصحف الأخرى فصورت هذه الأحداث على أنها ثورة، الأمر الذي أدهش صحيفة «الأهرام» لأن مراسلها الذي لم تنقطع عنها رسائله، لم يوافها بشيء بهذا الخصوص إلى أن وصلتها روايته، فنشرتها للقراء في ابريل عام ١٩٠٨، وهذا التصرف من جانب مراسل «الأهرام» يثير العديد من علامات الاستفهام حول احتمال وجود تواطؤ بين الصهيونيين وبعض مراسلي الصحف العربية.

وفيما يتعلق بالأخبار المحلية التي جاءت في المركز الثالث، سنجد أن «الأهرام» ضمنتها بعض أخبار النشاط الصهيوني في مصر، ولكنها كانت قليلة جدا، فعلى سبيل المثال نشرت نبأ ابتياع الخواجات سوراس وارنست كاسل لسهل كوم امبو على أنه مسعى لإنشاء مستعمرة إسرائيلية في القطر المصري، كما نشرت نبأ عن هجرة

يهود عدن إلى مصر ثم رحيل أغلبيتهم إلى القدس[٩٠] كذلك نشرت أنباء المظاهرة التى وقعت ضد اليهود فى بورسعيد فى مايو ١٩٠٧ بسبب اتهام الإسرائيليين بخطف غلام مسيحى لاستنزاف دمه واستخدامه فى صنع فطير الفصح[٩١].

ونشرت الصحيفة أيضا ضمن باب أخبار محلية نبأ الخطاب الذى كان سيلقيه أحد الصهيونيين المقيمين بفلسطين فى كنيس الإسرائيليين الإشكنازيين بالقاهرة عن الزراعة فى فلسطين[٩٢].

وقد وقعت الصحيفة فى خطأ الخلط بين الأخبار المحلية والأخبار الصهيونية، فعلى سبيل المثال نشرت ضمن أخبارها نبأ عن وصول مهاجرين يهود إلى قبرص، وعن سريان الخوف بين سكان الجزيرة من عاقبة تلك الهجرة، وكتابتهم العرائض التى يطلبون فيها منع مهاجرة الإسرائيليين اليها، وربما لأن الصحيفة وضعت مقدمة للخبر أشارت فيها إلى المفاوضات التى أجرتها الجمعية الصهيونية مع سلطات الاحتلال البريطانى فى مصر بشأن استيطان الإسرائيليين طور سيناء[٩٣]، أدرجت الخبر ضمن الحوادث المحلية.

وفيما يتعلق بتحرير الأخبار فى تلك الفترة سنجد هناك فارقا كبيرا بين ما كان متبعا فى ذلك الوقت، وما هو متبع فى الوقت الحالى، فعلى الرغم من أن أسلوب تحرير الأخبار فى «الأهرام» كان يتسم فى تلك الفترة بالسلاسة، والبعد عن السجع والمقدمات، والتخلص من الأخطاء اللغوية مع الإشارة إلى مصدر الخبر، ووضع العناوين المناسبة له[٩٤] فإن أخبار النشاط الصهيونى لم تخل فى بعض الأحيان من المقدمات الإنشائية، والخلفيات التاريخية، بالإضافة إلى إغفال المصدر أحيانا، وفضلا عن ذلك كانت الصحيفة تتبع قالب الهرم المعتدل أحيانا فى تحرير أخبارها وليس قالب الهرم المقلوب،

ولعل الخبر الخاص بالهجرة اليهودية إلى قبرص تنطبق عليه بعض هذه الملاحظات، فقد حررته الصحيفة على النحو التالي:

حوادث محلية

مهاجرة الإسرائيليين - لا تزال الأمة الإسرائيلية النشيطة تنظر إلى فلسطين موعدها نظرة الحنان والحنو. وهى إذا لم تقدر على دخولها بذلت الجهد للاقتراب منها. وقد عرف قراؤنا أن الجمعية الصهيونية كانت قد فاوضت المحتلين فى أن تعطى الحكومة المصرية للصهيونيين طور سيناء والآن ورد من انباء قبرس أن وفود المهاجرين والإسرائيليين تصل إلى تلك الجزيرة الفا بعد ألف حتى خاف اليونان سكان تلك الجزيرة عاقبة هذه المهاجرة فضجوا وكتبوا العرائض التى يطلبون فيها منع مهاجرة الإسرائيليين إلى قبرس وألفوا مجتمعات أقسم فيها جماعة من اليونان الإيمان المحرجة على منع المهاجرة بكل وسيلة. ولو سمع القبرسيون نصيحتنا لقلنا لهم أن ذلك خطأ منهم لأن هذه المهاجرة تنفعهم ولا تضرهم.

وأول الملاحظات على هذا الخبر أنه ليست له علاقة بالأحداث المحلية فى مصر، ثم أن الصحيفة اغفلت ذكر مصدره، أما فيما يتعلق بالمقدمة فإنها لم تتضمن أهم ما فى الخبر، أو إجابة عن الاستفهامات الخمسة أو إحداها كما هو متبع فى تحرير الأخبار، وإنما كانت عبارة عن خلفية تاريخية عن تطلعات الإسرائيليين نحو فلسطين، ومحاولاتهم لاستيطان أراض أخرى حينما كان يتعذر عليهم دخولها، كذلك فإن الصحيفة لم تقدم الخبر مجردا، وإنما ضمنته رايها فى الهجرة اليهودية إلى قبرص وهى أنها تنفعهم ولا تضرهم، وكان ذلك يتناقض مع ما كانت تنشره الصحيفة من أخبار ورسائل للقراء والمراسلين عن أضرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

وإذا أخذنا فى الاعتبار أن قراء «الأهرام» هم من العرب وليسوا من القبارصة فإن الخبر المنشور فى باب «حوادث محلية» لأدركنا مدى الخلط والارتباك الذى يمكن أن يقع فيه القارئ، نتيجة لتناقض موقف «الأهرام» فيما يتعلق بالهجرة اليهودية.

وقد اتبعت الصحيفة فى تحريرها لهذا الخبر قالب الهرم المعتدل الذى يشتمل على مقدمة وجسم وخاتمة، ويسمح هذا القالب للصحيفة بالتدرج فى سرد المعلومات من أقلها أهمية إلى أكثرها أهمية، كما يسمح لها بالتعليق وإبداء الرأى فى خاتمة الخبر.

وتجدر الإشارة إلى أن «الأهرام» لم تلجأ إلى التعليق أو أبداء الرأى فى الأخبار التى نشرتها، إلا فى مناسبات قليلة، حينما كانت تجد أنه يتعين عليها ابداء الرأى.

وإذا كانت «الأهرام» قد اعتمدت على الخبر فى الفترة المشار اليها آنفا، فقد كشف التحليل أن الخبر تراجع فى الفترة التالية الممتدة بين عامى ١٩٠٩ وعام ١٩١٧ ليحل المقال محله، فقد بلغ عدد الأخبار المنشورة فى «الأهرام» خلال تلك الفترة حوالى ٧٥ خبرا، احتلت مساحة ثمانى صفحات فى حين بلغ عدد المقالات حوالى ٨٠ مقالة، احتلت نحو ١٨ صفحة، مما يعنى أن الصحيفة بدأت فى الانتقال من مرحلة الحياد المتمثلة فى مجرد الإخبار أو الإعلام إلى مرحلة إبداء الرأى واتخاذ المواقف.

ولكن إذا ما حاولنا التعرف على الأشكال الصحفية المستخدمة فى «الأهرام» خلال فترة الدراسة مجتمعة، واعتمدنا على عدد الوحدات المنشورة فسنجد أن الخبر يتفوق على المقال، فقد بلغ عدد الاخبار ١٢٥ خبرا، فى حين بلغ عدد المقالات ٨٦ مقالة، ورسائل القراء ١٥ رسالة(٩٥).

أما إذا أخذنا فى الاعتبار معيار المساحة فسنجد أن المقال يتفوق على الخبر وعلى رسائل القراء، فقد كانت المساحة التى شملها المقال فى «الأهرام» حوالى ٢١ صفحة فى حين شغل الخبر مساحة ١٣ صفحة، وبريد القراء ست صفحات.

وفيما يتعلق بفئة الموقع كشف التحليل عن أن المقالات الست التى نشرتها «الأهرام» خلال الفترة من ١٨٩٧ إلى ١٩٠٨، نشرت جميعها فى الصفحة الأولى، أما الأخبار فقد نشر ٨٠,٥٪ منها فى الصفحة الأولى، فى حين نشر ١٩,٥٪ فى الصفحة الثانية، أما بريد القراء فقد نشرت الرسالتان اللتان وردتا إلى «الأهرام» فى تلك المرحلة فى الصفحة الاولى، ومعنى ذلك أن ٨٢,٥٪ من المادة المتعلقة بالصهيونية وفلسطين نشرت فى الصفحة الأولى، بينما نشر ١٧,٥٪ منها على الصفحة الثانية.

وفى الفترة الثانية (١٩٠٩-١٩١٧) نشر ٦٥,٧٪ من المقالات على الصفحة الاولى و٣٤,٣٪ فى الصفحة الثانية، أما فيما يتعلق بالأخبار، فقد نشر ٧٠,٤٪ منها فى الصفحة الأولى، و٢٩,٦٪ فى الصفحة الثانية، وبالنسبة لبريد القراء جاء ٧٣٪ منه على الصفحة الأولى و٢٧٪ على الصفحة الثانية.

وتشير هذه النتائج إلى أن معالجة «الأهرام» للمسألة الصهيونية حظيت باهتمام كبير سواء فى المرحلة الأولى أو فى المرحلة الثانية وذلك من منظور موقع المادة، فقد بلغت نسبة المادة المنشورة على الصفحة الأولى فى الفترتين مجتمعتين حوالى ٧٠٪ فى حين بلغت نسبة الموضوعات التى نشرت فى الصفحة الثانية ٢٨٪ وعلى الصفحات الداخلية ٢٪ وهو ما يعنى أن «الأهرام» كانت تدرك أهمية الموضوع الذى تتناوله، ولذلك أدرجت نسبة كبيرة من موضوعاته على صفحاتها الأولى التى تعد من أهم الصفحات فى الجريدة.

وإذا كانت نسبة الموضوعات التي نشرت على الصفحة الأولى خلال المرحلة الأولى تفوق نسبة الموضوعات التي نشرت على الصفحة الأولى في المرحلة الثانية، فإن ذلك لا يمكن تفسيره بأن درجة الاهتمام كانت أعلى في المرحلة الأولى، ولكن يمكن إرجاعه إلى تزايد الاهتمام في المرحلة الثانية، مما نجم عنه وفرة في الموضوعات التي لم تستطع الصفحة الأولى استيعابها، ولذلك اضطرت الصحيفة إلى ترحيلها إلى الصفحة الثانية، وفي أحيان قليلة إلى الصفحات الداخلية.

ب ـ صحيفة المقطم:

كانت صحيفة «المقطم» تصدر في أربع صفحات من القطع الكبير (الطول ٥٩سم والعرض ٤٤,٣سم)، وكان العمود الأول من الصفحة الأولى مخصصا للإعلانات، أما باقي الصفحة فكان مخصصا لأخبار «بريد أوربا» وأحيانا كانت «المراسلات المحلية» تحتل العمود السادس.

أما مراسلات الأقاليم، والأخبار المحلية، وبعض الإعلانات فكانت تنشر على الصفحة الثانية، في حين كان ينشر على الصفحة الثالثة باقي الأخبار المحلية بالإضافة إلى تلغرافات رويتر وهافاس، وتلغرافات «المقطم» الخصوصية، وبعض الإعلانات. أما الصفحة الرابعة فقد كانت مخصصة بكاملها للإعلانات.

وقد احتلت المقالات التي نشرت في «المقطم» في الأعداد التي عثر عليها خلال الفترة من عام ١٨٩٧ إلى ١٩٠٨ حوالي ثلاث صفحات، أما الأخبار فقد شغلت مساحة نحو ٥,٥ عمود أي ٩, من الصفحة، وبريد القراء ثلاثة أرباع العمود، ومعنى ذلك أن إجمالي المساحة التي

شغلتها موضوعات الصهيونية وفلسطين فى ذلك الوقت بلغت نحو أربع صفحات.

وإلى جانب الموضوعات الخاصة بالصهيونية وفلسطين، اهتمت«المقطم» فى تلك الفترة بأخبار الاعتداءات التى كانت تقع بين اليهود ومواطنهيم فى أوربا، كما اهتمت بصفة خاصة بقضية دريفوس، وقد فاقت المساحة التى احتلتها هذه القضية وتلك الاعتداءات المساحة التى احتلتها أخبار الصهيونية وفلسطين، إذ شغلت حوالى ٧,٥ صفحة، وإذا ما اعتبرنا أن نشر أخبار قضية دريفوس وأخبار الاعتداءات - التى كان الصهيونيون يعدونها نموذجا صارخا على اضطهاد اليهود - يدعم بصورة غير مباشرة اهداف الصهيونية وادعاءاتها، يكون إجمالى مساحة هذه الفترة حوالى ١١,٥ صفحة.

ومثل صحيفة «الأهرام» زادت فى «المقطم» المساحة التى شغلتها موضوعات الصهيونية وفلسطين خلال الفترة من عام ١٩٠٩ إلى عام ١٩١٧ حيث وصلت إلى ١٨,٦ صفحة مما يعنى زيادة الإهتمام بالحركة الصهيونية وأهدافها.

وإذا أضفنا إجمالى مساحة موضوعات المرحلة الأولى إلى إجمالى موضوعات المرحلة الثانية يكون المجموع حوالى ٢٢,٦ صفحة وهو ما يعادل ١٤,٪ من المساحة الكلية للجريدة خلال فترة الدراسة.

وقد أسفر تحليل المادة المنشورة فى «المقطم» عن أن المقال كان هو الفن الصحفى الأكثر استخداما فى الصحيفة، فخلال الفترة من عام ١٨٩٧ إلى ١٩٠٧ كانت نسبة المقالات حوالى ٦١,٦٪ من إجمالى المادة المنشورة عن الصهيونية وفلسطين فى حين بلغت نسبة الاخبار

٣٠,٧٪، وبريد القراء ٧,٧٪، أما فى الفترة من عام ١٩٠٩ حتى عام ١٩١٧ فكانت نسبة المقالات التى نشرت حوالى ٦٤٪ واحتلت مساحة ١٣ صفحة وجاء فن الخبر بعد المقال، إذ بلغت نسبته ٢٨٪، ثم بريد القراء بنسبة ٣,٥٪، وأخيرا فن الحديث الصحفى الذى انفردت صحيفة «المقطم» باستخدامه مرتين لمحاورة اثنين من أهم الشخصيات الصهيونية، كان أحدهما هو ناحوم سوكولوف عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية، وقد سجل هذا الفن نسبة ٢,٧٪ فقط(٩٦).

مما سبق يتضح أن «المقطم» اعتمدت على فن المقال فى معالجتها لموضوعات الصهيونية وفلسطين، ولم يكن ذلك ناجما عن حرصها على التعبير عن رأيها فى هذه المسألة، وإنما كان ناجما عن رغبتها فى الحياد وعدم اتخاذ موقف، ولذلك تركت للكتاب من خارجها الكتابة فى هذا الموضوع للبحث فيه وإبداء الرأى، وكانت الوسيلة التى اعتمد عليها هؤلاء الكتاب هى المقال.

وفيما يتعلق بموقع المادة موضع التحليل، فقد أسفر التحليل عن أن ما يزيد على نصف المادة التى تناولت موضوع الصهيونية وفلسطين نشر فى الصفحة الأولى من جريدة «المقطم»، إذ بلغت نسبة الموضوعات المنشورة فى الصفحة الأولى خلال فترة الدراسة كلها حوالى ٥٣,٥٪ فى حين بلغت نسبة المواد المنشورة على الصفحات الداخلية حوالى ٤٦,٥٪.

وقد أعطيت الأولوية للمقالات، إذ بلغ ما نشر منها على الصفحة الأولى حوالى ٢٥ مقالة بنسبة ٥٨٪، أما المقالات التى نشرت على الصفحات الداخلية فكان عددها ١٨ مقالة بنسبة ٤٢٪ وبلغ عدد الأخبار المنشورة على الصفحة الأولى ثمانية اخبار بنسبة ٦٢٪، أما

الحديثين فقد نشرا على الصفحة الأولى، ونشر أحدهما على حلقتين، فى حين نشر ٦٧٪ من بريد القراء على الصفحات الداخلية، و٣٣٪ منه على الصفحة الأولى.

نخلص مما سبق إلى أن خطورة الحركة الصهيونية كانت واضحة «للمقطم» إلى الدرجة التى جعلتها توليها اهتمامها من حيث الموقع الذى أفردته لموضوعاتها على صفحاتها الأولى.

ج - صحيفة المؤيد:

كانت صحيفة «المؤيد» تصدر فى أربع صفحات من القطع المتوسط (٥٢,٥سم طولا، و٣٦,٥سم عرضا)، وكانت الصفحة مقسمة إلى أربعة اعمدة وخصصت الصفحة الأولى للافتتاحية وغيرها من المقالات، أما الصفحة الثانية فكانت مخصصة للأخبار الداخلية، ومكاتبات الإسكندرية، وأخبار الآستانة، فى حين كانت تنشر على الصفحة الثالثة مكاتبات العاصمة وغيرها من الأقاليم وأخبار رويتر، أما الصفحة الرابعة فكانت مخصصة للإعلانات.

وقد بلغ حجم مساحة المادة المنشورة عن الصهيونية وفلسطين فى الأعداد التى عثر عليها من جريدة «المؤيد» خلال الفترة من ١٨٩٧ـ١٩٠٨ حوالى صفحتين بنسبة ٠٢,٠٪، كما بلغت حوالى أربع صفحات بنسبة ٠٤,٠٪ خلال الفترة من عام ١٩٠٩ إلى عام ١٩١٥.

ومثل صحيفة «المقطم» اهتمت «المؤيد» بأخبار قضية دريفوس، وبالاعتداءات التى كانت تقع بين اليهود ومواطنيهم فى أوربا، حتى أن مساحة هذه الموضوعات تفوقت على مساحة ما نشرته «المؤيد» عن الصهيونية وفلسطين، فقد بلغت حوالى ثمانى صفحات، فى حين بلغ إجمالى الصفحات التى تناولت الحركة الصهيونية وفلسطين ست

صفحات فقط، وإذا أضفنا المساحتين إلى بعضهما على أساس أن أخبار الاعتداءات وقضية دريفوس كانتا تدعمان الصهيونيين، يكون الإجمالي حوالى ١٤ صفحة بنسبة ٠٨, ٪ من المساحة الكلية للصحيفة.

وكان المقال هو الفن الصحفي الأكثر استخداما في معالجة موضوعات الصهيونية وفلسطين، إذ بلغ عدد المقالات حوالى ١١ مقالا بنسبة ٦٨٪ من إجمالي المادة المنشورة، والأخبار أربعة أخبار بنسبة ٢١٪، والبريد أثنان بنسبة ١١٪، ولكن إذا أضفنا إليها أخبار قضية دريفوس وأخبار الاعتداءات التي كانت تقع في أوربا بين اليهود ومواطنيهم قفزت نسبة الأخبار إلى ٥٠٪، وتراجعت نسبة المقالات إلى ٤٥٪ وبريد القراء إلى ٤,٨٪.

وفيما يتعلق بفئة موقع المادة الصحفية سنجد أن «المؤيد» لم تول الموضوعات الخاصة بالصهيونية وفلسطين نفس القدر من الاهتمام الذي أولتها إياه صحيفتا «الأهرام» و«المقطم » ، فقد نشرت « المؤيد » ٦٥ ٪ من هذه المادة على صفحاتها الداخلية ، في حين نشرت ٣٥٪ منها على الصفحة الاولى .

ومايتعلق بقضية دريفوس واخبار الاعتداءات كان الموقف مختلفا بعض الشيء ، فقد نشر ٨٣ ٪ من المقالات المتعلقة بهذا الموضوع على الصفحة الاولى ، بينما نشر ١٧٪ فقط على الصفحات الداخلية ، أما بالنسبة للأخبار ، فقد نشر ٨٨ ٪ منها على الصفحات الداخلية و ١٣٪ على الصفحة الاولى .

و يتبين أن « المؤيد » وقعت أسيرة الدعاية الصهيونية التي استطاعت أن تستحوذ على اهتمام الجميع ، وتستدر عطفهم بسبب ما أسمته « اضطهاد اليهود ».

د ـ صحيفة اللواء:

كانت صحيفة «اللواء» تصدر في ٤ صفحات من القطع المتوسط (٥٧,٥ سم طولا و٤٤سم عرضا)، وكانت الصفحة مقسمة إلى خمسة أعمدة، ولكنها في عام ١٩٠٧ كانت تصدر في ثماني صفحات، وكانت الصفحة الأولى مخصصة للمقالات، فبعد فهرست العدد. تأتي الإفتتاحية بالإضافة إلى مقالات أخرى، أما الصفحة الثانية فكانت تنشر عليها رسائل الاسكندرية، ورسائل داخلية، وحوادث محلية كان يمكن أن تمتد أيضا إلى الصفحة الثالثة التي كانت تشتمل على التلغرافات الخارجية ـ برقيات رويتر وهافاس ـ وباب بعنوان التجارة، بالإضافة إلى بعض الإعلانات، في حين خصصت الصفحة الرابعة كلها للإعلانات شأنها في ذلك شأن باقي الصحف.

ولم تول صحيفة «اللواء» الحركة الصهيونية ومطامعها في فلسطين الإهتمام الواجب، ويرجع ذلك إلى أن الصحيفة كانت تكرس نفسها للقضية المصرية، فقد كانت قضية جلاء الإنجليز عن البلاد وحصولها على الاستقلال هي الشغل الشاغل للزعيم الوطني مصطفى كامل الذي أصدر هذه الصحيفة لهذا الغرض، ولذلك كانت حصيلة الموضوعات المتعلقة بالصهيونية وفلسطين ضئيلة جدا بالمقارنة مع «الأهرام» و«المقطم»، فلم تنشر في الفترة التي عثرنا على أعدادها سوى ثلاثة عشر خبرا عن الحركة الصهيونية، وعن استعمار اليهود لرفح وتعليق بعنوان « اليهود في فلسطين»، أما باقي الاخبار فقد تناولت قضية دريفوس وأخبار الاعتداءات بين اليهود ومواطنيهم في أوربا، وخصوصا في روسيا، في حين تناولت المقالات تاريخ اليهود في بعض البلدان الأوروبية، وكلها تدور حول الاضطهاد الذي عاناه اليهود في مختلف العصور والبلدان، وحول تفوقهم، واستعانة الحكومات بهم للاستفادة من خدماتهم.

وعلى أية حال كان الخبر هو الفن الصحفى الأكثر استخداما فى «اللواء» فى معالجة موضوعات الصهيونية وفلسطين، وكذلك قضية دريفوس والاعتداءات التى تعرض لها اليهود فى أوربا. إذ بلغ عدد الأخبار التى تم حصرها حوالى١٣ خبرا، احتلت مساحة حوالى صفحة ونصف الصفحة، أما المقالات فقد بلغ عددها عشرة مقالات واحتلت مساحة حوالى خمس صفحات، وهكذا نجد أنه إذا كانت الأخبار تفوقت من حيث العدد، فقد تفوقت المقالات من حيث المساحة.

ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أن «اللواء» لم تتطرق فى هذه الأخبار والمقالات إلى الاطماع الصهيونية فى فلسطين، أو إلى أهداف الحركة الصهيونية اللهم إلا فى خبرين اثنين هما خبر «اليهود فى رفح» و«اليهود فى مصر» اللذين سبقت الإشارة إليهما، وفيما عدا ذلك نشرت بعض الأخبار عن المؤتمرات الصهيونية، وعن عرض الحكومة البريطانية على اليهود استعمار أراض فى شرق افريقية، أما باقى الأخبار فكانت عن قضية دريفوس واضطهاد اليهود وبلغت نسبتها حوالى ٨٠٪ فى حين بلغت نسبة الأخبار التى تتعلق بالمسائل الصهيونية مباشرة ٢٠٪، وكانت نسبة المقالات إلى الأخبار من حيث الكم حوالى ١٣٪ فى حين كانت نسبة الاخبار ٨٧٪.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن الصحيفة كانت تخلط بين الأخبار المحلية والأخبار الخارجية فعلى سبيل المثال نشرت فى باب «حوادث محلية» خبرا بعنوان «تعاضد اليهود» عن التبرعات التى جمعها اليهود فى بعض بلدان العالم لمساعدة إخوانهم الذين تعرضوا للاعتداءات فى كيشنييف عام ١٩٠٣.

وعلى الرغم من أن المصريين لم يكونوا من بين المتبرعين، إلا أن الصحيفة أدرجت هذا الخبر ضمن الحوادث المحلية فى اعتقادنا

لسببين: أولا لتشجيع اليهود المصريين على الاقتداء بأبناء جنسهم، وثانيا لأن الخبر اشتمل على مناشدة ضمنية للمصريين كى يقتدوا باليهود، وذلك حينما ذكرت فى نهاية الخبر «هكذا يكون التعاضد بين الأمم الحية مهما تناءت مراكزها... فليتأمل المصريون ويقارنوا بين اهتمامهم بالسكة الحجازية، وبين اهتمام اليهود بفريق من بنى جنسهم»(٩٧).

وثمة مثال آخر على خلط الصحيفة بين الأخبار المحلية وغير المحلية، فقد نشرت ضمن «حوادث محلية» خبرا بعنوان «القدس الشريف»(٩٨) عن رحيل الوباء عن يافا واستمراره فى نابلس... إلخ، ولكن يبدو أن الصحيفة كانت تنظر إلى أخبار الولايات العثمانية على أنها أخبار محلية.

وإذا كانت الموضوعات المتعلقة بالصهيونية وفلسطين لم تحظ باهتمام «اللواء» من حيث الكم والمساحة، فإنها أيضا لم تحظ باهتمام الصحيفة من حيث الموقع، فقد نشر حوالى ٨٨٪ من المادة على الصفحة الثالثة، والباقى ٤٪ على الصفحة الأولى، و٤٪ على الصفحة الثانية، و٤٪ على الصفحة الرابعة.

هـ ـ صحيفة الجريدة:

صدرت صحيفة «الجريدة» فى ثلاث صفحات من القطع المتوسط (الطول ٥٤,٥٪ والعرض ٣٦سم)، وكانت الصفحة مقسمة إلى أربعة أعمدة.

بلغت مساحة الموضوعات التى نشرتها «الجريدة» عن الصهيونية وفلسطين حوالى ٢,٤ صفحة بنسبة ٠١,٠٪ من مساحة الجريدة، فقد كان عدد الموضوعات التى نشرتها الصحيفة عن الصهيونية وفلسطين قليلا جدا، إذ أمكن حصر خمسة أخبار وثلاث مقالات فقط تناولت

هذا الموضوع، وقد بلغت المساحة التى شغلتها المقالات الثلاثة ١,٣ صفحة، فى حين كانت المساحة التى احتلتها الأخبار الخمسة ١,١صفحة.

وفيما يتعلق بالموقع الذى احتلته هذه المادة سنجد أن الصحيفة نشرت ثلاثة أخبار (بنسبة ٦٠٪) على الصفحة الأولى، أما الخبرين الأخرين (بنسبة ٤٠٪) فقد نشرتهما على الصفحة الثانية، وبالنسبة للمقالات نشرت الصحيفة مقالين (بنسبة٦٧٪) على الصفحة الأولى، فى حين نشرت مقال واحد (بنسبة ٣٣٪) على الصفحة الثانية، الأمر الذى يشير إلى أنه على الرغم من عدم اهتمام «الجريدة» بمتابعة الحركة الصهيونية ومطامعها فى فلسطين، إلا أنها كانت تعى مدى أهميتها وخطورتها، ولذلك أنزلتها فى الموقع الملائم لها وهو الصفحتين الأولى والثانية اللتان كانتا تمثلان أهم الصفحات فى الجريدة فى ذلك الوقت.

و ـ صحيفة الأهالى:

كانت صحيفة «الأهالى» تصدر فى أربع صفحات من القطع الكبير الطول ٥٩,٥سم والعرض ٤٦,٥سم، وكانت الصفحة مقسمة إلى ستة أعمدة.

ونظرا لقلة الموضوعات التى نشرتها الصحيفة عن الحركة الصهيونية وفلسطين فإنها لم تحتل سوى ٣,٥ صفحة بنسبة ٠٣,٠٪ من إجمالى أعداد الصحيفة.

وقد اعتمدت «الأهالى» على فن الخبر فى معالجتها لهذا الموضوع، وكان عدد الأخبار التى نشرتها ١٢ خبرا بنسبة ٣٧٪، ومع ذلك فقد أدرجت الصحيفة أحد عشر خبرا من هذه الأخبار بنسبة ٩٢٪ فى الصفحات الداخلية، وخبر واحد بنسبة ٨٪ على الصفحة الأولى.

أما فيما يتعلق بالمقالات، فقد نشرت الصحيفة ست من مقالاتها السبعة بنسبة ٨٦٪ على صفحاتها الأولى، في حين نشرت مقالة واحده بنسبة ١٤٪ على الصفحات الداخلية، وكان ذلك أمرا طبيعيا حيث كانت الصفحة الأولى في معظم صحف ذلك العصر مخصصة للمقالات، في حين كانت الصفحات الداخلية مخصصة للأخبار.

وفيما يتعلق بالمعالجة التيبوغرافية للمادة المتعلقة بالصهيونية وفلسطين في صحف الدراسة، سنجد أن أيا من هذه الصحف لم تستخدم أيا من عوامل الإبراز المعروفة حاليا التى بإمكانها إحداث تأثير ضخم على القراء، أو خلق انطباع بأهمية الموضوع، فعلى سبيل المثال لم تستخدم صحف الدراسة المانشيتات أو العناوين الضخمة الممتدة إلى اكثر من عمود، فقد كان معظم العناوين منشور على عمود واحد، والقلة القليلة منها منشور على عمودين على الرغم من أن بعض الموضوعات كان يستغرق ثلاثة أعمدة أو أربعة، ومع ذلك لم تستخدم صحف الدراسة العناوين الممتدة.

ونظرا لأن العنوان كان يكتب على عمود واحد، فقد استخدمت صحف الدراسة أبناطا صغيرة في كتابة العناوين، كما أنها كانت تنشر العنوان على سطرين من ذلك:

الصهيونيون

في فلسطين وسوريا (٩٩)

و

الحركة الصهيونية

انتقاد على الأهرام(١٠٠)

ومن امثلة العناوين التى كانت تكتب على عمود واحد وسطر واحد:

الإسرائيليون يبحثون لهم عن وطن(١٠١)

ومن أمثلة العناوين التى كانت تكتب على عمودين:

المؤتمر الصهيونى(١٠٢)

ولم تستخدم صحف الدراسة العناوين الفرعية فى المقالات إلا قليلا جدا ،فقد كان إبراهيم سليم نجار مكاتب «الأهرام» فى الاستانة هو الوحيد الذى كان يحرص على استخدام العناوين الفرعية فى المقالات، ومن خارج «الأهرام» كان كامل مدور يستخدم العناوين الفرعية أيضا .

وفى بعض الأحيان كانت صحف الدراسة تنشر بعض العناوين الفرعية أسفل العنوان الرئيسى، فكانت أشبه بالفهرست الذى يشير إلى محتوى الموضوع من ذلك مثلا:

الحركة الصهيونية(١٠٣)

استعمار فلسطين على قاعدة التعاون - اجتماع اللجنة العملية فى برلين - أخبار حياة الإسرائيليين فى فلسطين - اتفاق العرب والصهيونيين - شتى

المؤتمر الصهيونى(١٠٤)

انعقاده فى المانيا - ماهية الحركة الصهيونية - الغايات التى ترمى إليها-استعمار فلسطين - من مصر إلى الفرات.

وكانت عناوين المقالات أقرب إلى عناوين الكتب منها إلى العناوين الصحفية، فقد كانت تتسم بالعمومية والشمولية مثل: الحركة الصهيونية - استعمار فلسطين - الصهيونية وفلسطين - المسألة الصهيونية - الحركة الصهيونية وتركيا - القدس - الصهيونيون والعرب.

وحينما قامت «المقطم» باستخدام العناوين فى إبراز الحديث الذى أجراه مكاتبها مع أحد الزعماء الصهيونيين فى الآستانة، فانها استخدمت عنوانا عاما، ثم عنوانا خاصا يدل على فحوى الموضوع على النحو التالى :

بحث جليل فى المسألة الصهيونية

زعيم صهيونى يرد على رفيق العظم

ويوجب اتفاق العرب والاسرائيليين(١٠٥)

وعلى الرغم من أن الحديث كان يحتل مساحة أربعة اعمدة، فان الصحيفة لم تستخدم العناوين الممتدة، ومع ذلك فقد كان العنوان الثانى يحتوى على قدر من الإثارة، كما أنه كان يدل على فحوى الموضوع بعكس ما كان متبعا فى صحف تلك العصر.

من ناحية أخرى استخدمت صحف الدراسة أحيانا العناوين الإستفهامية التى يمكن أن تثير اهتمام القراء من خلال التساؤلات التى تطرحها ومن ذلك:

لماذا يجب أن لا تعطى فلسطين لليهود ؟(١٠٦)

لماذا يجب أن تعطى فلسطين لليهود ؟(١٠٧)

وفيما عدا ذلك لم تستخدم صحف الدراسة أيا من عناصر الإبراز الأخرى كالرسوم أو الجداول أو الصور، ولم يكن ذلك تقصيرا منها

فيما يختص بموضوعات الصهيونية وفلسطين، وإنما كان ذلك هو السائد فى ذلك الوقت فلم تكن الصور مستخدمة فى الصحافة فى ذلك الوقت، وكان لذلك أثر فى عدم تمكن بعض الصحفيين العرب من دعم ادعاءاتهم بالصور أو بالمستندات، ولذلك كان من السهل على مناظريهم سواء من العرب أو الصهيونيين تفنيد ادعاءاتهم.

هوامش الفصل الثانى

(١) إبراهيم عبده: جريدة الأهرام، تاريخ مصر فى خمس وسبعين سنه، الطبعة الأولى، دار المعارف، بمصر، ١٩٥١ ص٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٠٥.

(٤) خير الدين الزركلى: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، المجلد الأول، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٦، ص٣٢٠.

(٥) المرجع السابق، ص, ٣٣١

(٦) كان مؤسسا وكالتي رويتر وهافاس يهوديين هما: شارل لويس هافاس، وبول يوليوس رويتر - واسمه الحقيقى اسرائيل بير - وعلى الرغم من أن الاخير اعتنق المسيحية، الا ان النفوذ اليهودى ظل واضحا فى وكالته.

(٧) رمزى ميخائيل جيد: تطور الخبر فى الصحافة المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥، ص١٢٨ .

(٨) المسألة اليهودية: انظر الفصل الرابع ص ١٧١.

(٩) انظر ص ١٠٣ من الفصل الثانى.

(١٠) انظر ملحق رقم (١) .

(١١) انظر الملحق السابق نفسه.

(١٢) إبراهيم عبده: جريدة الاهرام ص٤٠٧ .

(١٣) إحسان عسكر: الصحافة العربية فى فلسطين، الأردن، سوريا، لبنان، سجل العرب، القاهرة ١٩٨٢، ص٢١٢.

(١٤) الأهرام فى ٧ فبراير ١٩١٣.

(١٥) المصدر السابق فى ٢٨ يناير ١٩١٤ العدد ١٠٩١٩، ص١.

(١٦) المصدر السابق فى الاول من يونيو ١٩١٤ العددان ١٠٩٨٠ و١٠٩٨١، ص١.

(١٧) المصدر السابق فى ٩ و١٠ ابريل ١٩١٤.

(١٨) المصدر السابق فى الأول من يونيو ١٩١٤.

(١٩) المصدر السابق فى ٧ أكتوبر ١٩٠٩ العدد ٩٥٩٦، ص١.

(٢٠) خير الدين الزركلي: مرجع سابق، المجلد الثانى ص٢٧.

(٢١) تيسير أبو عرجة: مصدر سابق ص٣٠٢.

(٢٢) سامى عزيز: مرجع سابق ص٤.

(٢٣) تيسير ابو عرجة: مصدر سابق ص١١..

(٢٤) سامى عزيز: مرجع سابق ص٩٧.

(٢٥) تيسير ابو عرجة: مصدر سابق ص١١.

(٢٦) انظر: سهام نصار:مرجع سابق ص ٨٥ ـ ٩١

(٢٧) سامى عزيز: مرجع سابق ص٣١٢.

(٢٨) شاهين مكاريوس: تاريخ الإسرائيلين، مطبعة المقتطف بمصر ١٩٠٤ ص٢٢٠.

(٢٩) حاييم وايزمان: مذكرات وايزمان، ترجمة نخبة من الشباب الفلسطينى مطبعة نهضة مصر، القاهرة ١٩٥٤، ص٤٠.

(٣٠) سهام نصار: اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم ١٨٧٧ ـ ١٩٥٠، العربى للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٠، ص٣٧.

(٣١) المقطم فى ٨ يونيو العدد ٣٧٠٦ «استعمار الإسرائيليين لفلسطين» ص١.

(٣٢) عمل أمين أرسلان قنصلا عاما للدولة العثمانية فى بلجيكا فى عهد السلطان عبدالحميد، ثم استقال من المنصب عام ١٩٠٩، وعين بعد ذلك قنصلا عاما فى الارجنتين، ثم عاود العمل فى الصحافة، فأصدر مجلة

شهرية عربية تدعى «السمير» توفى عام ١٩٤٢ فى بيونس ايرس مخلفا عدة مؤلفات.

(٣٣) خير الدين الزركلى: مرجع سابق، المجلد الثالث ص١٩.

(٣٤) المقطم فى ١١ نوفمبر ١٨٩٧ العدد ٢٦٢٨ «الضابط دريفوس» ص١.

(٣٥) المصدر السابق نفسه.

(٣٦) المصدر السابق فى ١٧ يونيو ١٩٠٩ العدد ٦١٤٧ «المسألة الإسرائيلية والدولة العلّية» ص١.

(٣٧) المصدر السابق فى ١٢ يناير ١٩١٢ العدد ٦٩٢٧ «الخراب والعمران بيد الإنسان» ص٤٥.

(٣٨) اللواء فى ٩ ابريل ١٩١١ العدد ٣٥٥٣

(٣٩) أحمد الشرباصى: شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، سلسلة إعلام العرب ٢١، القاهرة ١٩٦٣، ص١٣.

(٤٠) المرجع السابق ص٢٤-٢٩.

(٤١) المرجع السابق ص٣٣.

(٤٢) المرجع السابق ص٣٢.

(٤٣) المرجع السابق ص٤١-٤٨.

(٤٤) أحمد الشرباصى: أمير البيان شكيب أرسلان، دار الكاتب العربى بمصر، الجزء الأول، القاهرة ١٩٦٣، ص٢٠.

(٤٥) الأهرام فى ١٥ مارس ١٨٩٩ العدد ٦٣٨٠ ص١.

(٤٦) المصدر السابق فى ٢٩ ابريل ١٨٩٩ العدد ٦٤١٥ ص١.

(٤٧) محمود حسن صالح منسى: تاريخ الشرق العربى الحديث ص١١

(٤٨) المقطم فى ١٥ يناير ١٩١٢ العدد ٦٩٢٩ «العثمانية والصهيونية» ص١.

(٤٩) المصدر السابق فى ٢٦ يناير ١٩١٢ العدد ٦٩٣٩ «ولم يبق من الجواب» ص٤.

(٥٠) خير الدين الزركلى: مرجع سابق، المجلد الثالث، ص٣٠.

(٥١) المقطم فى ١٤ ابريل ١٩١٤ العدد ٧٦١٦، ص١.

(٥٢) المصدر السابق فى ٢٩ مايو ١٩١٤ العدد ٧٦٥٤ ص١.

(٥٣) خير الدين الزركلى: مرجع سابق، المجلد الثانى ص٢٦٥.

(٥٤) الأهرام فى ٢٠ اغسطس١٩٠١ «نظرة إلى الصحف» ص١.

(٥٥) فهرس الدوريات العربية بدار الكتب المصرية.

(٥٦) المؤيد فى ٦ نوفمبر ١٩٠٤ ص١.

(٥٧) المصدر السابق فى ١٥ و٢٤ و٢٩ ابريل ١٩٠٤.

(٥٨) المصدر السابق فى ٢٩ ابريل ١٩٠٩.

(٥٩) المقطم فى ٥ يناير١٩٠٥.

(٦٠) الأهرام فى ٣ يناير ١٩١٧ «الدكتور شبلى شميل» ص٧.

(٦١) المصدر السابق فى الأول من يناير ١٩١٥ ص,٥.

(٦٢) أنور الجندى: أعلام وأصحاب اقلام، دار نهضة مصر للطبع والنشر (د.ت) ص١٨٥.

(٦٣) المرجع نفسه.

(٦٤) إبراهيم عبده: جريدة الأهرام ص١٠١.

(٦٥) أنور الجندى: مرجع سابق ص١٨٦ ـ ١٩١.

(٦٦) الجريدة فى ٣٠ ديسمبر ١٠٨ العدد ٥٥٢ ص٥.

(٦٧) خيرية قاسمية: مرجع سابق ص٧٤.

(٦٨) المقطم فى الأول من مايو ١٩١٤ ص١.

(٦٩) المصدر السابق فى ٣ يونية ١٩١٤.

(٧٠) خير الدين الزركلى: مرجع سابق، المجلد الخامس ص١٤١.

(٧١) المقطم فى ٣٠ مايو ١٩١٤ العدد ٧٦٥٥.

(٧٢) خيرية قاسمية: مرجع سابق ص ٣٢٠.

(٧٣) المرجع السابق ص٦.

(٧٤) المرجع السابق نفسه.

(٧٥) المقطم فى ٢٣ و٢٤ ابريل ١٩١٤ «الاسرائيليون فى فلسطين» ص٢.

(٧٦) المصدر السابق فى ٥ فبراير ١٩١٢ ص١.

(٧٧) الأهرام فى ٢٠ يونيو ١٩٠٩ العدد ٩٥٢٨ «خطاب مفتوح الى جريدة الأهرام» ص١.

(٧٨) المصدر السابق فى ٢٥ يونيو ١٩٠٩ العدد ٩٥٠٧ «استعمار فلسطين» ص٢.

(٧٩) المصدر السابق فى ٩ يوليو ١٩٠٩ العدد ٩٥١٩ «الحركة الصهيونية» فلسطين أو العراق» ص١.

(٨٠) يذكر د.إبراهيم عبده أن الصهيونيين نظموا مظاهرة ضد «الأهرام» بسبب موقفها من الصهيونية، وهاجموا دارها، وهتفوا بسقوطها فى الشوارع (انظر: إبراهيم» عبده، جريدة الأهرام ص٣٩٨).

(٨١) الأهرام فى ٢٧ ابريل ١٩٠١ العدد العدد ٧٠٢٣ «السماسرة والتجار ومنشه الأهرام» «ص١، وفى ٢ مايو ١٩٠١» تقلا باشا والبارون منشة».

(٨٢) من المرجح ان يكون هو البارون فيلكس منشه الذى ولد فى الإسكندرية عام ١٨٦٥، وتولى رياسة الطائفة الإسرائيلية بالإسكندرية عام ,١٩١٨.

(٨٣) حدث فى عام ١٩٠٧ أيضا أن قام اليهود بمظاهرات فى الإسكندرية، ثم فى القاهرة، كانت تنطلق من البورصة فى كلا المدينتين، لإرغام الحكومة

المصرية على عدم تسليم ثلاثة من الروس الفارين إليها - بينهم إسرائيلي - إلى الحكومة الروسية، وقد قام اليهود خلال مظاهرات الإسكندرية بالاعتداء على الشرطة المصرية، وعلى القنصلية الروسية في الثغر، حيث أهانوا رمزها، ولم تستطع الشرطة المصرية اتخاذ أي إجراء ضدهم لمدة أربعة أيام متوالية، لأنها لم تكن حاصلة على موافقة القناصل الأجانب، ولكن بمجرد حصولها على الموافقة، توقف اليهود عن التظاهر، وقد وجه أنجلو روبينو أربيب اللوم إلى اليهود لتفاخرهم في أثناء الأحداث بكونهم تابعين في مصر لدول أجنبية «انظر المؤيد في ٢١ يناير ١٩٠٧ العدد ٥٠٧١ ص٣، والمقطم في ١٩، ٢١، ٢٢ يناير ١٩٠٧).

(٨٤) من المعروف أن أحكام محكمة النقض نهائية، ولا يجوز الطعن عليها.

(٨٥) المقطم في ٢٦ يناير ١٩١٢ العدد ٦٩٣٩.

(٨٦) خيرية قاسمية: مرجع سابق ص١٤١.

(٨٧) الأهرام في ٤ يناير ١٩٠٢ العدد ٧٢٣٥ «الجمعية الصهيونية» ص١.

(٨٨) المصدر السابق في ٢٨ مايو ١٩٠٣ العدد ٧٦٥٤ «الحركة الصهيونية بإنكلترا» ص١.

(٨٩) المصدر السابق في الأول من اغسطس ١٨٩٨ العدد ٦١٨٧ «اخبار سوريا» ص١.

(٩٠) المصدر السابق ٢١ يوليو ١٩٠٦ ص٢.

(٩١) المصدر السابق ٢٧ مارس ١٩٠٧ العدد ٨٨٢٤ ص٢.

(٩٢) المصدر السابق ٨ اكتوبر ١٩٠٨ ص٢.

(٩٣) المصدر السابق ١٥ سبتمبر ١٩٠٤ العدد ٨٠٥٤ ص٢.

(٩٤) رمزي ميخائيل جيد: مرجع سابق ص١٩٩.

(٩٥) انظر ملحق رقم (١).

(٩٦) انظر الملحق السابق.

(٩٧) اللواء فى ٣١ اغسطس ١٩٠٣ العدد ١١٩٢.

(٩٨) المصدر السابق فى ١٨ يناير ١٩٠٣ العدد ١٠٠٢.

(٩٩) الأهرام فى ٢٥ فبراير ١٩١٣ ص١.

(١٠٠) المصدر السابق فى ٧ يوليو ١٩٠٩ ص١.

(١٠١) المصدر السابق فى ١٤ يونية ١٩٠٩ ص١.

(١٠٢) المصدر السابق ٧ يناير ١٩١٠ ص١.

(١٠٣) المصدر السابق ٢٢ ابريل ١٩١٣ ص٢.

(١٠٤) المصدر السابق ٧ يناير ١٩١٠ ص١.

(١٠٥) المقطم فى ٢٧ مايو ١٩١٤ ص١.

(١٠٦) الأهرام فى ٢٥ يونية ١٩١٥ ص٢.

(١٠٧) المصدر السابق فى٢٩ يونية ١٩١٥ ص٢.

الفصل الثالث

مفهوم الصهيونية فى الصحافة المصرية

مفهوم الصهيونية فى الصحافة المصرية

١٨٩٧ - ١٩١٧

فى شهر أغسطس من عام ١٨٩٧ انعقد المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة «بال» بسويسرا حيث صاغ أهداف الحركة الصهيونية فيما عرف ببرنامج «بال» وقد نصت الفقرة الأساسية من القرارات التى اتخذها المؤتمر على «إنشاء وطن للشعب اليهودى - فى فلسطين - يضمنه القانون العام»[١].

The establishment in Palestine a (home for the jewish pepole secured by public law)

وقد أدى انعقاد هذا المؤتمر - وما صحبه من نشاط، وما تلاه من مؤتمرات[٢] إلى إثارة اهتمام بعض الصحف المصرية بتلك الحركة التى تستهدف جزءا عزيزا من الدولة العثمانية، والتى استطاعت أن تفرض نفسها على الساحة الإعلامية فى أوربا.

وبالعودة إلى صحف الدراسة التى كانت تصدر خلال الفترة التى واكبت انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول، تبين أن صحيفة «المقطم» كانت الصحيفة الوحيدة التى انفردت بإيراد نبأ انعقاد هذا المؤتمر فى رسالة بعث بها أمين أرسلان مكاتبها فى باريس بتاريخ ١٦ اكتوبر عام ١٨٩٧، ونشرت فى الثالث والعشرين من الشهر نفسه - أى بعد انعقاد المؤتمر بحوالى شهرين، وقد أشار المراسل فى هذه الرسالة التى نشرت تحت عنوان «مملكة صهيون» إلى أن بعض أثرياء الإسرائيليين عقدوا خلال الأشهر الستة الأخيرة، مؤتمرات مختلفة فى عواصم أوربا وأشهر مدنها، ولكنه رأى أن يخصص هذه الرسالة لمؤتمر «بال» الذى عقده الإسرائيليون سعيا إلى إنشاء مملكة، خلافا

لما ورد من أنهم سيبقون أمة منتشرة على وجه الأرض، لا تقوم لملكها قائمة إلى يوم القيامة، ودحضا لتهمة أعدائهم الذين يتهمونهم كل يوم بأنهم بلا وطن، يطردون من وطن إلى آخر.

وذكرت الرسالة أنه فى «بال» اجتمع ما يزيد على مائتى مندوب من نسل إبراهيم للمفاوضة فى مشترى أراض فسيحة، وقرى كثيرة فى «فلسطين»، وجوار «أورشليم» من الدولة العلية، وجعلها مملكة إسرائيلية مستقلة، تحت سيادة الحضرة الشاهانية، وعاصمتها «القدس الشريف».

ومضى المراسل يقول: «ولا شك فى أن القراء يعدون تحقيق تلك الأمانى أضغاث أحلام، ولكن إذا بحثنا جليا، وجدنا أن الإسرائيليين فكروا فى هذا الأمر، وشرعوا فيه منذ سنوات. وأذكر أن روتشلد الثرى الشهير، والبارون هرش اشتريا قرى كثيرة فى نواحى فلسطين، وأكثروا العملة والبنائين من جميع جهات سوريا ولبنان، وخططوا مدنا بشوارعها المستقيمة، ودورها الفسيحة، هاجر إليها الإسرائيليون من كل صوب، ووجهوا عنايتهم إلى الزراعة والفلاحة.. فنجحوا كثيرا، وأكثرهم من يهود روسيا، وقليل جدا من فرنسا، لأنهم قليلون فيها...

«أما المؤتمر الصهيونى الذى عقد فى سويسرا، فختم أشغاله بما مفاده: أن الحزب الصهيونى يدأب فى إنشاء وطن للاسرائيليين فى فلسطين تضمنه شرائع وثيقة، ولبلوغ هذه الغاية، قرر مساعدة الفلاحين والصناع اليهود على المهاجرة إلى فلسطين، وعلى التكافؤ والإتحاد، وقد عين لجنة دائمة فى «فيينا» ونوابا لها فى عواصم أوروبا، وفى نيته الآن ان ينشىء بنكا عظيما لمساعدة اليهود على المهاجرة إلى فلسطين وسوريا».

وأشار المراسل أيضا إلى اعتراض بعض الجرائد الكاثوليكية فى فرنسا - التى خاضت هذا الموضوع - على هذا الفكر، ثم أبدى رأيه فى هذه المسألة بقوله: لست أظن أن تلك المملكة يتم إنشاؤها كما يريدون، وربما اكتفوا بتوسيع نطاق مستعمراتهم هناك، وأقلعوا عما يسهل فكرا وقولا، ويصعب أو يستحيل فعلا».

وهكذا يبدو من رسالة مكاتب «المقطم» أنه كان واضحا منذ الوهلة الأولى أن هدف الصهيونية هو: إقامة «مملكة» إسرائيلية عاصمتها القدس، مع خضوعها للسيادة العثمانية، وأن الوسيلة التى استقر عليها رأى الصهيونيين لتحقيق هذا الهدف هى: شراء الأراضى والقرى فى فلسطين وجوار أورشليم، وجلب المهاجرين اليهود إليها.

وفضلا عن ذلك كان واضحا أيضا أن اليهود شرعوا فى تحقيق هذا الهدف، قبل انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول، منذ قيام روتشلد وهرش بإنشاء مستعمرات لليهود فى فلسطين عام ١٨٨٢.

اما صحيفة «الأهرام»، فإنه بمراجعة أعدادها عام ١٨٩٧، تبين أنها لم تورد أدنى إشارة إلى المؤتمر الصهيونى الأول، وإنما تحدثت عن المؤتمر الصهيونى الثانى عام ١٨٩٨ فى مقال كتبه فرح أنطون بعنوان «الحمام الإسرائيلى ووطنه القديم»[٣] قال فيه: أن بعض كبار اليهود أنشأوا «المجمع الصهيونى» وولوه تمهيد السبيل وإعداد الطريق إلى الغرض الذى يسعون إليه وهو إعادة التمدن اليهودى، وبعبارة أوضح الإستيلاء على أورشليم.. وقد اجتمع هذا المجمع فى سويسرا منذ أشهر، فخطب أعضاؤه فى جمع المال من أغنياء اليهود فى الأرض كلها بواسطة ذلك المجمع، لشراء فلسطين قصد العودة إليها، وإعادة التمدن اليهودى فيها...

وقال «إن حجة اليهود فى طلب تلك الارض هى أن الأرض أرضهم، وأرض أجدادهم قبلهم... ولكن الفساد السياسى الذى أصابهم، أخرج ملكهم من أيديهم.. وقضى بتشتتهم بين الشعوب...

ومضى الكاتب يقول: «بقى لهم أن يتخذوا إلى غرضهم أحد الطرق العرفية الموصلة إليه إذا كانوا يقدرون، وهى ثلاثة: الشراء كما هم طالبون، والقهر، وهم عنه عاجزون، والاستيلاء الأدبى يليه الفعلى كما هم صانعون، ويقصد بالاستيلاء الأدبى ما لاحظه زائر عند زيارته أورشليم، فإنه دخل إليها فى مساء يوم سبت فوجدها خاوية عليها مسحة من العيد وبهجته، ووجد يوم العيد كيوم من أيام الاسبوع، ذلك أن السبت يوم راحة عند اليهود، فكانت الأسواق خالية هادئة... ويقدر المقدرون عدد اليهود فى أورشليم ستين ألف نفس.. هذا هو الاستيلاء الأدبى».

كان هذا ما ورد فى صحيفتى «الأهرام» و«المقطم»، أما صحيفة «المؤيد» - الصحيفة المصرية الإسلامية التى كانت تصدر خلال تلك الفترة - فإنها خلت من أى إشارة إلى هذين المؤتمرين.

وعلى أية حال فان رسالة «المقطم» ومقال «الأهرام» يوضحان أن الصحافة فى مصر لم تكن بمعزل عما يحدث فى العالم، وفى أوساط اليهود بأوربا بصفة عامة، وفى فلسطين بصفة خاصة، كما يوضحان أيضا أن الصحافة فى مصر كانت على علم بالحركة الصهيونية . وبأهدافها منذ عام ١٨٩٧، والتى تتلخص فى إنشاء مملكة يهودية مستقلة فى فلسطين، وقد قامت بوضع تلك الحقائق أمام جمهور قرائها فى مصر والبلاد العربية بدءا من المسئولين فى الحكومات، وقادة الرأى، وانتهاء بالقراء العاديين.

أهداف الصهيونية فى الصحافة المصرية:

على الرغم من أن الإدراك الأول لمفـهـوم عـبـارة «وطن للشـعب اليهودى» فى الصحافة المصرية هو أنها تعنى إنشاء مملكة إسرائيلية مستقلة عاصمتها القدس، وتحت السيادة العثمانية، فإن الصحف اختلفت فيما بعد فى تحديدها للأهداف والنوايا الصهيونية، فقد كشف تحليل مضمون موضوعات هذه الصحف عن أنها عبرت عن أهداف متعددة - ومتناقضة فى بعض الأحيان - وذلك على النحو التالى(٤):

١- هدف الصهيونية إنشاء دولة يهودية مستقلة فى فلسطين (٧٦ تكرارا بنسبة ٣٢,٢٪).

٢- هدف الصهيونية استعمار فلسطين (٦٧ تكرارا بنسبة ٢٨,٣٩٪).

٣- هدف الصهيونية ليس إقامة دولة مستقلة فى فلسطين (٤٧ تكرارا بنسبة ١٩,٩٢٪).

وقد اندرج تحت هذه الفئة ثلاث فئات فرعية هى:

أ - هدف الصهيونية انشاء مملكة اسرائيلية تحت السيادة العثمانية (١١تكرارا بنسبة ٤,٦٦٪).

ب - هدف الصهيونيةايجاد ملجأ فى فلسطين للمضطهدين اليهود (١٠ تكرارات بنسبة (٤٫٢٤٪).

جـ - هدف الصهيونية إنشاء مركز أدبى اقتصادى عالمى (١٠تكرارات بنسبة ٤,٢٤٪).

٤- هدف الصهيونية إنشاء وطن تضمنه شرائع وثيقة (٩ تكرارات بنسبة ٣,٨١٪).

٥- أخرى (٣٧ تكرار بنسبة ١٥,٦٨٪).

وسوف نتناول فيما يلي مفهوم صحف الدراسة لهذه الأهداف بشيء من التفصيل:

أولا- هدف الصهيونية انشاء دولة يهودية مستقلة في فلسطين:

يكشف الجدول في ملحق رقم (٢) عن أن هذه الفئة حصلت على أعلى التكرارات (٧٦ تكرارا بنسبة ٣٢,٣٤٪) وقد تم التعبير عن أن هدف الصهيونية انشاء دولة يهودية مستقلة في فلسطين بعبارات أخرى متعددة غير هذه العبارة منها: «إعادة التمدن اليهودي، الإستيلاء على أورشليم ، إعادة ملك فلسطين، استرجاع أرض الميعاد، إعادة صهيون الى مجدها السالف، إعادة الشرائع الموسوية الدينية والمدنية، استرجاع اليهود وطنهم، جعل فلسطين بلادا مستقلة يلجأ إليها كل إسرائيلي لا يريد الإقامة في البلدان الأخرى، إنشاء حكومة مستقلة في فلسطين، جعل حكومة خاصة بأبناء الطائفة اليهودية في فلسطين، تأسيس اليهود جمهورية اشتراكية في فلسطين، استرجاع المملكة الإسرائيلية وتشييد دولتها، امتلاك فلسطين وايجاد حكومة يهودية فيها ».

ونحن إذا ما دققنا في هذه الاجتهادات التي قدمتها صحف الدراسة عن أهداف الحركة الصهيونية، لن نجد فارقا كبيرا في مدلولها، فالتعريفات التي قالت أن هدف الصهيونية إعادة التمدن اليهودي، وإعادة ملك فلسطين، واسترجاع أرض الميعاد، وإعادة صهيون إلى مجدها السالف ... وغير ذلك من التعريفات كانت تعني استعادة فلسطين كما كانت في سالف الزمان - أيام مملكتي يهودا وإسرائيل - دولة خاصة باليهود.

قد حصل هدف إنشاء دولة يهودية مستقلة فى فلسطين على أعلى التكرارات فى صحف الدراسة، ولكن هذه الصحف تفاوتت فيما بينها فى التعبير عن هذا الهدف، فقد حصل فى صحيفة «الأهرام» على أعلى التكرارات (٥١ تكرارا بنسبة ٦٨٪) وفى صحيفة «المقطم» (٩تكرارات بنسبة ١٢٪) وفى صحيفة «المؤيد» حصل على ٦ تكرارات بنسبة ٨٪، وفى« الأهالى» حصل على تكرارين بنسبة ٢,٦٪، وفى «الجريدة» لم يحصل على شىء.

وتشير هذه الأرقام إلى أن صحيفة «الأهرام» كانت أكثر صحف الدراسة وعيا بالأهداف الحقيقية للحركة الصهيونية، فمنذ انعقاد المؤتمر الصهيونى الثانى عام ١٨٩٨ وحتى عام ١٩٠٨، سارت «الأهرام» على خطة التعريف بالصهيونية وأهدافها.

وأول ما يسترعى الانتباه فى معالجة «الأهرام» لهذا الموضوع وعيها بوجود تنظيم يقتصر على الإسرائيليين وحدهم، يتولى قيادة الحركة الصهيونية نحو أهدافها ثم تضارب التسميات التى اطلقت على هذا التنظيم، فنظرا لأن كلمة منظمة لم تكن مستخدمة فى القاموس السياسى فى ذلك الوقت، سنجد أن الصحيفة أطلقت على هذا التنظيم عدة مسميات منها «المجمع الصهيونى» تارة، و«الصهيونيون» تارة أخرى، و«الجمعية الصهيونية» تارة ثالثة، ولكن التسمية الأخيرة هى التى سادت بعد فترة وجيزة، ربما بسبب حرص الصهيونيين فى مصر على تضليل الرأى العام فيما يتعلق بأهدافها الحقيقية، ورغبتهم فى إعطاء انطباع بأنها جمعية خيرية، شأنها فى ذلك شأن العديد من الجمعيات الخيرية والإنسانية التى تألفت فى تلك الفترة.

وكان فرح أنطون هو الذى أطلق على المنظمة الصهيونية اسم «المجمع الصهيونى» وقال إن الذى أنشأه بعض كبار اليهود الذين

ولوه تمهيد السبيل إلى الغرض الذى يسعون إليه، ألا وهو «إعادة التمدن اليهودى، وبعبارة أوضح الإستيلاء على أورشليم»[٥].

أما الأمير شكيب أرسلان، فقد ذكر فى مقال بعنوان «سكنى الإسرائيليين فى فلسطين» أنه « تألفت جمعية إسمها الصهيونية، مقصدها إعادة ملك فلسطين، واسترجاع أرض الميعاد، وضم اليهود تحت راية واحدة فى وطنهم القديم»[٦].

وإذا كان هذان الكاتبان هما أول من اجتهد على صفحات «الأهرام» لتعريف القراء بالجمعية الصهيونية وأهدافها، فإن صحيفة «الأهرام» نفسها اهتمت فيما بعد بتعريف قارئها بالمنظمة الصهيونية، وبالحركة الصهيونية فى بعض دول العالم كبريطانيا على وجه الخصوص.

وعلى الرغم من أن شكيب أرسلان استخدم تسمية «الجمعية الصهيونية» كما استخدمها أيضا أحد كتاب «المؤيد» عام ١٨٨٩[٧]، فإن صحيفة «الأهرام» أطلقت عليها اسم «الصهيونيون» عام ١٩٠٠ حينما كتبت :«الصهيونيون جمعية كبيرة تألفت منذ خمس سنوات (الصحيح ثلاث سنوات) ، وانتظم فى سلكها كثير من الإسرائيليين فى معظم البلدان، وهى ترمى فى جميع أعمالها إلى غرض خطير، وهو جعل فلسطين بلادا مستقلة، يلجأ إليها كل إسرائيلى لا يستطيع أو لا يريد ان يقيم فى البلدان الأخرى »[٨].

وفى رسالة نشرتها «الأهرام» لمكاتبها الخصوصى فى لندرا «لندن» عن الإجتماع الذى عقده الصهيونيون فى قلعة دربى هول فى مدينة مانشستر بإنجلترا نقلت عن دى هاس - الذى وصفته بأنه أشهر خطيب فى النادى الصهيونى - إن غاية الجمعية الصهيونية هى بناء

صهيون، وجمع كلمة الأمة الاسرائيلية، وإنهاضها من الإنحطاط الطبيعي والأدبي الذي استولى عليها وقال: إن من الواجب على كل إسرائيلي أن يعضد هذا المشروع الجليل لتؤلف أمة تبنى أسسها على دعائم وطيدة، فتصبح عالية الشأن مهابة من الأمم، ترمى إلى غرض واحد وهو إعادة الشرائع الموسوية الدينية إلى ما كانت عليه[٩].

وفى عام ١٩٠٢ عادت «الأهرام» إلى استخدام مصطلح «الجمعية الصهيونية»، فكتبت بمناسبة انعقاد المؤتمر الصهيونى الخامس تحت عنوان «الجمعية الصهيونية» إن هذه الجمعية وضعت نصب أعينها لمّ شتات اليهود في العالم وتوحيد كلمتهم، وجعلهم أمة متطورة بين الأمم، وأهم ما ترمى إليه الجمعية، إرجاع اليهود إلى فلسطين أرض الميعاد، وإعادة المجد لأسرائيل»[١٠].

ونقلت عن صحيفة «المانشتر جارديان» أن الحركة الصهيونية تسعى إلى إعادة اليهود كأمة إلى وطنهم فلسطين، وأن الحركة الصهيونية هى الحركة الوحيدة الفعالة التى يتمكن بها اليهود من استرجاع وطنهم[١١] . وحينما انعقد المؤتمر الصهيونى الثامن فى لاهاى عام ١٩٠٧، نقلت «الأهرام» عن الزعيم الصهيونى ماكس نوردو أن «غاية ما ترجوه الجمعية الصهيونية هو أن تجعل حكومة خاصة بأبناء طائفتها في فلسطين، وأن تجمع كلمتهم جميعا وهم ١٢مليون نفس، فإن تم لهم ذلك كانت كلمتهم مسموعة فى كل شكوى يرفعونها بحق إحدى الحكومات المسيحية والإسلامية أو الوثنية»[١٢].

أما صحيفة «المقطم» فقد تحدثت عن «الجمعية الصهيونية» فوصفتها بأنها جمعية خاصة بفئة من الإسرائيليين، يرأسها مجموعة من الشخصيات الإسرائيلية البارزة: د.«هرتزل» الصحفى النمساوى المعروف فى فيينا ، وأربعة من وجهاء اليهود فى «لندن»، واثنان فى

فرنسا أحدهما د.«ماموريك» رئيس مستوصف «باستور» وواحد في أمريكا، وآخر في روسيا.

وعن عدد أعضائها قالت إنهم يقدرون - في عام ١٩٠٣- بنحو مليون شخص يدفع كل عضو منهم شلنا في السنة، وان ٦٥٠ ألفا من الأعضاء دفعوا هذا الرسم(١٣).

وكتب عزتلو عطا بك حسني في «المؤيد» عن الجمعية الصهيونية فقال: إن مهمة هذه الجمعية هي جمع الأموال الطائلة لمشترى تلك الأراضي الواسعة التي تدر اللبن والعسل، وإسكان فقراء اليهود الذين يتواردون عليها من أكثر الممالك التي تضطهدهم وتطردهم كدولة الروس وغيرها من الدول المتمدنة(١٤).

وتجدر الإشارة إلى أن الكتابات المنشورة في «الأهرام » والتي كانت تتعلق بالصهيونية وأهدافها خلال الفترة من ١٨٩٨ - ١٩٠٨ كانت حكرا على الصحيفة، وعلى بعض الكتاب العرب فقط، إذ لم يكن الكتاب الصهيونيون قد دخلوا حتى ذلك الوقت مجال الكتابة في هذا الموضوع على صفحات «الأهرام» ، ولذلك يمكن القول بأن مفهوم «الأهرام» وكتابه عن الصهيونية هو أنها ترمي إلى إنشاء مملكة إسرائيلية مستقلة في فلسطين، وقد حصلت هذه الفئة في تلك المرحلة على (٢٥ تكرارا بنسبة ٧٥,٧٥٪) (١٥)، ولكن تجدر الإشارة أيضا إلى أن معظم التعريفات التي قدمتها «الأهرام» كانت نقلا عما ينشر في الصحافة الأوربية.

ونظرا لأن الصهيونيين لم يكونوا قد دخلوا ميدان الكتابة حتى ذلك الوقت - كما اشرنا آنفا - ظلت السيادة لهذه الفئة على غيرها من الفئات - سواء في «الأهرام» أو في صحف الدراسة الأخرى.

ومع الإطاحة بالسلطان عبدالحميد، واستيلاء الإتحاديين على السلطة عام ١٩٠٩، دخل الصهيونيون ميدان الكتابة فى الصحف المصرية والعربية:

أولا: للرد على ما كان ينشر عن علاقتهم بالاتحاديين، وعن خطورة تلك العلاقة على مستقبل فلسطين.

وثانيا: تنفيذا للقرار الذى كانت قد اتخذته المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٩١١ بضرورة أن تستمر المنظمة فى جهودها لشرح معنى الحركة الصهيونية وأهدافها للعثمانيين بشكل صحيح، مع اتباع خط أكثر تشددا فى الدعاية، ينفى الأغراض السياسية للحركة ويشدد على المصلحة المشتركة للطرفين(١٦)، ولهذا سنجد أن الجدل احتدم خلال تلك المرحلة بين الكتاب العرب والصهيونيين، وقد انعكس هذا بدوره على الصحافة، وقد عبر أحد الكتاب فى «الأهرام» عن تزايد الاهتمام بالمسألة الصهيونية بقوله «كثر التحدث فى هذه الأيام بمسألة اليهود، وبحثهم عن وطن، حتى كدنا لا نرى جريدة إلا وفيها لمحة عن هذه الحركة، فبعضهم يبدى التخوف والحذر منها، ويجاهر بوجوب التيقظ والانتباه، وبعضهم يقول بتنشيطها، ويدعو لمساعدتها»(١٧).

وقد أدى دخول الصهيونيين ميدان الكتابة فى الصحافة العربية إلى ظهور تعريفات ومفاهيم جديدة للحركة الصهيونية، ومع ذلك فقد ظل التعريف القائل بأن هدف الصهيونية إنشاء دولة يهودية فى فلسطين يحظى بأعلى التكرارات فى صحيفة «الأهرام» (٢٦ تكرارا بنسبة ٨٧,٨٧٪ فى الفترة من ١٩٠٩-١٩١٧) بالمقارنة مع الفئات الأخرى منفردة.

وبالطبع كان القائلون بأن هدف الصهيونية إنشاء مملكة مستقلة فى فلسطين ينتمون إلى الجانب العربى اللهم إلا تكراران اثنان وردا فى كتابات أحد الإسرائيليين.

وتجـدر الإشـارة إلى أنه برز فى عـام ١٩٠٩ ثلاثة اتجـاهات فى صحيفة «الأهرام»: اتجاهان صهيونيان يميل الإتجاه الأول إلى إبراز وجود انقسام فى صفوف الصهيونيين فيما يتعلق بالبقعة التى سيختارونها لإنشاء الوطن اليهودى، ويصر الإتجاه الثانى على فلسطين دون سواها.

أما الإتجاه الثالث فهو الإتجاه العربى الذى مال إلى التأكيد على أن فلسطين هى وجهة الصهيونية.

وقد افسحت «الأهرام» صدرها للتعبير عن هذه الاتجاهات الثلاثة، وتوحى معالجتها للأخبار التى كانت تنشرها نقلا عن الصحافة الغربية أنها انخدعت بما كان يردده الصهيونيون عن وجود انقسامات فى صفوفهم، فقد كتبت بمناسبة انعقاد المؤتمر الصهيونى العالمى عام ١٩٠٩ أن الحركة الصهيونية يمثلها حزبان: حزب قائل بوجوب اتخاذ فلسطين دون سواها وطنا لبنى إسرائيل، وحزب قائل بالتعويل على أية بقعة من الأرض، لانهم يرون دون الوصول إلى امتلاك فلسطين مصاعب شتى(١٨)... كما أشارت إلى اقتراح «انكلترا» بالتخلى لهم عن أوغندا، ثم تحدثت عن مشروع استعمار بلاد ما بين النهرين، فنقلت عن جريدة «الطان» أن أحد المحسنين اليهود فاوض الحاخام الأكبر بشأن استعمار البقعة المجاورة لطرابلس الغرب، ولكن الحاخام نصحه باختيار بلاد ما بين النهرين أو سوريا أو فلسطين بسبب رداءة الطقس وقحط الأرض فى طرابلس الغرب.

من ناحية أخرى نشرت «الأهرام» خبرا يفيد بأنه عرض على جمعية اتحاد الصهيونيين الأمريكان المنعقدة فى نيويورك أن تشكل فى المدن الأمريكية الكبرى شركات لشترى الأراضى فى فلسطين واستعمارها، فلاقى هذا الإقتراح مقاومة شديدة لأن الجمعية خافت من حدوث مضاربات مالية(١٩).

وقد عمد بعض الكتاب الصهيونيين فى مصر إلى تغذية الإحساس بوجود انقسام فى أوساط الصهيونيين، فعلى سبيل المثال، ذكر هارون برجمان - فى معرض رده على صحيفة «الأهرام» حينما قالت: «ويقلع الشعب الإسرائيلى عنقه إلى فلسطين من كل حدب وصوب» - أن الشعب الإسرائيلى ليس على رأى واحد فى هذه المسألة، لأن الصهيونيين منقسمون الى قسمين: قسم يدعى« صهيونيين»، وهم ميالون لاستعمار فلسطين لا خلافها، وقسم يدعى« استعماريين»، وهم باحثون عن استعمار أية جهة سواء فلسطين أو خلافها.

وحتى يقلل من شأن الصهيونيين الذين يؤيدون استعمار فلسطين قال أن قوتهم أدبية فقط، وتتمثل فى كثرة عددهم، أما حزب الاستعماريين، فهم أقل عددا، وإنما أقوى ماديا، لأن أغلب أغنياء الشعب فى هذا الحزب، وبناء عليه، فانه لا يمكن استعمار فلسطين بدون قوة مادية كبيرة، وهذه القوة موجودة، ولكن ليس لصالح الفلسطينيين (أى أنصار استعمار فلسطين)[٢٠].

لقد كان من شأن مثل هذه الأخبار أن تخلق انطباعا لدى القارئ بعدم وجود اتفاق بين الصهيونيين حول أهدافهم الاستراتيجية، كما كان من شأنها خلق جو من التشوش وعدم التأكد.

ولم تكن «الأهرام» وحدها هى التى وقعت فى هذا المأزق، وإنما شاركتها صحف أخرى منها صحيفة «اللواء» - على سبيل المثال - فقد تحدثت عن الجمعية الصهيونية فقالت «فى أوربا والعالم المتمدين كله جمعيتان مؤلفتان من اليهود ومحبيهم غرض احداها - وتسمى الصهيونية - إنشاء دولة مستقلة من اليهود فى فلسطين حيث دالت دولتهم القديمة، وغرض الجمعية الأخرى - وهى فرع من الجمعية الصهيونية، انفصل عنها واستقل - إنشاء دولة يهودية مستقلة فى أى

جزء من العالم أى أنها لا تشترط أن يكون هذا الجزء فى فلسطين، وقد مضى نحو خمسة عشر عاما والجمعيتان تعملان مجدتان على تحقيق أمنية كل منهما، وقد بلغ عدد أعضائهما نحو مليون عضو، ويظهر أنهما اتفقتا أخيرا على رأى واحد بعد هذا الاختلاف الطويل، فإن الجمعية الصهيونية تنازلت عن غرضها باستعمار فلسطين، ورضيت الجمعية الأخرى باستعمار رفح القريبة من هذه البلاد»[٢١].

لاشك فى أن هذه الكتابات كانت تعكس حالة التشوش وعدم التأكد التى عانت منها الصحافة العربية فى ذلك الوقت، ومع ذلك فقد ظلت الرؤية واضحة أمام بعض الكتاب العرب فيما يتعلق بأهداف الصهيونية، فقط كتب يوسف جريس فروجى فى «الأهرام» عن الغاية من تأسيس الجمعية الصهيونية المعروفة « بالسيونيسم » - يقصد الصهيونية - وخلص إلى أن هدفها هو جعل البلاد الفلسطينية وطنا مستقلا، ومملكة حرة لليهود، واستند فى ذلك إلى أهم ما كتبه اليهود فى هذا الصدد وخصوصا كتاب «المملكة اليهودية» (كذا) L' ETAT أى الدولة اليهودية - الذى نشره هرتزل عام ١٨٩٥ (الصحيح ١٨٩٦) وإلى أقوال المشاهير من دعاة الحركة الصهيونية ورؤسائها.

واعتبر الكاتب رفض الصهيونيين استيطان أوغندا وأراضى ما بين النهرين ونصيحة الحاخام للمستر دوكتر بالعدول عن استعمار طرابلس الغرب، والالتفات إلى فلسطين، دليلا على اقتناع اليهود بأنه ليس إلا مملكة يهوذا تصح أن تكون وطنا، ويليق بها أن تضم تحت سمائها شعب إسرائيل التائه[٢٢].

وثمة كاتب آخر يدعى حبيب جرجس حوا أشار إلى أن المقالات التى تنشر فى «الصحافة المحلية»[٢٣] تحت عنوان «الحركة

الصهيونية» ترمى إلى غرض واحد وهو استعمار فلسطين وجعلها، محطا لإسرائيلى العالم بأسره(٢٤).

كذلك فقد كان جاك هرنشتين (يهودى) أكثر صراحة ووضوحا عن هارون برجمان، إذ تحدث عن أن اليهود لديهم أمل كبير فى الرجوع إلى أرض أجدادهم، وأن هذا الميل يزداد فى كل لحظة، وأنهم ورثوه... والاضطهادات قوته. وأشار إلى أن الصهيونيين الحقيقيين لم يتحولوا لأن لهم مبدأ لا يتغير وهو فلسطين(٢٥).

وإذا كان عام ١٩٠٩ قد تميز باحتدام الجدل على صفحات «الأهرام» بين الكتاب العرب والصهيونيين، فإن الفترة من عام ١٩١٠ـ ١٩١٢ تميزت بقلة الكتاب العرب، وكثرة كتابات الإسرائيليين فى صحيفة «الأهرام» فقد بلغ عدد المقالات التى نشرها اليهود خلال هذه الأعوام الثلاثة نحو ١٩ مقالا فى مقابل رسالة واحدة بتوقيع «كاتب مسلم» دافع بها كاتبها عن الإسرائيليين. وربما ترجع قلة المقالات المتعلقة بالمسألة الصهيونية وفلسطين إلى تجنب الصهيونيين إثارة القضايا الجدلية فى «الأهرام»، وتركيزهم على مسائل طائفية تتعلق بإصلاح أمور الطائفة اليهودية فى مصر، فى الوقت الذى احتدم فيه الجدل على صفحات «المقطم» فى عام ١٩١٢ بين الأمير شكيب أرسلان وبعض الصهيونيين حول علاقة اليهود بالدولة العثمانية،ومزايا الهجرة اليهودية وأضرارها، وكان من شأن هذه المناظرات أن تنتقل عدواها إلى صحيفة «الأهرام» ، ولكن عدم ظهور مثل هذه الموضوعات على صفحات «الأهرام» يجعلنا نفترض ان مساعى قد بذلت لديها لتجنب المسائل المثيرة للجدل فى موضوع الصهيونية.

ومما يدعم هذا الرأى ما جاء بالتقرير الخاص بمصر والمقدم إلى المؤتمر الصهيونى العالمى عام ١٩١٣، فقد جاء به أن الحركة الصهيونية فى مصر انتهجت الخطة التالية(٢٦).

أولا - نشر المقالات والمباحث فى الصحافة العربية الكبيرة لبيان ماهية الحركة.

ثانيا - توسيع نطاق عمل الحركة فى مصر، ثم إنشاء إدارة مركزية، مع نشر المنشورات والكتب التى تكفل انتشار الحركة.

وأشار التقرير إلى أن العلاقة مع الصحافة العربية لها لدى الصهيونيين منزلة مخصوصة. وأنه تم حل عدد وافر من الأمور الصغيرة، مما برهن على أنه «يهمنا أن يكون لنا صوت يتكلم فى الصحافة العربية فتفهمنا»

وأشار التقرير أيضا إلى المحاولات التى يبذلها الصهيونيين لإسكات المعارضين من العرب فقال : أن أحد زعماء العرب واساطينهم كتب يقول: إن الصهيونيين لن ينالوا شيئا، بل ستذهب متاعبهم كما ذهب أمس الغابر ما داموا لا يتفاهمون مع سكان البلاد - أى الفلسطينيين - ولكن بعد انقضاء بضعة شهور على ذلك، عاد هذا الزعيم فأعرب بعبارات ودية عن رأيه فى مهارة الإسرائيليين، وذلك بعد حصوله على المعلومات والإيضاحات اللازمة...

وذكر التقرير أن ذلك حدث أيضا مع عدد من أفاضل العرب وأكابرهم، كما حدث مع الصحافة العربية.

وفى ظل هذه المتغيرات بدأت مفاهيم وتعريفات أخرى للصهيونية فى الظهور على صفحات صحف الدراسة، أو فى الحصول على تكرارات أعلى، ولكن قبل أن نتناول هذه المفاهيم الجديدة ينبغى أولا أن نتعرف على مفهوم باقى صحف الدراسة للصهيونية وأهدافها.

إذا رجعنا إلى صحيفة «المقطم» سنجد أن مفهوم إنشاء دولة يهودية مستقلة فى فلسطين حصل فى الفترة من ١٨٩٧ ــ ١٩٠٨ على ٦ تكرارات فقط (بنسبة ١٨,١٨٪)، وفى الفترة من ١٩٠٩ ــ ١٩١٧ حصل على ١٠ تكرارات (بنسبة ٣٠,٣٪).

وقد ورد مفهوم إنشاء دولة يهودية فى فلسطين فى كتابات العرب والصهيونيين فى «المقطم» على السواء، فقد ذكر أمين أرسلان أن اليهود يسعون لتشييد المملكة القديمة وإعادة عزها خلافا لما جاء من أنهم سيبقون أمة منتشرة إلى يوم القيامة، ولكنه أشار إلى أن المملكة الإسرائيلية المستقلة التى يسعون لإنشائها فى فلسطين ستكون تحت الحضرة الشاهانية(٢٧).

كذلك فإن أستير مويال(★)ذكرت فى كلمة ألقتها فى «جمعية باركوخبا الصهيونية» أن لديهم الحق فى استرجاع وطنهم المسلوب واسترداد البلاد التى اغتصبت منهم منذ مئات السنين، ولكنها أوضحت أنهم لا يطلبون أن يكون ذلك الوطن مستقلا تمام الاستقلال، ولا أن يكونوا دولة محاربة...»(٢٨).

وهكذا ظلت الكتابات المنشورة فى «المقطم» تشير إلى أن هدف الصهيونيين استيطان فلسطين واسترجاع وطنهم المسلوب، وتشير فى الوقت نفسه إلى أن الهدف ليس الاستقلال عن الدولة العثمانية، إلا أن أحد الفلسطينيين الذين بدأوا ينشرون فى «المقطم» منذ عام ١٩١٤ وهو محمد عبدالرحمن العلمى أخذ فى التأكيد على أن هدف الصهيونية سياسى اقتصادى، مستشهدا بتصريحات زعمائهم القائلة بأنه ينبغى ألا يكون لهم غاية سياسية إلا فلسطين، وجعلها وطنا وعاصمة لهم.. بامتلاك فلسطين وجعلها مستعمرة يهودية بعد طرد أهلها منها... وأن فلسطين كانت للإسرائيليين فى الماضى، ويجب أن تكون لهم فى المستقبل...(٢٩).

وخلص العلمى من ذلك إلى أن هدف الصهيونيين الوحيد هو الاستقلال فى فلسطين وجعلها مباءة لهم[٣٠].

وكانت صحيفة «المؤيد» أقل اهتماما من «الأهرام» و«المقطم» بالمسألة الصهيونية، ولهذا حصل مفهوم إنشاء دولة يهودية فى فلسطين على (٦ تكرارات) فقط خلال فترة الدراسة، وقد عبرت الصحيفة عن ذلك المفهوم بعبارات منها «استعادة ملكهم»، و«استرجاع المملكة الإسرائيلية وتشييد دولتها» و«امتلاك فلسطين وإيجاد حكومة يهودية فيها»[٣١]... وغير ذلك.

وفى صحيفة «الأهالى» حصلت فئة إنشاء دولة مستقلة فى فلسطين على تكرارين فقط، فقد نقلت «الأهالى» عن صحيفة «التيمس» عام ١٩١١ «إن الحركة الصهيونية لم تلبث أن شفت عن رغبة اليهود فى التجمع فى فلسطين بقصد تحويلها إلى مملكة يهودية».

وعلى الرغم من إدراك «الأهالى» إن هدف الصهيونية هو تحويل فلسطين إلى مملكة يهودية، إلا أنها عادت فى عام ١٩١٤ ونقلت عن«المانشستر جارديان» أن هذه المسألة وصلت إلى حد لا يعرف منه أن كان المقصود أن تتحول إلى حركة سياسية ترمى إلى تكوين مملكة أو عشيرة مستقلة بنفسها فى داخل السلطنة، أو المقصود أن تبقى حركة علمية تهذيبية ترمى إلى إحياء اللغة العبرية ونشرها بين اليهود...»[٣٢].

وعلى الرغم من بوادر الشك التى لاحت فى معالجتها لما نقلته عن جريدة «المانشستر جارديان» عن مستقبل الحركة الصهيونية، فإنها خلصت إلى القول بأنه ليس هناك فارق كبير فى مسلك الحركة السياسية، والحركة التعليمية، وأن العشيرة التى تمكنت من تغذية

الشعور نحو الاتحاد على الشعور بالتعليم العام، لا يمكن أن تمتنع بعد زمن يسير عن الاندماج فى العمل السياسى(٣٣).

أما صحيفة «اللواء» فكانت أقل اهتماما بالمسألة الصهيونية ولذلك حصلت فئة إنشاء دولة مستقلة فى فلسطين فيها على تكرار واحد.

وفضلا عن فئة إنشاء دولة يهودية مستقلة فى فلسطين، كانت هناك فئة استعمار فلسطين، وسوف نتناول هذه الفئة بالتفصيل فى الفصل التالى.

ثانيا - هدف الصهيونية ليس اقامة دولة مستقلة فى فلسطين:

فى مقابل الفئة التى تحدثت عن أن هدف الصهيونية إقامة دولة مستقلة فى فلسطين، ظهرت فئة أخرى تنفى أن هدف الصهيونية إقامة مثل هذه الدولة، ولكن تكرارات الفئة الاخيرة كانت أقل بكثير من تكرارات الفئة الأولى، فقد سجلت الأفكار التى تنفى مباشرة أن هدف الصهيونية إقامة دولة مستقلة فى فلسطين ١٦ تكرارا (بنسبة ٦,٧٨٪)، ورد منها ١١ تكرارا (بنسبة ٤,٦٦٪) فى صحيفة «الأهرام» (١٠ تكرارات منها فى كتابات الصهيونيين، وتكرار واحد فى كتابات «الأهرام» فى حين ورد ٥ تكرارات (بنسبة ٢,١١٪) فى صحيفة «المقطم» ٤ تكرارات فى كتابات الصهيونيين، وتكرار واحد فى كتابات العرب) .

ففى «الأهرام» نفى سليمان يلين أن يكون هدف اليهود إقامة دولة مستقلة، وقال «إن اليهود مطمع آمالهم المعنويات، وليس لهم مطامع مادية ولذلك ما خطر على بالهم لزوم إقامة مملكة لشعب إسرائيل، وإرجاع مجده القديم، لأن الموسوى يعتقد اعتقادا راسخا بأن أمر استقلاله منوط بإرادة إلهية، وأن الله يرسل مسيحا لأجل انقاذه».

وأكد يلين أن اليهود بعيدون عن فكر الاستقلال الدولى، وأنهم يعلمون علم اليقين أنه من المستحيل إقامة ملك إسرائيل فى أرض الميعاد نظرا للأحوال السياسية التى لا تساعد على تحقيق هذا الأمل[٣٤].

ونقلت « الاهرام » عن نورمان بنتويش(★) قوله أن فعل الصهيونية العملى إنما هو إنشاء مستعمرة يهودية فى فلسطين، وأنه لا يخفى أن الصهيونيين عدلوا عن فكرة إنشاء مملكة يهودية بكل معناها السياسى بحيث يكونون مستقلين تمام الاستقلال... فنحن - أى الصهيونيين - نبغى أمة فى الرقى لا أمة فى السياسة[٣٥].

وفى «المقطم» كتب نسيم ملول: «إن هذا الفكر - وهو استعادة مجدنا القديم ومملكتنا المنشودة - لم يخطر لنا، لا سيما وأن نصوص ديننا تمنعنا من ذلك إلا حين مشيئة الله»[٣٦] ،كما كتب نسيم بن سهل «إن خرافة المملكة الموهومة بعيدة التحقق بل أبعد من كشف السحرة اليهود لكنوز سليمان[٣٧].

وبحث الصهيونى نسيم ملول فى إمكان وجود مملكة إسرائيلية بعيدا عن العقائد الدينية، وانتهى إلى استحالة إقامة مملكة إسرائيلية فى فلسطين، أولا: لأن الأراضى التى اشتراها اليهود هناك لا تكفى مساحتها لإقامة دولة عليها، وثانيا:لأن عدد المهاجرين اليهود بلغ ١٨٠ ألفا، وهذا العدد لايسمح لها بتكوين جيش يدافع عنها ضد خصومها، وخصوصا الدول الأوروبية التى تعارض عودة فلسطين إلى أيدى الإسرائيليين[٣٨]

ومن المدهش أن الأمير شكيب أرسلان الذى كان قد أعرب عن رأيه بأن هدف الصهيونية إعادة ملك فلسطين واسترجاع أرض الميعاد[٣٩] عاد وأيد الصهيونيين فى ادعائهم بأن هدفهم ليس إنشاء

دولة صهيونية فكتب يقول(٤٠): «أظن أن الإسرائيليين الموصومين بالذكاء هم أحسن فهما من أن يأملوا إحراز فلسطين، وتجديد دولة ومملكة فيها، وهم بين المسلمين والنصارى»، ولهذا رأى عدم جواز التخوف من دولة صهيونية، وعد هذا التوهم وسواسا فى غير محله، ورأى عدم الانقباض من اليهود وعدم التعنت فى دخولهم فلسطين.

وفيما عدا ذلك ضمت هذه الفئة ثلاث فئات فرعية نفت بطريقة غير مباشرة أن يكون هدف الصهيونية إنشاء دولة مستقلة فى فلسطين وهى(٤١):

أ - إن هدف الصهيونية إنشاء مملكة إسرائيلية تحت السيادة العثمانية (١١ تكرارا بنسبة ٤,٦٦٪)، فقد كتب نسيم بن سهل فى «الأهرام» يقول «إننا لو تشوقنا إلى ارتجاع أرض بنى إسرائيل.. فذلك كى نستعمرها بسواعدنا الماضية، وليس الغرض كما تتوهمون أن نعمل فى المستقبل على بترها من وحدة المملكة التى هى مناط أمننا»(٤٢).

وكتب جاك هرنشتين فى «المقطم»: «إن زعماء الصهيونية لم يفكروا فى أخذ فلسطين ليستقلوا بها، بل هم يريدون السكنى فيها تحت رعاية الدولة العثمانية، ومصادقة الدول على ذلك لأنها أرض أجدادهم»(٤٣).

ورد هـ.اسايس على ما قيل من أن الإسرئيليين يمدون الحكومة العثمانية بالمال مقابل إعطائهم استقلالا داخليا فى فلسطين، بأن الاستقلال حديث خرافة، وأنه ليس من أمانى الصهيونيين فى شىء، وأن أهم مقاصد الصهيونيين إحياء تلك الأراضى الواسعة فى فلسطين، مع الغيرة والمحافظة على حياة الدولة العثمانية(٤٤).

ب - إن هدف الصهيونية إيجاد ملجأ فى فلسطين لليهود المضطهدين ، وقد حظى هذا الهدف بنحو ١٠ تكرارات بنسبة ٢٤,٤٪، فقد أكد جاك هرنشتين أن غرض هرتزل المؤسس الأول للحركة الصهيونية كان استيطان أرض يحتمى فيها الإسرائيليون من الاضطهاد الذى يلاقونه فى كثير من البلدان(٤٥).

ونقل نسيم بن سهل فى «الأهرام» عن دافيد ولفسون رئيس المؤتمر الصهيونى أنه «ليس ثمة غير الجهل أو حب الأذى الذى يحمل المرء على القول بأننا نتمنى ونعلل نفوسنا بفصل فلسطين عن السلطنة العثمانية».

وفى محاولة لدحض الدليل الذى يستند إليه خصوم الصهيونية فى ادعائهم بأن الصهيونية تسعى إلى إنشاء دولة مستقلة - وهو كتاب هرتزل «الدولة اليهودية» - قال ولفسون أن هرتزل لم يكن يعلم شيئا من الصهيونية عندما كتب هذا الكتاب، ولكن حين ابتدأت علاقته مع الصهيونيين وحين عقدوا مؤتمر بال تحت رئاسته غير هرتزل موقفه. وهنا لجأ ولفسون إلى الكذب فادعى أن المؤتمر الصهيونى الأول برئاسة هرتزل قرر أن الصهيونية ترمى إلى إيجاد ملجأ للاسرائيليين، ولم يقل مملكة(٤٦).

وكتب أحدهم فى صحيفة «المقطم» بتوقيع إسرائيلى يقول: إن الجمعية الصهيونية همها الوحيد جمع المال وتوحيد كلمة الإسرائيليين على اختلاف بلدانهم ولغاتهم وجمعهم فى بلد واحد أمين يحصنونه أعظم تحصين بحيث لا يستطيع أحد مهاجمتهم(٤٧).

ومن الواضح أن معظم الكتاب الذين حرصوا على نفى رغبة اليهود فى إنشاء دولة مستقلة فى فلسطين، وأكدوا رغبتهم فى العيش

فى فلسطين تحت السيادة العثمانية، تحدثوا عن أن هدف الصهيونية إيجاد ملجأ لليهود فى فلسطين تحت حماية الدولة العثمانية (٤٨).

جـ ـ اختصت الفئة الفرعية الثالثة بالحديث عن أن هدف الصهيونية إنشاء مركز أدبى، واقتصادى، علمى فى فلسطين، وقد حصلت هذه الفئة على ١٠ تكرارات مثل سابقتها بنسبة ٤,٢٥٪.

ثالثا ـ هدف الصهيونية انشاء وطن تضمنه شرائع وثيقة:

حصلت هذه الفئة على ٩ تكرارات(بنسبة ٣,٨٣٪)، وقد استخدم الكتاب الصهيونيون عبارات متعددة لوصف هذا الوطن، فقد قال بعضهم إنشاء وطن قومى، وقال البعض الآخر إنشاء وطن تضمنه شرائع وثيقة، أو وطن يضمنه «القانون العام» والعبارة الأخيرة هى التى وردت فى برنامج «بال» عام ١٨٩٧ .

وعلى الرغم من أنه كان يقصد«بالقانون العام» القانون الدولى، بمعنى أن يحصل الوطن اليهودى على مصادقة الدول عليه واعترافها به فى إطار القانون الدولى، فإن الكتاب الصهيونيين لجأوا إلى المراوغة والتضليل، فقد فسر أحد زعمائهم عبارة «القانون العام» بأنها تعنى الدستور العثمانى، إذ صرح ولفسون رئيس المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٩١٣ بأن القانون العثمانى سيكون محجة مشروعاتهم برمتها.. وأنه بالدستور يحصل الصهيونيون على ضمانات اطمئنانهم الوطنى، وكفالات الأمن لاشخاصهم(٤٩) .

وقد أمكن حصر بعض الأهداف الصهيونية التى حصلت على تكرارات بسيطة ضمن فئة أخرى تذكر، فقد جاء «بالمقطم» أن هدف الصهيونية هو: نقل اليهود إلى فلسطين (٥ تكرارات بنسبة ٢,١٢٪)، وخلق أمة يهودية وتكوين شعب يهودى (٤ تكرارات بنسبة ١,٧٪)،

وإسعاد فلسطين وإحياؤها (٣ تكرارات بنسبة ١,٣٪) وغيرها، أما فى «الأهرام» فقد اشتملت فئة أخرى على: هدف الصهيونية تأليف أمة يهودية (٦ تكرارات بنسبة ٢,٥٥٪)، هدف الصهيونية جمع شتات إسرائيل وإرجاع اليهود إلى فلسطين (٥ تكرارات بنسبة ٢,١٢٪).

وفضلا عن ذلك فقد وصفت بعض التعريفات الجمعية الصهيونية بأنها جمعية خيرية، كما وصفت الصهيونية بأنها حركة وطنية، إنسانية، اجتماعية، ديمقراطية، إنشائية.

وعلى أية حال فانه على الرغم من حرص الصهيونيين على عدم الكشف عن هدفهم الحقيقى وهو إنشاء دولة يهودية مستقلة فى فلسطين، ولجوئهم إلى استخدام بعض المصطلحات الغامضة أو المطاطة التى يمكن تفسيرها تفسيرات متعددة لإخفاء نواياهم الحقيقية مثل: الوطن والأمة والجنسية، إلا أن هذه المصطلحات كانت تقود فى النهاية إلى هدفهم الحقيقى.

فالوطن هو صورة من صور الدولة، أو مرحلة من مراحلها، فالوطن يفترض وجود أرض، ووجود شعب، فى حين يمكن ان تكون السلطة السياسية خاضعة للوصاية، وباختصار فإنه لا دولة بدون وطن.

وقد تسترت الحركة الصهيونية وراء اصطلاح الوطن القومى اليهودى الذى كان يعنى إقليم فلسطين. ويقوم ادعاء الصهيونية بشأن حق اليهود فى إقامة وطن قومى فى فلسطين على أساس أن اليهودية ليست دينا وعقيدة فحسب، بل قومية متميزة بجنسها البشرى وثقافتها وتاريخها، ومن ثم كان لليهودية مظهر سياسى يمنح الشعب الذى ينتسب إليها الحق فى إقامة كيان سياسى له أهم مقومات الدولة وهو الإقليم، ونظرا للصلة التاريخية ـ كما تدعى الصهيونية ـ

بين اليهود وفلسطين، يكون من حق اليهود إقامة هذا الكيان السياسى أو الوطن القومى اليهودى فى إقليم فلسطين(٥٠).

والجنسية هى إحدى مظاهر الدولة، وهى تعنى تحديد نطاق القانون الخاص بالدولة على أفراد معينين بصفتهم الشخصية أو الاعتبارية، والجنسية هى ايضا مظهر من مظاهر السيادة بالنسبة للدولة.

أما الأمة فهى نوع من الرابطة الثقافية والاجتماعية واللغوية والتاريخية التى سعى اليهود إلى خلقها لإعطاء أنفسهم مكانا بين دول العالم، وطالما كان هناك أمة أو شعب يحمل ملامح الأمة من خلال الارتباط الاجتماعى والتاريخى والثقافى واللغوى، يكون له الحق فى المطالبة بتقرير المصير، وهذا هو ماسعت إليه الصهيونية من خلال محاولاتها لخلق أمة أو شعب إسرائيلى.

من هنا فإنه ما ان اعترف مؤتمر الأجناس عام ١٩١٤ بالإسرائيلية كجنسية حتى كشف أحد الصهيونيين عن نواياهم الحقيقية فكتب فى «الأهرام» يقول: من أخبركم أن ظهور حركة اجتماعية عظيمة منتشرة فى العالم، ولها أنصار عديدون فى هذا الزمن كالحركة الصهيونية ليس مظهرا لإرادة الله، وأن الله لم يرغب إليهم مساعيهم لينفذوا إرادته، ويحقق قوله: «وأرد سبى شعب إسرائيل ويهوذا وأرجعهم إلى الأرض التى أعطيت لآبائهم فيتملكونها» (الإصحاح الثلاثون) (٥١) .

وهكذا نجد أنه بعد أن كان الصهيونيون ينفون علاقتهم بالدين، للرد على ادعاءات الكتاب العرب بأنهم يسعون إلى تنفيذ نبوءات التوراة، نجدهم يعتبرون الصهيونية مظهرا لإرادة الله، لتنفيذ وعده لشعب إسرائيل.

وإذا اعتبرنا الوطن والجنسية والأمة مقدمة لإنشاء الدولة المستقلة، فإن ذلك يعنى إضافة ١٠ تكرارات أخرى إلى فئة انشاء دولة مستقلة في فلسطين لتصبح (٨٥ تكرارا بنسبة ٣٦٪) بدلا من(٧٦ تكرار بنسبة ٣٤ر٣٢٪).

تقدم الحركة الصهيونية:

وفضلا عن الحديث عن مفهوم الصهيونية وأهدافها تطرقت صحف الدراسة إلى الإشارة إلى تقدم الحركة الصهيونية، فقد ذكرت «الأهرام» في معرض حديثها عن الاجتماع الذى أقامه الصهيونيون في قاعة السنديكا بالقاهرة عام ١٩٠٩ أن الحركة الصهيونية تتناول الآن جميع الشعب الإسرائيلى فى جميع جهات الارض[٥٢].

وأشارت فى مقال آخر إلى أن الحركة الإسرائيلية نمت وكبرت في هذه الأيام، وهى تمتد يوما فيوما، كما أشار يوسف جريس فروجى في «الأهرام » إلى أن لفتة إلى البلاد الفلسطينية تظهر أن هذه الحركة وهذه المبادىء آخذة فى النمو[٥٣].

وفى «المقطم» أشار كاتب رمز لنفسه بتوقيع «إسرائيلى» أن للصهيونية ألفى جمعية كلها منظمة أحسن تنظيم، وفيها من الأعضاء ما يزيد على مليونى عضو، بينهم كثير من خيار الناس وأعاظمهم وأبعدهم شهرة، كما أشار إلى أن أكثر المستعمرات الإسرائيلية فى فلسطين نجحت نجاحا عظيما، ونفعت كثيرا من المهاجرين، وحالها الآن يبشر بمستقبل عظيم فيه خير عميم للدولة العثمانية[٥٤].

واوردت « الأهرام» تصريحا لنورمان بنتويش قال فيه: «لا أعتقد بتقهقر الصهيونية - كما يزعم المناقضون، وما يسمونه تقهقرا إنما هو تحول المشروع من حيز الآراء المتضاربة إلى حيز الفعل العملى، وفعل الصهيونية العملى إنما هو إنشاء مستعمرة يهودية فى فلسطين،

وإنعاش اليهودية فى اللغة العبرية وفى مدة العشر سنين السابقة ازداد عدد اليهود زيادة محسوسة فى فلسطين، وانتشرت اللغة العبرية، وما زلنا نبذل الجهد لجعل فلسطين قطرا يهوديا - فى زيادة عدد السكان وفى الرقى..»[٥٥].

وعبر أحد اليهود عن تقدم الصهيونية فى مصر فقال: « دعيت إلى حضور اجتماع صهيونى بسينما توغراف بالاس فى الظاهر [٥٦]، فذهبت، فصادفت ما يفوق ما كنت أتوقعه، حتى انى بعد ان كنت مرتابا فى نجاح مساعينا صرت متأكدا، بل ضامنا تحقيق آمالنا...»[٥٧]، وأشار كاتب آخر إلى تزايد النشاط الصهيونى فى مصر، وكيف أن مندوبى الصهيونية يمرون على المدارس الإسرائيلية لإلقاء دروس عن حقيقة الصهيونية، وما يجب على كل إسرائيلى عمله لتنشيطها ومساعدتها[٥٨]، وكتب«صهيونى» عن ازدهار الصهيونية فى أوساط اليهود فى مصر، فأشار إلى حفل افتتاح المكتبة اليهودية بالقاهرة، واعتبره دليلا على أن إسرائيلى مصر بدأوا يستيقظون من عميق كراهم، ويلتمسون الحياة غير مكتفين بالوجود، لأنه يجب على اليهود أن يعودوا إلى حظيرة اليهودية أولا.. كما أشار إلى أن يهود مصر نجحوا فى أن يرسلوا ثلاثة مندوبين عنهم إلى المؤتمر الصهيونى العالمى عام ١٩١٣، ذلك المؤتمر الذى توقع أن يكون له شأن عظيم بالنظر إلى اتساع الحركة[٥٩].

وفى أثناء انعقاد المؤتمر الصهيونى العالمى عام ١٩١٣ تلى تقرير عن تقدم الصهيونية فى مصر، جاء به «إن ترقية الصهيونية فى مصر له لدينا معنى خاص بالنظر لمجاورة البلاد المصرية لفلسطين»، ثم ذكر التقرير الخطط الثلاث التى تم اتباعها من أجل ترقية الصهيونية فى البلاد المصرية.

وقد نبه مندوب الصهيونيين فى مصر إلى المؤتمر إلى أن «الحركة الصهيونية فى مصر تأثرت أفضل تأثر من جوار بقاع فلسطين لها»، ودعا إلى وجوب العناية بمصر عناية خاصة لأنها مهد الحركة العربية وميدانها[٦٠].

ونبه كاتب عربى رمز لنفسه بتوقيع «عابر سبيل» إلى أن الجمعية الصهيونية أصبحت نقابة دولية منتشرة فى الكرة الارضية.. واستند كاتب عربى آخر إلى التقارير التى تليت فى المؤتمر الصهيونى الثالث عشر والتى دلت على نجاح الجمعيات الصهيونية وتكاثر عدد المنتظمين فى سلكها، كما أشار إلى تقدم الصهيونية فى فلسطين فذكر انه تم شراء أراضى والقيام بأعمال جليلة خطيرة بالأموال التى جمعت»[٦١].

وعلى الرغم مما نشرته «الأهرام» عن هدف الصهيونية، وعن تقدمها سواء فى فلسطين أو على مستوى العالم، نجدها تذكر فى عام ١٩١٢ أن هدف المنظمة اليهودية إنسانى[٦٢]، وحينما طرحت هذا التساؤل «هل يستطيع الإسرائيليون أن يجمعوا الملايين من أبناء جنسهم لحشرهم فى فلسطين؟» كانت النتائج التى توصلت إليها عكس المقدمات المتوفرة لديها.

فقد كانت الإجابة فى رأى «الأهرام» أن ذلك غير ممكن للأسباب الآتية[٦٣]:

١ـ أن الشغوفين منهم بحب فلسطين قليلون، وهم من المتحمسين الدينيين.

٢ـ أنه لا يوجد فى فلسطين مرتع مالى أو تجارى، فى حين أن الإسرائيليين منصرفون إلى المالية والتجارة، ولا نعرف أحدا منهم

يشتغل بالزراعة والأشغال اليدوية، ولذلك فإن مزارع الإسرائيليين فى فلسطين كادت أن تبور لأن الذين أرسلوا لاستعمارها يكرهون العمل بالأرض، فإذا جمع الواحد منهم قليلا من المال غادر تلك الديار.. ليشتغل بغير الزرع.

وأعربت «الأهرام» عن اعتقادها بأنه لو حشر الإسرائيليون فى فلسطين لما مكثوا إلا قليلا لأن هذه «الطائفة الكريمة ـ على حد قولها ـ فقدت قوة استعمار الأرض بالأعمال اليدوية.. وأضافت أنه لو كان مطمع الإسرائيليين صحيحا وممكنا تحقيقه لما هجر سوريا من كان فيها من الإسرائيليين، بل لما هجر فلسطين من كان فيها من المستعمرين.»(٦٤).

وقد يفهم البعض مما نشرته «الأهرام» أنها كانت ضالعة مع الصهيونيين، ولكن يبدو أن «الأهرام» انخدعت بما كانت تردده الدعاية الصهيونية فى ذلك الوقت بهدف تهدئة مخاوف العرب، أو أنها كانت تعبر عن أمنياتها الخاصة بهذه الكلمات، أو أنها أرادت تثبيط همم الصهيونيين واليهود فى مصر والبلاد العربية ـ وهذا هو الأرجح ـ ولهذا فقد تعرضت الصحيفة للهجوم من جانب بعض الصهيونيين الذين رأوا فيما نشرته دعاية مضادة لهم، وتولى هارون برجمان الرد على«الأهرام» وتفنيد ماجاء بمقالها على النحو التالى:ـ

١ـ إن الأطيان الموجودة بيد اليهود فى فلسطين مشغولة باجتهاد زائد سنويا: بيد اليهود القاطنين فيها من مدة ثلاثين سنة، وأيضا بيد الفعلة الحاضرين حديثا من بلاد روسيا وخلافها.

٢ـ إن عدد المستعمرات اليهودية يزيد ـ فى ذلك الوقت ـ على ٢٥ مستعمرة فيما عدا ما كان منها من تأسيس البارون روتشيلد، أو من تأسيس جمعية الاتحاد الاسرائيلى، أو من تأسيس اليهود أنفسهم.

٣ـ إن اليهود الشبان الذين تركوا فلسطين ليس لعدم رغبتهم فى العمل بالزراعة، بل من ظلم الحكومة السابقة التى كانت تستبد بالفلاحين.. وذكر برجمان أنه كان أحد الذين تركوا فلسطين بعد أن أسند مسئولية الأرض إلى والده، ولكنه ينوى العودة اليها.

مماسبق يتضح لنا أن صحف الدراسة، التى كانت من كبريات الصحف فى مصر فى تلك الفترة، كانت على علم بأهداف الصهيونية ونواياها التى تتلخص فى اقامة دولة يهودية فى فلسطين ، كما كانت على علم، بالتقدم الذى كانت تحرزه هذه الحركة مع مضى الوقت، سواء فى مصر، أو فى فلسطين، أو على مستوى العالم ومع ذلك كان تنبيهها للرأى العام العربى والمصرى لا يتناسب وحجم هذا الخطر الذى بدا واضحا فى الأفق ، هذا فضلا عن أن الرأى العام العربى والمصرى لم يكن مؤهلا لعمل أى شىء بسبب انغماس كل دولة فى قضاياها ومشكلاتها الخاصة .

هوامش الفصل الثالث

(1) Patai, Rafael: Encyclopedia of Zionism and Israel, Herzl Press, New York, 1971, Vol. I. P. 205.

(٢) كانت الحركة الصهيونية تعقد مؤتمرا سنويا كل عام منذ سنة ١٨٩٧، ولكن ابتداء من عام ١٩٠٣ اخذت تعقده كل عامين، وقد توقف انعقاد هذه المؤتمرات فى أثناء الحرب العالمية الأولى.

(٣) الأهرام فى ١٧ ديسمبر فى ١٨٩٨ العدد ١٣٠٦ ص ١ .

(٤) انظر الجدول بالملحق رقم (٢).

(٥) صحيفة الأهرام فى ١٧ ديسمبر ١٨٩٨ العدد ٦٣٠٦ ص١.

(٦) المصدر السابق فى ٢٩ ابريل١٨٩٩ العدد ٦٤١٥ ص١.

(٧) المؤيد فى ١٨ يوليو ١٨٩٩ العدد ٢٨١٥ «القدس» ص٢.

(٨) الأهرام فى ١٩ ديسمبر ١٩٠٠ العدد ٦٩٢٠ «الصهيونيون»ص١.

(٩) المصدر السابق فى ٢٥ يولية ١٩٠١ العدد ٧٠٩٧ «لندرا - لمكاتبنا الخصوصى» ص١.

(١٠) المصدر السابق ٤ يناير ١٩٠٢ العدد ٧٢٣٥ ص١.

(١١) المصدر السابق ٢٨ مايو ١٩٠٣ العدد ٧٦٥٤ «الحركة الصهيونية بإنجلترا» ص١.

(١٢) المصدر السابق ٢٣ اغسطس ١٩٠٧ ٨٩٤٩ «الجمعية الصهيونية» ص١.

(١٣) المقطم فى ٩ سبتمبر ١٩٠٣ العدد٤٣٩٤ «الجمعية الصهيونية» ص١.

(١٤) المؤيد فى ١٣ ديسمبر ١٩٠٤ العدد ٤٤٣٨ «استعمار فلسطين» ص١.

(١٥) انظر ملحق رقم (٢).

(١٦) خيرية قاسمية: مرجع سابق ص٥١ ـ ٨٩.

(١٧) الأهرام فى ٦ يولية ١٩٠٦ العدد ٩٥١٦ «الإسرائيليون فى فلسطين» ص١.

(١٨) المصدر السابق فى ٩ يونيو ١٩٠٩ العدد ٩٤٩٣ «الإسرائيليون يبحثون عن وطن لهم».

(١٩) المصدر السابق فى ٢٥ يونيو ١٩٠٩ العدد ٩٥٠٧ «الحركة الصهيونية».

(٢٠) المصدر السابق فى ٨ يوليو ١٩٠٩ العدد ٩٥١٨ «الحركة الصهيونية».

(٢١) اللواء فى ٩ ابريل ١٩١١ العدد ٣٥٥٣ «اليهود فى رفح».

(٢٢) الأهرام فى ٦ يوليو ١٩٠٩ العدد ٩٥١٦ «الإسرائيليون فى فلسطين» ص١.

(٢٣) لم يذكر الكاتب ما يعنيه بالصحف المحلية: هل هى الصحف التى تصدر فى فلسطين أم فى مصر، ومن المرجح أنه كان يقصد الصحافة المصرية لأنه نشر مقاله هذا الذى يحمل فى طياته طابع التوضيح أو الرد فى صحيفة مصرية.

(٢٤) المصدر السابق فى ١٢ يولية ١٩٠٩ العدد ٩٥٢١ «استعمار فلسطين» ص١.

(٢٥) المصدر السابق فى ٩ يولية ١٩٠٩ العدد ٩٥١٩ «الحركة الصهيونية».

(٢٦) المصدر السابق فى ١٦ سبتمبر ١٩١٣ العدد ١٠٨٠٦ «المؤتمر الصهيونى (٢)» ص٢.

(٢٧) المقطم فى ٢٣ اكتوبر ١٨٩٧ العدد ٢٦١١ «مملكة صهيون» ص١.

(★) استير مويال صحفية يهودية كانت تقيم بمصر ، وأصدرت بالقاهرة مجلة « العائلة » عام ١٨٩٩، وحاولت أن تجعل منها مجلة كل عائلة مصرية بصفة عامة ، وجريدة الاسرائيليين الوحيدة بصفة خاصة اعتنقت الأفكار الصهيونية ، وهاجرت الى فلسطين حيث أصدرت هى وأخوها شمعون مويال جريدة «الأخبار » فى يافا عام ١٩١٣ .

(٢٨) المصدر السابق فى ٢٣ فبراير ١٩٠٢ العدد ٤٣٣٠ «شراء الإسرائيليين فلسطين» ص١.

(٢٩) المصدر السابق فى ٢٢ مايو ١٩١٤ العدد ٧٨٤٨ «زعماء الصهيونية» ص١.
(٣٠) المصدر السابق فى ٦ مايو ١٩١٤ العدد ٧٦٣٤ «الصهيونية فى فلسطين» ص١.
(٣١) المؤيد فى ١٣ ديسمبر ١٩٠٤ العدد ٤٤٣٨ «استعمار فلسطين» ص١.
وفى ١١ اغسطس ١٩١٠ العدد ٦١٤٢ «مستقبل فلسطين» ص١.
وفى ٥ أكتوبر ١٩١٣ العدد ٧١٠٠ «مدرسة صهيونية جامعة فى فلسطين» ص٤.
(٣٢) الأهالى فى ٢٦ ابريل ١٩١١ العدد ١٥٦ «الحركة الصهيونية فى تركيا» ص١.
(٣٣) المصدر السابق فى الأول من فبراير ١١٤ العدد ٩٩٥ «الصهيونية والسلطنة العثمانية» ص١.
(٣٤) الأهرام فى ٨ مارس ١٩١١ العدد ١٠٠٧ «اليهود فى فلسطين» ص١.
(★) نورمان بنتويش صحفى صهيونى كان يعمل محررا لصحيفة « جويش رفيو» الصهيونية
(٣٥) المصدر السابق فى ١٢ اغسطس ١٩١١ العدد ١٠١٦٠ «معنى الصهيونية» ص١.
(٣٦) المقطم فى٢١ يولية ١٩١٠ العدد ٦٤٨١ «الإسرائيليون والدولة العثمانية» ص٤.
(٣٧) المصدر السابق فى ١٠ فبراير ١٩١٢ العدد ٦٩٥٣ «اليد الإسرائيليه فى البلاد العثمانية» ص١.
(٣٨) المصدر السابق فى ١٥ مايو ١٩١٤ العدد ٦٧٤٢ «الحكاية الصهيونية» ص٢.
(٣٩) الأهرام فى٢٩ ابريل ١٨٩٩.

(٤٠) المقطم فى ٢٦ يناير ١٩١٢ العدد ٦٩٣٩ «ولم يبق بد من الجواب» ص٤.

(٤١) انظر ملحق رقم (٢).

(٤٢) الأهرام فى ٢٠ يونيو ١٩٠٩ العدد ٩٥٢٨ «خطاب مفتوح الى الأهرام» ص١.

(٤٣) المقطم فى ٢٦ يونيو ١٩٠٩ العدد ٦١٥٥ «استعمار فلسطين» ص٢.

(٤٤) المصدر السابق فى ٢٧ اكتوبر ١٩١٤، العدد ٧٧٨٢، «مقاصد الصهيونيين» ص٢.

(٤٥) المصدر السابق فى٢٦ ١٩٠٩.

(٤٦) الأهرام فى ٢٦ اغسطس ١٩١١ العدد ١٠١٧٢ «القول المبين فى مؤتمر الصهيونيين»، ص١.

(٤٧) المقطم فى ٢٢ يونيو ١٩٠٩ العدد ٦١٥٢ «استعمار فلسطين» ص١.

(٤٨) المصدر السابق فى ٢٦ يونيو ١٩١٠٩ العدد ٦١٥٥ «استعمار فلسطين» ص٢.

(٤٩) المصدر السابق فى ٢٣ يونيو ١٩٠٩.

(٥٠) أحمد عطية الله : القاموس السياسى ، الطبعة الرابعة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٠ ص ١٧٣٤

(٥١) الاهرام فى ٢ يولية ١٩١٥ العدد ١١٤١٣ ص ١

٥١٢) الأهرام فى٥ يوليو ١٩٠٩، العدد ٩٥١٥ «الحركة الصهيونية» ص٢.

(٥٣) المصدر السابق فى ٩ يولية ١٩٠٩ العدد ٩٤٩٣.

(٥٤) المقطم فى ٢٦ يونية ١٩٠٩ العدد ٦١٥٥ «استعمار فلسطين» ص٢.

(٥٥) الأهرام فى ١١ مارس ١٩١١ العدد ١٠٠٣٠ «الصهيونيون فى مجلس المبعوثان».

(٥٦) حى فى القاهرة كان يكثر فيه سكن اليهود من الطبقة المتوسطة.

(٥٧) الأهرام فى ٥ اكتوبر ١٩١٢ العدد ١٠٥١٨ «نهضتنا الإسرائيلية».

وفى ١٢ يونية ١٩١٣ العدد ١٠٧٥١ «الحركة الصهيونية».

(٥٨) المصـــدر الســـابق فى ١٦ ســبـتـمـبـر ١٩١٣ الـعـدد ١٠٨٠٦ «المؤتمر الصهيونى(٢)».

(٥٩) المصدر السابق.

(٦٠) المصـــدر الســـابق فى ٢٣ ســبـتـمـبـر ١٩١٣ الـعـدد ١٠٨١٢ «المؤتمر الصهيونى(٣)».

(٦١) المصدر السابق فى ١٢ يوليو ١٩١٣ العدد ١٠٧٥١ «الحركة الصهيونية».

(٦٢) المصدر السابق ٥ اكتوبر ١٩١٢ العدد ١٠٥١٨ «نهضتنا الإسرائيلية».

(٦٣) المصدر السابق ٥ يوليو ١٩٠٩ العدد ٩٥١٥ «الحركة الصهيونية» ص٢.

(٦٤) المصدر السابق فى ٨ يولية ١٩٠٩ العدد ٩٥١٨ «الحركة الصهيونية».

الفصل الرابع

موقف الصحافة المصرية
من الهجرة اليهودية إلى فلسطين

موقف الصحافة المصرية
من الهجرة اليهودية إلى فلسطين

أولا مفهوم الاستعمار الصهيونى لفلسطين :

رأينا فى الفصل السابق أن صحف الدراسة أدركت منذ انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ أن هدف الصهيونية كان إنشاء دولة مستقلة لليهود فى فلسطين، ومع ذلك فقد تحدثت هذه الصحف فى الوقت نفسه عما أسمته باستعمار الاسرائيليين لفسلطين، وقد احتلت هذه الفئة نسبة لا بأس بها فى صحف التحليل، فقد جاءت فى الترتيب الثانى بعد فئة إنشاء دولة يهودية فى فلسطين - وبفارق ضئيل - إذ حصلت على نحو ٦٨ تكرارا بنسبة ٢٨,٣٪ فى حين سجلت الأولى ٧٦ تكرارا بنسبة ٣١,٧٪.

ونحن إذا ما حاولنا التعرف على مفهوم كلمة «استعمار» سنجد أنه تم التعبير عنها فى اللغة الانجليزية بلفظين مختلفين، لكل منهما مدلول يختلف عن الآخر وهما كلمتى Imperialism و Colonialism وكلمة استعمار Imperialism فى الأصل اللاتينى هو «امبريوم» Im-perium وتعنى سلطة عسكرية، ومن هذا اللفظ اشتق لقب «امبراطور» Imperator ومعناه قائد عسكرى له سلطة تتجاوز سلطة الحرب، وكان يسمح له بممارسة هذه السلطة داخل مدينة روما، ولم يكن لغيره من القادة العسكريين حق ممارسة هذه السلطة، وقد استخدمت كلمة «امبرياليزم» فى دوائر المعارف الغربية على انها تعنى امتداد سلطة دولة أو أمة ونفوذها الى أمم أخرى أو جماعات من الناس(1).

وتذكر «موسوعة كوليرز» انه تندرج تحت هذا التعريف الشامل درجات من السلطة الاستعمارية. فبعض الكتاب يحصرون الاستعمار

فى السلطة الارضية، وهو ما يعنى امتلاك المستعمرات، او فى الهيمنة السياسية الكاملة على دولة أصغر، ومثل هذه السيطرة عادة ما تشمل تعديل البناء الحكومى للدولة او الارض التى تمت السيطرة عليها، ثم انتظامها فى تنظيم سياسى تابع للسلطة الاستعمارية المسيطرة(٢).

اما كلمة استعمار Colonialism فهى قريبة فى الترجمة من مدلول كلمة «كولونيالية»، حيث ان الأصل اللاتينى لها Colonolia ويعنى مستوطنة فى منطقة نائية هاجر إليها عدد من المواطنين الرومان، مع تبعيتهم للسلطة الرومانية..

وقد استخدمت كلمة «كولونياليزم» فى أواخر القرن الثامن عشر كسمة شخصية لهذه المستعمرات، أو للتعبير عن الوضع السياسى للأقاليم التابعة او المنفصلة عن الدولة الأم، ولكن ندر استخدام كلمة «كولونياليزم » بمعنى النظام الاستعمارى ، الا أن استخدام هذه الكلمة مؤخرا بهذا المعنى كان نتيجة لتبنيها كجزء من الذخيرة الكلامية لعصر تصفية الاستعمار، وهكذا عانت كلمة «كولونياليزم» من نفس مصير كلمة «امبرياليزم» التى استخدمها منتقدو التوسع الأوروبى لخدمة أغراض أيديولوجية بعد عام ١٩٠٠، والتى أطلقت على عمليات ضم الأراضى لخدمة المصالح الاقتصادية للقوى الاستعمارية فى أوروبا وأمريكا الشمالية فمع منتصف القرن التاسع عشر بدأت كلمة كولونياليزم تستخدم بهذا المعنى غير اللائق بالسمعة(٣).

على أن كلمة «امبرياليزم» استخدمت للإشارة إلى ديناميات بناء الأمبراطورية الأوروبية، وإلى الشخصية الخاصة للمجتمعات الرأسمالية التى كونت امبراطوريات ، أما كلمة «كولونياليزم» فقد استخدمت لوصف تلك التركيبة الناجمة عن السيطرة السياسية والاقتصادية المفروضة على الدول أو الأقاليم التابعة(٤).

ولفظ الاستعمار فى اللغة العربية يعنى الإعمار، ولكنه استخدم فى الحرب الإعلامية ضد الغرب بمعنى الاحتلال والخراب والهيمنة(٥).

وإذا ما عدنا الى الاستعمار اليهودى فى فلسطين، سنجد أنه كان يلبى بعض الدوافع الاستعمارية التى سادت فى ذلك الوقت، فعلى الرغم من أنه لم يكن لليهود دولة مستقلة ترغب فى مد هيمنتها إلى فلسطين لتحقيق مركز مرموق، أو لتحقيق الأمن أو الاكتفاء الذاتى.. وغير ذلك من الإدعاءات فإنه كانت هناك أسباب اخرى هيأت المناخ الذى انتعشت فى إطاره فكرة استيطان اليهود لفلسطين..

ففى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ظهر ما يعرف «بالمسألة اليهودية» نتيجة هجرة أعداد كبيرة من اليهود الروس إلى أوروبا الغربية، وقد شكل هؤلاء المهاجرون عبئا ثقيلا على البرجوازية اليهودية فى الدول الأوروبية، فمن ناحية، بدأ المهاجرون اليهود منافسة الوطنيين فى أعمالهم، ومن ناحية أخرى كان هناك خوف من احتمال انضمام فقراء المهاجرين اليهود إلى الحركات الثورية والأحزاب اليسارية المناهضة للرأسمالية كما حدث فى ألمانيا وروسيا وبولندا، الأمر الذى كان من شأنه أن يخلق موجة من الكراهية العنصرية ضد اليهود بصفة عامة، ويهدد بفقدان الوضع الطبقى والحضارى لليهود المندمجين بصفة خاصة، ولذلك لجأت البرجوازية اليهودية فى انجلترا وفرنسا إلى إنشاء مؤسسات وجمعيات تهدف إلى توجيه الهجرة اليهودية إلى خارج القارة الأوروبية، وتوطين اليهود فى فلسطين أو غيرها، حفاظا على الوضع الطبقى والحضارى لليهود فى الدول الأوروبية(٦).

وقد وجد هذا الاتجاه قبولا لدى الدول الأوروبية التى كانت تسعى منذ فترة إلى خلق كيان يهودى فى فلسطين يكون وسيلتها إلى التغلغل داخل الدولة العثمانية، للحصول على جزء من ممتلكاتها،

حينما تحين الفرصة لاقتسام تلك الممتلكات(٧)، بالإضافة إلى أنه كان يمثل حلا للمسألة اليهودية التي ظهرت في أوروبا في ذلك الوقت..

وكان موسى مونتفيورى من أوائل البرجوازيين اليهود البريطانيين الذين سعوا الى توطين اليهود فى فلسطين ، فقد التقى بمحمد على باشا عام ١٨٣٩ حيث تمكن من شراء بعض الأراضى فى فلسطين وإقامة مزارع صغيرة عليها بجوار يافا والقدس وصفد.

وقد استطاع مونتفيورى - بمساعدة بريطانيا التى مارست ضغطا كبيرا على السلطان العثمانى لتعديل القوانين التى كانت تمنع بيع الأراضى والعقارات لليهود فى القدس وضواحيها - الحصول على فرمان من السلطان عبدالحميد يسمح لليهود بشراء بعض الأراضى فى القدس(٨).

وفى عام ١٨٨٢ وصل إلى فلسطين عشرون شابا يهوديا من روسيا، كانوا روادا فى ميدان الاستطيان اليهودى هناك، حيث أنشأوا أول مستعمرة أطلقوا عليها اسم «ريشون ليزيون» - أى الأولى فى صهيون - أعقبها إنشاء مستعمرات مماثلة.

وعلى الرغم من الحظر الذى كان السلطان عبدالحميد قد فرضه على هجرة اليهود إلى فلسطين، قام يهود آخرون قدموا من روسيا - أيضا، بإنشاء مستعمرة «بتاح تكفا» - أى باب الأمل - التى أطلق عليها أم المستعمرات - كما أسس يهود من رومانيا مستعمرتين زراعيتين إحداهما تدعى «ريش بتاح» - أى حجر الأساس - بالقرب من صفد، والأخرى فى سامارين على طريق حيفا.

وهكذا توالى إنشاء المستعمرات اليهودية فى فلسطين، فقد أنشئت مستعمرة «بيسود حمالاه» - أساس الصعود - بالقرب من الحولة،

ومستعمرة «حبيديرا» فى السامرة، ومستعمرة «قطرة» فى يهودا، ومستعمرة «عكرون» التى تحول اسمها فيما بعد إلى «زكرون يعقوب» فى الضفة الغربية[٩].

وقد قام بتمويل مشروعات الاستيطان اليهودى فى فلسطين خلال تلك الفترة، ولمدة خمسين عاما كل من الثرى اليهودى الفرنسى البارون ادموند دى روتشيلد، والمليونير الألمانى البارون هيرش[١٠].

وهكذا نجد أن النشاط الاستيطانى اليهودى لفلسطين بدأ قبل مؤتمر بال بوقت طويل، ونظرا لأن هذا الفكر نشأ فى أحضان الدول الغربية الكبرى، سنجد أن الحركة الصهيونية حينما بدأت نشاطها فى أواخر القرن التاسع عشر، حاولت الاستفادة من المفاهيم الاستعمارية الغربية، فقد قدموا الدولة اليهودية المقترحة على أنها ستكون دولة عميلة تخدم مصالح الدول الأوروبية فى المنطقة، وأنها ستكون أداتها فى مد هيمنتها الاقتصادية والسياسية إلى الشرق، كما قدموا أنفسهم إلى العرب وإلى الغربيين أيضا على أنهم رسل المدنية الحديثة الذين سيأخذون بيد فلسطين والمنطقة العربية إلى آفاق القرن العشرين، وأنهم جاءوا لاستثمار رأس المال المتراكم لديهم لإعمار فلسطين والبلاد العربية عامة.

وخلال الفترة من ١٨٩٧ ـ ١٩٠٨ حصلت فئة استعمار فلسطين فى صحيفة «الأهرام» على ١٠ تكرارات بنسبة ٣٧٪ فى حين حصلت فى صحيفة «المقطم» على ١٥ تكرارا بنسبة ٥٥,٦٪ أما فى صحيفة «المؤيد» فقد حصلت على تكرارين بنسبة ٧,٤٪.

وفى الواقع كان ما حدا بصحيفة «الأهرام» ـ وغيرها من صحف الدراسة ـ إلى الحديث عن الاستعمار اليهودى لفلسطين وغيرها من البقاع، هو أن العقد الأول من القرن الحالى شهد محالاوت متعددة

من جانب الصهيونيين لتوطين المهاجرين اليهود القادمين من روسيا وشرق أوروبا فى مناطق أخرى غير فلسطين، بسبب تعذر الوصول إلى اتفاق مع السلطان عبدالحميد بشأن مسألة توطين اليهود فى قبرص، وظلت هذه الفكرة مطروحة حتى عام ١٩٠٣ إلى أن تأكد فشلها، وخلال الفترة بين عامى ١٩٠٢ و١٩٠٣ ظهر مشروع آخر يرمى الى توطين اليهود فى العريش بسيناء المصرية، ولكن لم يقدر لهذا المشروع أن يرى النور، لذلك فإن بريطانيا اقترحت على الصهيونيين توطين اليهود فى أوغندا أو بالأصح فى شرقى أفريقيا، ولكن جاءت المعارضة الرئيسية لهذا المشروع من اليهود الروس ومن المستعمرين الانجلو سكسون الذين استقروا فى شرق أفريقيا..

من ناحية أخرى طرحت فى تلك الفترة أيضا مسألة توطين اليهود فى الجبل الأخضر فى برقة بليبيا، وظلت هذه الفكرة مطروحة منذ عام ١٩٠٤ إلى أن قضى عليها بسبب الغزو الإيطالى لليبيا عام ١٩١١، ثم نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤.

وفى عام ١٩١٧ طرح مشروع لتوطين اليهود فى الجزء الشمالى من الخليج العربى - أى فى منطقة البحرين والأحساء فيما عدا الكويت(١١).

وقد انعكس ما أثير فى الصحافة الغربية من جدل حول مشروعات توطين اليهود بدوره على الصحافة المصرية التى كانت تعتمد على الصحافة الغربية كمصدر لأنبائها الخارجية، بل إن صحيفة «الأهرام» تحدثت فى عام ١٩٠٣ عن مشروع لإنشاء مستعمرة اسرائيلية فى سهل كوم امبو بمصر، يؤتى لزرعه وإصلاحه بالفلاحين الإسرائيليين المعسرين كما فعل روتشلد فى فلسطين. ولكن المدهش فى هذا الموضوع أن الصحيفة علقت على هذا النبأ بقولها: «وهكذا ألفوا

مستعمرة صهيونية فى أرض مصرية، وأغنوا الصهيونيين عن السفر إلى شرقى أوغندا ومجاهل أفريقيا، كما أرادت انجلترا»[١٢]، وذلك بدون أن تبدى الصحيفة أى اعتراض على هذا المشروع، الذى لا شك فى أنه كان سيخلق مشكلة لمصر لو تم إنجازه.

من ناحية أخرى أوردت «الأهرام» نبأ مهاجرة الاسرائيليين إلى قبرص، وتخوف اليونانيين من عاقبة هذه المهاجرة[١٣]، كما أوردت أنباء التخلى عن مشروع العريش، وعرض بريطانيا على اليهود استعمار قطعة من أملاكها فى شرق أفريقيا، على أن تكون الإدارة لهم، والسيادة لإنجلترا.

ويبدو مما نشرته «الأهرام» أنها كانت على اطلاع على سير هذه المشروعات وما انتهت إليه، وأنها كانت تعى أيضا أنه بالرغم من مفاوضة الصهيونيين الحكومة البريطانية بشأن الحصول على أرض للاستعمار فى ظل الراية البريطانية إلا أنهم كانوا يبذلون «جهدا عجيبا للاستعمار فى الشرق، وفى تنظيم مستعمراتهم الشرقية ولا سيما فى سوريا»[١٤]، كما كانت تدرك جيدا أن «الأمة الاسرائيلية تتهالك فى سبيل استيطان فلسطين لأنها أرض الموعد..»[١٥] وأن الحديث عن استيطان أرض أخرى «لم يصرفهم عن المضى فى جهودهم لاستعمارفلسطين، لأن بين ضلوعهم روحا حية، وأملا كبيرا لا يحول دونه ما يلقونه من صعاب »[١٦] - على حد قول «الأهرام».

ويبدو أيضا أن ما نشر فى تلك الفترة عن نشاط بعض المؤسسات الاستعمارية التى أنشأها بعض الرأسماليين اليهود لتوطين اليهود فى فلسطين أو غيرها، وما نشر عن المشروعات المختلفة التى وصفت بأنها استعمار اليهود لأوغندا أو العريش أو قبرص أو طرابلس الغرب أو الارجنتين أسهم فى ظهور مصطلح «الاستعمار الاسرائيلى»

لفلسطين الذى استخدمته صحف الدراسة، ولكن ذلك لم يمنع صحيفة «الأهرام» من إدراك أن النشاط الاستعمارى الصهيونى فى فلسطين كان استعمارا استيطانيا، لم يكن هدفه النهوض بفلسطين أو بأهلها من الفلسطينيين وإنما كان هدفه النهوض باليهود، ولذلك قالت عن الجمعية الصهيونية إن هدفها هو إعادة بناء صهيون(*) - أى جعل فلسطين يهوديه - وجمع كلمة الأمة الاسرائيلية وإنهاضها من الانحطاط الطبيعى والأدبى الذى استولى عليها[١٧]، كما أشارت إلى أن الجمعية تعلم أبناء الاسرائيليين العلوم باللغة العبرانية، وتنشر بين الأمة فن الزراعة حتى تعد رجالا ونساء يقدرون على استعمار فلسطين، واستيطانها كأمة مستقلة تفخر بجنسيتها، ولا تخجل من الأمم الأخرى[١٨].

أما صحيفة «المقطم» فعلى الرغم من أنها كانت أول صحيفة من صحف الدراسة تنشر أن غاية الفكر الصهيونى شراء أرض فلسطين من السلطان العثمانى، وجعلها مملكة مستقلة تحت حمايته، فإنها ابتداء من عام ١٩٠١ بدأت تستخدم مصطلح «الاستعمار»[١٩] للتعبير عن الأهداف الصهيونية فى فلسطين، فقد تحدثت عن أهداف الجمعية الصهيونية وقالت إن غايتها استعمار فلسطين[٢٠]، وأوضحت أن هذا الاستعمار يتم عن طريق شراء الأراضى والحصول على حقوق إدارتها الداخلية على ما يوافق مصالحهم الخصوصية.

وفى الوقت الذى كان يتحدث فيه الصهيونيون عن أن هدف الصهيونية إيجاد ملجأ لليهود المضطهدين فى فلسطين، نجد صحيفة «المقطم» تقول إن الاسرائيليين لا يقصدون جعل مشروعهم خيريا، وإنما تجاريا، ولذلك فإنهم يقومون بنقل اليهود المقتدرين النشيطين إلى فلسطين، لا العجزة والفقراء والمساكين كما ادعت الصهيونية..

وعلى الرغم من أن الاستعمار الاسرائيلى لفلسطين بهذا الأسلوب الاستيطانى كان ينبغى أن يثير المخاوف والتساؤلات فى أذهان المراقبين، إلا أن صحيفة «المقطم» قدمته بمعنى الإعمار ولم تسع إلى الكشف عن أهدافه الحقيقية، بل إنها سعت إلى طمأنة جمهورها إلى أن الاستعمار الاسرائيلى لفلسطين لا ينطوى على أية مخاطر، وكان من الأدلة التى ساقتها على عدم خطورة الاستعمار الاسرائيلى فى فلسطين، أن بريطانيا عرضت عليهم أرضا فى مستعمراتها بشرقى أفريقيا ليستعمروها ويحكموها تحت مراقبتها، ولكن جهود هرتزل لاستعمار شرق أفريقية فشلت لان اليهود أهل تجارة، ومحترفو صنائع.. يميلون إلى مخالطة غيرهم للمتاجرة، وسنة المهاجرة هى السفر من بلاد فقيرة إلى بلاد أغنى، فإذا استعمر اليهود شرق أفريقية ونجحوا فيها، فأولادهم لا يكتفون بها، ولا يرضون البقاء منقطعين عن العالم فيهاجرون الى ممباسا وجنوب أفريقيا، وشمالا إلى مصر، وإذا استعمروا فلسطين فعلوا مثل ذلك، فأخذوا يجتمعون فى المدن الكبيرة للمتاجرة، فى حين أن من يستعمر بلادا يجب أن يكون ميالا إلى الحراثة والزراعة لاستغلال خيراتها.(٢١).

من ناحية أخرى نجد أن معظم الكتابات التى نشرت فى «المقطم» قبل عام ١٩٠٩ كانت تعطى انطباعا بأن النشاط الذى تمارسه الجمعية الصهيونية هو نوع من النشاط الاستعمارى الذى كان منتشرا فى ذلك الوقت، فقد ذكرت الصحيفة أنه ليست فلسطين ولا شرق أفريقية بالأرض الوحيدة التى توجهت إليها خواطر الجمعية الصهيونية لاستعمارها، بل إنها حاولت استعمار بلاد كثيرة فى روسيا والنمسا وبولندا وألمانيا وتونس، كما أن بعض أعضائها اقترح ان الولايات المتحدة أصلح البلاد للاستعمار اليهودى، ولكن رجلا من أكابرهم

اعترض على ذلك لأنه يرى أن الولايات المتحدة تصلح لقوم حرفتهم الفلاحة، لا لقوم أكثرهم تجار وسماسرة، لأنهم لا يتركون التجارة ويتحولون عنها إلى الزراعة إلا بعد زمان طويل، ولذلك فقد أشار عليهم باستعمار فلسطين وسورية وما بين النهرين لأسباب منها أن الأرض هناك أرخص منها فى الولايات المتحدة، كما أن يهود روسيا يجدون فيها قوما حرفتهم الفلاحة والزراعة فيسهل عليهم العيش بينهم، وفضلا عن ذلك فإنهم يجدون فيها مجالا واسعا للتجارة التى يميلون اليها بطبعهم.. وربما انضم اليهم يهود الجزائر وتونس والمغرب فيصيرونهم شرقيين فى لغتهم وعاداتهم(٢٢).

ورغبة فى بث مزيد من الطمأنينة فى نفوس القراء أوضح سليم قبعين فى «المقطم» أن استعمار الاسرائيليين لفلسطين أفضل بكثير من استعمار الالمانيين الذين استعمروا بعض جهات حيفا والقدس ويافا، وذلك لأن اليهود لا دولة لهم ترسل بوارجها، أو تأخذ بناصرهم، كما فعلت المانيا التى أرسلت طرادين كادا أن يرسلا كراتهما على حيفا وعكا بعد وقوع معركة هائلة بين الأهالى والالمان بسبب اعتداءات الأخيرين عليهم(٢٣).

وإذا كانت «الأهرام» قد اهتمت خلال الفترة من ١٨٩٨ ـ ١٩٠٨ بإبراز ان هدف الصهيونية هو إنشاء دولة يهودية مستقلة فى فلسطين، مما اقتضى منها بالتالى الاهتمام بتعريف قرائها بالجمعية الصهيونية التى قادت النشاط الصهيونى نحو تحقيق هذا الهدف، سنجد أن «المقطم» سعت فى المقابل إلى تسليط الأضواء على المؤسسات المالية التابعة للجمعية الصهيونية، والتى كانت غايتها شراء الأراضى فى فلسطين واستعمارها، وهو ما يتسق مع الطريق الذى اتخذته كل صحيفة. ولكن يلاحظ أن ما نشرته «المقطم» عن هذه

المؤسسات المالية كان يوحى أيضا بأن غايتها الاستعمار فى أى مكان من العالم، وليس استعمار فلسطين على وجه الخصوص، فقد نقلت عن التقرير السنوى[٢٤] «لشركة الاستعمار الاسرائيلية» - على سبيل المثال - أنها قامت بأعمال عظيمة فى «الجمهورية الفضية» - الارجنتين — وأن مستعمراتها هناك زاهرة، وعدد سكانها آخذ فى الازدياد.. وأنها طرقت أبواب البرازيل حيث أنشأت مستعمرة واسعة فى العام الماضى (١٩٠٤)، ونقلت إليها سبعا وثلاثين عائلة روسية. كما أنها اقتصرت فى نشاطها فى أمريكا الشمالية على كندا، حيث انفقت أموالا طائلة على إنشاء المزارع، وأقبل عليها الاسرائيليون إقبالا عظيما، وهاجر إليها ثلاثة آلاف مهاجر فى عامى ١٩٠٢ و١٩٠٣، ثم أربعة آلاف آخرين فى سنة ١٩٠٤..

أما فيما يتعلق بنشاطها الاستعمارى فى بلاد سورية وفلسطين، فقد نقلت عن التقرير أنها وجهت عنايتها إلى المزارع التى أقامها الاسرائيليون هناك وساعدتها أدبيا وماديا، ولكن يظهر أنها لا تؤمل لمستعمراتها نجاحا كبيرا هناك لأسباب سياسية واقتصادية، ولذلك تفضل الاهتمام باستيطان بلدان اخرى يجدون فيها أسباب التقدم والنجاح، ولا شك فى أن مثل هذه الكتابات التى لم تتوخ الدقة والموضوعية، واعتمدت على مجرد النقل من مصادر صهيونية أو أجنبية، كان من شأنها تضليل القراء، وإثارة البلبلة فيما يتعلق بالأهداف الحقيقية للصهيونية من ناحية، وأهداف تلك المؤسسات المالية التى أنشأتها المنظمة الصهيونية لتنفيذ برنامج بال من الناحية الأخرى.

أما صحيفة «المؤيد» فقد اتخذت اتجاها مشابها لاتجاه «المقطم»، فقد جاء فى مقال كتبه عزتلو عطا بك حسنى «أن اليهود يحلمون

باستعادة ملكهم في فلسطين.. ولكن لما رأى اليهود ألا سبيل لاستعادة ملكهم في تلك الديار بالقوة لمنعة دولتنا العلية وعزتها، وقوة بطشها من جانب، ولاهتمام الدول الأوروبية جمعاء بها، ومحافظتهم على كل حجر من أحجارها كذخيرة ثمينة أو أثر مقدس، رأوا أن يستعمروها بأموالهم، وللتوصل إلى هذه الغاية التي يعتبرونها فوق كل غاية، ألفوا جمعيتهم الشهيرة التي كانوا يسمونها «الجمعية الصهيونية» ومهمة هذه الجمعية جمع الاموال الطائلة لمشترى تلك الأراضي الواسعة، وإسكان فقراء اليهود الذين يتواردون إليها من أكثر الممالك التي تضطهدهم وتطردهم، كدولة الروس وغيرها..»[٢٥].

الإعجاب بالمستعمرات اليهودية:

وعلى الرغم من اتضاح نوايا الصهيونيين بالنسبة لفلسطين، إلا أن الكتابات التي نشرت في صحف الدراسة خلال تلك الفترة، كانت تنم عن الإعجاب بالمستعمرات اليهودية في فلسطين، فمن بين ١٦ تكرارا حظيت بها المستعمرات في صحيفة التحليل، كان أربعة عشر من هذه التكرارات (بنسبة ٨٧,٥٪) مخصصا للحديث عن المستعمرات اليهودية بصورة ايجابية[٢٦].

فحينما وفد على البلاد الرواد الأوائل من المستوطنين اليهود عام ١٨٨٢، كانت فلسطين لم تتجاوز بعد نطاق العصور الوسطى في ظل الحكم العثماني الذي ظل جاثما على البلاد نحو أربع قرون، ولهذا فإنه ما إن أنشأ المستوطنون اليهود مستعمراتهم الأولى على الطراز الأوروبي الحديث، حتى غدت مثار إعجاب للجميع.

فقد كان تخطيط المدن والقرى التي أنشأها اليهود في فلسطين على احدث طراز، واهتمامهم بالزراعة، واستخدامهم الآلات الزراعية

الحديثة، وإدخالهم بعض الصناعات هو أهم ما استأثر بإعجاب الكتاب الذين اتخذوا صحيفة «الأهرام» منبراً لهم، فعن المستعمرة الألمانية الشهيرة فى الجانب الغربى من حيفا قال شكيب أرسلان: «إنها على وضع بديع، وطراز لم يعرفه إلى الآن أهل الشرق جادة».

وعن قرية زمارين التى اختطها البارون ادمون روتشيلد، وأسكن بها نحو مائة عائلة من يهود رومانيا قال: «ومتى دخلت أرض زمارين ميزتها عن أراضى أهل الجوار بما شهدت من اتقان الغرس والزرع، وانتظام السكك الحديدية وإحاطة جميع البساتين بالسياج البديع من العنبر وغيره.. وحيال زمارين على البحر ميناء الطنطورة الذى أنشأ فيه اليهود معملا للزجاج وكأنهم تذكروا معامل الزجاج الفينيقية»[٢٧].

وإزاء ما شاهده الأمير شكيب أرسلان من تقدم فى المستعمرات اليهودية تمنى لو أنه كان لليهود فى كل قضاء قريتين حتى ينشروا التقدم فى فلسطين[٢٨]، كما أعرب عن أمله فى أن يقتدى الشرقيون باليهود فى إتقان بنائهم وزراعتهم وغرسهم، وعدم ضياع شبر من أرضهم سدى.

وهكذا نجد أنه من بين ٧ تكرارات عن المستعمرات اليهودية فى صحيفة «الأهرام»، اهتم خمس من هذه التكرارات (بنسبة ٧١,٤٪) بإبداء الإعجاب بتلك المستعمرات.

وفى صحيفة «المقطم» حظى الإعجاب بالمستعمرات اليهودية وتخطيطها، وتقدم العمران والزراعة فيها بست تكرارات (بنسبة ٥٤,٥٪) فى حين حصل الإعجاب بإدخال الصناعات على تكرارين (بنسبة ١٨,٢٪)، والإعجاب باليهود كأهل جد ونشاط على ٣ تكرارات (بنسبة ٢٧,٢٪).

فعلى سبيل المثال كتب مراسل «المقطم» من باريس أن روتشيلد وهيرش اشتريا قرى كثيرة فى نواحى فلسطين، وخططوا مدنا بشوارعها المستقيمة ودورها الفسيحة، هاجر إليها الاسرئيليون من كل صوب، ووجهوا عنايتهم إلى الزراعة والفلاحة، وغرسوا الكروم على الطريقة الأوروبية فنجحوا كثيرا(٢٩).

وكان سليم قبعين من أكثر الكتاب الذين أبدوا إعجابهم بالمستعمرات اليهودية فى فلسطين، فقد كتب فى «المقطم» عن المستعمرين واجتهادهم فقال: «إنهم يقضون سحابة نهارهم رجالا ونساء فى الاشتغال بالأرض، حتى إذا جاء المساء يعودون إلى بيوتهم للاستراحة، ولهم فى كل مستعمرة مكتبة كبيرة للمطالعة، ومستوصف يقدم لهم الأدوية مجانا، وهو ليس خاصا باليهود فقط، بل عام لجميع سكان البلاد المجاورة.. وهى مأثرة عظمى للإسرائيليين»(٣٠).

وفضلا عن ذلك كتب سليم قبعين عدة مقالات فى «المقطم» بعنوان «استعمار فلسطين» أشاد فيها بالمستعمرات اليهودية، وبما يبذله المستوطنون اليهود من جهود لترقية فلسطين وإنهاضها، كما أشاد بالفوائد التى عادت على الوطنيين منهم. وكتب قبعين مقالا آخر فى «المؤيد» عن المستعمرة الالمانية فى حيفا، فوصفها بأنها على النسق الأوروبى، كما تحدث عن المستوطنين فقال: إنهم مجدون نشطون.. شادوا البيوت البديعة. ومهدوا الجبال الوعرة التى كانت ملجأ للصوص وقطاع الطرق، فأصبحت اليوم بفضلهم حدائق غناء أثمرت لأصاحبها الخيرات الوافرة.. كما جلبوا ٦٤ صنفا جديدا من العنب من الخارج وأدخلوا زراعتها فى فلسطين وأقاموا عليها صناعة الخمور، التى يتم تصديرها إلى الخارج(٣١).

وكتب (سورى نزيل الاسكندرية) فى «المؤيد» تحت عنوان «اليهود فى سوريا ومستعمراتهم» أنهم أنشأوا فى (عكا والقدس ويافا وصفد

وحيفا) مستعمرات، وإن شئت فقل قصورًا شاهقة البنيان، بديعة الهندسة والإتقان، وغرسوا فيها الاشجار الكثيرة...»[٣٢].

وفى الوقت الذى كانت تبدى فيه بعض الكتابات الإعجاب بالمستعمرات اليهودية فى فلسطين، كانت كتابات أخرى تتحدث عن الخراب الضارب أطنابه على البلاد، سواء من جانب العرب أو من جانب الصهيونيين، فعلى سبيل المثال قالت استير مويال عن فلسطين: «إن هذا الوطن الذى نتشوق إليه ليس الآن من الحضارة فى شىء، بل إن معظمه أراض مقفرة.. خربة.. ينعق فيها البوم، ولا يدوس ثراها الا أقدام بعض قبائل البدو، ولولا بعض المستعمرات الصغيرة التى أنشأتها أيدينا فى بعض جهاتها، لما كان فيها سوى بضع قرى تئن تحت نير الأعشار(*)، وظلم الحكومة المحلية»[٣٣].

وقال سليم قبعين إن فلسطين التى حرصت كتب الأديان جميعها على وصفها بأنها «ارض تفيض لبنا وعسلا، وأنها جنة الدنيا. هى الآن عبارة عن أراض مقفرة، وبلاد غامرة، وسهول متروكة، وغابات موحشة وقال عن الفلاح السورى إنه من أجهل وأفقر فلاحي الدنيا قاطبة..»[٣٤].

وإزاء ذلك رحبت الكتابات فى صحف الدراسة بالاستعمار اليهودى فى فلسطين والسلطنة العثمانية ككل للنهوض بها من تخلفها، وهو ما سنتناوله فيما بعد..

مشروع استعمار بلاد ما بين النهرين:

تميز عام ١٩٠٩ الذى وصل فيه الاتحاديون إلى سدة الحكم بإثارة المسألة الصهيونية فى الصحافة المصرية على نطاق واسع، ومن الملاحظ أنه بينما اختفت الأقلام الصهيونية على صفحات صحف

الدراسة خلال الفترة من ١٨٩٧ ـ ١٩٠٨، فإننا نجد أنه كانت لها السيادة من ١٩٠٩ ـ ١٩١٧.

وكان الباعث على مناقشة المسألة الصهيونية فى ذلك العام : طرح مشروع استيطان اليهود لأراضى ما بين النهرين، وقد أدى طرح هذا المشروع إلى اثارة مناقشات حول موضوعات متعددة من أهمها: التعريف بالحركة الصهيونية وأهدافها، وقضية تجنس اليهود بالجنسية العثمانية وغيرها..

وعلى الرغم من أن صحيفة «الأهرام» كانت هى البادئة بإثارة مشروع ما بين النهرين، إلا أنه لم يحظ على صفحاتها سوى بتكرارين اثنين (بنسبة ٢٠٪)، فى حين التقطت صحيفة «المقطم» الخيط، وأعلنت عن فتح المسألة الاسرائيلية على بساط البحث لاستعمار بلاد ما بين النهرين، ولذلك حظى المشروع بثمانى تكرارات فى «المقطم» (خبر واحد وسبع مقالات) بنسبة ٨٠٪ من إجمالى المادة التى تناولت هذا الموضوع.

وكان الباعث على إثارة الحديث عن هذا المشروع، ما نشرته «الأهرام» نقلا عن «جرائد اوروبا»، من أن الصهيونيين سيعقدون مؤتمرهم الكبير فى عاصمة النمسا لتقرير الأرض التى يختارونها لإنشاء المملكة الاسرائيلية، ثم ذكرت أنه بعد أن رفض الصهيونيون مشروع استيطان اليهود اوغندا، يدور الحديث حاليا عن بلاد ما بين النهرين، وعبرت «الأهرام» عن رأيها فى هذه المسألة، فحذرت من مخاطر استيطان اليهود على الدولة العثمانية بقولها «وسواء مالوا إلى فلسطين، أو إلى بلاد ما بين النهرين، فإن أبصارهم متجهة شطر البلاد العثمانية، وهذا ما أردنا إلفات النظر إليه، وعلى أولياء الأمور أن يتيقظوا وينتبهوا»(٣٥).

أما صحيفة «المقطم» فقد بدأت بإثارة الموضوع بنشر رسالة من مكاتبها فى الإسكندرية أشار فيها إلى أنه اطلع فى جريدة «مرآة الغرب» التى تصدر فى نيويورك على نبذة جاء فيها أن الجريدة الاسرائيلية اليومية التى تصدر فيما بين النهرين تلقت نبأ برقيا مآله أن يعقوب سكيف الصراف الاسرائيلى المشهور، وإسرائيل زنجويل المؤلف المعروف ورئيس الجمعية الصهيونية، وكبار اليهود، اتفقوا معا على استعمار الأراضى العثمانية الواقعة فيما بين النهرين، والممتدة من بغداد الى عنيتاب، ومن الفرات إلى دجلة، وإن أحمد بك رضا رئيس مجلس المبعوثان هو الذى عرض عليهم ذلك المشروع..

وقد أشاد المراسل بالمشروع ووصفه بأنه مشروع جليل ينشرح له صدر كل اسرائيلى، ويستحسنه الاسرائيليون قاطبة، وأعرب أن أمله فى أن يدعم الاسرائيليون هذا المشروع بالمال، وفى أن تجيبهم الحكومة العثمانية إلى طلبهم فى عصر الحرية والإخاء والمساواة[٣٦].

وكان جاك ليفى طنطاوى من أوائل الكتاب الصهيونيين الذى تعرضوا للكتابة فى هذا الموضوع، فقد رحب بقيام صحيفة «المقطم» بفتح المسألة الاسرائيلية وعرضها على بساط البحث بمناسبة مشروع استعمار ما بين النهرين، ووصف العرض الذى قدمه العثمانيون لليهود بأنه عمل إنسانى تدافع به الدولة العثمانية عن الشعب الموسوى المضطهد، وعلى الرغم من أنه لم يدل برأيه الشخصى فى هذا المشروع، إلا أنه انتهز الفرصة كى يدعو أصحاب الجرائد، والكتاب الاسرائيليين وغير الاسرائيليين إلى الخوض فى هذا الموضوع، كما دعا الاسرائيليين إلى مساعدة الصهيونية أدبيا وماليا، وقد نشر هذا المقال فى اليوم نفسه فى صحيفتى «المقطم» و«الأهرام»[٣٧].

وقد أيد مشروع استعمار اليهود أراضى ما بين النهرين ثلاثة من الكتاب الصهيونيين، بالإضافة إلى مراسل «المقطم» ـ الذى يبدو مما كتبه أنه كان اسرائيليا ـ فى حين عارضه كاتب واحد فى مقالتين، رمز لنفسه بتوقيع «اسرائيلى»، فقد نشر هذا الكاتب مقالتيه تحت عنوان « استعمار فلسطين » ، ولم يرفض فيهما صراحة مشروع ما بين النهرين ، وانما ركز على أن «فكرة شراء فلسطين فكرة قديمة.. وأن وجهة الاسرائيليين اليوم أرض الميراث.. وأن الشرف والمروءة توجبان على كل اسرائيلى بذل الهمة ومد يد السخاء إلى مشروع استعمار فلسطين أرض الجدود والآباء»، وهو ما ينم عن تمسكه باستعمار فلسطين دون غيرها(٣٨).

وقد أدرك كل من جبر فارحى وجاك هرنشيتن ما يرمى إليه «اسرائيلى» ولذلك تصديا للرد عليه، وكانت وجهة نظر جبر فارحى أن الاسرائيليين باتوا فى بقاع الأرض أشتاتا، لا تجمعهم إلا رابطة الدين.. وأنهم فى أشد الحاجة إلى بقعة من الأرض أينما كان موقعها.. فلماذا لا يغتنمون الفرصة السانحة ويقبلوا العرض الذى قدمته الدولة العلية إلى الحزب الصهيونى لاستعمار بلاد ما بين النهرين(٣٩).

أما جاك هرنشتين فقد نشر مقال فى «الأهرام» و«المقطم» فى يومين متتاليين، وقال فيه إنه لا يعارض فى إقامة الاسرائيليين فى أية جهة من جهات الدولة سواء كان ذلك فى فلسطين أو فى العراق، وأنه متأكد من أن بقاءهم فى أراضى الدولة كل خير(٤٠).

ولم يخض غمار هذا الجدل سوى كاتبين من الجانب العثمانى أحدهما يدعى عزيز سميان وقد أبدى معارضته للمشروع على أساس أنه سيتطلب توفير ٥٠ مليون ليرة، الدولة فى حاجة إليها لإتمام

مشروعات أخرى تمس الحاجة إليها، كما أن ما ينقص الدولة لاستعمار تلك الفلوات هو السكان، وهناك من يفكرون فى استدعاء شعوب أجنبية غريبة لاستيطانها، وهو ما يعنى إعطاء الأجانب أراضى هى من صميم أملاك الدولة. وفضلا عن ذلك فإن أربعة ملايين اسرائيلى من روسيا أو من أية بلاد أو ملة غريبة، قادرون على أن يحولوا العراق العربى فى أقرب فرصة وأسهل منوال من بلاد عثمانية إلى بلاد روسية أو سواها والاستقلال بها(٤١).

وفى جريدة «الجريدة» كتب نقولا الحداد من بوسطن بأميركا مبينا الأخطار التى تكتنف مشروع استعمار بلاد ما بين النهرين فيما يتعلق بسلامة السلطنة، وقال إن استقلال مستعمرة أجنبية فى قلب الدولة العثمانية إنما هو إنشاء مملكة فى وسط مملكة، وتقوية تلك على هذه..

وفيما يتعلق بدعوة اليهود الأجانب إلى استعمار بلاد ما بين النهرين قال نقولا الحداد ان البلاد ليست فى حاجة إلى أيد عاملة لأن لدينا عمالاً عديدين يشكون من البطالة، ولكنها بحاجة إلى المال، ولهذا يمكنها أن تدعو المتمولين وحدهم إلى إنشاء المشروعات مع وعدهم بالضمانات اللازمة، وهنا فضل نقولا الحداد المتمولين المصريين على الأجانب، واسترعى انتباههم إلى انتهاز هذه الفرصة، عسى أن يكونوا فى مقدمة الأجانب الذى يسعون إلى استثمار أموالهم فى البلاد العثمانية(٤٢).

ولم يدع الصهيونيون مقال نقولا الحداد يمر دون الرد عليه، فقد كتب موسى ليفى طنطاوى أنه يستحيل على المصريين أن يقوموا بالعمل الذى دعا إليه نقولا الحداد، لأن بلادهم محتلة بدولة أجنبية، سلبتهم وجودهم السياسى والاقتصادى، فلا يعقل أن يترك المصريون

بلادهم بهذه الكيفية، يعبث بها الأجنبى ـ كيف يشاء ـ لاستعمار بلاد يلزم لها من الوقت زمن طويل، ومن المال شىء كثير.

وقال إنه إذا لم تستعمر الأمة الاسرائيلية بلاد ما بين النهرين، تستعمر غيرها، ويوجد كثير من الأمم تتمنى إعطاءهم أرضا لاستعمارها(٤٣).

وقد عقبت «الجريدة» على مقال موسى ليفى طنطاوى، فنفت أن تكون بلاد ما بين النهرين بلادا قاحلة ـ كما زعم ـ وأيدت نقولا الحداد فى دعوته للمصرين باستثمار أموالهم فى بلاد ما بين النهرين، وقالت إن المصريين أولى الناس بذلك.

وأشارت «الجريدة» إلى أنه كان لمقال نقولا الحداد وقع حسن فى المديريات بمصر، وأن بعضهم أخذوا يهتمون بجمع المعلومات اللازمة للقيام بالمشروعات المفيدة، التى من هذا القبيل..

على أية حال فقد تم التخلى أيضا عن مشروع استعمار بلاد ما بين النهرين حيث أنه لاقى معارضة شديدة من جمعية اتحاد الصهيونيين الامريكيين التى كانت لا تستصوب رأى اسرائيل زانجويل فى هذا المشروع، وتعلق آمالا كبيرة على الحكومة العثمانية الجديدة بالنسبة لفلسطين، ولكن ما يهمنا هنا هو موقف صحف الدراسة من هذا المشروع، «فالأهرام» بعد أن حذرت منه عادت وأعلنت أنها كانت أول من طالب بفتح بلاد ما بين النهرين للاستعمار وقبول الاسرائيليين المهاجرين ولكن شريطة أن يتجنسوا بالجنسية العثمانية، وأنها تود من صميم الفؤاد مهاجرة الاسرائيليين إلى تركيا لتعمير أرضها (*)، أما صحيفة «المقطم» فإنها لم تدل برأيها فى هذا المشروع اللهم إلا إذا اعتبرنا كلام مكاتبها فى الإسكندرية، معبرا

عنها، فقد وصف المشروع - كما أشرنا آنفا - بأنه مشروع جليل، وأعرب عن أمله فى أن تجيب الحكومة العثمانية الاسرائيليين إلى طلبهم، وفيما عدا ذلك فتحت «المقطم» صدر صفحاتها أمام الصهيونيين للكتابة عن هذا المشروع، وكانت معظم الكتابات مؤيدة له - كما ذكرنا من قبل.

أما جريدة «الجريدة» فيبدو من نشرها لمقال نقولا الحداد أنها لم تكن تحبذ فكرة هذا المشروع، وقد تأكد ذلك حينما أيدت دعوة نقولا الحداد للمصرين بالاستثمار فى بلاد ما بين النهرين، وقالت إن المصريين أولى الناس بذلك، وحينما تولت الرد أيضا على ادعاءات موسى طنطاوى بأن بلاد ما بين النهرين أراض قاحلة.

وفضلا عن مشروع استعمار بلاد ما بين النهرين، أثير مشروع استعمار اليهود لرفح المصرية، ولكنه لم يحظ باهتمام كبير فى الصحافة المصرية، فقد حظى فى «الأهرام» بتكرار واحد، وفى صحيفة «اللواء» حصل على تكرارين، فقد ذكرت «الأهرام» نقلا عن صحيفة «الجويش كرونيكل» اللندنية أنه تم إحياء مشروع هرتزل القديم باستعمار العريش، ولكنه سيقتصر هذه المرة على استعمار رفح، وأنه تمت دراسة مدى صلاحية المنطقة للزراعة والاستيطان. وأن «جمعية الاستعمار اليهودية» امتلكت بالفعل أراضى فى رفح تبلغ مساحتها ١٠ آلاف فدان (٥٠ الف دونم) ، وأنها سائرة فى امتلاك ١٠ الاف فدان أخرى[٤٤]، وما يسترعى الانتباه هنا هو أن «الأهرام» أوردت النبأ دون أى تعليق، تماما كما فعلت بالنسبة لمستعمرة كوم امبو من قبل.

أما صحيفة «اللواء» فقد ذكرت أن الجمعية الصهيونية اشترت فى رفح نحو عشرة آلاف فدان لكى تنشىء بها مستعمرة يهودية، ولكن

المشكلة هى أن رفح وما حولها خالية من الماء[٤٥]، ولكنها أعربت عن اعتقادها بفائدة هذه المستعمرة لمصر من حيث تعمير الصحراء وزيادة التجارة وزيادة حصيلة الدولة من الضرائب[٤٦].

على أن الحديث عن مشروع ما بين النهرين واستعمار رفح لم يستمر طويلا ، فسرعان ما استؤنف الحديث عن استعمار فلسطين، إذ يبدو أن الصهيونيين وجدوا المناخ مواتيا لتحقيق حلمهم بعد استيلاء الاتحاديين على السلطة، ولذلك آثروا أن يركزوا جهودهم فى جبهة واحدة لصالح مشروعهم الرئيسى..

وقد تميزت الفترة من عام ١٩٠٩ إلى عام ١٩١٧ باستخدام مصطلح «استعمار فلسطين» بنسبة أكبر من تلك التى استخدم بها قبل ذلك التاريخ ، فقد بلغ عدد تكراراته فى صحف الدراسة ٤٠ تكرار بنسبة ٥٥،٦٪ بالمقارنة بنحو ٣٢ تكرارا بنسبة ٤٤،٥ ٪ قبل عام ١٩٠٩ بالرغم من اتضاح الأهداف والنوايا الصهيونية الرامية إلى إنشاء دولة يهودية فى فلسطين، وذلك لعدة أسباب أولها: قيام الكتاب الصهيونيين بالرد على الكتاب العرب الذين حذروا من أن هدف الصهيونية إنشاء دولة يهودية مستقلة، وحرص الكتاب الصهيونيين على وصف ما يقومون به فى فلسطين على أنه من أعمال الاستعمار التى كانت تقوم بها الدول الغربية فى الدول المتخلفة لمساعدتها على النهوض، وثانيها: انخداع بعض الكتاب العرب بالدعاية الصهيونية فيما يتعلق بإضفاء الصبغة العمرانية على مشروعهم، وثالثها الخلط والتشوش الذى وقع فيه آخرون من الكتاب العرب الذين كانوا يرون فيما يقوم به الصهيونيون فى فلسطين عملا من أعمال العمران، ولكنهم كانوا يدركون فى الوقت نفسه أن هذا الاستعمار يمكن أن يؤدى إلى ما لا تحمد عقباه، وهو الانفراد

بفلسطين والاستقلال بها، وسوف نحاول أن نتناول ذلك فيما يلى بشىء من التفصيل.

أولا: فيما يتعلق بالهدف الصهيونى سعى الكتاب الصهيونيون إلى التأكيد بأن غرضهم استعمار فلسطين بمعنى إعمارها، وليس إنشاء دولة مستقلة كما يزعم الكتاب العرب ، بل ان أحدهم وهو جاك هرنشتين قال ان هدف هرتزل الوحيد كان استيطان اليهود أرضا تحميهم من الاضطهاد المستمر الواقع عليهم فى كثير من البلدان، وأنه - أى هرتزل - كان خاليا من جميع الأغراض السيئة، ولم يدخل هذا الدكتور أرض فلسطين إلا مرة واحدة لغرض سياسى، فقد كان مصادفة ضمن الزوار الذى حضروا لمناسبة زيارة امبراطور المانيا لتلك الأراضى المقدسة(٤٧).

وإذا كان هرنشتين قد أوضح أن غرض هرتزل كان استيطان أرض - أى أرض - فإنه عاد فنقل عن أحد زعمائهم ما قاله فى المؤتمر الصهيونى فى عام ١٩٠٩ «أن الغاية العظمى من اجتماعاتنا هى استعمار فلسطين لا غيرها..»(٤٨).

وثم كاتب آخر هو سليمان يلين قال عن الصهيونيين ان مقصدهم استعمار أراضى فلسطين وغيرها وإحياؤها. فإن بروغرامهم هو بروغرام اقتصادى محض، وليس للسياسة مدخل فى مبادىء الصهيونيين، ومن مراجعة بروتوكولات مؤتمراتهم يتبين بالصراحة بأن جل مقصدهم إيجاد مزارع وممتلكات فى فلسطين والبلاد المجاورة لها، لأجل إيواء بعض اليهود المساكين المظلومين الذى ذاقوا المظالم فى بعض ممالك أوروبا بشرط أن يتنازلوا عن تابعيتهم الأجنبية، ويدخلوا فى التابعية العثمانية »(٤٩).

ثانيا: ربط نورمان بنتويش بين الاستعمار اليهودى وتقدم فلسطين، فقال إن فلسطين لا تعود إلى خصبها ومجدها السابقين إلا بواسطة الاستعمار اليهودى وإنشاء أمة يهودية هناك، وإذا توفر عدد اليهود فيها تلعب دورا فى المدنية الحديثة(٥٠).

وعلى الرغم من استخدام الصهيونيين مصطلح الاستعمار بمعنى الإعمار للإيحاء بأن هدفهم هو نشر العمران فى فلسطين وإنهاضها من كبوتها، فإنه كان واضحا أن الاستعمار الصهيونى كان من النوع الاستيطانى الذى لجأت إليه الدول الاستعمارية فى بعض المستعمرات لتأمين سيطرتها عليها، وخير مثال على ذلك ما حدث فى روديسيا وجنوب أفريقيا، حينما لجأت هذه الدول إلى زرع بعض المستوطنين البيض فى تلك البلدان ليكونوا جزءا من نسيجها السكانى، وبحيث تكون لهم السيادة والتفوق والسيطرة على باقى السكان..

كان ذلك هو هدف الصهيونية وهدف الدول الاستعمارية التى أيدتها، ولكن مع فارق بسيط هو أن الصهيونيين كانوا يسعون إلى الانفراد بفلسطين، بإحلال المهاجرين اليهود محل سكانها الأصليين من الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين، فى حين كانت الدول الاستعمارية تهدف إلى أن يكون الصهيونيون أداتها فى السيطرة على المحيط العربى المجاور.

وقد كان ذلك واضحا من الطريقة التى جروا عليها فى الاستعمار، فقد شرح أحدهم بتوقيع «اسرائيلى» الكيفية التى ساروا عليها فى الاستعمار فقال: « ان الجمعية الصهيونية » همها جمع المال لشراء فلسطين وتوحيد كلمة الاسرائيليين على اختلاف بلدانهم ولغاتهم ، وجمعهم فى بلد واحد أمين يحصنونه أعظم تحصين بحيث لايستطيع

أحد مهاجمتهم ، أما « جمعية الاتحاد الاسرائيلى » فتقوم بالبحث فى الطريق السهلة لنيل هذه الغاية ، وهى بث العلوم والمعارف لكيلا تحتاج الى مساعدة فى المستقبل ، لامن مهندس ولا مزارع ولا نجار ولا حداد [٥١].وكان واضحا للجانب العربى أن ادعاءات الصهيونيين الاستعمارية ليست إلا من قبيل الخداع والتضليل لاخفاء نواياهم الحقيقية ، فقد كتب يوسف جريس فروجى يقول: « ليس حبهم لمسائل الزراعة والاستعمار الا من ضروب التستر وتمويها وتمهيدا للعمل العظيم الذى يفكرون به ، والذى سيشترك فيه يهود المعمور قاطبة ، والا لماذا يرفضون كل بقعة تقدم لهم ، ولماذا أفكارهم متجهة أبدا نحو فلسطين [٥٢].

وسواء كان هدف الصهيونية فى نظر البعض هو إنشاء دولة مستقلة، أو تعمير فلسطين فى نظر البعض الآخر، فقد كان واضحا أن الصهيونية سلكت سبلا محددة وواضحة لانجاز أهدافها. وقد حظيت الأساليب التى سلكتها الحركة الصهيونية لتحقيق أهدافها فى فلسطين باهتمام صحف الدراسة، فقد كان واضحا منذ البداية لدى هذه الصحف أن الصهيونية استبعدت اللجوء إلى القوة العسكرية التى كانت تلجأ إليها القوى الاستعمارية فى ذلك الوقت للاستيلاء على فلسطين بسبب عجز اليهود عن القيام بذلك، ولهذا فقد أدركت هذه الصحف أنه لم يعد أمام الصهيونية سوى الطريق السلمى لبلوغ هذه الغاية، وقد تمثل ذلك فى أسلوبين:

١ـ شراء الأراضى فى فلسطين وجعلها ملكا لليهود غير قابل للتصرف.

٢ـ تهجير اليهود إلى فلسطين وإحلالهم محل سكانها الفلسطينين.

وسوف نتناول فيما يلى موقف صحف الدراسة من كل واحدة من هذه النقاط بشىء من التفصيل:

١ ـ موقف صحف الدراسة من شراء الأراضى فى فلسطين؛

كان شراء الأراضى فى فلسطين هو الوسيلة التى أقرها مؤتمر بال عام١٨٩٧ لإنشاء وطن لليهود، وبناء على ذلك دعوا فى هذا المؤتمر ـ كما أشارت «الأهرام» ـ إلى جمع المال من أغنياء اليهود فى جميع انحاء العالم، ولكن فرح أنطون ـ أول من كتب فى «الاهرام» عن المشروع الصهيونى ـ لم يستطع استيعاب فكرة شراء اليهود فلسطين، وعدها من هزل الأمور، خصوصا فى ظل وجود الوطنيين العثمانيين غير الاسرائيليين، فلم تطرأ على ذهنه إمكانية قيام الصهيونيين بإخلاء فلسطين من سكانها العرب، وإحلال اليهود محلهم، ولذلك عبر عن سخريته من هذه الفكرة بقوله: «هل صار عباد الله أنعاما يباعون ويشترون فى سوق المزاد. وهل تكون نفوس الوطنيين العثمانيين غير الاسرائيليين داخلة فى كونتراتو البيع والشراء»[٥٣].

وبعد أن استبعد الكاتب فكرة الشراء، وفكرة استخدام القوة قال إنه لم يعد أمامهم ـ أى الصهيونيين ـ سوى الاستيلاء الأدبى على فلسطين، يليه الاستيلاء الفعلى كما هم فاعلون، وكان يقصد بالاستيلاء الأدبى زيادة عدد اليهود فى فلسطين على عدد السكان الاصليين، وكانت هذه فى رأيه هى المسألة التى يخشى منها إن لم يكن على فلسطين، فعلى سكان فلسطين.

وفيما بعد ظهر تحول واضح فى وعى «الأهرام» نحو الاتجاه الصحيح، فقد بدأت الصحيفة فى متابعة الجهود التى يبذلها اليهود

لجمع التبرعات من أجل شراء الأراضى فى فلسطين، وذلك من خلال متابعتها للصحافة الاجنبية التى كانت تنشر أخبار النشاط الصهيونى فى أوروبا وأمريكا، فعلى سبيل المثال، نقلت «الأهرام» عن صحيفة «المورننج بوست» من نيويورك أن «الاسرائيليين عقدوا اجتماعات كبيرة فى ميلوكى بأمريكا، وقرروا أن يفتحوا اكتتابا عاما فى جميع البلدان لمشترى فلسطين من الدولة العلية..[٥٤]، كما نقلت عن مكاتبها الخصوصى فى لندن نبأ الاجتماع الذى عقده الصهيونيون فى قلعة «دربى هول» بمدينة مانشستر لجمع مبلغ من المال لاستعمار فلسطين، كذلك فإنه لم يغب عن «الأهرام» أيضا أن الصهيونيين خصصوا يوما للشيكل(*) من كل عام، يجمعون فيه الأموال لصالح الجمعية الصهيونية[٥٥].

وفى مقابل الأخبار التى كانت تنشرها «الأهرام» عن الجهود التى يبذلها الصهيونيون فى أوروبا وأمريكا لجمع الأموال لشراء الأراضى فى فلسطين، نشرت نبأ واحدا فى عام ١٩٠٣ عن القيود التى تفرضها الحكومة الروسية على الحركة الصهيونية هناك، فأشارت إلى قيام وزارة الداخلية الروسية بإرسال منشور إلى حاكم مقاطعة كرزون تأمره فيه بأن يمنع كل اجتماع للصهيونيين فى المقاطعة وبأن يمنع أيضا جمع الأموال والاكتتابات للجمعية الصهيونية[٥٦].

وفى إطار متابعة «الاهرام» لمساعى الصهيونيين لشراء الأراضى فى فلسطين، نشرت ما قرره المؤتمر الصهيونى العالمى عام ١٩٠٥ من رفضه استعمار اوغندا وتعيينه المال الذى تبتاع به الأراضى فى فلسطين[٥٧].

وتجدر الإشارة إلى أن «الأهرام» تابعت جهود الصهيونيين فيما يتعلق بشراء الاراضى فى فلسطين خلال الفترة من ١٨٩٨ ـ ١٩٠٨

بحياد تام، وبدون اتخاذ موقف إزاء هذه الجهود، واقتصرت فقط على وظيفة الاخبار أو الإعلام بوضع الحقائق أمام قرائها. ولكنها مع ذلك أتاحت الفرصة فى الوقت نفسه أمام بعض الفلسطينيين الذين نبهوا إلى الأخطار التى تتهدد ملكيتهم لأراضى فلسطين..

فقد نشرت الصحيفة رسالتين لاثنين من القراء فى عام ١٩٠٤، احداهما «لوطنى فى مستعمرة اجنبية»[٥٨] والأخرى بتوقيع «مسلم عثمانى»[٥٩] كما نشرت فى عام ١٩٠٦ رسالتين أخريين، إحداهما لمراسلها فى فلسطين[٦٠]، والأخرى لمكاتبها فى صيدا [٦١]، ومن الملاحظ أن ثلاثا من هذه الرسائل ركزت على إبراز سوء الإدارة العثمانية، وسوء نظام الامتيازات الذى أدى إلى التمييز بين الوطنيين والأجانب، وما يترتب على ذلك من انتقال الأراضى من أيدى الوطنيين إلى أيدى الأجانب..

وقد أجمعت هذه الرسائل على أن السبب فى تفريط الفلسطينيين فى أراضيهم، وقيامهم ببيعها هو نظام المشاع الذى كان مطبقا على أراضى فلسطين دون سائر أقاليم الدولة العثمانية، ثم فحش الأعشار التى كانت تلتهم حصيلة إنتاج الأرض بعد زوال الآفات الزراعية، وتترك الفلاح مدينا لا يجد قوت عياله، ومع ذلك فقد طالبت هذه الرسائل بإلغاء نظام المشاع دون أن تطلب أى امتياز بالنسبة للأعشار، وكانت حججهم فى طلب إلغاء المشاع ما يلى:

اولا: أن نظام المشاع الذى فرضه بعض المتصرفين على أراضى فلسطين للحيلولة دون بيعها للأجانب لم يؤد الغرض المطلوب منه، فقد انتقلت قرى بأكملها إلى المهاجرين فى ظل هذا النظام، فالفلاح الفلسطيني يضطر لبيع الأرض سدادا لديونه الناجمة عن عدم دفعه للأعشار، أو تخلصا من أعبائها.

ثانيـــا: أن المشـاع يجـعل الفـلاح الفلسطينى يهـمل الأرض لأنه يشعر بأنها ليست ملكه، ولأنه يعرف أنها ستنتقل فى العام التالى إلى شخص آخر غيره.

ثالثا: أن المشاع وإهمال الأرض يبخسانها قيمتها، فضلا عن أن المشـاع يجـعل الوطنيـين يجـحـمـون عن شـراء الأرض، فـيـتـصـدى المهاجرون الأجانب لشرائها بأبخس الأسـعار، فالدونم يباع بأسـعار تتـراوح بين ليـرة ونصـف ليـرة فـقط (أى ربـع الجنيـه) فى حـين أنه يساوى فى البلاد المجاورة نحو ٢٠ جنيها.

أما الرسالة الرابعة فقد شكا فيها مرسلوها من وطأة الحكام فى تحـصـيل الأعـشـار، وزيادتهـا زيادة فـاحـشـة، قـد تعـادل نصف محصولاتهم، وقالوا إنه يوجد فى السجون ٤٠ مختارا(*) من مختارى القرى، لأن قراهم عاجزة عن دفع ما يطلب منها، ولهذا استرعوا نظر ولاة الأمـور إلى هذا الأمر، لأنـه بلغـهم أن الأهالى يبيـعون أراضيـهم وأملاكهم لليهود ليتخلصوا من دفع الأعشار التى تطلب منهم.

على أن الشىء الذى يسترعى الانتباه فى الرسائل الثلاثة الأولى هو أنه على الرغم من أنهـا نبـهت إلى انتـقـال الأراضى إلى أيدى الأجـانب بسـبب نظام المشـاع، إلا أنهـا وافـقت على بيع الفـلاح الفلسطينى جزءا صغيرا من أرضه بسعر مرتفع سواء للوطنيين أو للمـهاجـرين، وأوضـحت الفائدة التى ستـحل على الفلاح من حلول المهاجر فى قطعة من الأرض، إذ سترتفع أسعار القطع المجاورة، كما أن الفلاح سيرى تحسينات المهاجر، ويمارسها بجزء يسير من أكلاف المهاجر..

إلا أن موافقة تلك الرسائل على بيع الفلاح الفلسطيني جزء من أرضه للمهاجرين اليهود، تجعلنا نعتقد أنه إما أن بعض الفلسطينيين لم يكونوا على وعي بخطورة الاستيطان اليهودي في فلسطين في ذلك الوقت، أو أنه ربما كان وراء تلك الرسائل بعض الصهيونيين الذي وجدوا في نظام المشاع عقبة في طريق شرائهم للأراضي من الوطنيين، فكتبوا على لسانهم يطالبون بإلغائه.

وفي مقابل هذا الاتجاه، كان الأمير شكيب أرسلان قد ناقش في تلك المرحلة المبكرة على صفحات «الأهرام» أيضا، مدى صواب القرارات التي اتخذتها الدولة العثمانية بمنع بيع الأراضي لليهود في فلسطين، وأبدى رأيه فيها بقوله:

«إن إطلاق الحرية لليهود في فلسطين يشترون في كل سهل وجبل، ويبتاعون ما يشاءون، خليق بألا يبقى في شهر واحد قطعة من هذه الأرض، إلا وهي داخلة في ملك اليهود فلا يمضي شهر أو شهران إلا وقد عاشت مملكة بني اسرائيل عل أنقاض المملكة التي خربها تيطس، ولو بعد بضعة عشر قرنا»[٦٢].

فقد وجد الأمير شكيب أرسلان أنه لم يكن من الحكمة ولا من الصواب إباحة الشراء لليهود أينما شاءوا، ولا تركهم يتجمعون في بقعة إلى حد أن تتمكن سيطرتهم، وتعلو كلمتهم.. وإنما اقترح أن تجري الدولة على نمط آخر في أمر قبولهم وإسكانهم، حرصا على المنافع المتأتية من وجودهم في هذه البلاد، وفي جانب الخزانة العثمانية، وذلك بألا تبيح لهم في كل قضاء شراء أكثر من قرية واحدة، وألا تجيز لهم ابتياع قرية عامرة بأسرها، وأن يكون جميع ما يشترونه خرابا لأجل أن يعمروه، وأن تؤخذ عليهم الوثق[*] التي معها تؤمن عائلتهم، ويتم الاستمتاع بفوائدهم.

ودافع أرسلان عن اقتراحه بقوله إنه إذا وجد منهم فى كل قضاء قرية واحدة أو قريتان، فإنما ذلك نقطة من غدير، ولا يشعر بقوتهم القوم، ولا يحسون بوطأة لهم، فأكثر البلاد الجنوبية من الشام بلاد إسلامية محضة، لو زدتها من اليهود بقدر ما هى عليه الآن أضعافا ما خرجت عن كونها إسلامية(٦٣).

وفى صحيفة «المقطم» كان واضحا أيضا أن الوسيلة التى لجأت إليها الصهيونية لاستعمار فلسطين هى شراء الأراضى، فقد نشرت الصحيفة فى عام ١٩٠١ أن الجمعية الصهيونية ظفرت بمرادها من جلالة السلطان فيما يتعلق بالسماح لها باستعمار جهات عديدة حول القدس، وفى بلاد فلسطين(*)، وقالت إنه تم الاتفاق على ذلك ماليا، إما على سبيل البيع أو الإيجار(٦٤).

من ناحية أخرى كان واضحا من الكلمة التى ألقتها استير مويال فى «جمعية بركوخبا الصهيونية»، أن الصهيونية بدأت حملة إعلامية منذ وقت مبكر لحث اليهود على شراء فلسطين، فبعد أن أثارت استير مويال مشاعر الإسرائيليين بحديثها عن اضطهاد اليهود منذ عهد الرومان، تحدثت عن حتمية أن يكون لهم بقعة من الأرض تظللهم، ثم حثت اليهود على شراء فلسطين، وقالت إن بعض متموليهم قادرون على مشتراها، ثم أعقبها خطيبا اخر تحدث عن وجوب شراء فلسطين(٦٥).

وقد عبرت صحيفة «المقطم» نفسها عن رأيها بأن ما يرمى إليه الصهيونيون غير يسير البلوغ، ولكن ما عندهم من المال، يسهل عليهم تذليل الصعاب، وتمهيد كل عقبة فى سبيلهم إن لم يكن عاجلا فآجلا، والأمور مرهونة بأوقاتها.

وإذا رجعنا إلى صحيفة «المؤيد» سنجد أنها أشارت إلى أن المهاجرين اليهود فى أنحاء القدس، طفقوا يشترون الأراضى فى تلك الأقطار حتى صار لهم قسم كبير منها، فى حين لم يبق بيد الأهالى إلا القسم (٦٦).

وإذا نظرنا إلى التواريخ التى أثيرت فيها هذه الموضوعات، يبدو واضحا أن صحف الدراسة كانت على علم - خلال السنوات القليلة التى أعقبت المؤتمر الصهيونى الأول - بأن الصهيونيين يسعون إلى تحقيق أهدافهم من خلال شراء الأراضى، وأن عملية الشراء كانت ماضية فى طريقها - بالرغم من قوانين المنع التى اصدرها السلطان عبدالحميد - إلى الدرجة التى أشعرت البعض بخطورتها على أهالى فلسطين.

وإذا كانت صحف الدراسة قد أحجمت عن إبداء رأيها فى مسألة شراء الاسرائيليين للأراضى فى فلسطين فى تلك المرحلة المبكرة، فإنها أفسحت صدرها للكتاب من خارجها كى يدلوا بدلوهم فى تلك القضية، كما أنها تابعت تطوراتها من خلال ما كانت تنشره من أخبار حولها..

٢- اتجاهات صحف الدراسة نحو الهجرة اليهودية إلى فلسطين:

كانت الهجرة اليهودية إلى فلسطين أحد الوسائل المهمة التى اعتمدت عليها المنظمة الصهيونية العالمية لتنفيذ مشروعها الرامى إلى إنشاء وطن لليهود فى فلسطين.

ويكشف تحليل صحف الدراسة أنها أولت الهجرة اليهودية إلى فلسطين اهتمامها، فقد حصلت فى «الأهرام» على ٤٠ تكرارا (بنسبة ٢٧٪ من إجمالى المادة المنشورة بها عن الصهيونية وفلسطين)، وتلتها

فى الاهتمام صحيفة «المقطم» التى حظى هذا الموضوع بنحو ١٥ تكرارا على صفحاتها (بنسبة ٣٢٪)، وفى «المؤيد» حصل على خمس تكرارات (بنسبة ٢٢٪)، وفى «الجريدة» حصل على تكرار واحد (بنسبة ٢٥٪)، وفى «الاهالى» حصل على تكرار واحد ايضا (بنسبة ١٦٪).

وقدبلغ إجمالى المادة المنشورة عن الهجرة اليهودية فى صحف الدراسة ٦٢ تكرارا، وهو ما يمثل (نسبة ٢٦٪) من إجمالى المادة المنشورة فى صحف الدراسة عن الصهيونية وفلسطين..

وقد تركزت معالجات صحف الدراسة لهذا الموضوع فى ثلاث نقاط رئيسية هى:

١ـ ازدياد عدد المهاجرين اليهود فى القدس بصفة خاصة، وفى فلسطين بصفة عامة.

٢ـ مزايا الهجرة اليهودية وأضرارها بالنسبة لفلسطين والدولة العثمانية

٣ـ سبل الهجرة وشراء الأراضى

وسوف نتناول هذه النقاط فيما يلى :

أولا : ازدياد عدد المهاجرين اليهود فى القدس وفلسطين:

كانت صحيفتا «الأهرام» و«المؤيد» من أكثر صحف الدراسة اهتماما برصد تعداد اليهود فى فلسطين، واعتبار ازدياد الهجرة اليهودية مؤشرا خطيرا بالنسبة لمستقبل البلاد، وقد حصل هذا الموضوع فى صحيفة «الأهرام» على ١٠ تكرارات وفى «المؤيد» على ٣ تكرارات، أما فى جريدة «الأهالى» فقد حصل على تكرار واحد. وكان

أحد أصحاب «الأهرام» من أوائل الكتاب الذى تطرقوا إلى الكتابة فى هذا الموضوع، فقد زار بشارة تقلا القدس، ونشر مقالا عن تلك الزيارة بعنوان «القدس الشريف» بتاريخ ١٨ اكتوبر ١٨٩٧ - أى بعد انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول - تناول فيه المشكلات التى تعانى منها المدينة المقدسة.

وكان من بين المشكلات التى تحدث عنها: مشكلة ازدياد عدد المهاجرين اليهود الذين أصبحوا يشكلون غالبية السكان فى القدس، وقدر عددهم فى ذلك الوقت بأنه لا يقل عن ٢٥ إلى ٣٠ ألفا، فى حين قدر عدد المسلمين والمسيحيين وسائر الطوائف الأخرى بما لا يزيد على ٢٠ ألفا[٦٧] ومعنى ذلك أن عدد اليهود كان يفوق عدد المسلمين فى القدس وفقا للتقديرات التى أوردها بشارة تقلا.

وفى العام التالى، قدر كاتب آخر عدد اليهود فى القدس بنحو ٦٠ ألفا[٦٨]، وعلى الرغم من أن الصحيفة لم تنشر ذلك الرقم بهدف رصد الزيادة فى الهجرة اليهودية، إلا أنه كان يعطى مؤشرا لمن يعنيهم الأمر باستمرار هذه الهجرة وتزايدها، فى ظل الإرادة السنية التى تمنع إقامة المهاجرين اليهود فى فلسطين، وتملكهم للأراضى فيها.

وفى عام ١٩٠٦ جاء فى رسالة لمكاتب «الأهرام» فى القدس أن المدينة المقدسه امتلأت باليهود وضاقت بهم، وأنه نجم عن كثرة عددهم وقذارتهم أن تفشت بينهم الأمراض التى انتقلت عدواها إلى حارة النصارى، وإلى ضواحى القدس جميعها، وأعرب عن أمله فى أن يأخذ مجلس البلديات التحوطات اللازمة لوقاية البلاد[٦٩]، ولكنه لم يطلب اتخاذ أية إجراءات بالنسبة لازدياد عدد اليهود فى المدينة.

ولم تتوقف صحف الدراسة عند مجرد رصد الزيادة فى عدد اليهود من ناحية الكم فقط وإنما تطرقت إلى الحديث عن زيادة قوتهم

من ناحية الكيف أيضا، فقد نقلت «الأهرام» عن الصحف الاجنبية ما يشير إلى أن المهاجرين اليهود أصبحوا قوة لا يستهان بها فى فلسطين، فقد ذكرت نقلا عن مراسل إحدى الصحف الايطالية عام ١٩٠٦ قوله: «لم يكن الناظر إلى البلاد الفلسطينية منذ عشرين سنة يرى إلا شرذمة صغيرة لا تستحق الذكر من اليهود، مبعثرة فى جهات مختلفة من تلك البلاد، وأفرادها جميعا فى شقاء وفاقة، يحصلون على أرزاقهم من حسنات المحسنين، أما اليوم فقد انقلبت الحال انقلابا غريبا، وأصبحوا عنصرا قويا شديد الساعد، وأصبح ثلث خيرات فلسطين وثرواتها فى أيدى سلالة الأسباط «أصحاب البلاد الأصليين».. وليس لهذه الطائفة النشيطة ما يمكن أن يثنيها عن عزمها، طالما فازت فى مزاحمة العناصر الأخرى، ولا سيما مستعمرى الألمان فى حيفا وضواحيها...»(٧٠).

ومضى المراسل يصف المهاجرين اليهود بأنهم الفئة الكبرى من فئات سكان أورشليم، وأن نشاطهم وتقدمهم، وانتشارهم فى فلسطين، لم يقتصر على ما بلغوه، بل إنه يزداد سنة فسنة فشهرا.

وهكذا نرى أن بعض الكتابات التى نشرت فى «الأهرام» فى الفترة من ١٨٩٨ ـ ١٩٠٨، أشارت إلى ازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين بصفة عامة، وإلى القدس بصفة خاصة، كما أشارت إلى أنهم أصبحوا قوة لا يستهان بها، ولكن تجدر الإشارة إلى أن هذه الكتابات لم تنشر بهدف رصد الهجرة اليهودية إلى فلسطين أو متابعة النشاط الصهيونى فيها، وإنما جاءت ضمن موضوعات فرضتها الأحداث، أو أخبار نشرتها الصحف الاجنبية، وذلك فى الوقت الذى كان فيه «الأهرام» مؤهلا للقيام بهذا الدور، من خلال شبكته الخاصة من المراسلين المنتشرين فى فلسطين وسوريا، ولكن

يبدو أن كلا من «الأهرام» ومراسليه، لم يسع إلى القيام بتلك المهمة، يؤكد ذلك ما نشرته «الأهرام» عام ١٩٠٨ ـ حينما وقعت اعتداءات فى يافا بين المهاجرين الألمان والفلسطينيين ـ حيث قالت إن بعض الصحف نشرت أنباء الحادث وضخمته حتى كادت أن تصوره على أنه ثورة ضد الألمان، لتدخل فيها الأيدى السياسية.. «وكنا نقرأ ذلك ونحن بين عاملى الدهشة والاستغراب لأن مكاتبنا فى يافا الذى لم تنقطع عنا رسائله، لم يذكر لنا هذه الحادثة، حتى جاءنا منه هذا التفصيل»، ثم أوردت رواية المكاتب للأحداث.

وعلى أية حال فإن مسح صحيفة «الأهرام» خلال المرحلة الأولى يشير إلى ورود رسالتين فقط من مكاتبى الصحيفة فى فلسطين يتعلقان بالهجرة اليهودية إحداهما من مكاتب «الأهرام» فى يافا عام ١٩٠٦، وفيها يشير إلى أن توافد اليهود الروس إلى فلسطين أصبح عظيما، حيث يأتى فى كل باخرة الكثير منهم، حتى كادت يافا والقدس تضيقان بهم، وقدر المكاتب عدد اليهود فى القدس وحدها نقلا عن مصدر موثوق ـ على حد قوله ـ بمائة ألف يهودى(٧١).

أما الرسالة الأخرى فكانت تلك التى أوردها مراسل «الأهرام» فى القدس عن زيادة عدد المهاجرين فى المدينة، وتفشى الأمراض بينهم..

وفى صحيفة «المؤيد» جاء فى عام ١٨٩٩ أن نسبة المسلمين إلى اليهود وغيرهم من الأجانب فى القدس بلغت ١ ـ ٦، إذ قدر أحد الكتاب عدد المسلمين بستة آلاف نسمة، مقابل ٦٠ ألفا من اليهود والأجانب(٧٢)، فى حين قدر كاتب آخر عدد اليهود فى سوريا وفلسطين فى العام نفسه بأنه يربو على الثمانمائة ألف نسمة، وأشار إلى أن عددهم يتزايد كل يوم، ثم تساءل: كم يبلغ عددهم بعد عشرين عاما؟ وبكم تقدر ثروتهم؟!

وأجاب الكاتب عن هذا التساؤل إجابة تحمل فى طياتها نذر الخطر إذ قال «لا ريب أنهم سيكونون جيشا عرمرما كذلك الذى خرج من مصر، وحارب ممالك متعددة، دوخ أكثرها بالسيف البتار، وفتك بأهلها فتكا ذريعا»(٧٣).

وفى عام ١٩١١ ذكرت صحيفة «الأهالى» نقلا عن جريدة «التيمس» أنه على الرغم من أن حكومة السلطان عبدالحميد كانت قد أوجبت على الإسرائيليين حمل «جواز سفر» أحمر، حتى لا يسمح لحامله بالبقاء فى فلسطين أكثر من ثلاثة شهور، إلا أن اليهود ظلوا يتسربون إلى سوريا شيئا فشيئا، ويتوطنون فيها حتى كثر عددهم، وقويت جامعتهم، ففى القدس وحدها ـ كما تقول الصحيفة ـ كان عدد اليهود من خمسين سنة لا يزيد على ٢٥٪ من مجموع السكان، أما اليوم ـ أى عام ١٩١١ ـ فلهم فيها الأغلبية المطلقة، إذ يتراوح عددهم بين ٥٠ و٦٠ الفا فى حين يبلغ إجمالى تعداد سكان القدس نحو ٨٠ الفا، وذلك فيما عدا ألوف اليهود الذين هاجروا إلى جهات يافا وحيفا من أنحاء مختلفة من أوروبا(٧٤).

وحينما أصبح موضوع استعمار اليهود فلسطين يشغل اهتمام الصحافة والرأى العام فى مصر عام ١٩١٤ استند إبراهيم سليم نجار فى «الأهرام» إلى لغة الأرقام فيما يتعلق بتعداد سكان فلسطين وأجناسهم وأديانهم، حتى يستطيع الحكم على المستقبل، وقد وجد أن عدد سكان متصرفية القدس فى ذلك الوقت يبلغ ٧٠ الف نسمة موزعين على النحو التالى:

المسلمون ٣٦ الفا.

الاسرائيليون ١٨ الفا.

المسيحيون ١٦ الفا.

وخرج نجار من هذا الإحصاء بأن الأغلبية فى جانب المسلمين الذين يشكلون وحدهم نصف السكان، ولكنه وجد أنه إذا ألحقت بمتصرفية القدس قائمقاميات حيفا وطبريا والناصرة وصفد الملحقة بولاية بيروت، صار عدد المسلمين والمسيحيين مجتمعين يتراوح بين ثلث ونصف السكان، ووجد أن خطورة ذلك تكمن فى أنه يصبح بمقدور الإسرائيليين - خصوصا وأنهم متضامنون - أن ينتخبوا ثلث عدد أعضاء المجلس العمومى، فيتصرفوا وقتئذ بجميع ميزانية المتصرفية كما يشاءون بلا معارض أو منازع، ويضعوا يدهم على السلطة فعلا(٧٥).

ولكن نجار بعد أن أشار إلى خطورة ما وصل إليه الوضع فى فلسطين، عاد فى اليوم التالى ليقول: إن عدد الاسرائيليين فى متصرفية القدس لا يزال متناسبا مع عدد أهلها من المسلمين والمسيحيين، وأنه لا يعتقد بأن عدد الاسرائيليين الحالى فى فلسطين يصح أن يكون خطرا على أهلها، لأنهم - أى الاسرائيليين - لا يؤلفون الأكثرية، ولأن فلسطين متصلة بسوريا، وغير منفصلة عنها، ففى سوريا وفلسطين من المسلمين والمسيحيين أضعاف أضعاف ما يمكن أن يبلغه عدد الاسرائيليين فى فلسطين(٧٦).

وربما كان هذا التراجع من جانب نجار يعود إلى ملاحظات سمعها هنا وهناك بعد أن نشر الحلقة الأولى من بحثه الذى امضى شهرين كاملين فى درسه وتمحيصه، فعدل فى الحلقة الثانية عن بعض ما ذكره فى مقالته الأولى، ومع ذلك فقد ظل نجار على رأيه بأنه يوجد خطر ما على فلسطين، وكان الخطر هذه المرة فى رأيه لا يكمن فى عدد الاسرائيليين، بل فى قوتهم المالية والاقتصادية، وهو ما سنتناوله فيما بعد.

وقد سارع نسيم ملول بالرد على مقالى نجار بمقالين نشرهما فى «المقطم» حيث ادعى أن ما جاء فى مقالى نجار ليس على شىء من الحقيقة، وحاول أن يضفى على مقاليه هو المصداقية، فقال إنه أمضى فى فلسطين أربع سنوات تجعله أكثر علما، وتجعل ما علمه أقرب إلى الحقيقة مما وقف عليه نجار فى شهرين.

ففيما يتعلق بعدد اليهود فى لواء القدس قال ملول إنه أقل مما أورده نجار بكثير، ولكنه لم يورد أى براهين من جانبه تدعم ادعاءه، وقال ملول أيضا إن الفروق كبيرة بين تعداد كل عنصر من عناصر السكان فى فلسطين، والدليل على ذلك أنه فى الانتخابات النيابية الأخيرة، فاز المسلمون بثلاثة نواب يمثلونهم فى مجلس المبعوثان، فى حين لم يكن للمسيحيين والاسرائيليين والسامريين مبعوث واحد ينوب عنهم، مما يعنى أن العنصر الإسلامى هو الذى يمثل الأكثرية فى لواء القدس، ثم استشهد بما ذكره نجار نفسه من أنه لا يعتقد بأن عدد الاسرائيليين الحالى فى فلسطين يصح أن يكون خطرا على أهلها(٧٧).

وقد واكب نشر هذه المقالات ورود رسالة من مكاتب «الأهرام» فى يافا أشار فيها إلى أن المواطنين الفلسطينيين بدأوا ينتبهون الى خطورة الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وبدأوا يطالبون الحكومة بوضع حد لمطامع الصهيونيين الذين يصلون كل أسبوع كالسيل المتدفق.

وذكر أنه اطلع على برقية عربية بعث بها فريق من ذوات اللواء الى «المنتدى الأدبى» وجريدة «بيام» فى الآستانة، وقد رأى مراسل «الأهرام» إثباتها على صفحات جريدته لا لشىء إلا لما تضمنته من الشعور والحس الوطنيين.. وقد جاء بهذه البرقية التى صورت ما

وصل إليه الوضع فى فلسطين بسبب الهجرة اليهودية: «نحن فى وضع نكاد نفنى فيه، ونجلى عن بلادنا، وتوشك المطامع الصهيونية أن تبتلعنا، ويحق علينا ما حق على هنود أمريكا إزاء المهاجرة الأجنبية»، وناشد الموقعون على البرقية صحيفة «الأهرام» ان تكون لسان حالهم لدى الحكومة، وأن تستعمل ما لديها من الوسائل المشروعة فى تنبيهها إلى الخطر المحدق بها - قبل الفلسطينيين - بسبب الحركة الصهيونية التى ستخلق لهم مقدونيا ثانية، متى أصبحت الأكثرية المطلقة فى أيديها..(٧٨).

ثانيا :مزايا الهجرة اليهودية وأضرارها:

أدت هجرة اليهود إلى فلسطين بأعداد كبيرة إلى أن بدأ بعض كتاب صحف الدراسة فى الاهتمام بما قد ينجم عن هذه الهجرة من آثار سلبية سواء بالنسبة لفلسطين أو بالنسبة للدولة العثمانية، فى حين انبرى فريق آخر من الكتاب إلى إبراز المزايا والفوائد التى ستعود عليهما.

ولكن مما يسترعى الانتباه أن مزايا الهجرة اليهودية حصلت على اهتمام أكبر من جانب صحف الدراسة بالمقارنة مع أضرارها ، ففى حين بلغ اجمالى التكرارات التى تناولت موضوع مزايا الهجرة وأضرارها حوالى ٣٠٤ تكرارات ، نجد أن مزايا الهجرة حصلت على ٢٠٠ تكرارا بنسبة ٦٥٫٨٪ ، فى حين حصلت أضرارها على ١٠٤ تكرارات بنسبة ٣٤٫٢٪ .

من ناحية أخرى سجلت مزايا الهجرة وأضرارها بالنسبة لفلسطين والفلسطينيين تكرارات أعلى من مزاياها وأضرارها بالنسبة للدولة العثمانية ، ففى حين سجلت مزايا الهجرة بالنسبة لفلسطين

والفلسطنيين ١٣٣ تكرارا بنسبة ٥ر٦٦ ٪ من اجمالى تكرارات المزايا (٢٠٠ تكرارا) ، وسجلت أضرارها ٧٨ تكرارا بنسبة ٧٥٪ من اجمالى تكرارات الأضرار (١٠٤ تكرارات) ، وسنجد أن مزايا الهجرة بالنسبة للدولة العثمانية سجلت ٦٧ تكرارا بنسبة ٥ر٣٣ ٪ ، وأضرارها ٢٦ تكرارا بنسبة ٢٥٪ (٧٩).

وقد تفاوتت صحف الدراسة فيما بينها فى تناولها لهذا الموضوع، فقد كانت صحيفتا «الأهرام» و«المقطم» فى مقدمة الصحف التى اهتمت بالحديث عن مزايا الهجرة اليهودية وأضرارها، ولكن تجدر الإشارة إلى أن عدد التكرارات التى تحدثت عن مزايا الهجرة، فاق عدد التكرارات التى تعرضت لبيان مساوئها، ففى صحيفة «الأهرام» حصلت مزايا الهجرة بالنسبة لفلسطين على ٤١ تكرار بنسبة ٤٢,٧٪ من إجمالى ٩٦ تكرارا، وحصلت مزايا الهجرة بالنسبة للدولة العثمانية على ٣٠ تكرارا بنسبة ٤٤,٨٪ من إجمالى ٦٧ تكرارا، وفى «المقطم» حصلت المزايا بالنسبة لفلسطين على ٤٣ تكرارا بنسبة ٤٤,٨٪ وبالنسبة للدولة العثمانية على ٣٦ تكرارا بنسبة ٥٣,٧٪، أما مساوىء الهجرة بالنسبة لفلسطين فقد حصلت فى «الأهرام» على ١٤ تكرارا بنسبة ١٩٪، وبالنسبة للدولة العثمانية حصلت على ثمانى تكرارات بنسبة ٣١٪ **من اجمالى التكرارات الخاصه بالدولة العثمانية فقط ،** وفى «المقطم» حصلت الأضرار بالنسبة لفلسطين على ٣٨ تكرارا بنسبة ٥١٪، وبالنسبة للدولة العثمانية على ثمانى تكرارات أيضا بنسبة ٣١٪.

وإذا حاولنا التعرف على الأسباب التى أدت إلى هذه النتائج، سنجد أن صحيفة «الأهرام» كانت تؤمن بالفوائد المتأتية عن هجرة اليهود إلى السلطنة، ولكن على ألا يتم حشرهم فى بقعة واحدة من

بقاعها، حتى لا يترتب على ذلك خلق مشكلة سياسية فيما بعد، وقد عبرت «الأهرام» عن هذا الموقف خمس مرات، فقد ذكرت في تعقيب لها على أحد مقالات الكاتب الصهيوني جاك ليفي طنطاوي. «نحن نريد أن يهاجر جميع اسرائيليي الأرض إلى تركيا، ولكنا لا نريد حشرهم في بقعة واحدة، لأن ذلك يحملهم على الطمع بتأسيس ملك في وسط الملك، وإن لم يكن ذلك من مشاريعهم يوم الهجرة، لأنه يستحيل جمع طائفة واحدة في بقعة واحدة ذات تاريخ ولغة ودين وتقاليد وقدرة وذكاء أو نشاط دون أن يخامر نفسها الطمع بالاستقلال»(٨٠).

وفي موقع آخر قالت «الأهرام» قلنا صريحا إننا لسنا ضد مهاجرة الاسرائيليين إلى البلاد العثمانية، بل إننا نود هذه المهاجرة ونشجعها على شرط ألا يكون الغرض منها إنشاء مملكة اسرائيل على أنقاض فلسطين»(٨١). ودعت الصهيونيين إلى جعل غرضهم استيطان تركيا لا استيطان فلسطين فقط(٨٢).

وكان السبب في موافقة «الأهرام» على الهجرة اليهودية إلى السلطنة هو اعتقادها بالفوائد والمزايا التي تعود عليها من هذه الهجرة، وقد عبرت عن ذلك بقولها «بالأموال التي يأتي بها الاسرائيليون وبالفنون والعلوم التي يحملونها إلى سوريا نفع عظيم لسوريا وتعمير كبير...»(٨٣).

وفضلا عن ذلك فإن ارتفاع عدد التكرارات التي تحدثت عن مزايا الهجرة اليهودية في «الأهرام» عن عدد التكرارات التي تحدثت عن مساوئها يرجع إلى سببين آخرين أحدهما: أن بعض الكتاب العرب الذين شاركوا في الجدل الذي أثير حول المسألة الصهيونية كان لهم نفس الرأي الذي تبنته «الأهرام» فيما يتعلق بالهجرة اليهودية، فعلى

سبيل المثال لم يتحدث شكيب أرسلان فى مقاله بعنوان «حيفا بيروت الصغيرة» عن مزايا الهجرة اليهودية مباشرة، وإنما أبدى إعجابه فيه بأعمال المهاجرين اليهود إلى فلسطين، ومع ذلك فقد كان إعجابه بأعمال المستوطنين، يحمل فى طياته إشارة إلى مزايا تلك الهجرة، ولكنه لم يلبث أن أردفه بمقال آخر كشف فيه عن مزايا الهجرة اليهودية صراحة، كما كشف عن تأييده لها على أساس المنافع المتأتية منها.

واستشهد أرسلان بالتاريخ الإسلامى فأشار إلى أن عمرو بن العاص حينما فتح الإسكندرية، كتب بهذا الفتح الجليل إلى عمر بن الخطاب، وكان من جملة ما عدده من محاسن المدينة المفتوحة بعد ذكر الحمامات والملاهى وسائر آثار العمران أن «فيها أربعين ألف يهودى يؤدون الجزية»(٨٤).

وقد ربط شكيب أرسلان تأييده للهجرة اليهودية ببعض التحفظات منها عدم السماح لليهود بالتجمع فى بقعة إلى أن تتمكن سطوتهم، وتعلو كلمتهم ويصير لهم صولة بين عدد الرجال ومدد المال. كما اشترط أيضا أن يدخلوا جميعا فى الجنسية العثمانية..

أما السبب الثانى وراء ارتفاع التكرارات التى تحدثت عن مزايا الهجرة فهو استخدام بعض الكتاب الصهيونيين حق الرد على ما كان ينشر فى «الأهرام» من تحذيرات ضد الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ولجوئهم إلى تفنيد ما كان يتردد من اتهامات وادعاءات بإبراز المزايا التى تعود على فلسطين والدولة العثمانية من وراء هذه الهجرة.

أما صحيفة «المؤيد» - فإنها - على الرغم من عدم اهتمامها بالمسألة الصهيونية فقد سجلت فيها أضرار الهجرة اليهودية تكرارات أعلى

من تلك التى تحدثت عن مزاياها ـ على عكس صحيفتى «الأهرام» و«المقطم» ـ ويرجع ذلك إلى أنها كصحيفة اسلامية لم تفسح صدرها أمام الكتاب الصهيونيين ـ كما فعلت الصحف الأخرى ـ اللهم إلا بعض المقالات التى نشرها سليم قبعين وتحدث فيها بأسلوب غير مباشر عن مستعمرات الألمان فى فلسطين، وعن تقدم حركة العمران فى القدس وغيرها من المدن التى كان يقطنها المستوطنون اليهود.

وفيما عدا ذلك كانت بقية المقالات التى عالجت هذا الموضوع لكتاب سوريين أو فلسطينيين ممن شاهدوا بأنفسهم ذلك الانتشار السرطانى للاستعمار الصهيونى فى فلسطين، واستشعروا أخطاره.

وكان الموضوع الوحيد الذى تطرقت فيه صحيفة «الجريدة» إلى موضوع الهجرة اليهودية هو ذلك الذى نشره نقولا الحداد عن استعمار اراضى ما بين النهرين، وفيه أبرز خطر استقلال مستعمرة أجنبية فى قلب تركيا، ووصفه بأنه إنما هو إنشاء مملكة فى وسط مملكة، وتقوية تلك على هذه.

وحصلت مزايا الهجرة اليهودية فى صحيفة «اللواء» على تكرارين، فى حين لم تحظ أضرارها بأية تكرارات، وفى صحيفة «الأهالى» حصل كل من المزايا والأضرار على تكرار واحد فقط، ويرجع ذلك إلى اهتمام هاتين الصحيفتين ـ وكذلك صحيفة «الجريدة» ـ بالقضية المصرية، وإعطائها الأولوية على غيرها من القضايا العربية..

وإذا ما حاولنا التعرف على نوعية مزايا الهجرة اليهودية وأضرارها كما قدمتها صحف الدرسة ـ سنجد أنها تحدثت عن مزايا الهجرة وأضرارها بالنسبة للأطراف التالية:

١ ـ فلسطين.

٢ ـ الفلسطينيون.

٣ ـ الدولة العثمانية.

وسـوف نتناول فـيمـا يلى كل واحـدة من هـذه النقـاط بشـىء من التفصيل :

١ - مزايا الهجرة بالنسبة لفلسطين

ا - تعمير فلسطين والنهوض بها :

شملت هـذه الفئة جميع الأعمال العمرانية التى قام بها اليـهود فى فلسطين، ابتـداء من بناء المدن والقـرى والمسـتـوطنات، إلى العناية بالاقتصاد وتطويره، وقد حصلت هذه الفئة على ٥٧ تكرارا بنسـبـة ٤ر٥٩٪ من إجـمـالى تكرارات مـزايا الهـجـرة لفلسطين، توزعت على ثلاث فئات فرعية هى:

١ - عمليات البناء والتعمير، وقد حصلت على ٢٤ تكرارا بنسـبـة ٤٢,٢/ من إجمالى هذه الفئة.

٢ - العناية بالزراعة والتشـجير، وحصلت على ١٦ تكرارا بنسـبـة ٢٨٪.

٣ - النهوض بالصناعة وتنشيط التجارة، وحصلت على ١٣ تكرارا بنسبة ٢٢,٨٪.

٤ - أخرى ٤ تكرارات بنسبة ٧٪.

وهكذا نرى أن المؤشر على النهضة التى أحدثها المهاجرون اليهود فى فلسطين - كمـا عبرت عنها صـحف الدراسـة - تمثل فى عمليات البناء والعـمـران التى احـتلت المركـز الأول فى اهـتـمـام الكتـاب، ثم الاهتمام بالزراعة والتشـجير بوصـفـه أحد أعمال العمران التى يقوم بها الإسـرائيليون فى أرض الميعاد، وقد احتل المركز الثانى، وأخيراً جاء النهوض بالصناعة والتجارة فى المرتبة الثالثة.

وفيما يتعلق بالفئة الأولى ـ فئة البناء والتعمير ـ سنجد أنها حصلت فى جريدة «الأهرام» على ١٣ تكرارا بنسبة ٥٤,٢٪، وفى «المقطم» على ٧ تكرارات بنسبة ٢٩,١٪، وفى «المؤيد» حصلت على ٤ تكرارات بنسبة ١٦,٧٪ من إجمالى تكرارات هذه الفئة.

وقد تم التعبير عن هذه الفئة بأساليب متعددة، فقد رأى أحد الكتاب العرب أنه كلما زاد عدد سكان بلد من البلدان، زادت ثروته، واتسع نطاق عمرانه.. وفلسطين التى ذكرت كتب الأديان أنها أرض تفيض لبنا وعسلا، وأنها جنة الدنيا، قد أصبحت أراضى مقفرة، وبلاد غامرة، وسهول متروكة، وغابات موحشة، ونسبة مساحة أرضها إلى عدد سكانها كنسبة ٥ ـ ١٠٠ أو أقل.. ولذلك فهى بحاجة إلى أيد عاملة قوية تستثمر تلك الأراضى القفراوات وتعيدها إلى ماضى مجدها»[٨٥]، ومعنى ذلك أن زيادة العمران مرتبطة بزيادة السكان وبالتالى فإن الهجرة اليهودية لا تتعارض مع مصالح البلاد، بل إنها على العكس من ذلك بحاجة ملحة إليها، لفائدتها لها.

وربط أحد الزعماء الصهيونيين بين اليهود والنهوض بفلسطين وتعميرها فقال: إن فلسطين لا تعود إلى خصبها ومجدها السابقين إلا بواسطة الاستعمار اليهودى.

وقد أدت القرى والمدن والمستعمرات التى أنشأها اليهود فى فلسطين إلى انبهار الكتاب العرب بها، فكتب شكيب أرسلان يطالب بالاستزادة من المهاجرين اليهود قائلا: «وما شوقنى إلى الاستزادة قليلا من سكنى اليهود إلا ما رأيته من انتظام «زمارين» فى قضاء حيفا، وما سمعته عن غيرها من قراهم.. وقد علمت أن قرية زمارين كانت خرابا فصارت جنة ناضرة»[٨٦].

أما حقى العظم فقال إن سوريا وفلسطين ينقصهما المال والأيدى العاملة النشيطة التى توصلهم إلى الضالة المنشودة وهى عمران البلاد.. واليهود لديهم ذلك(٨٧).

وادعى الزعيم الصهيونى أوسشكين أن مهمة الصهيونية التاريخية هى الإيذان بنهوض وعمران البلاد القديمة وتعزيزها، وإبلاغها أعلى شأو فى معارج النمو(٨٨).

وكتب صهيونى آخر: يقول إن حركتنا أفادت تركيا وفلسطين فوائد عظمى منها أنها أصلحت البلاد بعد أن كانت خرابا، فأصبحت بفضل علومهم وسواعدهم وأموالهم جنة زاهية.. زاهرة.. نضرة. فاليهود شعب عامل.. أينما حل أفاد واستفاد(٨٩).

وقد ارتبط الحديث عن عمران فلسطين والنهوض بها بالحديث عن العناية بالزراعة والتشجير ونشر الخضرة فى كل مكان - وقد حصلت هذه الفئة كما أشرنا آنفا على ١٦ تكرارا بنسبة ١٦,٧٪ فقد كتب: «اسرائيلى مطلع» مشيدا بإنجازات اليهود فى مجال الزراعة والعمران قائلا: إن اليهود أينما نزلوا فى أرض فلسطين، حولوا أوجه الناحية الجرداء، وصيروا الخراب من الأرض عمارا، وارتقت الزراعة على أيديهم، وحفروا الأخاديد، وشادوا البنايات البديعة التى تجتذب الأبصار(٩٠).

وتباهى زعيم صهيونى بأن المستعمرات اقيمت على أرض رملية لا تصلح لشىء، بل كان فيها مستنقعات، فردموها وجعلوا الرمال حدائق غناء(٩١).

وشارك كتاب عرب الصهيونيين إعجابهم بما حققه الإسرائيليون فى مجال الزراعة فكتب سليم قبعين فى «المقطم» يقول إن

الاسرائيليين حولوا الأرض إلى مروج خضراء، وحدائق غناء[٩٢] كما قال فى «المؤيد» إن الاسرائيليين مهدوا الجبال الوعرة التى كانت ملجأ للصوص وقطاع الطرق، فأصبحت بفضلهم حدائق غناء أثمرت لأصحابها الخيرات الوافرة[٩٣].

وكتب آخر بتوقيع «أحد الأدباء» - وقد يكون صهيونيا أو عربيا - إن الاسرائيليين غرسوا جبل الكرمل الذى عرضته الحكومة على الوطنيين، فأبوا العمل فيه، فصار بفضل المهاجرين مثل جبل لبنان، وأوضح الفرق بين المهاجرين والفلسطينيين فى العناية بالأرض وبالزراعة فقال إن المهاجر يشترى بما يوفره أرضا يستدر خيرها، والوطنى يبيعه إياها ليتخلص من خدمتها[٩٤].

واستعرض كاتب سورى فى «المؤيد» ما يردده الآخرون عن دور اليهود فى تعمير فلسطين ونجاحهم فى الزراعة، ولكنه انتقدهم لأنهم يحكمون على الأمور بمجرد الظواهر، دون ان يتبصروا العواقب والسرائر[٩٥].

ومع ذلك فقد ظل الكتاب الصهيونيون - والعرب أحيانا - يكتبون عن فضل اليهود فى ارتقاء الزراعة فى فلسطين، وفى إدخال أصناف جديدة لم تكن معروفة بها من قبل مثل اللوز والعنب وعصيره، وفى مضاعفة إنتاج البرتقال وغيره من المحاصيل التى كانت تزرع قبل مجيئهم، وأنهم حولوا البقاع التى كانت تنتشر فيها الحمى المميتة - مثل ملبس والخضيرة وغيرها - إلى جنات لم تعد تطرقها الأمراض، وأنهم أدخلوا الآلات الزراعية الحديثة فى فلسطين، فشاع استخدامها بفضلهم، وأنهم حفروا الترع والمصارف بالآلات البخارية، فألبسوا المهاد الجرداء القفراء، لباس الحياة القشيب، حتى غدت فلسطين شأنها شأن لبنان، أغنى البلاد المزروعة فى السلطنة[٩٦].

وفضلا عن نشر العمران والعناية بالزراعة، تحدثت صحف الدراسة أيضا عن إسهامات المهاجرين اليهود فى النهوض بالصناعة فى فلسطين، فذكرت أنهم أدخلوا صناعات جديدة لم تكن معروفة من قبل مثل صناعة النبيذ الذى يصدرونه إلى أوروبا، حيث يباع بأسعار عالية لأنه من إنتاج الأرض المقدسة، فيعود على البلاد بالأرباح الوافرة، وأنهم أدخلوا أيضا صناعة العربات والسروج، وصناعات الحدادة والنجارة والبناء، كما أسهموا فى تنشيط التجارة بزيادة الواردات والصادرات، وعلموا الوطنيين جلب البضائع رأسا من أوروبا بعد أن كانوا يجلبونها من لبنان، فزادت أرباحهم[٩٧].

ب ـ إدخال دم جديد إلى فلسطين:

حصلت هذه الفئة على ٣٩ تكرارا بنسبة ٤٠,٦٪ من تكرارات مزايا الهجرة بالنسبة لفلسطين، وقد اعتمد الكتاب الذى أيدوا الهجرة اليهودية إلى فلسطين على الإدعاء بأن البلاد فى حاجة إلى إدخال دم جديد إليها، ووجدوا فى اليهود ذلك الدم الجديد الذى يمكن أن يعيد إلى فلسطين نضارتها ونهضتها المفقودتين، على أساس أنهم يتمتعون بسمات ومزايا خاصة ستحقق النهضة المنشودة لفلسطين، ومن أهم هذه السمات التى ركزوا عليها:

أ ـ أن اليهود أهل علم وجد ونشاط وعمل، والبلاد تحتاج إلى عنصر من هذا النوع (١٢ تكرارا بنسبة ٣٠,٨٪ من إجمالى تكرارات هذه الفئة).

ب أنهم من أصل شرقى، ولذلك فإنهم أنسب للتعاون مع سكان فلسطين من الأجانب (٩ تكرارات بنسبة ٢٣٪).

جـ ـ رسل الحضارة الغربية الحديثة إلى الشرق القديم (٧ تكرارات بنسبة ١٧,٩٪).

د ـ مقتدرون ماليا وأدبيا، وفلسطين فى حاجة إلى مالهم وعلمهم (٧ تكرارات بنسبة ١٧,٩٪).

هـ ـ أخرى وحصلت على ٤ تكرارات بنسبة ١٠,٣٪.

ومن الملاحظ أن كتابات الصهيونيين سعت إلى إقناع العرب بأنهم بحاجة إلى إدخال «دم جديد» إلى جسم ذلك «الشيخ الهرم» ـ فلسطين ـ حتى يتمكن من الدفاع عن نفسه ضد هجمات الغرب، والصمود فى وجه أطماعه، التى تمثلت فى ذلك التنافس الاستعمارى بين المانيا وغيرها من الدول الغربية كبريطانيا وفرنسا للفوز بفلسطين، وخلص هؤلاء الكتاب إلى أن العرب لن يجدوا دما أفضل من الاسرائيليين، لأنهم شعب شقيق، فهم من أصل شرقى، ولكن لهم اليد الطولى فى مدنية الغرب، ولذلك سيكونون هم وحدهم القادرون على أن يوفقوا بين مدنية الشرق القديمة، ومدنية الغرب الحديثة، وأن يلقحوا المدنية الشرقية بلقاح جديد(٩٨).

وأكد زعيم صهيونى أن الاسرائيليين وهم شرقيون فى عاداتهم وأخلاقهم.. غربيون فى آدابهم وعلومهم ومدنيتهم وحضارتهم، يكونون الواسطة الوحيدة التى توصل بين العرب والمدنية الغربية، كما أن باستطاعتهم أن يخدموا العرب خدمات جلى، لما لهم من العلاقة بالعالم المالى والصحافة فى الغرب(٩٩).

ومما يؤسف له أن بعض قادة الرأى من العرب ساهموا فى ترويج هذه الأفكار، فقد كتبت «الأهرام» فى عام ١٩١٣ تقول إنه بالأموال التى يأتى بها الاسرائيليون وبالفنون والعلوم التى يحملونها إلى سوريا نفع عظيم لسوريا وتعمير كبير(١٠٠).

وأدلى عبدالحميد الزهراوى أحد الزعماء السوريين ورئيس المؤتمر السورى العربى الذى عقد فى باريس عام ١٩١٣ بتصريح لمحرر

جريدة «الجون ترك» (تركيا الفتاة) قال فيه «إن البلاد تستفيد من وجود اليهود فى فلسطين لأن اليهود بأموالهم وسواعدهم وخبرتهم يفيدون ويستفيدون».

وقد لاقى هذا التصريح من شخصية لها وزنها مثل الزهراوى ترحيبا كبيرا من بعض الصهيونيين الذين اعتبروه ضربة إلى الذين يتخوفون من نزوح الاسرائيليين الى تلك البطاح، وشكروا الزهراوى على تصريحه[١٠١].

وتجدر الإشارة إلى أن هذه التصريحات جاءت فى الوقت الذى كانت تبذل فيه جهود لتحقيق اتفاق مع الصهيونيين بما يصون مصالح الفلسطينيين، وربما جاءت هذه التصريحات من جانب العرب كدليل على حسن النوايا تجاه الصهيونيين، ولكن لا يخفى ما لهذه التصريحات من أثر فى إحداث نوع من التشوش والارتباك لدى القراء.

وقدم أحد الصهيونيين دليلا على اقتدار اليهود المالى، وعلى قيامهم بإنفاق أموالهم على المشروعات الاقتصادية والعمرانية فى فلسطين، فذكر أنهم أنفقوا على البلاد ١٥٠ مليون فرنك فى ٣٠ عاما مما طبع على فلسطين طابع النضار والارتقاء الملموس[١٠٢].

وأوضحت كتابات الصهيونيين أيضا ما يمكن أن يسهم به اليهود كعنصر نشيط فى زيادة موارد البلاد بسبب زيادة الصادرات والواردات[١٠٣]، ودفع الرسوم والضرائب التى تفرضها قوانين البلاد[١٠٤].

وادعى نسيم ملول أن الاسرائيليين أفادوا سوريا بوجه عام، وأن شراءهم للأراضى هو أقرب الطرق إلى الإصلاح، وأوفرها ربحا لسوريا[١٠٥]، كما أشاد شكيب أرسلان بفضل اليهود فى رفع أسعار

الأملاك وزيادة ريعها، وفيما يمكن أن تحصل عليه البلاد من موارد إضافية على هيئة جمارك ومكوس على البضائع الواردة باسمهم.

وحذر أرسلان من الإفراط في الخوف من هجرة اليهود إلى فلسطين لأن البلاد بحاجة إلى المال والعمارة، واليهود قوامون على هذه الأمور بلا مراء(١٠٦).

وفيما عدا ذلك حصلت فئة أخرى على أربع تكرارات، تكرارين منها عن فضل

المهاجرين في تحقيق نهضة علمية وتعليمية في فلسطين، وتكرارين عن فضلهم في إرساء أسس قيام مجتمع سياسي منظم، تتمتع فيه المرأة بالمساواة مع الرجل.

٢ - مزايا الهجرة بالنسبة للفلسطينيين:

حصلت هذه الفئة على ٣٧ تكرارا بنسبة ٥ر١٨٪ من اجمالي تكرارات مزايا الهجرة ، وقد تم التعبير عنها من خلال فئتين فرعيتين أساسيتين هما:

أ - فضل الهجرة اليهودية في زيادة دخل الفلسطينيين، وقد حصلت هذه الفئة على ٢٣ تكرارا بنسبة ٢ر٦٢٪ من اجمالي ٣٧ تكرارا تمثل مزايا الهجرة بالنسبة للفلسطنيين .

ب - فضل الهجرة اليهودية في تعليم الفلسطينيين الزراعة والصناعة والتجارة، وقد حصلت على١٢ تكرارا بنسبة ٤ر٣٢٪.

جـ - أخرى حصلت على تكرارين بنسبة ٤ر٥٪.

وفيما يتعلق بالفئة الاولى حرص الصهيونيون على التأكيد على أن المهاجرين اليهود أسهموا في زيادة دخل الفلسطينيين بوسائل شتى ، منها ايجاد فرص عمل كثيرة لهم في مستعمراتهم ، وارتفاع قيمة ممتلكاتهم عما كانت عليه ، بالاضافة الى تنشيط التجارة بينهم ، من

خلال شراء منتجاتهم من محصولات ودواجن وغيرها ، الأمر الذي أسهم في توفير النقود بأيدي الفلاحين فتحسنت أحوالهم .

ومما يؤسف له أن بعض الكتاب العرب ساهموا في ترديد هذه الادعاءات والمغالطات متأثرين في ذلك بما كانت تردده الدعاية الصهيونية ، وكان من بين الكتاب العرب الذين رددوا هذه الفكرة الأمير شكيب ارسلان وسليم قبعين ، وجريدة « المقطم ».

فقد كتبت جريدة «المقطم» في السنوات الأولى التي أثيرت فيها المسألة الصهيونية أن هجرة اليهود واستعمارهم لفلسطين تفيد أهل البلاد أنفسهم في بادئ الأمر بما يبذل في البلاد من الأموال على شراء الأراضي وعمل الأعمال وبرفع أسعار الأراضي وحاصلاتها، وبتكثير المال في أيدي الفلسطينيين الذي طوح بهم سوء الإدارة وفساد الأحكام في مهاوي الفقر والفاقة، وبالاصلاحات المتعددة مادية وإدارية وأدبية، ولكن الصحيفة رأت أن هذا اليسر لا يدوم للأهالي إلا إذا ثبتوا في ميدان السباق، وأثبتوا أنهم أكفاء لمسابقة قوم شهد التاريخ بأنهم أقدر أهل الأرض طرا في تثمير المال...(١٠٧)

كذلك فإن الأمير شكيب أرسلان أوضح فضل المهاجرين اليهود في إيجاد فرص عمل للفقراء الفلسطينين في أراضيهم، وفي وقف تيار مهاجرة الفلسطينيين إلى الخارج، فقد كانت سوريا وفلسطين تعانيان من مشكلة هجرة أبنائهما إلى الولايات المتحدة وغيرها من البلدان، وظن أرسلان أن المهاجرين الاسرائيليين سيوجدون فرص عمل للفلسطينيين في مستعمراتهم، مما سيحول دون هجرتهم إلى الخارج، الأمر الذي ينم عند عدم وعي أو ادراك بالأهداف الصهيونية التي كانت تسعى الى استعادة فلسطين ، واحلال اليهود محل أهلها من الوطنيين .

واتفق سليم قبعين مع شكيب أرسلان في أن المهاجرين اليهود أوجدوا فرص عمل للفلسطينيين، فذكر أنهم اتخذوا منهم الخفراء والعملة(١٠٨). وادعى زعيم صهيوني بأن المهاجرة تنفع العرب أكثر مما تنفع الاسرائيليين. وبنى ادعاءه هذا على أن مستعمرة «ملبس» وحدها دفعت نيفا ومليون فرنك أجورا للعمال الوطنيين، حتى لقد زادت أجرة العامل في مستعمرات الاسرائيليين ضعفين عن أجرته في القرى الاخرى.. وأنهم نفعوا العرب «بشيلن» الأثرية وغيرها من الأعمال.. مما أدى إلى زيادة دخل العامل الفلسطيني وتحسين أحواله(١٠٩).

وفضلا عن الادعاء بأن المهاجرين أوجدوا فرص عمل للفلسطينيين في مستعمراتهم، ادعت بعض الكتابات أن المهاجرين أسهموا بطريقة أو بأخرى في زيادة دخل الفلسطيني من خلال شرائهم الأنعام والطيور الداجنة والأراضي بأثمان باهظة..

من ناحية أخرى ذكر بعض الكتاب أن الفلسطينيين استفادوا فائدة كبرى من الاقتداء باليهود في اتقان فلاحتهم، وفي إدخالهم الآلات الجديدة، واتباع الأساليب الحديثة في إحياء الزرع والضرع، فتعلموا أصول الزراعة على الطراز الحديث، كما تعلموا منهم بعض الصناعات والحرف، مما كان له دور كبير في تحسين دخلهم، وزيادة أرباحهم، فأصبحوا ميسوري الحال، بعد أن كانوا ضيقي اليد(١١٠).

وبالإضافة إلى زيادة دخل الفلسطينيين من خلال المصادر السابقة أشار البعض إلى أن سوق المنسوجات والمصنوعات الوطنية التي أقامها الاسرائيليون أسهمت في توفير النقد بيد الفلاحين، فتحسنت أحوالهم، وراجت التجارة والصناعة بينهم، كما أشار كاتب عربي إلى الادعاءات التي تتردد بأن الوطنيين يستفيدون من الأموال

التى يقرضها لهم الاسرائيليون[١١١]، بينما أشار زعيم صهيونى إلى أنهم ينتفعون

بالعلاج المجانى الذى يقدمه لهم الاسرائيليون فى الإدارات الطبية التى أنشأوها فى مستعمراتهم[١١٢].

٣- مزايا الهجرة اليهودية للسلطنة العثمانية :

لم تقتصر الكتابات التى نشرت فى صحف الدراسة على إبراز فضل الهجرة اليهودية على فلسطين فحسب، وإنما تطرقت إلى ابراز مزاياها أيضا بالنسبة للدولة العثمانية.

وكان من المعتقد أن بيان فوائد الهجرة اليهودية بالنسبة للدولة العثمانية ينبغى أن يحتل أهمية أكبر من تلك التى أعطيت إلى فوائد الهجرة بالنسبة لفلسطين، بهدف إقناع الآستانة بالتخلى عن معارضتها للمشروع الصهيونى، إلا أن نتائج التحليل كشفت عن أن اهتمام صحف الدراسة ببيان فوائد الهجرة لفلسطين والفلسطينيين فاق اهتمامها ببيان فائدة الهجرة للدولة العثمانية، ففى حين حصلت الأولى على إجمالى ١٣٣ تكرارا بنسبة ٥ر٦٦٪، حصلت الثانية على ٦٧ تكرارا بنسبة ٥ر٣٣٪.

وربما يرجع ذلك إلى عدة أسباب.. أولها: أن هذه الصحف كانت تتوجه إلى الرأى العام العربى فى البلاد العربية، ولا تخاطب الرأى العام العثمانى فى البلاد التركية..

ثانيــا: أن السوريين والفلسطينيين أظهروا معارضة شديدة للاستيطان اليهودى فى فلسطين، ومن ثم كان يتعين إقناعهم من جانب الصهيونيين - ومؤيديهم من العرب - بالفوائد التى ستعود عليهم من جراء الهجرة اليهودية إلى بلادهم.

ثالثـا: أنه فى الوقت الذى أثير فيه الجدل على نطاق واسع حول مسألة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، كان الاتحاديون يحتلون سدة الحكم فى الآستانة، ولذلك لم يكن الصهيونيون بحاجة إلى اقناعهم، لأنه كانت تربطهم وإياهم علاقات وثيقة، كما كان الاتحاديون يبدون تفهما لطموحات الصهيونيين.

وعلى أية حال فقد حصلت الفئة الخاصة بمزايا الهجرة اليهودية للدولة العثمانية على ٦٧ تكرارا بنسبة ٣١,٨٪ تم التعبير عنها من خلال الفئات الفرعية التالية:

أ - دور الهجرة اليهودية فى تمويل خزانة الدولة :

حصلت هذه الفئة على ٢٥ تكرارا بنسبة ٣٧٫٣٪ من إجمالى تكرارات مزايا الهجرة بالنسبة للدولة العثمانية، وقد دارحديث صحف الدراسة عن مزايا الهجرة فى تمويل خزانة الدولة العثمانية، وفى تحقيق منافع مادية لها من خلال الفائدة التى ستعود على بيت مال المسلمين من ارتفاع أسعار الأملاك وارتفاع ريعها، وزيادة دخل الولايات من الأعشار والويركو، والإفادة من المكوس والجمارك التى سيتم تحصيلها على البضائع الواردة باسمهم(١١٣)، ودفعهم لجميع التكاليف الاميرية(١١٤).

ووجد زعيم صهيونى أن فى نمو العنصر الاسرائيلى فى فلسطين فائدة وقيمة لا يستطاع تقديرهما لترقية السلطنة اقتصاديا وتهذيبيا، دون أن يذكر بالتفصيل أوجه تلك الفائدة الاقتصادية.

وأشار أحد كتاب «الأهرام» إلى أن الاسرائيليين أغنياء ومنظمون ومقتدرون.. وأنهم يساعدون الحكومة المركزية بصحفهم وأموال بنوكهم من أجل تحقيق مصلحتهم فى فلسطين.

وكانت صحيفة «المقطم» قد أشارت أيضا فى مرحلة مبكرة إلى أن الاسرائيليين سعوا فى عام ١٩٠١ إلى شراء فلسطين بمال طائل لتمويل الخزانة العثمانية التى تفتقر إلى المال، إن لم يكن تمويل الجيب الخاص للسلطان[١١٥]، ولكن فيما بعد بدأ بعض كتاب «المقطم» يشيرون إلى أن مستعمرات الاسرائيليين تدر على الخزينة العثمانية الأموال الطائلة، وأن الاسرائيليين يسهمون فى تمويل خزانة الدولة من البدلات العسكرية التى يدفعونها [١١٦]، وضرائب الأطيان التى تتم جبايتها عن الأراضى المزروعة والتى وصلت بفضل المهاجرين إلى ٤٠ أو ٥٠ ضعفا عما كانت تحصله قديما[١١٧] .

وأشار الكتاب الصهيونيون إلى أن الصهيونية تعرض خدماتها على الدولة العثمانية فى صورة قروض أو أطيان، وأنهم يفيدون الدولة بشراء الأراضى البور وإصلاحها، وإنفاق الأموال عليها، هذا فضلا عن مساعدتهم المالية للدولة فى الحرب الطرابلسية من خلال الليالى الخيرية التى خصص إيرادها للحرب، والمبالغ التى دفعها مدير بنك انجلو بالستين كومبانى[١١٨] .

وقد حصلت فئة تمويل خزانة الدولة العثمانية وتنمية اقتصادها على ١٠ تكرارات فى «الأهرام»، ١٤ تكرارا فى «المقطم»، وتكرار واحد فى «المؤيد».

ب ـ فضل الهجرة فى زيادة عدد السكان وزيادة العمران :

حصلت هذه الفئة على ٢٠ تكرارا بنسبة ٢٩٫٨٪، ٩ تكرارات فى صحيفة «الأهرام» بنسبة ٤٥٪ ، ١١ تكرارا فى صحيفة «المقطم» بنسبة ٥٥٪، ولكنها لم تحصل على أية تكرارات فى باقى صحف الدراسة، فقد ذكر شكيب أرسلان أن الدولة العثمانية ستكسب بالاسرائيليين

رعية جديدة[١١٩]، وسعى كاتب صهيونى إلى إقناع القراء بأن الدولة العثمانية فى حاجة إلى مزيد من السكان، وأنها لن تجد أفضل من اليهود لزيادة عمرانها، فأشار إلى أن نسبة السكان فى السلطنة لا تزيد عن ٨ أفراد فى الكيلومتر المربع، ولذلك فهى ما تزال فى احتياج كبير إلى الأيدى العاملة، لأنه بزيادة عدد سكان الدولة تنمو بسواعدهم ثروتها وايرادها، خصوصا وأن البلاد أوسع من أن تضيق ذرعا ومنفذا بهذا العنصر الممتاز بكل الصفات العصرية[١٢٠].

وقد ركزت معظم الكتابات على أن الفوائد التى ستعود على الدولة العثمانية من الهجرة اليهودية تتمثل فى ترقية الدولة بزيادة عدد السكان، وفى مهاجرة عناصر ذات فائدة، سوف تجلب لتركيا ينابيع خير وسعادة فوق ما يقدره الخبيرون[١٢١].

جـ - دور المهاجرين اليهود فى الحفاظ على أمن وسلامة السلطنة:

حصلت هذه الفئة على ١٨ تكرارا بنسبة ٩ر٢٦٪ ، فقداهتمت صحف الدراسة بإبراز أن المهاجرين اليهود لن يمثلوا أدنى خطر على سلامة الدولة وأمنها مثل غيرهم من الأجانب لسبب بسيط وهو أنه لا دولة لهم تحارب من أجلهم، أو تتدخل فى شؤون السلطنة لحماية مصالحهم، وفضلا عن ذلك فإن المهاجرين الاسرائيليين ينتمون إلى دول شتى، بما يقى الدولة شر انفراد دولة فى السطوة والنفوذ والمصالح فيها دون سواها، خصوصا وأن سلامة السلطنة قائمة كلها بتعدد مصالح الدول فيها، ودوام منافستها ومناظرتها عليها[١٢٢]. وقد أيد هذا الاتجاه بعض المسؤلين العثمانيين الذين نقلت صحف الدراسة تصريحاتهم، فقد صرح أحمد بك رضا رئيس المبعوثان «أن الحكومة تود كثيرا أن يهود روسيا ورومانيا ويهود كل بلد ممن يتظلمون أن يحضروا لبلاد تركيا، ففيها أطيان كافية للفلاحة

والصنائع والتجارة، والحكومة تحس من اليهود إخلاصا تاما، وبانشراح صدر تقابل استعمار اليهود فى تركيا(١٢٣).

كذلك أشار بعض الكتاب الصهاينة إلى المساعدات الفعلية التى قدمها اليهود للدفاع عن أمن السلطنة فى الحرب الطرابلسية، فأشاروا إلى أن يهود روسيا جمعوا أربعة آلاف روبل من بلدة لودز السوفيتية، مشفوعة بمائتى روسى اسرائيلى تطوعوا للذهاب إلى ساحة الهيجاء، كما أن د.فيلكس تيلهابر الصهيونى الصميم فاوض الحكومة العثمانية للذهاب إلى الميدان لعلاج جرحى الحرب العرب والأتراك. وذكر هؤلاء الكتاب أن هذه لم تكن المرة الأولى التى قدم فيها اليهود مساعدات للسلطنة خلال معاركها الحربية، وإنما سبق وأن انتظم خمسة أطباء كلهم صهيونيون إبان الحرب العثمانية اليونانية فى خدمة تركيا حيث خفوا إلى ساحة القتال غير مبالين بالموت، وعالجوا الجرحى العثمانيين بهمة عظيمة، ويلاحظ هنا حرص الكتاب الصهيونيين على تأكيد أن المساعدة تأتى دائما من جانب الصهيونيين(١١٧).

وفضلا عن ذلك نشرت صحف الدراسة أخبارا عن انتظام شبان الاسرائيليين فى سلك الجندية للدفاع عن الدولة العثمانية، وأنهم أظهروا من البسالة مع - أقرانهم من المسيحيين - ما سيجعل الجيش العثمانى من أهم وأقوى جيوش العالم(١٢٨)، وأن اليهود كانوا أول المتطوعين فى الجيش الزاحف من سلانيك وخلافها (١٢٩) دعما للاتحاديين فى انقلابهم على السلطان عبد الحميد..

من ناحية أخرى ألمح نورمان بنتويش محرر صحيفة «جويش رفيو» الصهيونية فى مقابلة مع مكاتب صحيفة « الستندرد » - نشرتها صحيفة « الأهرام» فى ١٢ أغسطس عام ١٩١١ - الى الدور العميل

الذى يمكن أن تقوم به دولة أو مستعمرة يهودية فى فلسطين لصالح أمن الدولة العثمانية ، وذلك بقمع حركات التحرر العربية ، وحركات الانفصال عن الدولة العثمانية حينما قال : « أعتقد أن تركيا تقوى من كل قلبها مستعمرة يهودية كهذه فى الشرق الادنى لكى تقاوم ميل الأعراب والأرمن للانفصال عن المملكة » .

د ـ فضل اليهود فى تقديم مساعدات أدبية للدولة العثمانية :

حصلت ت هذه الفئة على ٤ تكرارات بنسبة ٦٪، ثلاثة تكرارات فى جريدة «المقطم»، وتكرار واحد فى جريدة «الأهرام»، وقد تضمنت المساعدات الأدبية التى قدمها الاسرائيليون للدولة العثمانية، تلك الخدمات التى أداها لها الصهيونيون فى الصحافة الغربية، فقد ذكر نسيم ملول أن الجرائد النمساوية والفرنسوية التى تدافع عن الدولة العثمانية، أصحابها ومديرو شؤنها ومحرروها إن لم يكونوا اسرائيليين أو صهيونيين، فعلى الأقل تدير حركتها اليد الصهيونية، كما ذكر ان الصحف الايطالية دأبت خلال الحرب الطرابلسية على نفى ما ترويه شركة رويتر التلغرافية، لأنها كانت تروى الحقائق عن انتصار العثمانيين على ايطاليا لسبب وجيه وهو أن وكيل الشركة فى طرابلس كان اسرائيليا(١٣٠).

وفضلا عن ذلك سعت كتابات اليهود فى صحيفة «الأهرام» إلى اظهار إخلاص اليهود للدولة العثمانية واعترافهم بفضلها، فقد دعا د.دافيدوف فى رسالة وجهها إلى الاسرائيليين إلى مساعدة الدولة العثمانية فى الحرب الطرابلسية باعتبار ذلك أمرا مقدسا، وواجبا دينيا، وحقا وطنيا.. لأنها آوت اليهود فى الوقت الذى اضطهدتهم فيه دول الغرب المسيحية، وأخرجتهم من بلاد كانت مقرا لجميع الأجناس(١٣١) .

ومن بين المساعدات الأدبية التى قدمها الصهيونيون للدولة العثمانية والتى كانوا يباهون بأهميتها وقيمتها فى مجال تدعيم أمن السلطنة، قرار الجمعية الصهيونية الذى نشروه فى «المقطم»، والذى نص فى مادته الأولى على أن سلامة الصهيونية رهن بسلامة العثمانية ، وأنه إذا هددت الأخيرة بخطر ما، وجب على الأولى معاونتها ومساعدتها ماديا وأدبيا إلى آخر رمق من الحياة، أما المادة الثانية فقد نصت على أن الصهيونية مستعدة لتقديم كل مستلزمات الدفاع فى الحرب الحاضرة «الحرب الطرابلسية» لتركيا عند مساس حاجتها بكل الوسائل الممكنة(١٣٢).

وفى مقابل الحديث عن المزايا المادية والمعنوية التى ستعود على الدولة العثمانية بسبب قبولها للمهاجرين اليهود فى فلسطين، تطرق بعض الكتاب الصهيونيين إلى الإشارة إلى الخسائر والأضرار التى ستلحق بالدولة العثمانية من جراء القرارات التى تتخذها للحد من تملك اليهود للأراضى فى فلسطين وسوريا، والتى ستلحق أيضا بسوريا التى هى بحاجة شديدة إلى الإصلاح الزراعى والتجارى والصناعى.. وأشار أحد الكتاب فى هذا الصدد إلى أن الدولةإذا اصرت على تنفيذ هذه القرارات. فإنها تجنى على سوريا جناية لا تمحوها الأيام(١٣٣).

٣- أضرار الهجرة اليهودية بالنسبة لفلسطين والفلسطينيين :

وفى مقابل الحديث عن مزايا الهجرة اليهودية سواء بالنسبة لفلسطين أو بالنسبة للدولة العثمانية، فإن صحف الدراسة تحدثت أيضا عن أضرار الهجرة اليهودية بالنسبة لكلا الطرفين، وقد كشفت نتائج التحليل عن أن أضرار الهجرة حظيت أيضا بنسبة عالية من التكرارات، إذ حصلت أضرار الهجرة بالنسبة للفلسطينيين على ٧٤

تكرارا بنسبة ٧٠٪ ، تليها أضرار الهجرة بالنسبة للدولة العثمانية ٢٦ تكرارا بنسبة ٢٥ ٪ ، وأخيرا أضرارا الهجرة بالنسبة لفلسطين ٤ تكرارات بنسبة٥٪ من إجمالى ١٠٤ تكرارات..

وتجدر الإشارة إلى أن صحف الدراسة ركزت فى حديثها عن أضرار الهجرة اليهودية على الأضرار السياسية التى ستعود على الفلسطينيين، فقد كان باستطاعة الصهيونيين أن يجادلوا فى الحديث عن أضرار الهجرة الاقتصادية بالنسبة لفلسطين أو الدولة العثمانية، وأن يستشهدوا بالانجازات التى حققوها، خصوصا وأن بعض الكتاب العرب الذين زاروا فلسطين عبّروا عن إعجابهم بالمستعمرات التى أنشأها اليهود هناك، كما تحدثوا عن الفوائد التى ستعود على البلاد من هجرتهم إليها ـ كما رأينا من قبل ـ ولذلك فربما وجد الكتاب العرب أن بإمكانهم استثارة مخاوف الحكام العثمانيين والشعوب العربية إذا ما تحدثوا عن المشكلات التى ستخلقها الهجرة اليهودية بالنسبة للدولة العثمانية ممثلة فى الأضرار التى ستعود على الشعب الفلسطينى..

وقد كشف التحليل أيضا عن أن ثلاثا فقط من صحف الدراسة هى «المقطم» و«الأهرام» و«المؤيد»، كانت أكثرها اهتماما بإبراز أضرار الهجرة اليهودية بالنسبة لفلسطين والدولة العثمانية، ولكن الغريب أن صحيفة «المقطم» التى كانت تنطق بلسان الاحتلال البريطانى فى مصر، وتميل إلى الاسرائيليين إلى حد ما، تفوقت على الصحيفتين الاخريين فى عدد التكرارات التى تتحدث عن أضرار الهجرة، اذ سجلت ٤٧ تكرارا بنسبة ٤٥٪ من إجمالى التكرارات البالغ عددها ١٠٤ تكرارا، تليها صحيفة «المؤيد» ٣٥ تكرارا بنسبة ٣٤٪، وأخيرا «الأهرام» ٢٢ تكرارا بنسبة ٢١٪.

ويرجع السبب فى تفوق صحيفة «المقطم» على باقى صحف الدراسة فى تناول أضرار الهجرة اليهودية إلى عدة عوامل: منها أن الصهيونيين اتخذوا من «المقطم» منبرا لهم سواء لنشر افكارهم أو للرد على ما ينشر فى الصحف الأخرى، مما كان يضطر العديد من الكتاب ومن القراء إلى الرد على مقالاتهم، وكانت «المقطم» تسمح بنشر هذه الردود عملا بحق الرد.

وإذا كانت الأضرار التى ستعود على الفلسطينيين قد حصلت على أعلى التكرارات، فإننا سنبدأ بالحديث عن رؤية صحف الدراسة لهذه الأضرار التى تركزت فى ثلاث فئات رئيسية على النحو التالى:

١ ـ الأضرار السياسية.

٢ ـ الأضرار الاقتصادية.

٣ ـ الأضرار الاجتماعية.

١ـ الأضرار السياسية :

احتلت الأضرار السياسية المرتبة الأولى فى صحيفة التحليل، فقد سجلت ٣٨ تكرارا بنسبة ٥١٪ من إجمالى تكرارات أضرار الهجرة بالنسبة للفلسطينيين والبالغ عددها ٧٤ تكرارا. واذا أضفنا إليها ٤ تكرارات تمثل الأضرار السياسية بالنسبة لفلسطين، و٢٦تكرارا تمثل تكرارات الأضرار السياسية بالنسبة للدولة العثمانية، فإن إجمالى تكرارات هذه الفئة يصبح ٦٨ تكرارا بنسبة ٦٥٪ من إجمالى تكرارات أضرار الهجرة اليهودية بالنسبة لفلسطين والدولة العثمانية والبالغ عددها ١٠٤ تكرارا[١٣٤].

وقد ركزت صحف الدراسة فى حديثها عن الأضرار السياسية بالنسبة للفلسطينيين على نقطة أساسية، وهى ازدياد سلطة المهاجرين اليهود فى فلسطين بسبب زيادتهم العددية، وسيطرتهم الاقتصادية، مما نجم عنه إساءتهم لمعاملة الأهالى من الوطنيين، وقيامهم بطردهم من أراضيهم،، مما يهدد بتشتتهم مثل اليهود ثم القضاء عليهم مثل هنود أمريكا الحمر..

فقد ذكر محمد عبدالرحمن العلمى فى «المقطم» أنه إذا توغل الاسرائيليون فى المهاجرة إلى فلسطين، وفى التملك، لا يمضى غير قليل من الزمن إلا والبلاد الفلسطينية بأسرها فى قبضة يدهم.. فلا يسع سكان تلك البلاد المشرفة إلا النزوح عنها لتملك الصهيونيين لها، ولأخذهم بناصية موارد الثروة والارتزاق فيها.. فضرورة الحال تدعوهم إلى المهاجرة إلى غيرها من البلاد.. وأنه لو انتبهت حكومة الآستانة إلى الخطر المحدق بالبلاد، لمنعت الاسرائيليين من المهاجرة إليها(١٣٥).

وتحدث محمد القلقيلى عن ذهاب الكثير من الأراضى من يد أهلها.. وأنه عما قريب يصبحون غرباء فى أرضهم، ويطردون منها بسبب وبدون سبب...(١٣٦) كما حذر شكيب أرسلان من أن يستغرق الاسرائيليون أراضى فلسطين كلها.. وحينئذ يصبح الفلاحون بدون أرض، ويضطرون إلى الرحيل، وترتبك الدولة فى أمرهم(١٣٧).

وأشار عزتلو عطا بك فى «المؤيد» إلى أن الحمايات التى يتمتع بها اليهود تكفل تسلطهم على أبناء الوطن، وأنهم فى قراهم يحكمون بأمرهم ولا من رادع أو مراقب(١٣٨)، كما ذكر «سورى نزيل الاسكندرية» أيضا أن اليهود استعبدوا جانبا عظيما من الفلاحين، وأنهم يطردون الأهالى من الأراضى عنوة إذا رفضوا بيعها لهم،

وأنهم يتعمدون مضايقتهم بحرث الأرض، وما ذلك إلا لأنهم أصبحوا على جانب عظيم من النفوذ والسطوة[١٣٩].

أما فيما يتعلق بالأخطار السياسية التى تتهدد فلسطين نفسها فقد ذكرت صحف الدراسة أنه سينجم عن زيادة عدد الاسرائيليين فى متصرفية القدس أن يضعوا يدهم على السلطة فعلا... أما إذا تم تعديل حدود متصرفية القدس وتم الحاق قائمقاميات حيفا وطبريا والناصرة وصفد الملحقة بولاية بيروت كما هم ساعون تتم لهم الأكثرية فى المتصرفية[١٤٠].

وذهب أحد الكتاب إلى أن الخطر أكبر من ذلك، وأنه لا يبعد أن يطلب الاسرائيليون الاستقلال وإرجاع البلاد إليهم كما كانت فى الأعصر الخالية ملكا لهم، كما حذر من أن القدس قد تصبح فى يوم ما وهى بيد اليهود، فتنشأ عن ذلك مسائل جمة، بسبب أهمية القدس الدينية[١٤١].

ورأى بعض الكتاب أن الخطر السياسى بالنسبة لمستقبل فلسطين يتمثل فى تمسك المهاجرين اليهود بجنسيتهم الأجنبية التى ستكون يوما ما سببا فى الاحتلال الاجنبى للبلاد[١٤٢].

وأشار البعض إلى الأخطار التى تتهدد القومية الفلسطينية حيث أصبحت اللغة العبرية تتهدد اللغة العربية، إن لم يكن بالزوال فبالضعف[١٤٣] كما ديست المصالح الوطنية، وقتلت العواطف القومية، وأصبحت الحركة الصهيونية تهدد بخلق مقدونيا ثانية، متى أصبحت الأكثرية المطلقة فى أيديها[١٤٤].

مما سبق يتضح لنا أنه على الرغم من أن هذه الكتابات نشرت قبل صدور وعد بلفور إلا أن الأخطار السياسية التى كانت تكتنف

فلسطين بسبب الهجرة اليهودية كانت واضحة منذ وقت مبكر، وكانت هذه الأخطار تتمثل فى إحلال اليهود محل الفلسطينيين، الأمر الذى كان سينتهى بإنشاء دولة يهودية، وتشريد الفلسطينيين..

وفيما يتعلق بالأضرار السياسية بالنسبة للدولة العثمانية فقد حصلت على ٢٦ تكرارا بنسبة ٢٥٪، وكانت صحيفة «المؤيد» - باعتبارها صحيفة إسلامية - من أكثر صحف الدراسة اهتماما بإبراز الأضرار التى ستعود على الدولة العثمانية من الهجرة اليهودية إلى فلسطين، يليها صحيفتا «الأهرام» و«المقطم» اللتان تعادلتا فى عدد التكرارات[١٤٥].

وقد ركزت الصحف الثلاث حديثها عن الأضرار السياسية بالنسبة للدولة العثمانية فى ثلاث نقاط هى:

١ - تقلص سلطة الدولة العثمانية فى فلسطين وحصلت على ١٢ تكرارا بنسبة ٤٦٪.

٢ - اخطار سياسية وأمنية وحصلت على ١١ تكرارا بنسبة ٤٢٪.

٣ - هضم حقوق الدولة وحصلت على ٣ تكرارات بنسبة ١٢٪.

وفيما يتعلق بالنقطة الأولى أشارت صحف الدراسة إلى تقلص سلطة الدولة العثمانية فى فلسطين، وأن الاسرائيليين أصبحوا مستقلين استقلالا نوعيا فى المستعمرات وليس لهم علاقة بالحكومة السنية إلا بدفع مرتبات الأعشار والويركو[١٤٦]، وأنه أصبح لهم من النفوذ والسلطان ما جعلهم يؤسسون حكومة صهيونية مستقلة ضمن الحكومة العثمانية[١٤٧]. وأشارت «الأهرام» إلى أن المستعمرات اليهودية أصبحت دولة داخل الدولة، ولا تخضع لقوانين الدولة ولا لنظاماتها[١٤٨]، وأنهم كونوا لأنفسهم حرسهم الخاص الذى يعتدون به على أهالى فلسطين.

أما بالنسبة للأخطار السياسية والأمنية الأخرى، فقد ذكرت «المؤيد» أنه إذا اصبحت فلسطين بأسرها ملكا لليهود فإن ذلك سيجلب للدولة العثمانية مشكلات عديدة منها: أن الدول المسيحية ستقف فى وجه الدولة طالبة وضع يدها على تلك البلاد المقدسة بدعوى أنها أحق بها من اليهود[١٤٩].

من ناحية أخرى ذكرت «المقطم» أن كثرة المهاجرين الذين يأتون من البلاد الأجنبية تجعل علاقات الدولة مع الأجانب تزداد مع مالها من الذيول الطويلة واللوازم التى تحرم الدولة الراحة، فأقل واحد منهم يمكن أن تتخذه الدولة التى هو من تبعتها وسيلة لفتح مسألة سياسية وسوق أسطول[١٥٠].

وأشارت «المؤيد» أيضا إلى أن الدولة العثمانية ذاقت الأمرين من العصبيات التى تلازم الجماعات المذهبية فى بلادها[١٥١]، وأنها ليست فى حاجة إلى إيجاد مسألة يهودية بين المسائل الحاضرة[١٥٢]، وخلق مشكلة قومية تضاف إلى المشكلات التى كانت قائمة بالفعل فى أرمينيا، والبوسنة والهرسك، والتى كانت تعانى الدولة العثمانية بسببها الكثير.

أما فيما يتعلق بالنقطة الأخيرة وهى هضم اليهود لحقوق البلاد، فقد ذكرت «المؤيد» أن بدل أعشار القرى التى ابتاعها اليهود باق كما هو دون زيادة على الرغم مما زرعوه من الألوف المؤلفة من الكروم والعنب والتين، وما يعصرونه من الكميات العظيمة من النبيذ الذى يبيعونه لأوروبا بأثمان باهظة[١٥٣].

واتفقت «الأهرام» مع «المؤيد» فى أن اليهود يهضمون حقوق الدولة، فذكرت أنهم يخفون على الحكومة حقيقة إيرادهم، فيصعب عليها جمع الأعشار، كما أنهم يوردون المحصولات ليلا، ويدعون أن

الأهالى يسرقونها، حتى اضطر ملتزمو العشور أخيرا ـ بمساعدة قائمقام حيفا ـ أن يتخلوا لهم عنها[١٥٤].

٢ـ الأضرار الاقتصادية :

جاءت فئة الأضرار الاقتصادية الناجمة عن الهجرة اليهودية بالنسبة للفلسطينيين فى المرتبة الثانية بعد الأضرار السياسية، فقد حصلت على ٣٠ تكرارا بنسبة ٤١٪.

وقد دارت الأفكار التى طرحت حول بيان أن الهجرة اليهودية إلى فلسطين تنطوى على أخطار اقتصادية تتمثل في سيطرتهم على عنق البلاد اقتصاديا[١٥٥] من خلال استيلائهم على أخصب الأراضى وأوسعها، وسيطرتهم على زمام التجارة والصناعة[١٥٦] ـ والزراعة والمال ـ مما قد يسمح لهم بإحداث أزمة مالية فى البلاد، خصوصا بالنسبة للأسلوب الذى يتبعه الاسرائيليون فى تسليف الفلسطينيين، حيث ترفض بنوكهم تسليف الأموال لغيرهم، فإذا أراد غير الاسرائيلى ان يقترض مالا على عقاره أو أرضه، كان عليه أن يتنازل عنهم لصديق اسرائيلى تنازلا شرعيا، ويقوم ذلك الاسرائيلى باقتراض المال من البنك باسمه بفائدة ٣٪ ثم يعطيه للفلسطينيى بفائدة ١٠٪ او١٢٪، وقد تبين أن الفلسطينيين مدينون للاسرائيليين بمبالغ كبيرة[١٥٧].

ومن بين الأضرار الاقتصادية التى تحدثت عنها صحف الدراسة أيضا أن الاسرائيليين يزاحمون الوطنيين فى صناعاتهم التجارية والصناعية والزراعية، حتى كاد الفقير بسبب ذلك أن يموت جوعا، بسبب سيطرتهم على ناصية موارد ثروة الوطن، ولاحترافهم تلك الحرف التى كان الفقير يشتغل بها، هذا فضلا عن اتحاد كلمتهم على حصر المنفعة بينهم، فهم لا يشترون من الفلسطينيين شيئا يذكر

الا إذا كان معدوما عندهم [١٥٨]، وأشارت كتابات «المؤيد» عام ١٨٩٩ إلى أن اليهود يستأثرون بثروة فلسطين ويستنزفونها بطرق متباينة، ولذلك فإنهم سيضرون بالدولة والأهالى اضرارا عظيمة من خلال إفقار العثمانيين الوطنيين، وسلب التجارة من بين أيديهم، واستعباد الفلاح [١٥٩]، وفى عام ١٩١٠ كانت قد أصبحت أضرار الهجرة اليهودية واقعا ملموسا، ولذلك كتب أحدهم فى «المؤيد» يقول إن الوطنيين رجعوا القهقرى فى جميع أمورهم، فهم اليوم أفقر منهم بالأمس، إذ سلبوا من الأملاك والعقارات والأراضى ما يقرب من نصف المجموع، وجل الأراضى انتقل إلى الإسرائيليين الذى يدأبون فى استملاك ما بقى [١٦٠].

وأشار كاتب فلسطينى هو محمد القلقيلى فى «المقطم» إلى أن الاسرائيليين أضروا بمجاوريهم من الفلسطينيين كثيرا، فقد حملوهم على تعطيل الكثير من أراضيهم عن الحرث والزرع حيث اطمعوا الطبقة الدنيا من الفلاحين بالأجر، حتى أصبح المزارع الفلسطينى لا يجد من العمال من يكفى لشق أرضه وزرعها وحصدها.. فهو ليس بقادر على مباشرة هذه الأعمال بنفسه، ولا بقادر على مجاراة اليهود فى زيادة الأجرة، مما كان يضطره إلى ترك أرضه جرداء لا زرع فيها ولا ضرع، وأنه لو أحصى عدد الفدادين التى كانت تزرع قبل الاستعمار الاسرائيلى وبعده لكان الفرق شاسعا [١٦١].

وهكذا يمكننا تلخيص الأضرار الاقتصادية للهجرة اليهودية - كما وردت فى صحف الدراسة - فى أنها ستؤدى بالفلسطينيين إلى الضعف والفقر والخراب، وفقدان الأراضى، وتعطيل أعمال الفلسطينيين ومزاحمتهم فى أعمالهم، وقصر المنفعة على الاسرائيليين فقط.

وتجدر الإشارة إلى أنه لم يخف على بعض كتاب صحف الدراسة العلاقة الوثيقة بين الاقتصاد والسياسة، وأن السيطرة الاقتصادية لا بد وأن تعقبها سيطرة سياسية، ولذلك ربط بعضهم بين الأضرار الاقتصادية والسياسية لدى حديثهم عن أضرار الهجرة اليهودية، فعلى سبيل المثال، ذكر مكاتب «الأهرام» فى عكا «أن أعمال الصهيونيين تجعل مستقبل البلاد الاقتصادى والسياسى فى خطر»، وقد قدم الخطر الاقتصادى على الخطر السياسى كما نرى، كذلك فإن البعض أوضح ـ كما أشرنا آنفا ـ أنه إذا استمر الاسرائيليون فى الهجرة وفى امتلاك الأراضى، لا يمضى سوى قليل من الزمن إلا والبلاد الفلسطينية بأسرها فى قبضة يدهم ، ومعنى ذلك أنهم كانوا يدركون أن السيطرة الاقتصادية ستؤدى حتما إلى سيطرة سياسية.

٣ـ الأضرار الاجتماعية :

حصلت هذه الفئة على أقل التكرارات: ٦ تكرارات بنسبة ٨٪، وقد تركز الحديث عن الأضرار الاجتماعية فى نقطتين: الأولى وهى أن المهاجرين اليهود أضروا بأخلاق الفلسطينيين، إذ أصبح مجاورى المستعمرات يعاقرون الخمر فى الضحى والأصيل(١٦٢)، كما أدى نزول المهاجرين الأجانب إلى فلسطين - وهم يختلفون خَلقا وخُلقا وتقاليد عن الشعب الفلسطينى - إلى حدوث مشاكل كثيرة(١٦٣)، أدت فى بعض الأحيان إلى وقوع حوادث قتل، واعتداءات متكررة.

أما الجانب الآخر من الأضرار الاجتماعية كما قدمته صحف الدراسة، فقد تمثل فى عدم إمكان الفلسطينين مجاراة الشعب الاسرائيلى نظرا لاقتداره المالى والعلمى(١٦٤)، ولذلك رأت «المقطم» أن اليسر الذى عاش فيه الفلسطينيون فى بداية الاستعمار اليهودى لن يدوم إلا إذا ثبت الأهالى فى ميدان السباق، وأثبتوا أنهم أكفاء

لمسابقة قوم شهد التاريخ أنهم أقدر أهل الأرض فى تثمير المال، ولكنها استبعدت على أهل جنوب فلسطين بالذات الثبات فى ميدان السباق بسبب سيطرة الجهل على عقولهم، ولذلك رأت أن الاستعمار الاسرائيلى سيعود على الفلسطينيين بالضعف والفقر على مدى الأيام(١٦٥).

من العرض السابق يتضح لنا ان صحيفتى «الأهرام» و«المقطم» كانتا من اكثر صحف الدراسة اهتماما بمناقشة مسألة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، تليهما صحيفة «المؤيد».

ويكشف تحليل مضمون تلك الصحف عن أن عدد الموضوعات التى تعرضت للحديث عن الهجرة اليهودية فى صحيفة «الأهرام» بلغ ٣٨ موضوعا بالإضافة إلى موضوعين تحدثا ضمنا عن هذه الهجرة، وهو ما يمثل ٣٣,٦٪ من إجمالى الموضوعات التى نشرتها «الأهرام» وكان لها علاقة مباشرة بالمسألة الصهيونية. أما فى صحيفة «المقطم» فقد بلغ عدد المقالات التى تناولت موضوع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ٢٩ موضوعا، أى ما يعادل ٤٥٪ من إجمالى المادة التى تعرضت للصهيونية فى تلك الصحيفة ، وفى «المؤيد» بلغ عدد موضوعات الهجرة ٦ موضوعات بنسبة ٨٥,٧٪.

وإذا ما حاولنا التعرف على اتجاه صحف الدراسة ازاء الهجرة اليهودية فى فلسطين سنجد أن ٣٥٪ من المادة التى تناولت موضوع الهجرة فى «الأهرام» كانت محايدة، ولم تتخذ موقفا حيالها، فى حين أيد ٣٠٪ من المادة المنشورة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ولكن بشروط بينما أيد ٢٢,٥٪ الهجرة اليهودية تأييدا تاما، وبدون أية شروط، وكانت نسبة المعارضة للهجرة ١٢,٥٪ فقط. وكان الاتجاه العام فى صحيفة «الأهرام» يميل إلى تأييد الهجرة اليهودية إلى

فلسطين ولكن بشروط وكانت الشروط التى حددتها «الأهرام» وبعض كتابها هى عدم السماح لليهود بأن يتركزوا فى فلسطين، وأن يجعلوا هدفهم استعمار تركيا لا استعمار فلسطين، حتى لا تغريهم كثرتهم العددية بالسعى لاستعادة ملكهم القديم، كما اشترطت أيضا حصولهم على الجنسية العثمانية(١٦٦).

وفى الواقع كان موقف «الأهرام» يتفق مع الموقف الرسمى للدولة العثمانية المعلن منذ عام ١٨٨٢، وذلك حينما تلقى القنصل العثمانى فى أوديسا ردا من حكومته على طلب بعض الشخصيات اليهودية فى روسيا منحهم تصاريح لدخول فلسطين، فردت الحكومة بأنه من غير المسموح لليهود بالاستقرار فى فلسطين، ولكنهم يستطيعون الانتقال إلى الأقاليم الأخرى فى الامبراطورية العثمانية حيث يمكنهم الأقامة شريطة أن يصيروا رعايا عثمانيين، وأن يقبلوا الالتزام بتنفيذ القوانين المعمول بها فى الامبراطورية العثمانية(١٦٧).

ويرجع استعداد الدولة العثمانية لقبول مهاجرين يهود ممن ساءت أحوالهم فى ر بسيا - فى جزء منه الى الاعتقاد بفائدة اليهود للدولة العثمانية، وقد انعكس هذا الاعتقاد على سياسة «الأهرام» وكتابها الذين عبروا عن هذا الاعتقاد، وقد بلغ عدد الكتاب الذى عبروا عن مزايا الهجرة اليهودية سواء بالنسبة للفلسطينيين أو بالنسبة للدولة العثمانية ٢١ كاتبا، كان من بينهم ١١ صهيونيا، و١٠ من الكتاب العرب، وهو ما يؤكد سيطرة هذا الاعتقاد على صحيفة «الأهرام» وكتابها، أما الكتاب الذى عارضوا الهجرة وتحدثوا عن أضرارها فقد بلغ عددهم تسعة كتاب، كانوا جميعا من العرب..

وفى صحيفة «المقطم» كان عدد الكتاب الذين تحدثوا عن مزايا الهجرة اليهودية سواء بالنسبة لفلسطين أو بالنسبة للدولة العثمانية

٢٣ كاتبا كان من بينهم ١٦ كاتبا صهيونيا، وأربعة كتاب عرب، وثلاثة رمزوا لأنفسهم بأسماء مستعارة..

أما الكتاب الذى تحدثوا عن أضرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين والدولة العثمانية فقد بلغ عددهم عشرة كتاب، كان تسعة منهم من العرب، وعثمانيا واحدا، ومعنى ذلك أن ٦٩,٦٪ من كتاب «المقطم» كانوا يؤيدون الهجرة اليهودية إلى فلسطين، فى حين عارضها ٣٠,٤٪ من الكتاب الأمر الذى يعطى مؤشرا على أن اتجاه «المقطم» كان مؤيدا للهجرة اليهودية إلى فلسطين..

وفى صحيفة «المؤيد» كان عدد الموضوعات التى تناولت موضوع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ثمانى موضوعات، تحدثت ثلاثة منها عن مزايا الهجرة بالنسبة لفلسطين والدولة العثمانية ولكن المقالات الثلاث اتخذت موقفا محايدا من هذه المسألة، أما المقالات الخمس الباقية فقد اهتمت بإبراز أضرار الهجرة اليهودية سواء بالنسبة لفلسطين أو بالنسبة للدولة العثمانية، وطالبت بمنعها، ومعنى ذلك أن موقف «المؤيد» مال إلى رفض الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

وتجدر الأشارة إلى أن كتاب «المؤيد» الذين خاضوا هذا الموضوع كانوا جميعا من العرب وليس بينهم صهيونى واحد، وأن كتاب الصحف الثلاث كانوا جميعا من خارجها.

ثالثا :سبل الهجرة وشراء الأراضى :

كان السلطان عبدالحميد معروفا بمعارضته الشديدة للنوايا الصهيونية الرامية إلى الاستيلاء على فلسطين، وإقامة دولة يهودية فيها، ولذلك أصدر العديد من الفرمانات، كما أصدرت حكومته العديد من القوانين التى تحول دون هجرة اليهود إلى فلسطين، وتمنع شرائهم لأراضيها..

وعلى الرغم من هذه الإجراءات، إلا أنه كان واضحا للمراقبين أن عدد اليهود في فلسطين في تزايد مستمر، وأن عمليات شرائهم للأراضي ماضية في طريقها دونما عقبات، وبدرجة أصبحت تهدد الوجود الفلسطيني في البلاد. ومن هذا المنطلق اهتمت بعض الكتابات في صحف الدراسة بمناقشة السبل التي يسلكها اليهود في شراء الأراضي، وإدخال المهاجرين إلى فلسطين في ظل تلك القوانين والفرمانات السامية.

كانت صحيفة «الأهرام» من بين صحف الدراسة التي اهتمت بهذا الموضوع، فقد تناولت السبل التي يتبعها اليهود في شراء الأراضي ضمن سبعة عشر مقالة، بنسبة ٢٠٪ من إجمالي المقالات التي نشرتها حول موضوع الصهيونية، في حين تناولت موضوع ادخال المهاجرين اليهود إلى فلسطين في أحد عشر مقالا بنسبة ١٣٪، أما صحيفة «المقطم» فقد ناقشت سبل شراء اليهود للأراضي في تسعة مقالات بنسبة ١٩٪ في حين لم تناقش سبل الهجرة إلا في مقال واحد بنسبة ٢٪. وفيما يتعلق بصحيفة «المؤيد» سنجد أنها لم تتطرق إلى مناقشة سبل الهجرة وشراء الأراضي إلا في ثلاث مقالات فقط، كتبها جميعا كتاب من خارج الصحيفة.

وكما أشرنا آنفا فإنه كان واضحا لصحف الدراسة أن الوسيلتين الأساسيتين اللتين اعتمدت عليهما الصهيونية لتحقيق أهدافها هما: شراء الأراضي، وتهجير اليهود إلى فلسطين، ولكن فيما يتعلق بالسبل التي لجأت إليها في مواجهة القوانين والفرمانات العثمانية، سنجد أن صحف الدراسة حددتها على النحو التالي:

١ - الرشوة والتواطؤ وقد حصلت على ٢٩ تكرارا بنسبة ٦٤,٤٪.

٢ - إغراء الفلاحين بالأسعار وحصلت على ٥ تكرارات بنسبة ١١٪.

٣ - الإردات السنية وحصلت على ٣ تكرارات بنسبة ٧٪.

٤ - الجنسية العثمانية وحصلت على تكرارين اثنين بنسبة ٤,٤٪.

٥ - أخرى وحصلت على تكرارين اثنين بنسبة ٤,٤٪.

وسوف نتناول كل واحدة من هذه النقاط فيما يلي بشيء من التفصيل:

أولاً: الرشوة والتواطؤ :

حصلت الرشوة والتواطؤ على أعلى التكرارت في صحيفة التحليل (٢٩ تكرارا بنسبة ٦٤,٤٪)، وهو ما يعنى أن صحف الدراسة كانت ترى أنها الوسيلة الأساسية التى اعتمد عليها الصهيونيون للتحايل على القانون من أجل تحقيق أهدافهم..

وكانت الاطراف التى جرى اتهامها بالحصول على الرشوة من اليهود مقابل تسهيل دخول المهاجرين اليهود إلى فلسطين وبقائهم فيها، ومقابل تسهيل عملية انتقال الأراضى من أيدى الفلسطينيين إلى أيدى الاسرائيليين هم بعض المأمورين ومأمورو الطابو فى سورية وفلسطين، وقائمقام صفد الذى اتهم بأنه وإن كان لا يقبل الرشا، إلا أنه يقبل هدايا اليهود المتواصلة وبكميات وافرة، وبأنه عين صهره معلما فى مدرستين لليهود[١٦٨] وكذلك جرى اتهام بعض رجال الشرطة وبعض الوسطاء والسماسرة وشهود الزور من الفلسطينيين واليهود بتقاضى الرشوة فى مقابل تسهيل عمليات بيع الأراضى لليهود.

فعلى سبيل المثال نفى محمد القلقيلى - من فلسطين - ادعاءات سليم قبعين القائلة بأن اليهود تملكوا ما ملكوه من خلال تجنسهم

بالجنسية العثمانية، وباستصدار الإرادات السنية بواسطة ملوكهم وسفرائهم، وأكد انهم تمكنوا من امتلاك الأراضي في فلسطين من خلال رشوة بعض الحكام وأصحاب النفوذ من الغشاشين والطماعين في فلسطين، وبالواسطة وشهادة الزور.

وقدم القلقيلي مثالا على ذلك بالشيخ إبراهيم ابى رياح الذى قال عنه إن نفوذه فى حكومة يافا والقدس كان يعلو على كل نفوذ، وإنه بتلاعبه وحيله أنشأ اليهود مستعمرة «ملبس» وبعض المستعمرات الأخرى، وكافأه اليهودعلى ذلك بالأموال الطائلة التى أنشأ بها لنفسه مستعمرته الخاصه المعروفة باسم «الوسطة»، كما ضرب مثالا آخر بمستعمرة «كفر سابا» التى قال إن اليهود تمكنوا من شرائها بعد أن ملأوا جيوب القائمقام والمتصرف فى حكومة متصرفية نابلس بالأبيض والأصفر.. وأن الأهالى شكوا إلى والى بيروت من إجراءات البيع المخالفة للقوانين والنظامات، ولكن القلقيلى يقول: «من يقرأ ومن يسمع ما دام الوالى شريكا للمتصرف فى جميع ما يرد عليه من الخارج».. ويخلص القلقيلى من ذلك إلى القول بأن المستعمرين اليهود تملكوا ما ملكوه بواسطة الرشوة التى تحل كل عسير، بل بواسطة تلاعب المتلاعبين، وطمع الطماعين وغش الغشاشين(١٦٩).

واتفق محمد عبدالرحمن العلمى مع محمد القلقيلى فى أن العامل الوحيد فى توغل اليهود فى المهاجرة إلى فلسطين، وفى امتلاك البلاد هو الحكومة المحلية التى يتألف أكثرها من أغنياء الوطن ومتنفذيه، الذين يضحون بجميع البلاد الفلسطينية فى سبيل منافعهم الشخصية، وسكوت الحكومة العثمانية عن هذه الحركة وعن ذهاب هذا الوطن المقدس..(١٧٠).

وفى « الأهرام » أشار كتاب عديدون الى استخدام الصهيونيين أسلوب الرشوة فى تملك الأراضى فى فلسطين ، فذكر الأمير شكيب أرسلان أن بعض متحمسى اليهود تمكنوا من بعض أراضى فلسطين بالشراء سرا ، وبرشوة بعض المأمورين [١٧١] كذلك فان حبيب جرجس حوا أشار الى أن الصهيونيين كانوا ينزعون ملكية الأرض من أصحابها قسرا وعنوة ، وذلك برشوة الحكام الذين كانوا يزجون الفلاح المسكين فى أعماق السجون ، ليجبروه على ختم صك التخلى[١٧٢].

ورد محمد فاضل بالأزهر - وكان يعمل كاتبا لمحكمة طبريا الشرعية - على جاك ليفى طنطاوى الذى كتب فى «المقطم» ينفى عن الجمعية الصهيونية استخدام اسلوب الرشوة، ولكن محمد فاضل أكد استخدام الصهيونيين لهذا الاسلوب، وقال ان عمله فى محكمة طبريا أتاح له فرصة الاطلاع على مساوىء الصهيونيين وتفننهم فى إرسال الرشوة، وأشار إلى أن ما امتلكته الجمعية الصهيونية بفلسطين، كان على أوجه اختلاس ورشوة ودعاوى زور على من امتنع عن بيع أراضيه لهم، وكان ذلك ميسورا لهم بفضل الأصفر الرنان، وحيث أن زعماء الجمعية أجانب، والأجانب ممنوع عليهم التملك فى البلاد العثمانية، لذلك استحصلوا على تذكرة عثمانية لفرايم بن ليب كراوس الموسوى الفرنساوى والمقيم فى باريس وقيدوا باسمه كل مشترياتهم أو جلها، وعلى الرغم من أن دوائر الحكومة الرسمية تعلم مقاصدهم وغايتهم الا أن حب المال أعمى بصيرتهم.. ثم وجه حديثه إلى الكاتب الصهيونى بقوله؛ فليعلم الكاتب الأديب أن اخذهم للأرض الفلسطينية كان بواسطة الرشوة للحكام الخائنين[١٧٣].

وقد ظل جاك ليفى طنطاوى على تمسكه بنفى تهمة الرشوة عن الصهيونيين مدعيا أن الصهيونيين لم يشتروا حتى ذلك الوقت شبرا من الأرض ولا قطرة من البحر، وأن طالب الأزهر ربما يمزج بين الصهيونيين وبيت روتشلد الذى اشترى تلك الأراضى ولو انه - أى بيت روتشلد - أرفع وأسمى من مثل هذه التهم(١٧٤).

وفى عام ١٩١٤ اوردت صحيفة «الأهرام» المحاولة التى قام بها الصهيونيون لشراء أراضى «السر» فى بئر سبع بالقرب من الحدود المصرية، ومساحتها ٣٥ ألف دونم - أى نحو عشرة آلاف فدان - بمبلغ ٦٥ ألف ليرة، حيث اتفقوا مع المتصرف على أن يدفعوا من المبلغ خمسة آلاف ليرة فقط للعرب أصحاب الأرض، والباقى وهو ٦٥ ألف ليرة يقسم بين المتصرف جودت بك وبقية الوسطاء والمأمورين كثمن فنجان قهوة، أو علبة «سيكارات»، وبناء على هذا الاتفاق أوفد جودت بك مبعوثا إلى مشايخ عرب الفرازمة والطرابين سكان هذه الأراضى ليأخذ منهم سندا بأختامهم يقرون فيه بأن الخلاف الذى بينهم قد زال، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل بسبب اعتراض أحد ورثة أحد مشايخ الطرابين(١٧٥). وهذه القصة تدلنا على مدى الغبن الذى كان يتعرض له ملاك الأراضى ، والاغراءات التى كانت تقدم للمسؤولين فى الحكومة المحلية، كى يذللوا جميع العقبات التى تعترض عمليات انتقال الأراضى من أيدى الفلسطينيين إلى أيدى الصهيونيين..

وفضلا عن الحديث عن سبل انتقال الأراضى فى فلسطين إلى الصهيونيين من خلال الرشوة، تحدث بعض كتاب صحف الدراسة ايضا عن سبل تسهيل دخول المهاجرين إلى فلسطين، فقد نشرت «الأهرام» رسالة لمكاتبها فى يافا أشار فيها إلى أن مأمور تذاكر المرور وأعوانه على رصيف ميناء يافا يمهدون للمهاجرين اليهود

سبيل الدخول إلى البلاد لقاء عشرة فرنكات يدفعها كل مهاجر[١٧٦]. وقد أدى نشر هذا الخبر فى حينه إلى أن وردت إشارة برقية بعزل المأمور وقومسيير الأسكلة شريكه، وأخذهما رهن المحاكمة، ولكن توسط لهما بعض الأعيان حتى أطلق سراحهما بكفالة إلى أن يحاكما لأنهما خالفا الإرادة السلطانية[١٧٧].

وفى الوقت الذى شكا فيه الفلسطينيون من قيام المأمورين على رصف الموانىء الفلسطينية بتسهيل دخول المهاجرين اليهود إلى البلاد، نجد سليم قبعين يهاجم بوليس يافا فى «المقطم» لما يجريه من العنف ويأتيه من المظالم - من وجهة نظره - مع اليهود المهاجرين إلى فلسطين، لأنه لا يبيح لهم الدخول ما لم يدفع الواحد منهم ما يعادل خمسة جنيهات مصرية على الأقل، وأنكر قبعين على بوليس يافا هذه التصرفات، وقال: إما أن يمنع المهاجرين من الدخول بالمرة، إذا كانت لديه أوامر سامية تصرح له بذلك، أو أن يبيح لهم الدخول لأن حرية المهاجرة غير ممنوعة فى بلاد الدولة العلية..[١٧٨].

وفى «المؤيد» كتب أحدهم بتوقيع «حمدى» يطالب بالضرب على أيدى جماعة من السماسرة، ممن يسهلون الطريق لتهريب المهاجرين وإدخالهم إلى البلاد، وأشار الكاتب إلى أن أكثر هؤلاء من أصحاب شركات السفريات، ومن البحارة، ونفر من رجال البوليس[١٧٩].

وتحدث بعضهم عن الحيل التى يمارسها الصهيونيون لكسب المسؤلين من أعضاء الحكومة المحلية فى فلسطين فذكر « حمدى » أن المدعو « عنتيبى » ، وهو زعيم كبير و سمسار ذو دهاء، قد تقرب من المتصرف فاستماله إليه، وكان هذا المتصرف قد أصدر أمرا يمنع به بيع الأراضى للإسرائيليين، ولذلك أعرب الكاتب عن أمله فى ألا تتعدى مودته عند المتصرف الحد المألوف، فلا تضيع الحقوق وتنهب

الأراضى[١٨٠]. وأشار كاتب آخر إلى أن يوسف فريدمن وكيل البارون روتشلد، تمكن من استمالة جميع مأمورى صفد حتى أصبحوا لا يخالفون له أمرا مهما كان، ثم تساءل الكاتب. من أين يا ترى ساغ له الإقامة كل هذه المدة الطويلة لولا الدرهم الرنان[١٨١].

وفضلا عن الرشوة والحيلة والدهاء، ذكرت «الأهرام» أنه أثيرت فى مجلس المبعوثان مسألة وجود تواطؤ بين الصهيونيين والحكومة العثمانية، يقضى بأن يقوم اليهود بتقديم القروض مقابل تسهيل شراء الصهيونيين للأراضى فى فلسطين، وتسهيل الهجرة اليهودية اليها، كما اتهم وزير المالية بأنه أراد أن يتفق سرا مع إحدى الشركات - وهى شركة صهيونية - على بيع الأراضى الواسعة فى بيرا حيث توجد الثكنة العسكرية، وأن ثلاثة من الوسطاء الاسرائيليين تمكنوا من الفوز بثقة ناظر المالية، وتم البيع لقاء مبلغ زهيد[١٨٢].

ثانيا :إغراء الفلاحين بالأسعار :

جاء أسلوب إغراء الفلاحين بالأسعار لبيع أراضيهم فى المرتبة الثانية بعد الرشوة والتواطؤ حيث حصل على ٥ تكرارات بنسبة ١١٪. فقد أشار بعض الكتاب إلى أن الصهيونيين يقومون بإغراء الأهالى بالأموال لبيع أراضيهم، وأعرب كاتب آخر عن خشيته من أن يستجيب الفلاحون الفلسطينيون لهذا الإغراء، ويقوموا ببيع أراضيهم، كى يتخلصوا من ضرائبها الباهظة التى تثقل كاهلهم، ولذلك طالب بعض هؤلاء الكتاب الحكومة العثمانية بالتفكير فى أمر هؤلاء الفلاحين ورفع العبء الثقيل عن عاتقهم بسبب الضرائب، حتى لا يظل الفلاح الفلسطينى مضطرا لبيع أملاكه، تخلصا من الضرائب والرسوم المفروضة عليها[١٨٣].

ثالثا: الإرادات السنية والجنسية العثمانية :

كان سليم قبعين هو الكاتب العربى الوحيد الذى ادعى أن اليهود تملكوا ما تملكوه من أراضى فى فلسطين بتجنسهم بالجنسية العثمانية أولا، وباستصدار الإرادات السنية بواسطة ملوكهم وسفرائهم ثانيا.

ولكن تجدر الإشارة إلى أن قبعين لم يذكر أن أولئك الذين استصدروا إرادات سنية تجيز لهم امتلاك الأراضى فى فلسطين كانوا من اليهود، وإنما قال إنهم من المستعمرين الأجانب: فرنسيين وألمان وروس، وإنهم تملكوا أراضى كثيرة وهم باقون فى جنسيتهم(١٨٤).

و اتفق محمد القلقيلى معه فى أن بعض اليهود تملكوا الأراضى فى فلسطين باستصدار الإرادات السنية، ولكنه عارضه فيما ذكره من أن اليهود تملكوا الأراضى فى فلسطين بعد حصولهم على الجنسية العثمانية، وبعد أن أصبحوا مواطنين عثمانيين، وقال إن أكثر المهاجرين اليهود - إن لم نقل كلهم - لم يتجنسوا بهذه الجنسية مطلقا، وإنما ملكوا ما ملكوه بواسطة بعض الطماعين والغشاشين من الحكام وأصحاب النفوذ فى فلسطين.

وقد قدم قبعين مجموعة من الدلائل على أن المستعمرين الاسرائيليين أصبحوا عثمانيين، فى حين سعى محمد القلقيلى إلى تفنيد هذا الادعاء دون أن يدعم أقواله بالأدلة.

وقصارى القول فإن فئة الإرادات السنية حصلت على ٣ تكرارات بنسبة٧٪ فى حين حصلت فئة الجنسية العثمانية على تكرارين بنسبة ٤,٤٪ فقط بإجمالى ٥ تكرارات، وبنسبة ١١,١١٪.

أما فئة أخرى تذكر فقد حصلت على ٦ تكرارات بنسبة ١٣,٢٪، وقد جاء ضمن هذه الفئة أسلوب القسر والإجبار وحصل على تكرار واحد، فقد ذكر أحد الكتاب أن الصهيونيين ينزعون ملكية الأرض من أصحابها قسرا وعنوة، حيث يزجون بالفلاح فى أعماق السجون ليجبروه على ختم صك التخلى، وأنهم يضعون العراقيل أمام الفلاحين الفلسطينيين لمنعهم من زراعة أراضيهم، وإجبارهم على بيعها لهم ومن ذلك قيامهم بحرث أرض مجاوريهم من الفلسطينيين فى وقت لا تحتاج فيه الأرض للحراثة، أو غمرها بالماء لإتلاف المحصولات، أو منع مياه الرى عن أراضى الفلسطينيين أو سرقة مواشيهم، وغير ذلك من الأساليب التى كان من شأنها إجبارهم على بيع أراضيهم.

وجاء ضمن أخرى تذكر استخدام الصهيونيين للمكر والخداع والحيلة والدهاء وقد حصلت على تكرارين، أما نفى قيام الصهيونيين بشراء الأراضى وبالتالى نفى ما نسب إليهم من أساليب، فقد حظى بثلاثة تكرارات فى كتابات الكتاب الصهيونيين.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الكتاب العرب لم يقفوا عند مجرد بيان الأخطار التى ستنتجم عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين واستيلائهم على أراضيها، وإنما سعوا إلى اقتراح السبل الكفيلة بالتصدى لهذه الأخطار، وكانت مسؤولية مواجهة هذه الأخطار من وجهة نظر هؤلاء الكتاب تقع على الحكومة العثمانية وأهالى فلسطين من المسلمين والمسيحيين.

وفيما يتعلق بدور الحكومة دعا بعض الكتاب ولاة الأمور إلى العناية بشؤون فلسطين، ومنع الأجانب من التدخل فى شؤونها، مع ملاحظة حركة المتنفذين(١٨٥)، كما طالبوا الحكومة بأن تمنع بيع

الأراضى فى فلسطين منعا قطعيا حتى تكفل عدم وقوع الخلل فى المستقبل، وبأن تمنع أيضا امتلاك الأجانب للأراضى فيها، وأن تحرص على عمل التحريات الواقية والتوقعات الكافية بالنسبة لتلك الأراضى التى تنقل يوميا من أبناء البلاد إلى الأجانب بواسطة الوطنيين أنفسهم(١٨٦)، كما طالبوا أيضا بأن تضع الحكومة حدا لمن يريد أن يبيع أرضه كغالبية دول أوروبا(١٨٧).

من ناحية أخرى طالب بعض الكتاب الحكومة العثمانية الا تدع رعيتها فى فلسطين بلا سند بإزاء الأجانب الهاجمين لاستعمار قطعة من بلادها(١٨٨)، وفى هذا الصدد طالبوا بضرورة العناية بالفلاح الفلسطينى بترقيته ودفعه فى معارج الحضارة والعمران، وصيانة مصالحه ودرء مطامع الطامعين عنه، وكان من المقترحات التى قدمت لحماية فلاحى فلسطين اقتراحا يقضى بالاقتداء بالقوانين التى وضعها اللورد كرومر فى مصر لحماية الفلاحين المصريين من أطماع المرابين والسماسرة الأجانب، وبالبنك الزراعى الذى انشأه فى مصر ليقدم القروض للفلاحين بفوائد معقولة حتى لا يقعوا فى براثن المرابين (١٨٩).

وطالب البعض أيضا بضرورة إلغاء نظام المشاع الذى يكبل الفلاحين الفلسطينيين بالقيود، ويجعلهم غير قادرين على مجاراة الاسرائيليين(١٩٠). كما طالبوا بتخفيف الضرائب التى تجبيها الدولة من الفلاحين.

ورأى بعض الكتاب أنه ينبغى أيضا الاهتمام بالتعليم من أجل النهوض بفلاحى فلسطين، وجعلهم قادرين على مجاراة المهاجرين اليهود، فقد طالب أحد الكتاب فى «المؤيد» السلطان العثمانى والمسلمين بضرورة إنشاء مدرسة صناعية وزراعية فى مدينة القدس

تفتح لناشئة المسلمين فيها باب العمل والنشاط بإزاء مواطنيهم الغربيين واليهود(١٩١)، كما دعا بشارة تقلا أهالى القدس إلى الكف عن المنافسة المذهبية المنحصرة فى بناء الصوامع والكنائس والاهتمام بإنشاء المدارس الصناعية والزراعية(١٩٢).

وفيما يتعلق بالحد من دخول المهاجرين اليهود إلى فلسطين طالب البعض الحكومة باستبدال جميع مأمورى الطابو الذين يسهلون دخول المهاجرين، وبتعيين رجال بوليس فى يافا وحيفا وصفد من ذوى العفة والشهامة والإخلاص للدولة العلية(١٩٣)، وبأن تقوم الحكومة بالضرب على أيدى جماعة السماسرة الذين يسهلون الطريق لتهريب المهاجرين(١٩٤).

أما بالنسبة لدور الأهالى فى التصدى للخطر الصهيونى فقد رأى البعض أنه يمكن توقيف الخطر - وليس دفعه - بسلوك المسلمين والمسيحيين مسلك الإسرائيليين من حيث الاتفاق والانتظام والاتحاد وإنشاء النقابات الاقتصادية والمالية، وأن يحملوا الحكومة المحلية باتفاقهم على الأخذ بيدهم، والتزامها بالإنصاف بينهم وبين الاسرائيليين.

وقد وجد بعض الكتاب أن البلاد ليست بحاجة إلى أيدى عاملة، ولكنها بحاجة إلى ممولين لمشروعاتها، ولذلك دعوا أخوانهم المصريين إلى اغتنام هذه الفرصة، خصوصا وأنهم أهل لذلك بسبب الخبرة التى اكتسبوها فى مصر فى أثناء الاحتلال الأجنبى للبلاد، كما أنهم ليسوا من الأجانب الطامعين فى فلسطين كاليهود(١٩٥).

وقد وجد البعض أيضا أنه لا أهالى فلسطين ولا حكومتهم بقادرة على مقاومة تيار الحركة الإسرائيلية الجارف، ولذلك رأوا أن أفضل

حل هو تأليف جمعيات دينية مسيحية فى أوروبا على غرار الجمعيات الاسـرائيليـة لمسـاعـدة أهالى فلسطين على الاقـتـداء بأعـمـال الاسرائيليين(١٩٦).

ويبدو أن اقتراح تكوين جمعيات فى أوروبا لمساعدة الفلسطينيين قد أزعج الدوائر الصـهـيونيـة، ولذلك كتب نسيم ملول فى «المقطم» بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩١٤ محذرا من أمر هذه الجمعيات الدينيـة فى أوروبا، وما جرته من الويلات على الإنسانية حتى فى فرنسا نفسها، وقال إن الجمعيات الاسرائيلية ليست سوى جمعيات انسانية محضة لا دخل لها فى الدين..

مما سبق يتضح أن الصحافة المصرية أدركت منذ وقت مبكر أن هناك هجرة يهودية إلى فلسطين، وأن استمرار هذه الهجرة على هذا النحو يمكن أن يعرض للخطر الوجود الفلسطينى فى البلاد، ولذلك قامت بدورها فى توضيح مكامن الخطر بالنسبة للشعب الفلسطينى الذى يمكن أن يصبح شعبا مشتتا كاليهود، أو أن يباد كالهنود الحمر، كما أوضحت أيضا خطورة تركز اليهود فى منطقة واحدة، لأنهم لا يبعد أن يطالبوا الاستقلال، وقد صدق ما توقعته صحف الدراسة وكتابها، فها هو ذا شعب فلسطين شعب لاجىء، وها هم اليهود قد أسسوا دولة فى قلب الأمة العربية، تعرض أمنهم واستقرارهم للتهديد، ولكن من يقرأ ومن يسمع !؟

هوامش الفصل الرابع

(١) د. محمد سيد محمد: الغزو الثقافى والمجتمع العربى، محاضرة غير منشورة القيت بوكالة الانباء العمانية فى شهر مارس ١٩٩١.

(2) Colliers Encyclopedia, Macmillan Educational Company, New York, P. F. Collier; Inc. London 1985; Vol 12; p. 534.

(3) Encyclopedia Americana, Connecticut, Grolier Incorporated, 1990, Vol. 7, p. 298.

(4) Ibidem.

(٥) د. محمد سيد محمد، مصدر سابق.

(٦) انظر د. عبدالوهاب المسيرى: الايديولوجية الصهيونية، القسم الاول، سلسلة عالم المعرفة رقم ٦٠، الكويت ١٩٨٢، ص ٨٨ـ١٠٩.

ود. أمين عبدالله محمود: مشاريع الاستيطان اليهودى منذ الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٧٤،الكويتت ١٩٨٤ ص٥٩ـ١٠٢.

(٧) المرجع السابق ص ٥٧.

(٨) المرجع السابق ص٦٢.

(٩) د. عبدالعزيز محمد الشناوى: مرجع سابق، الجزء الثانى، ص٩٨٠ـ, ٩٨١

(١٠) المرجع السابق نفسه.

(١١) د. امين عبد الله محمود: مرجع سابق ص٢٠٢ـ٢٣٨.

(١٢) الأهرام فى ١٩ ديسمبر ١٩٠٣ العدد ٧٨٣٠ «المستعمرة الاسرائيلية فى القطر المصرى» ص٢.

(١٣) المصدر السابق فى ١٥ سبتمبر ١٩٠٤ العدد ٨٠٥٤ «حوادث محلية» ص٢.

(١٤) المصدر السابق فى ١٠ سبتمبر ١٩٠٦ العدد ٨٤٨٠ «الاستعمار الاسرائيلى» ص١.

(١٥) المصدر السابق فى ١١ سبتمبر ١٩٠٦ العدد ٨٥٥٥ «يافا فى ٧ الجارى» ص١.

(١٦) المصدر السابق فى ١٠ سبتمبر ١٩٠٥ العدد ٨٣٢٧ «باريز فى ٣ لمكاتبنا الخصوصى» ص١.

(★) تلة فى مدينة القدس عليها هيكل سليمان والمسجد الاقصى وقبة الصخرة.

(١٧) الأهرام فى ٢٥ يولية ١٩٠١ العدد ٧٠٥٧ «لندرا ـ لمكاتبنا الخصوصى» ص١.

(١٨) المصدر السابق فى ٢٨ مايو ١٩٠٣ العدد ٧٦٥٤ «الحركة الصهيونية بانكلترا» ص١.

(١٩) المقطم فى ٨ يونيو ١٩٠١ العدد ٣٧٠٦ «استعمار الاسرائيليين لفلسطين» ص١.

(٢٠) المصدر السابق فى ٩ سبتمبر ١٩٠٣ العدد ٤٣٤٩ «الجمعية الصهيونية» ص١.

(٢١) المصدر السابق نفسه.

(٢٢) المصدر السابق نفسه.

(٢٣) المصدر السابق نفسه فى ١٢ يناير ١٩٠٥ العدد ٤٨٠٢ «استعمار فلسطين» ص٥.

(٢٤) المصدر السابق فى ١٤ يولية ١٩٠٥ العدد ٤٩٥٤ «الاسرائيليون والاستعمار» ص١.

(٢٥) المؤيد فى ١٣ ديسمبر ١٩٠٤ العدد ٤٤٣٨ «استعمار فلسطين» ص١.

(٢٦) انظر جدول رقم (٨).

(٢٧) الاهرام فى ١٥ مارس ١٨٩٩ العدد ٦٣٨٠ «حيفا بيروت الصغيرة».

(٢٨) المصـــدر الســـابق فى ٢٩ ابريل ١٨٩٩ العـــدد ٦٤١٥ «سكنى الاسرائيليين فى فلسطين» ص١.

(٢٩) المقطم فى سبتمبر ١٩٠٣ العدد ٤٣٩٤ «الجمعية الصهيونية».

(٣٠) المصدر السابق فى ١٢ يناير ١٩٠٥ العدد ٤٨٠٢ «استعمار فلسطين ص٥.

(٣١) المؤيد فى ٦ نوفمبر ١٩٠٤ العدد ٤٤٠٨ «سكة حديد حيفا» ص١.

(٣٢) المصدر السابق فى ٥ اكتوبر ١٨٩٩ العدد ٢٨٨٢ «اليهود فى سوريا و مستعمراتهم».

(★) الاعشار أو العشور وكان يطلق عليها «خراجى مقاسمة» وهى ضريبة نوعية يقدرها جامعو الضرائب وقت الحصاد وهؤلاء كانوا ملتزمين فى حالة الأملاك الأميرية أو متولين فى حالة الأوقاف، وكانت العشور تختلف من منطقة إلى أخرى (انظرمحمدأنيس: الدولة العثمانية والشرق العربى، مكتبة الانجلو القاهرة ١٩٨٥، ص٦٦).

(٣٣) المقطم فى ٢٣ فبراير ١٩٠٣ العدد ٤٣٣٠ «شراء الاسرائيليين لفلسطين».

(٣٤) المصدر السابق فى ١٢ يناير ١٩٠٥ العدد ٤٨٠٢ «استعمار فلسطين».

(٣٥) الأهرام فى٩ يونيو ١٩٠٩ العدد ٩٤٩٣ «الاسرائيليون يبحثون عن وطن لهم»..

(٣٦) المقطم فى ١٤ يونيو ١٩٠٩ العدد ٦١٤٤ «المراسلات الإسكندرية» ص٢.

(٣٧) المصدر السابق فى ١٧ يونيو ١٩٠١ العدد ٦١٤٧ «المسألة الاسرائيلية والدولة العلية» ص١.

(٣٨) المصدر السابق فى ٢٣ يونيو ١٩٠٩ العدد ٦١٥٢ «استعمار فلسطين» ص١.

(٣٩) المصدر السابق فى ٢٤ يونيو ١٩٠٩ العدد ٦١٥٣ «المستعمرة الاسرائيلية المنتظرة» ص٤.

(٤٠) المصدر السابق فى ٢٦ يونيو ١٩٠٩ العدد ٦١٥٥ «استعمار فلسطين» ص٢.

(٤١) المصدر السابق نفسه «مشروع الرى لأراضى ما بين النهرين» ص٢.

(٤٢) الجريدة فى ٢٩ يونيو ١٩٠٩ العدد ٥٧٠١ «استعمار ما بين النهرين» ص١.

(٤٣) المصدر السابق فى ٣ يولية ١٩٠٩ العدد ٧٠٤ «استعمار ما بين النهرين» ص٤.

(★) انظر تعقيب « الأهرام » على مقال هارون برجمان فى ١٩٠٩/٦/٩ بعنوان « الاسرائيليون يبحثون لهم عن وطن ».

(٤٤) الأهرام فى ٨ مايو ١٩١١ العدد ١٠٠٧٧ «استعمار رفح» ص٢.

(٤٥) اللواء فى ٩ ابريل ١٩١١ العدد ٣٥٥٣ «اليهود فى رفح».

(٤٦) المصدر السابق فى ١٧ ابريل ١٩١١ العدد ٣٥٦٠ «اليهود فى مصر».

(٤٧) الأهرام فى ٢٥ يونية ١٩٠٩ العدد ٩٥٠٧ «الحركة الصهيونية، استعمار فلسطين» ص٢.

(٤٨) المصدر السابق فى ٩ يوليو ١٩٠٩ العدد ٩٥١٩ «الحركة الصهيونية، فلسطين او العراق» ص١.

(٤٩) المصدر السابق فى ٨ مارس ١٩١١ العدد ١٠٠٢٧ «اليهود فى فلسطين» ص١.

(٥٠) المصدر السابق نفسه فى ١٢ اغسطس ١٩١١ العدد ١٠١٦٠ «معنى الصهيونية» ص١.

(٥١) المقطم فى ٢٣ يونيو ١٩٠٩ العدد ٦١٤٧ «استعمار فلسطين» ص١.

(٥٢) الأهرام فى ٦ يوليو ١٩٠٩ العدد ٩٥١٦ «الاسرائيليون وفلسطين» ص١.

(٥٣) المصدر السابق فى ١٧ ديسمبر ١٨٩٨ العدد ٩٣٠٦ «الحمام الاسرائيلى ووطنه القديم» ص١.

(٥٤) المصدر السابق ٢٤ ابريل ١٩٠١ العدد ٧٠٢٠ «اليهود فى فلسطين» ص١.

(★) الشيكل أو الشاقل كلمة عبرية تعنى وزن، وهو القياس الوزنى الذى كان يستخدم لوزن الذهب والفضة عند اليهود، ويعادل حوالى ١٤ جراما، ثم تحول إلى عملة أيام المكابيين، وقد حددت المنظمة الصهيونية العالمية رسوم العضوية السنوية فيها بشيكل واحد للفرد، وهو ما يعادل شلنين ونصف الشلن. والشيكل هو العملة المستخدمة حاليا فى اسرائيل.

(٥٥) المصدر السابق فى ٢٥ يولية ١٩٠١ العدد ٧٠٩٧ «لندرا ـ لمكاتبنا الخصوصى» ص١.

(٥٦) المصدر السابق ٥ اغسطس ١٩٠٣ العدد ٧٧٢٢ اخبار البريد . روسيا» ص١.

(٥٧) المصدر السابق ٩ اغسطس ١٩٠٥ العدد ٨٣٢٦ «اخبار البريد والصهيونيون» ص١.

(٥٨) المصدر السابق ٢٩ مارس ١٩٠٤ العدد ٧٩١٣ «أخبار القدس» ص١.

(٥٩) المصدر السابق ١٤ نوفمبر ١٩٠٤ العدد ٨١٠٥ «فلسطين وكلمة إصلاحية فيها» ص، ١

(٦٠) المصدر السابق ٥ يناير ١٩٠٦ العدد ٨٤٤٩ « فلسطين » ص٢

(٦١) المصدر السابق ١٥ يونية ١٩٠٦ العدد ٧٥٧٨ «صيدا. لمكاتبنا» ص٢.

(★) المختار هو العمدة.

(٦٢) المصدر السابق ١٥ يونية ١٩٠٦ العدد ٧٥٧٨ « صيدا. لمكاتبنا » ص٢

(★) الوثق: يقصد بها التعهدات.

(٦٣) المصدر السابق.

(★) لم يثبت أن السلطان عبدالحميد وافق خلال لقائه بهرتزل عام ١٩٠١ على السماح للجمعية الصهيونية بالاستعمار فى فلسطين.

(٦٤) المقطم فى ٦ يونية ١٩٠١ العدد ٣٧٠٤ «أخبار محلية» ص٣.

(٦٥) المصدر السابق فى ٢٣ فبراير ١٩٠٣ العدد ٤٣٣٠.

(٦٦) المؤيد فى ٥ أكتوبر ١٨٩٩ العدد ٢٨٨٢ «اليهود فى وسوريا ومستعمراتهم» ص٣.

(٦٧) الأهرام فى ١٨ اكتوبر ١٨٩٨ ص١.

(٦٨) المصدر السابق فى ١٧ ديسمبر ١٨٩٨ العدد ٦٣٠٦ ص١.

(٦٩) المصدر السابق فى الاول من اكتوبر ١٩٠٦ العدد ٨٦٧٧ «القدس الشريف» ص٢.

(٧٠) المصدر السابق ١٩ سبتمير ١٩٠٧ العدد ٨٩٧٢ «أخبار البريد» ص١.

(٧١) المصدر السابق ١١ مايو ١٩٠٦ العدد ٨٥٥٥ «يافا فى ٧ الجارى» ص١.

(٧٢) المصدر السابق ١٨ يولية ١٨٩٩ العدد ٢٨١٥ «القدس».

(٧٣) المصدر السابق ١٥ اكتوبر ١٨٩٩ العدد ٢٨٨٢.

(٧٤) الأهالى فى ٢٦ ابريل ١٩١١ العدد ١٥٦ «الحركة الصهيونية فى تركيا» ص١.

(٧٥) الأهرام فى ٩ ابريل ١ ٩١٤ ١ العدد ١٠٩٨٠ «الاسرائيليون فى فلسطين» ص.

(٧٦) المصدر السابق فى ١٠ ابريل ١٩١٤ العدد ١٠٩٨١ «الاسرائيليون فى فلسطين».

(٧٧) المقطم فى ٢٣ ابريل ١٩١٤ العدد ٧٦٢٣ «الاسرائيليون فى فلسطين» ص٢.

(٧٨) الأهرام فى ١٧ ابريل ١٩١٤ العدد ١٠٩٨٦ «يافا فى ١٢ نيسان» ص٢.

(٧٩) انظر ملحق رقم «٣» وملحق رقم ، وملحق رقم (٥) وملحق رقم(٦).

(٨٠) الأهرام فى ٧ يولية ١٩٠٩ العدد ٩٥١٧ «الحركة الصهيونية» ص١.

(٨١) المصدر السابق فى ١٢ يولية ١٩٠٩ العدد ٩٥٢١ «حوادث محلية» ص٢.

(٨٢) المصدر السابق ٧ اكتوبر ١٩٠٩ العدد ٩٥٩٦ «أوراق مسافر» ص١.

(٨٣) المصدر السابق ١٨ فبراير ١٩١٣ العدد ١٠٦٣٠ «تواطؤ الصهيونيين و الاتحاديين» ص١.

(٨٤) المصدر السابق ٢٩ ابريل ١٨٩٩ العدد ٦٤١٥ ص١.

(٨٥) المقطم فى ١٢ يناير ١٩٠٥ العدد ٤٨٠٢ «استعمار فلسطين» ص٥.

(٨٦) المصدر السابق فى ٢٩ ابريل ١٨٩٩ ـ العدد ٦٤١٥.

(٨٧) المصدر السابق ٢٥ فبراير ١٩٠٣.

(٨٨) المصدر السابق ٥ يوليو ١٩١٣.

(٨٩) المصدر السابق ٢٢ اغسطس ١٩١٣.

(٩٠) الأهرام فى الأول من اغسطس ١٩١٣.

(٩١) المقطم فى ٢٧ مايو ١٩١٤ العدد ٧٦٥٢ «زعيم صهيونى يرد».

(٩٢) المصدر السابق فى ٥ يناير ١٩٠٥ العدد ٤٧٩٦ «استعمار فلسطين».

(٩٣) المؤيد فى ٦ نوفمبر ١٩٠٤ العدد ٤٤٠٨ «سكة حديد يافا» ص٢.

(٩٤) المقطم فى ٢٧ فبراير ١٩٠٨.

(٩٥) المؤيد فى ٥ اكتوبر ١٨٩٩.

(٩٦) الأهرام فى ٨ مارس ١٩١١ العدد ١٠٠٢٧ «اليهود فى فلسطين» ص١. والمقطم فى ٢٧ و٣١ يناير ١٩١٢ العددان ٦٩٤٠ و٦٩٤٣.

(٩٧) المصدر السابق فى ٢٧ فبراير ١٩٠٨ العدد ٥٧٤٩ «الألمان فى فلسطين» ص١. والمؤيد فى ١١ اغسطس ١٩١٠ العدد ٦١٢٤ «مستقبل فلسطين» ص١.

(٩٨) المقطم فى ١٠ ابريل ١٩١٤ العدد ٧٦١٣ «حديث هام مع زعيم صهيونى كبير» ص١.

(٩٩) المصدر السابق فى ٢٩ مايو ١٩١٤ العدد ٧٦٥٤ « المسألة الصهيونية » ص٢

(١٠٠) الأهرام فى ١٨ فبراير ١٩١٣ العدد ١٠٦٣٠ «تواطؤ الاتحاديين والصهيونيين» ص,١

(١٠١) المصدر السابق فى ٣٠ يوليو ١٩١٣ العدد ١٠٧٦٦ «الاسرائيليون وتصريح الزهراوى».

(١٠٢) المقطم فى ٣١ يناير ١٩١٢ العدد ٦٩٤٣ «اليد الاسرائيلية فى البلاد العثمانية» ص١.

(١٠٣) المصدر السابق فى ١٢ يناير ١٩١٢ العدد ٦٩٢٧ «الخراب والعمران بيد الانسان» ص,١

(١٠٤) المصدر السابق فى ١٢ يناير ١٩٠٥ العدد ٤٨٠٢ «استعمار فلسطين» ص٥.

(١٠٥) المصدر السابق ٢١ يوليو ١٩١٠ العدد ٦٤٨١ « الاسرائيليون والدولة العثمانية» ص٤.

(١٠٦) الأهرام فى ٢٩ ابريل ١٨٩٩ العدد ٦٤١ ـ ص١.

(١٠٧) المقطم فى ٨ يونيو ١٩٠١ العدد ٣٧٠٦ «استعمار الاسرائيليين لفلسطين» ص١.

(١٠٨) المصدر السابق فى ١٢ يناير ١٩٠٥ العدد ٤٨٠٢ «استعمار فلسطين» ص٥.

(١٠٩) المصدر السابق ٢٧ و٢٩ مايو ١٩١٤ العددان ٧٦٥٢، ٧٦٥٤ ص١، ص٢.

(١١٠) الأهرام فى ٢٩ إبريل ١٨٩٩ العدد ٦٤١٥ ص١. وفى ٨ مارس ١٩١١ العدد ١٠٠٢٧ «اليهود فى فلسطين» ص١.

(١١١) المقطم فى٢٧ مايو ١٩١٤ العدد ٧٦٥٢ «بحث جليل فى المسألة الصهيونية» ص١.

(١١٢) المصدر السابق نفسه. والمؤيد فى ١١ اغسطس ١٩١٠ العدد ٥٦١٤٢ «مستقبل فلسطين» ص١.

(١١٣) الأهرام فى ٢٩ ابريل ١٨٩٩ العدد ٦٤١٥ ص١.

(١١٤) المصدر السابق فى ٨ مارس ١٩١١ العدد ١٠٠٢٧ «اليهود فى فلسطين» ص١.

(١١٥) المقطم فى ٨ يونية ١٩٠١ العدد ٣٧٠٦ «استعمار الاسرائيليين لفلسطين» ص١.

(١١٦) المصدر السابق فى ٥ و١٢ يناير ١٩٠٥ العددان ٤٧٩٦، ٤٨٠٢ ص١.

(١١٧) المصدر السابق ٣١ يناير ١٩١٢ العدد ٦٩٤٣ ص١.

(١١٨) المصدر السابق فى ٢٢ و ٣١ يناير ١٩١٢ العددان ٦٩٣٥ و٦٩٤٣ ص٢ وص١. وفى ١٠ فبراير ١٩١٢ العدد ٦٩٥٣ص١.

(١١٩) الأهرام فى ٢٩ ابريل ١٨٩٩ العدد ٦٤١٥ ص١.

(١٢٠) المقطم فى ٣١ يناير ١٩١٢ العدد ٦٩٤٣ ص١.

(١٢١) الأهرام فى ٤ سبتمبر ١٩١١ العدد ١٠١٧٩ ص١.

(١٢٢) المقطم فى ٨ يونية ١٩٠١ العدد ٣٧٠٦ ص١.

(١٢٣) الأهرام فى ١٤ يونية ١٩٠٩ العدد ٩٤٩٧ ص١.

(١٢٤) المصدر السابق فى ٧ يناير ١٩١٠ العدد ٩٦٧١ «المؤتمر الصهيونى» ص١.

(١٢٥) المقطم فى ٢٦ يناير ١٩١٢ العدد ٦٩٣٩ ص٤.

(١٢٦) الأهرام فى ١٢ اغسطس ١٩١١ العدد ١٠١٦٠ ص١. وفى ٩ و١٧ ابريل ١٩١٤ العددان ١٠٩٨٠ و١٠٩٨٦ ص١/و ص٢.

(١٢٧) المقطم فى ٢٢ يناير ١٩١٢ العدد ٦٩٣٥ «آل صهيون» ص٢.

(١٢٨) الأهرام فى ١٥ مارس ١٩١٠ العدد ٩٧٢٨ ص١.

(١٢٩) المصدر السابق فى ١٤ يونيو ١٩٠٩ العدد ٩٤٩٧ ص١.

(١٣٠) المقطم فى ١٢ يناير ١٩١٢ العدد ٦٩٢٧ «الخراب والعمران بيد الانسان» ص٤.

(١٣١) الأهرام فى ١١ اكتوبر ١٩١١ العدد ١٠٢١٢ «الاسرائيليون والعثمانية».

(١٣٢) المقطم فى ١٢ يناير ١٩١٢ العدد ٦٩٢٧ ص٤ .

(١٣٣) المصدرالسابق فى ٢١ يوليو ١٩١٠ العدد ٦٤٨١ ص٤ .

(١٣٤) انظر ملحق رقم «٦».

(١٣٥) المقطم فى٢٧ ابريل ١٩١٤ العدد ٧٦٢٤ ص١ .

(١٣٦) المصدر السابق فى ٥ يناير ١٩٠٥ .

(١٣٧) المصدر السابق فى ٢٦ يناير ١٩١٢ .

(١٣٨) المؤيد فى ١٣ ديسمبر ١٩٠٤ .

(١٣٩) المصدر السابق فى ١٥ اكتوبر ١٨٩٩ .

(١٤٠) الأهرام فى ٩ ابريل ١٩١٤ .

(١٤١) المؤيد فى ١٥ اكتوبر ١٨٩٩ .

(١٤٢) المقطم فى ١٤ ابريل ١٩١٤ .

(١٤٣) الأهرام فى ٩ ابريل ١٩١٤ .

(١٤٤) المصدر السابق فى ١٠ ابريل ١٩١٤ .

(١٤٥) انظر ملحق رقم «٦».

(١٤٦) المؤيد فى ١٥ اكتوبر ١٨٩٩ .

(١٤٧) المصدر السابق فى ١١ اغسطس ١٩١٠ .

(١٤٨) الأهرام فى ١٢ يوليو ١٩٠٩ .

(١٤٩) المؤيد فى ١٣ ديسمبر ١٩٠٤ .

(١٥٠) المقطم فى ٢٦ يناير ١٩١٢ .

(١٥١) المؤيد فى ٥ اكتوبر ١٩١٣ .

(١٥٢) المصدرالسابق فى ١٥ اكتوبر ١٨٩٩ .

(١٥٣) المصدر السابق نفسه.

(١٥٤) الأهرام فى ١٢ يوليو ١٩٠٩.

١٥٥٥) المؤيد فى ١٨ يوليو ١٨٩٩. والأهرام فى ٩ ابريل ١٩١٤ العدد ١٠٩٨٠.

(١٥٦) المصدر السابق فى ٢٠ مايو ١٩١٤ العدد ١١٠١٤ «الصهيونية والاجتماع» ص٢.

(١٥٧) المصدر السابق فى ٩ ابريل ١٩١٤ العدد ١٠٩٨٠.

(١٥٨) المقطم فى ٦ مايو ١٩١٤.

(١٥٩) المؤيد فى ١٨ يوليو ١٨٩٩. وفى ١٥ اكتوبر ١٨٩٩.

(١٦٠) المصدر السابق فى ١١ اغسطس ١٩١٠.

(١٦١) المقطم فى ٨ يناير ١٩٠٥.

(١٦٢) المصدر السابق فى ٥ يناير ١٩٠٥.

(١٦٣) الأهرام فى ١١ مارس ١٩١١.

(١٦٤) المصدر السابق فى ٨ مارس ١٩١١.

(١٦٥) المقطم فى ٨ يونية ١٩٠١.

(١٦٦) الأهرام فى ٥ يولية ١٩٠٩ العدد ٩٥١٥ ص٢.

(١٦٧) محمود حسن صالح منسى: تاريخ الشرق العربى الحديث ص١١٩.

(١٦٨) المؤيد فى ٥ اكتوبر ١٨٩٩ العدد ٢٨٨٢.

(١٦٩) المقطم فى ٥ يناير ١٩٠٥ العدد ٤٧٩٦

(١٧٠) المصدر السابق فى ٢٧ ابريل ١٩١٤ العدد ٧٦٢٦ ص١.

(١٧١) الأهرام فى ٢٩ ابريل ١٨٩٩ العدد ٦٤١٥.

(١٧٢) المصدر السابق فى ١٢ يولية ١٩٠٩ العدد ٩٥٢١.

(١٧٣) المصدر السابق ٤ اغسطس ١٩٠٩ العدد ٩٥٤١ ص١.

(١٧٤) المصدر السابق ٦ اغسطس ١٩٠٩ العدد ٩٥٤٣ ص١.

(١٧٥) المصدر السابق ١٦ يولية ١٩١٤ العدد ١١٠٦٣ ص٤.

(١٧٦) المصدر السابق ١١ مايو ١٩٠٦ العدد ٨٥٥٥ ص١.

(١٧٧) المصدر السابق فى٢١ يونية ١٩٠٦، «يافا فى ١٨ منه» ص٢.

(١٧٨) المقطم فى ١٢ يناير ١٩٠٥ العدد ٤٨٠٢ ص٥.

(١٧٩) المؤيد فى ١١ اغسطس ١٩١٠ العدد ٦١٤٢ ص١.

(١٨٠) المصدر السابق.

(١٨١) المصدرالسابق فى ٥ اكتوبر ١٨٩٩ العدد ٢٨٨٢.

(١٨٢) الأهرام فى ١١ و١٥ مارس ١٩١١ العددان ١٠٠٣٠، ١١٠٣٣ ص١.

(١٨٣) الأهرام فى ١٢ يولية ١٩٠٩ العدد ٩٥٢١ ص١. وفى ٤ اغسطس ١٩٠٩ العدد ٩٥٤١ ص١ .والمقطم فى ٢٧ ابريل١٩١٤.

(١٨٤) المصدر السابق فى ٥ يناير ١٩٠٥ العدد ٤٧٩٦.

(١٨٥) المقطم فى ٢٧ ابريل ١٩١٤.

(١٨٦) المؤيد فى ١٣ ديسمبر ١٩٠٤.

(١٨٧) الأهرام فى ١٨ يونية ١٩١٤.

(١٨٨) المصدر السابق فى ١٨ اكتوبر ١٨٩٨.

(١٨٩) المصدر السابق فى١٢ يولية ١٩٠٩.

(١٩٠) المصدر السابق ١٨ يونية ١٩١٤.

(١٩١) المؤيد فى ١٨ يولية ١٨٩٩.

(١٩٢) الأهرام فى ١٨ أكتوبر ١٨٩٧.

(١٩٣) المؤيد فى ٥ أكتوبر ١٨٩٩.

(١٩٤) المصدر السابق فى ١١ اغسطس ١٩١٠.

(١٩٥) الأهرام فى ١٠ أبريل ١٩١٤.

(١٩٦) المصدر السابق نفسه.

الفصل الخامس

موقف صحف الدراسة من الدعوة الى الاتفاق مع الصهيونيين

موقف صحف الدراسة من الدعوة الى الاتفاق مع الصهيونين

فى عام ١٩١٣ ارتفعت من فوق منبر جريدة «الأهرام» دعوة إلى التعاون والتفاهم بين العرب والصهيونيين، وعقد اتفاق فيما بينهم يضمن مصالح الطرفين، وكان من أنصار هذه الدعوة كاتب رمز لنفسه بتوقيع «الدكتور ع. ح»، وبعض زعماء «حزب اللامركزية» من السوريين المقيمين بالقاهرة، وعلى رأسهم رفيق العظم وحقى العظم.

وإذا كانت صحيفة «الأهرام» قد انفردت بالسبق فى إثارة هذا الموضوع بوصفها لسان حال حزب اللامركزية الذى انطلقت من بين صفوفه هذه الدعوة، فإنه سرعان ما انضمت إليها صحيفة «المقطم»، التى دخلت مضمار الحديث عن مسألة اتفاق الصهيونيين والعرب، ولكن مما يؤسف له أننا لم نعثر على أعداد صحيفة «المقطم» فى عام ١٩١٣ ولذلك حظى هذا الموضوع فى «المقطم» بتكرارات أقل من تلك التى حصل عليها فى «الأهرام»، فبينما حصل فى الأخيرة على ٢١ تكرارا «١٢ مقال و٩ اخبار»، حصل فى الأولى على ١٠ تكرارات فقط «٦ مقالات، وحديثين وخبرين».

ونظرا لأن العرب كانوا هم أصحاب هذه الدعوة، التى لم تكن ضمن اهتمامات الصهيونيين فى ذلك الوقت، لارتباطهم بعلاقات وثيقة مع الاتحاديين أصحاب السلطة الفعلية فى الأستانة، سنجد أن عدد المقالات التى كتبها العرب حول هذه المسألة، يفوق عدد المقالات التى كتبها الصهيونيون، ولكن بفارق ضئيل، حيث أن الصهيونيين حرصوا على الرد على ماورد فى كتابات العرب من ادعاءات أو تهديدات، وجدوا أنها قد تضر بمصالحهم، ولهذا سنجد أن عدد

المقالات التى كتبها عرب فى صحيفة «الأهرام» يبلغ سبعة مقالات، أما المقالات التى كتبها صهيونيون، فكان عددها خمسا، وفى «المقطم» كتب العرب خمس مقالات، بينما كتب صهيونى مقالا واحدا فقط، وأجرت «المقطم» حديثين مع اثنين من زعماء الصهيونية، لاستطلاع رأيهما فى فكرة الاتفاق بين العرب والصهيونيين. وقد دارت الكتابات التى تناولت مسألة التعاون والتفاهم بين العرب والصهيونيين حول النقاط التالية :

١ ـ العلاقة بين الصهيونيين والاتحاديين.

٢ ـ أضرار هذه العلاقة على الصهيونيين.

٣ ـ رغبة السوريين فى التفاهم مع الاسرائيليين.

وسوف نتناول فيما يلى هذه النقاط بشىء من التفصيل:

اولا ـ العلاقة بين الصهيونيين والاتحاديين:

كانت العلاقة الوثيقة التى نشأت بين الصهيونيين ورجال «جمعية الاتحاد والترقى» تثير قلق واهتمام زعماء وقادة السوريين والفلسطينيين على حد سواء، وخصوصا منذ استيلاء الاتحاديين على السلطة فى عام ١٩٠٩، ولكن هذا القلق وذلك الاهتمام ازدادا بصورة كبيرة فى عام ١٩١٣، بعد هزيمة القوات العثمانية فى حرب البلقان، والتى أسفرت عن قيام الاتحاديين بإسقاط وزارة كامل باشا الائتلافية، وتشكيلهم الوزارة الجديدة (١) .

وعلى الرغم من أن خيرية قاسمية تذكر أن هذا التغيير الوزارى لم يكن له أثر كبير لدى الرأى العام العربى فى سورية وفلسطين على وجه الخصوص، وذلك لأن الصهيونيين ظلوا يتمتعون بنفوذ متزايد فى الأوساط العثمانية (٢)، إلا أن واقع الحال يقول بعكس ذلك فقد أدى هذا التغيير الوزارى ـ الذى استوز فيه الاتحاديون لأول مرة

اسرائيليا (٣) على حد قول مراسل «الأهرام» فى الآستانة - إلى ردود فعل غاضبة على صفحات جريدة «الأهرام»، وغيرها من الصحف، وكان هذا التطور، هو الذى دفع ببعض الكتاب إلى مناقشة علاقة الصهيونيين بالاتحاديين علانية ولأول مرة على صفحات صحف الدراسة، ثم إلى التفكير فى التفاهم والتعاون مع الصهيونيين فى فلسطين، ثم إلى البحث عن السبل الكفيلة بمقاومة التغلغل الصهيونى فى فلسطين، بعد فشل المحاولات التى بذلت للوصول إلى اتفاق مع الصهيونيين.

وقد عبر إبراهيم سليم نجار مراسل «الأهرام» فى الآستانة عن غضبه على الوزارة الجديدة فى رسالة شخصية بعث بها إلى حقى العظم فى القاهرة بتاريخ ٢٥ يناير ١٩١٣ وصف فيها الوزارة الاتحادية بأنها «عصابة لصوص يؤيدها الصهيونيون»، ووعده بأن يكتب له تقرير مطولا، على ألا يخبر به أحدا، وأن ينشره فى المكان الذى يريده، سواء فى «المؤيد».. أو فى «الوطن» أو فى الجريدة التى يريدها، لأن نجار رأى أنه «يجب أن يعلم المسلمون الحقيقة كما هى»(٤).

وقد قام نجار بنشر مقال فى جريدة «الأهرام» بتوقيع مستعار هو «لمراسل عابر سبيل» (٥) بتاريخ ٧ فبراير ١٩١٣ تحت عنوان «حكاية الهجوم على الباب العالى والسراى السلطانية»، وكان هذا المقال هو الشرارة التى فجرت الغضب الذى ظل مكبوتا فى نفوس بعض الكتاب والزعماء السوريين، وحفزهم على الخوض فى موضوع العلاقة بين الاتحاديين والصهيونيين، وماتلا ذلك من تداعيات.

كذلك فإن رشيد رضا صاحب «المنار» - كما تقول خيرية قاسمية - عبر فى عدد فبراير عام ١٩١٣ عن نقمته على جمعية الاتحاديين التى اطلق عليها اسم «جمعية الأحمرين» : «الدم والذهب»، باتهامه

الاتحاديين بأنهم اتفقوا مع الجمعية الصهيونية على بيعها أراضى السلطان عبدالحميد الواسعة، وعلى تمهيد السبيل لامتلاكها البلاد المقدسة لإقامة ملك اسرائيل فيه، وأن الوزارة الجديدة .. بها ثلاثة وكلاء من قبل الجمعية الصهيونية بيدهم ينابيع الثروة فى البلاد (٦)، أما العرب فلايوجد لهم رجل واحد فيها..

وأعرب رشيد رضا عن اعتقاده بأن الاتحاديين لم يفعلوا فعلتهم هذه الا لأجل الذهب ، وأنه كان يتوقع ذلك منهم (٧).

باختصار، كان العداء للاتحاديين فى ذلك الوقت قويا، وخصوصا فى صفوف المثقفين السوريين المقيمين فى مصر، وذلك بسبب ميل الاتحاديين إلى المركزية الشديدة، وتشجيعهم الاتجاهات القومية التركية على حساب القومية العربية، وغيرها من القوميات الأخرى، وبسبب تواطئهم البين مع الصهيونيين الذين كانوا يتمتعون بنفوذ كبير فى دوائر الحكومة، لم يحظ العرب الذين كانوا يشكلون جزءا كبيرا من السلطنة العثمانية بمثله، ومن هنا بدأت الصحافة فى التعبير عما تضيق به صدور هؤلاء المثقفين السوريين، ولذلك حظيت علاقة الاتحاديين بالصهيونيين على أعلى التكرارات، حيث سجلت ٣٧ تكرارا فى صحف الدراسة كلها، جاء فى « الأهرام » منها ٢٢ تكرارا فى كتابات العرب،و ٧ تكرارات فى كتابات الصهيونيين باجمالى ٢٩ تكرارا وبنسبة ٧٨ر٤٪ بالمقارنة مع الصحف الأخرى . أما فى «المقطم »فقد حصلت على تكرارين اثنين فقط فى كتابات العرب، فى حين حصلت على تكرار واحد فى كتابات الصهيونيين باجمالى ٣ تكرارات بنسبة ٨,١٪.

وفى صحيفة «الأهالى» حصلت هذه الفئة على ٣ تكرارات بنسبة ٨,١٪ أيضا، فى حين حصلت فى كل من «المؤيد» و «الجريدة» على تكرار واحد بنسبة ٢,٧٪ (٨) .

وقد دارت الأفكار التى ناقشت موضوع العلاقة بين الصهيونيين والاتحاديين فى كتابات العرب حول فكرتين أساسيتين أولاهما: أن هناك علاقة تربط بين الاتحاديين والصهيونيين تصل إلى حد التواطؤ، وأساسها تبادل المنفعة بين الطرفين، وقد حصلت هذه الفئة على ١٦ تكرارا، وثانيهما أن العثمانيين وخصوصا الاتحاديين يستندون إلى الصهيونيين والماسون، وقد حصلت على ١١ تكرارا.

وفيما يتعلق بالفكرة الأولى ذكر «مراسل عابر سبيل» أن جريدة «الجون ترك» الاتحادية هى جريدة صهيونية ألمانية نمساوية، وشركة «الأجانس اوتومان» [٩] الاتحادية هى شركة اسرائيلية صهيونية، وأن كليهما كان لسان حال الوزارة الاتحادية فى ذلك الوقت، وفضلا عن ذلك فإن «الأجانس أوتومان» التى كانت تبث أقل كلمة تقال فى الوزارة السابقة، أصبحت لاتروى لصحف العاصمة عن الوزارة الاتحادية، إلا ما تقوله فيها الصحف الصهيونية فى العالم.

وأوضح عابر سبيل أن الصهيونيين إنما يخدعون الاتحاديين بادعاءاتهم بأن الصحافة الغربية أصبحت معهم، بفضل الجهود التى يبذلونها، حيث تحجب «الاجانس اوتومان» مايرد من هجمات وانتقادات ضد الاتحاديين فى الصحافة الغربية، وتنقل عن الصحف الصهيونية فى أوروبا امتداحها أعمال الاتحاديين بين الحين والآخر، وضرب لذلك مثلا بصحيفة «الطان» الفرنسية التى نشرت مقالا بعنوان «أحر نار الجحيم أبردها» وانطوى على هجوم على الاتحاديين، ولكن «الاجانس اوتومان» حجبته عن الصحافة العثمانية، كما ضرب مثلا آخر بصحيفة «الديلى جرافيك» التى استشهدت بها صحيفة «جون ترك» على حدوث تحول فى الصحافة الغربية تجاه الاتحاديين، وقال إنها - أى الديلى جرافيك - تحبذ أعمال الاتحاديين

لا كصحيفة انجليزية ولكن كصحيفة صهيونية.. ولأن الأتراك لايعرفون من اسم الجريدة إلا خارجه، ولايفهمون من هي «النيو فري برسه» [١٠] وغيرها، يعتقدون أن ذلك منها عن خلوص وإخلاص، ثم قال إنه لايلوم الصهيونيين، فهم أرادوا منفعة يطلبونها.

وفضلا عن مساعدة الصهيونيين الحكومة المركزية في ميدان الصحافة، ذكر إبراهيم سليم نجار أنهم يساعدونها أيضا بأموال بنوكتهم، ومساعي نواديهم الخصوصية في باريس، وفي مقابل ذلك تساعدهم الحكومة المركزية بأوامرها إلى رجال حكومة فلسطين المحلية، وهم يساعدون أنفسهم أيضا بما يدفعونه من المبالغ لهؤلاء الحكام [١١].

وقد أتفق مع «مراسل عابر سبيل» في الرأي، كاتب آخر رمز لنفسه بتوقيع «الدكتور ع. ح»، فقال إن مايبديه الصهيونيون من الحب والميل إلى الاتحاديين إنما هو بسبب مصلحتهم، ولكن «ع. ح» كان أقوى في لهجته من سابقه، فقد ادعى أن هناك تواطؤا بين الاتحاديين والصهيونيين وان أنكره وكذبه الفريقان وكان الدليل الذي استند إليه على وجود هذا التواطؤ هو تعيين ناظرين صهيونيين في الوزارة الاتحادية الجديدة، أحدهما المحامي نسيم مازلياح الذي لم يقدم خدمات صغيرة أو كبيرة في دوائر الدولة العثمانية من قبل ، ويساريا أفندي الذي تم تعيينه لأن الصهيونيين يأتمنونه ويعدونه صهيونيا.

واعتبر ع.ج تعيين هذين الوزيرين أعظم دليل محسوس على تواطؤ واتفاق الجمعيتين: الصهيونية والاتحادية، لأن عدد اليهود في الدولة لا يعادل عشر معشار العرب، ومع ذلك فإن لهم في الوزارة الاتحادية عضوين من الصهيونيين، وليس للعرب - وهم أكثر من نصف المملكة عضو واحد في الوزارة. و «لولا أن هناك غرضا خاصا ومواطأة

كبيرة على أمور معلومة تتعلق ببقعة من بقاع البلاد العربية، لما آثر الاتحاديون اليهود على العرب..

وثمة دليل آخر قدمه «ع. ج» على وجود تواطؤ كبير بين الاتحاديين والصهيونيين، وهو تسليم الوزارات التى لها علاقة كبيرة بالأمور المالية والاق[illegible] والزراعية إلى نظار صهيونيين (١٢).

واتفق «ح.ج» مع «مراسل عابر سبيل» فى القول بأن الاتحاديين يستندون إلى الصهيونيين والماسونيين، فقد قال «عابر سبيل» إن الحكومات الاتحادية منذ نشأة أول حكومة دستورية حتى ذلك الوقت استندت إلى الصهيونيين والماسونيين لتلعب بهم وتستعين بأموالهم.. وأنه لما كان الاسرائيليون ذوى اقتدار غريب عجيب، فإنه يعتقد أنهم لم يعضدوا الاتحاديين بأموالهم ونفوذهم وصحفهم فى أوروبا إلا وقد تبادلوا المنفعة معهم، وحددوا منافعهم فى فلسطين(١٣).

اما «ع.ح» فأتى بشواهد تدل على ان الاتحاديين يستندون إلى الصهيونيين والماسونيين، فقال إن جاويد بك بمجرد صعوده إلى وزارة المالية، أدخل فى أقلام هذه النظارة عددا كبيرا من اليهود وكلهم من أركان الصهيونيين، وأن كل القروض التى اقترضتها الوزارات الاتحادية كانت بواسطة هؤلاء الموظفين الاسرائيليين الذين هم فى الحقيقة مندوبو الصهيونيين، ومروجو أشغالهم وأعمالهم أكثر منهم موظفين عثمانيين (١٤).

وذكرت صحيفة «الأهرام» أن القوى الألمانية الصهيونية كانت وراء عقد ما اسمته بالقرض المنحوس الذى عقدته الدولة العثمانية مع المانيا عام ١٩١١ وأن القابضين على زمام الأحكام فى الدولة يومئذ كانوا هم نفس الرجال الذين يقبضون اليوم على زمام الأمور فيها..

وادعت « الأهرام» أيضا أن لجمعية الاتحاد والترقى صلة كبيرة بالجمعية الألمانية الصهيونية، وأن هذه الصلة وصلت مبلغا كبيرا من القوة إلى حد أن الصهيونيين وضعوها على بساط البحث فى مؤتمرهم الذى عقدوه عام ۱۹۰۹ ـ ۱۹۱۰ فى برلين، فتقرر ان تذكر هذه الصلة مع الجمعية بالشكر والثناء، وقد ورد فى مادة مخصوصة (أن الصلات التى تأسست بين جمعيتنا ورؤساء جمعية الاتحاد والترقى انتجت توحيد المقاصد بين جمعيتنا وبينهم، فجمعيتنا تنظر إلى اتحاد الأفكار بيننا بعين الشكر والامتنان)[١٥].

أما صحيفة «الأهالى» فقد أشارت إلى انشاء جريدتين فى الأستانة على المبادىء الصهيونية بعد إعلان الدستور العثمانى عام ١٩٠٨، إحداهما هى «لورور»، والثانية «جون ترك»، وأن الأولى قامت تدافع عن الصهيونيين عموما. أما الاخرى فقد اتخذت لها وجهة مختلفة فى خدمة الصهيونية، حيث قامت تحرك المسلمين المهضومى الحقوق فى البلدان الاجنبية، وتحثهم على الالتجاء إلى بلاد الدولة للعيش فيها بسلام تحت راية الهلال، ثم اقترحت مهاجرة يهود روسيا المهضومى الحقوق إلى أرض ما بين النهرين، مدعية أن المهاجرين يتجنسون بالجنسية العثمانية، ويعمرون الأقاليم الواسعة فى بلاد الدولة فتستفيد منهم قوة وعمرانا، وأشارت «الأهالى» ايضا إلى أن ممثل «جمعية الاستعمار الاسرائيلى» جاء إلى الأستانة موفدا فى مهمة خطيرة موضوعها إغراء أحرار الترك على إطلاق حرية مهاجرة اليهود إلى آسيا الصغرى وما بين النهرين وفلسطين، فى مقابل أن يقوم أعضاؤها الذين هم من مشاهير رجال المال والأعمال وكبار الموظفين فى عدة ممالك، بشد أزر الدولة العثمانية من الناحية المالية، بحيث تتمكن من توحيد قواها، وبسط نفوذها وسلطتها بين الأمم، ولكن قيل إن طلعت بك ناظر الداخلية السابق رفضها[١٦].

وألمحت جريدة «المؤيد» كذلك إلى وجود علاقة بين الصهيونيين والاتحاديين فنقلت عن مراسل «التيمس» فى الآستانة إن الأندية الرسمية فى الآستانة تؤمل الحصول على شى من المال فى مقابل امتيازات اقتصادية تمنحها للمتمولين من الأجانب، ولكن الصحيفة لم تحدد من هم هؤلاء الأجانب، ثم ذكرت أنه تم استصدار إرادة سلطانية تجيز بيع ساحة التعليم العسكرى، وقصر الثكنة العسكرية فى (تقسيم) إلى شركة أجنبية يقال إنها مؤلفة من متمولين فرنسيون وألمان، وإن الوسيط فى عقد هذه الصفقة كان سالم أفندى الوسيط السلانيكى المشهور، ثم عقبت «المؤيد» على هذا الخبر بقولها إن سالم افندى من مشاهير اليهود الصهيونيين فى سلانيك، وإن لجميعة الاتحاد والترقى علاقات مالية كثيرة معه، وإن صحف الشرق والغرب تناولت اسمه فى الحرب الطرابلسية بسبب المهمة التى اوفد فيها إلى إيطاليا من جانب الجمعية، ولغط الناس كثيرا فى شأنها(١٧).

ونقلت «الأهالى» عن د.واربورج رئيس المؤتمر الصهيونى الحادى عشر ما يفيد بوجود ارتباط بين مصالح الصهيونيين والدولةالعلية، فقد أعلن واربورج أن تقدمهم ورقيهم فى فلسطين يرجع إلى حسن الصلات بينهم وبين الحكومة العثمانية، وأنْ نجاح النهضة الاسرائيلية فى فلسطين مرتبط ارتباطا كليا بنجاح السلطنة العثمانية(١٨).

وفى «المقطم» كتب رفيق العظم أنه وصلت إليه رسائل كثيرة من فلسطين وغيرها، يشكو أصحابها من تقدم الصهيونية فى فلسطين، وإغضاء الحكومة عنها، أو تساهلها مع الصهيونيين، مما أثار القلق والريب فى نفوسهم، كما أشار إلى أن الصهيونيين اعتمدوا على الحكومة العثمانية فى ضمان مستقبلهم فى فلسطين(١٩).

أما صحيفة «الجريدة» فقد نشرت خبرا واحدا عن انتخاب عضو يهودى لمجلس المبعوثان عن الآستانة، وأنه رشح من قبل جمعية الاتحاد والترقى، مما يعطى انطباعا عن حرص الاتحاديين على إرضاء الاسرائيليين، وعن العلاقات الوثيقة التى كانت تربط بين الطرفين(٢٠).

ونظرا لأن صحيفة «الأهرام» كانت هى التى بدأت بالحديث عن علاقة التواطؤ بين الصهيونيين والاتحاديين كما أنها كانت تعتبر لسان حال حزب اللامركزية ولسان حال السوريين المقيمين فى مصر، لذلك حظيت المقالات التى نشرتها باهتمام الدوائر الصهيونية فى مصر، فقد انبرى للرد على مقالات «عابر سبيل» و«ع. ح» ثلاثة من الكتاب الصهيونيين، فأوضح جبر فارحى - أحد هؤلاء الكتاب - إن الخطة التى اتخذوها كانت خطة دفع افتراء لا خطة هجوم، وانه لولا شدة لهجة ما جاء بمقال «عابر سبيل» فى «الأهرام» لما قام فرد منهم يحرك ساكنا لأن الصهيونية - على حد قوله - ظاهرة طويتها(٢١).

وقد قامت خطة الدفاع الصهيونية على الأسس التالية:

١ - اتهام الكتاب العرب بقلة الاطلاع، وعدم إمعان النظر فيما يقرأون. والخلط بين الأمور.

٢ - التعصب فى عصر ينظر إلى الأعمال لا إلى الملل والمذاهب.

٣ - نفى علاقة الصهيونية بالاتحاديين او بالماسونية.

وفيما يتعلق بالنقطة الأولى اتهم جاك ليفى طنطاوى «مراسل عابر سبيل» بقلة الاطلاع، وقلة الالمام بالمسائل التى تصدى لطرحها، ورد على اتهامه بأن جمعية الاتحاد والترقى تستنتد إلى الصهيونية كما تستند إلى الالمانية والنمساوية بقوله إن الصهيونية ليست أساسا

لحزب من الأحزاب السياسية سواء فى تركيا أو خارجها، لأنها جمعية اسرائيلية الصبغة هدفها إنقاذ بعض المضطهدين اليهود فى الممالك الأجنبية، والنظر فى شؤونهم الاسرائيلية البحتة البعيدة عن المنازعات السياسية، كما نفى أن يكون للصهيونية أصلا دخل فى أعمال الاتحاديين(٢٢).

وبالنسبة للنقطة الثانية رد أحدهم بتوقيع «صهيونى» على ما أثاره «ع.ح» بالنسبة لتعيين وزير اسرائيلى فى حكومة الاتحاديين كدليل على تواطؤ الاتحاديين والصهيونيين، فقال إن الدولة اعتادت تقريب اليهود فى الوظائف العليا منذ سليمان وبايزيد. وغيرهما فى أزمان لم تكن فيها الممالك الأصلية كفرنسا وانجلترا قد وظفت اسرائيليا واحدا، وخلص من ذلك إلى أن تقاليد آل عثمان تستلزم ذلك ولا تحرمه..

واتهم «صهيونى» «ع.ح» بالغفلة وعدم مواكبة روح العصر، فأشار إلى حلول عصر جديد على المدنية والعمران يدعو إلى تمحيص الأعمال لا النظر إلى الملل والمذاهب لقياس مقدار الرجال، وأن أبطال الثورة الفرنسية الذى حرروا الإنسان لم يخلقوا عبثا فى هذا الوجود.. وأنه إذا جال فى الممالك يرى اليهود مستوزرين محترمى الجانب كغيرهم سواء بسواء، وأعطى أمثلة بفرنسا وانجلترا وايطاليا والبرتغال واسبانيا...(٢٣).

كذلك فإن جاك ليفى طنطاوى رد على ما ذكره «ع.ح» من أن نسيم مازلياح لم يوظف فى دوائر الحكومة من قبل بقوله إن الوزير الاسرائيلى محام بارع ذو كفاءة واقتدار، وأنه ليس هناك ما يمنعه من خدمة دولته ما دام قادرا على خدمتها ـ كما هو الحال فى جميع دول العالم المتمدن ـ ففى فرنسا وإنجلترا وألمانيا.. كثير من الوزراء

اليهود، لم نسمع عند تعيين احدهم ما قاله «ع.ح» لأن الفوارق الدينية غير موجودة عندهم، وكان الواجب عليه أن يترك عبارة الأديان...[٢٤].

أما بالنسبة للنقطة الأولى والأخيرة فقد رد طنطاوى و«صهيونى» على ادعاءت «عابر سبيل» و«ع.ح» فيما يتعلق باستناد العثمانيين إلى الصهيونية والماسونيةفقال طنطاوى ان الأدهى من كل ما سبق هو الخلط بين الصهيونية والماسونية لأنه لا يوجد أقل ارتباط بينهما، فالأولى جمعية اسرائيلية بحتة، والثانية جمعية عمومية مؤلفة من جميع العناصر والأديان، فكيف جمع بين الاثنين؟[٢٥]، كذلك فإن «صهيونى نفى ضمنا أن يكون الماسونيون فى خدمة اليهود بقوله إنه صارمن البديهيات عدم دخول الماسونية فى الأمور الدينية، لأنه اشتهر عنها أن حب المساواة شعارها، والأخاء دينها، ومعونة المظلومين خطتها من غابر الدهور والأحقاب إلى الآن[٢٦].

ثانيا ـ اضرار العلاقة بين الصهيونيين والاتحاديين:

وبعد أن تعرض كتاب «الأهرام» إلى مناقشة علاقة التواطؤ بين الصهيونيين والاتحاديين، بدأوا فى ابراز أخطار هذه العلاقة بالنسبة للصهيونيين، ربما كوسيلة للضغط عليهم، كى يتخلوا عن علاقتهم بالاتحاديين، ويقبلوا فكرة التفاهم والاتفاق مع العرب أصحاب البلاد، وجيرانهم فى المستقبل.

وقد حصلت فئة أضرار العلاقة بين الصهيونيين والاتحاديين على ٢٦ تكرارا كان نصيب «الأهرام» منها ٢٢ تكرارا بنسبة ٨٤٪ ويرجع ذلك إلى أن «الأهرام» سمحت للكتاب السوريين والفلسطينيين بمناقشة العلاقة بين الصهيونيين والاتحاديين من على منبرها، فى حين حصلت فى «المقطم» على ٣ تكرارات بنسبة ١١,٥٪، وفى «المؤيد» على تكرار واحد بنسبة ٣,٨٪.

وكانت أضرار العلاقة بين الاتحاديين والصهيونيين كما عبر عنها كتاب صحف الدراسة تتمثل فيما يلي:

اولا: إن استناد الحكومة إلى الاسرائيليين والماسونيين، واستعانتها بأموالهم، يخلق العداوة للاسرائيليين تماما كما فعلت فرنسا من قبل، حينما استندت إلى الاسرائيليين لمقاومة العنصر الكاثوليكي في البلاد، فخلقت ما يسمى «عداوة الاسرائيليين»، أو ما يطلق عليه حاليا «الانتيسيماتيسم» [٢٧].

ثانيا: أن إيثار الحكومات الاتحادية شبان الاسرائيليين على شبان العرب، بتوسيدهم كثيرا من المناصب السامية - على الرغم من أن العرب يمثلون الأغلبية - وكذلك الرغبة التي أظهرتها وزارة حقي باشا في إعطاء الأراضي الواسعة التي آلت إلى الحكومة من السلطان عبدالحميد - وثلاثة أرباعها يقع في البلاد العربية - إلى شركات استعمارية صهيونية أجنبية بثمن بخس، مقابل قرض تقرضها إياه تلك الشركات، لتنفقه الحكومة في تسيير الحملات على الشعوب العثمانية التي تطلب الإصلاح، فتقتلها قتلا، كل ذلك يؤدي إلى إساءة الظن بالموسويين[٢٨].

ثالثا: أن تقدم الصهيونية في فلسطين، وإغضاء الحكومة عنها، أو تساهلها مع الصهيونيين - كما يقول حقي العظم - قد بعث في نفوس السوريين القلق والريب، وبعث على وجود حركة فكرية لا تؤمن عواقبها، ونذكر أنه يجب ان يحسبوا حساب الشعب العربي لأنه قد يلجأ غدا إلى الزئير[٢٩].

ولكن بعض الكتابات أوضحت أن السوريين قد بدأوا بالفعل في النهوض، للوقوف في وجه الصهيونيين وتعطيل حركتهم، فذكرت

«المؤيد» ورود رسالة خصوصية من بعض جهات سوريا أوضح فيها مرسلوها أن الأفكار مضطربة فى أكثر بلاد ذلك القطر لما دخل فى الأذهان عن آمال وأعمال الصهيونيين، واعتمادهم على بعض الجمعيات العثمانية فى بلوغ مآربهم المعروفة فى فلسطين، وأنه تألفت فى سوريا جمعية سرية من الأهالى على اختلاف مذاهبهم لمقاومة الصهيونيين، ومنعهم من كل ما يحاولون القيام به من المشروعات الاقتصادية، قبل أن تعلن الإدارة اللامركزية فى البلاد. وقالت «المؤيد» إن الذى دعاها إلى نشر ذلك الآن بعد إهماله أن الكتابات تكررت فى هذا الموضوع من مكاتبين فى بلاد متعددة حتى تأكد للصحيفة انتشار فكرة عدائية لليهود بين كل طبقات الأهالى(٣٠).

رابعــا: أن سلطة الاتحاديين غير دائمة، كما وأن الصهيونيين يقيمون فى سوريا فى بقعة ليس فيها اتحادى واحد، بل إن العرب يحيطون بهم من الجهات الاربع، فإذا ارادوا أن ينالوا شيئا فى جهات سوريا، يجب عليهم أن ينالوه برضى السوريين خاصة والعرب عامة، وإلا فإن العداوة بين السوريين، بل بين العرب أجمعين وبين الصهيونيين ستنشأ من الآن، وستظهر بمظهر يقضى على كل مصالح الصهيونيين وآمالهم القضاء المبرم.. وحينئذ إذا حدث حادث لا ينفعهم لا جاويد ولا طلعت ولا نسيم مازلياح، ولا غير هؤلاء ممن يعتمدون عليهم.

واستشهد «ع.ح» صاحب هذا الرأى برسائل وردت إلى «المؤيد» من بعض أساطين العرب فى سوريا حذروا فيها من انخداع الصهيونيين بمؤازرة الظروف الموجودة فى ذلك الوقت، والتى لم تكن موجودة بالأمس وربما لا توجد فى الغد، كما حذروا الصهيونيين من الاغترار بقوتهم لأن حالة سوريا لا تشبه حالة البلاد الأخرى

لمجاورتها للصحراء حيث تنزل القبائل العربية، وإذا اتسع الخرق، نال الصهيونيين من الأهالي ما لم ينالوا جزءا منه في روسيا، «فالمسألة مسألة معيشة وحياة اقتصادية طالما دافعت عنها الأمم بدمائها»[٣١].

وقد رد جاك ليفي طنطاوى على ما أثير بالنسبة لأضرار العلاقة الصهيونية الاتحادية بالنسبة للصهيونيين موضحا أن تركيا دولة متسامحة، ولن ينشأ فيها رفض اليهود، وأن اليهود عثمانيون كسواهم ولهم الحق في خدمة دولتهم، وفضلا عن ذلك فإن توظف اليهود لم يبلغ حدا يستحق الالتفات إليه[٣٢].

ورد «صهيوني» بأن الصهيونيين أعرف بمصلحتهم من كل غريب، وأن الأتراك أذكى من السوريين وأعرف بمصلحة أوطانهم، وبحقيقة ما يحدث في الولايات[٣٣].

ثالثا - الإفصاح عن رغبة السوريين في التفاهم مع الصهيونيين:

أدى إدراك الكتاب والزعماء السوريين أن وجود علاقة قائمة على تبادل المصالح بين الصهيونيين والاتحاديين، يمكن أن يؤدى إلى اتفاق فيما بينهم من وراء ظهور العرب، وعلى حساب مصالحهم وحقوقهم في فلسطين، إلى أن بدأ هؤلاء السوريين في التفكير في الأخذ بزمام المبادرة والسعي إلى التفاهم مع الصهيونيين، وعقد اتفاق بما يضمن مصالح الطرفين.

وقد حصلت فكرة عقد اتفاق بين العرب والصهيونيين على ٢٣ تكرارا في صحيفتي «الأهرام» و«المقطم» اللتين ناصرتا هذه الدعوة.

وكانت صحيفة «الأهرام» هي الصحيفة الوحيدة من بين صحف الدراسة التي تبنت الدعوة إلى الاتفاق مع الصهيونيين، ثم شاركتها صحيفة «المقطم» فيما بعد.

ويرجع السبب فى تبنى «الأهرام» لهذه الدعوة إلى علاقاتها الوثيقة بأعضاء حزب اللامركزية من السوريين المقيمين فى القاهرة وعلى رأسهم رفيق العظم رئيس الحزب، وحقى العظم سكرتيره، هذا بالإضافة إلى أن داود بركات مدير تحرير الصحيفة كان عضوا فى ذلك الحزب الذى اتخذ من «الأهرام» لسانا لحاله.

وقد بدأت الدعوة إلى التفاهم مع الصهيونيين من على صفحات «الأهرام» بمقال نشره (ع.ح) الذى يعد بحق رائد هذه الدعوة، حيث حذر الصهيونيين من أنه إذا كان التواطؤ بينهم وبين الاتحاديين على أن ينالوا شيئا فى سوريا وفلسطين، فإن كل شىء يعطى إليهم سكون ملغيا بالمرة... وأنهم إذا ارادوا الحصول على شىء فى جهات سوريا، فعليهم أن ينالوه برضى السوريين خاصة... والعرب عامة، وباتفاق تام معهم[٣٤].

وأتبع (ع.ح) هذا المقال بمقال آخر اوضح فيه أنه لم يفتح هذا البحث الخطير من أجل المغالطة والمناقشة، وإنما أثاره لأجل التوصل إلى غرض مقصود، وهو قواعد أساسية يبنى عليها اتفاق بين الصهيونيين وجيرانهم العرب على تعمير سوريا وفلسطين وجعلهما من احسن بقاع الأرض المتمدنة الراقية[٣٥].

ولم يكن نشر «الأهرام» لهذين المقالين مجرد دليل ضمنى على تأييدها لهذا الاقتراح فحسب، بل إنها أعربت صراحة عن تأييدها للدعوة إلى التفاهم مع الصهيونيين، فقد عبرت عن يقينها - فى تعقيبها على مقال (ع.ح) - بأن السوريين لا يكرهون التفاهم مع إخوانهم الاسرائيليين، كما أعربت أيضا عن يقينها بأن التفاهم لازم وضرورى، وأنه بالأموال والعلوم والفنون التى يأتى بها الاسرائيليون إلى سوريا نفع عظيم للبلاد، وبناء عل ذلك فإنه لا يبقى إلا أن يتفاهموا ليتحابوا ويتفقوا[٣٦].

ونظرا لأن الصهيونيين فى مصر لم تكن لديهم سلطة اتخاذ القرار بشأن التفاهم مع العرب، فإنهم لم يردوا بقبول عرض التفاهم، وإنما لجأ بعضهم إلى المغالطة والمراوغة فى رده على عرض (ع.ح)، فقد كتب «صهيونى» فى «الأهرام» متسائلا هل الكاتب واثق من مشاعر أخوانه السوريين والعرب نحو اليهود والصهيونيين؟ وهل يرى بين ظهرانيهم استعدادا وتأهبا للاشتراك مع اليهود فى العمل بثبات لنهضة سوريا؟ وما إذا كانوا يقبلون بنزول مضطهدى الصهيونيين أراضيهم؟

وإمعانا فى المراوغة قال «صهيونى» إنه إذا كانت عامة الأمة معرضة عن هذا الفكر، وغاية الأمر أن الكاتب يعرض على مسامعهم اقتراحا يراه مناسبا.. فيجب الانتظار إلى أن يجرى تمحيصه بمعرفة كتابهم المشهورين أمثال د. شبلى شميل، ورفيق العظم.. وغيرهما ممن لهم كلمة مسموعة وآراء يمكننا الاعتداد بها(٣٧). ووصف كاتب صهيونى آخر هو جاك ليفى طنطاوى دعوة (ع.ح) إلى التفاهم بين العرب والصهيونيين بأنها «أمر حسن جليل»، ولكنه قال إن هذا التفاهم موجود منذ زمن، فالاتحاد بين اليهود وأهل البلاد سائر سيرا حسنا.. ومع ذلك فقد رحب طنطاوى بدعوة (ع.ح) الكتاب العرب إلى المساجلة فى هذا الموضوع، كما وجه الشكر إلى رئيس تحرير «الأهرام» على حسن ظنه باليهود، وللشهادة التى أداها فى حق اليهود بالنسبة لفائدتهم للبلاد (٣٨).

وردا على التساؤلات التى طرحها «صهيونى» فيما يتعلق بما إذا كان السوريين والعرب على استعداد للتعاون والتفاهم مع الصهيونيين، أجاب (ع.ح) أنه واثق كل الوثوق من مشاعر اساطين العرب والسوريين، وعالم علم اليقين بأنهم راغبون فى الاتفاق مع

الصهيونيين على عمار سوريا وفلسطين.. وجانحون إلى موالاتهم، وأن ما جاء في مقالته هو رأى فريق كبير من أساطين العرب والسوريين، واستشهد على ذلك بتعقيب «الأهرام» على مقاله، وقال إنها - أى الأهرام - لسان حال الفريق الأكبر من اساطين السوريين والعرب، كما استشهد كذلك بما كتبه أحدهم فى «الأهرام» بتوقيع (اص) من أن «كل عربى يوافق حضرة الباحث (ع.ح) على ما جاء فى مقالته»، وبما نشره «المؤيد» من رسائل وردت إليه من اساطين العرب فى سوريا، وكلها تحبذ الاتفاق مع الصهيونيين.

وبالنسبة لمسألة ما إذا كان العرب يقبلون بنزول اليهود المضطهدين أراضى فلسطين وغيرها، أجاب (ع.ح) بأن ذلك يتوقف على وضع مقدمات الاتفاق بصورة تضمن مصالح الطرفين[٣٩].

واشترك حقى العظم سكرتير حزب اللامركزية فى الجدل الذى أثير على صفحات «الأهرام» حول موضوع الاتفاق مع الصهيونيين، ولكن للرد على ما ورد فى كتابات الصهيونيين من اتهامات، رأى أن السكوت عليها يعتبر اعترافا بما رمى به الصهيونيين العرب.

وكان من بين الاتهامات التى حرص العظم على نفيها، ما ورد فى مقال «صهيونى» من أن السوريين كانوا أقل العثمانيين حبا فى الموافقة على استيطان اليهود النازحين من الظلم أراضى فلسطين، حيث قال إن السوريين ليسوا من الشعوب المشاغبة، وإنهم يعلمون أن بلادهم ينقصها المال والأيدى العاملة النشيطة، ولكن يريدون الحصول على ذلك دون أن يمس مركز بلادهم السياسى واللغوى والجنسى، وأن تسود المساواة التامة بينهم وبين المهاجرين من بنى اسرائيل أو غيرهم، وإنه على هذه الشروط لا يظن أنه يوجد فلسطينى أو سورى يقاوم مشروع مهاجرة اليهود إلى البلاد، وإن مقاومتهم من قبل

للمشروع نشأت من عدة نقاط أولها: بقاء أغلب المهاجرين الاسرائيليين على تابعيتهم الأجنبية،، مما أضر بالوطنيين، وثانيها: ميل المهاجرين الموسرين وغيرهم من اليهود العثمانيين إلى الاتحاديين، على الرغم من فساد إدارتهم، وسعيهم إلى دمج العناصر العثمانية بما فيها العنصر العربي - فى العنصر التركى وإيثارهم شبان الاسرائيليين على شبان العرب مع أن العرب يؤلفون الأكثرية العظيمة، وثالثها: ما صدر من بعض الاسرائيليين أمثال جاويد بك و«المتر» سالم المحامى، وقره صوه أفندى، ونسيم مزلياح وغيرهم من اسرائيليى سلانيك وأزمير والآستانة من أمور جعلت العرب عموما والسوريين والفلسطينيين على الأخص يشكون فى نياتهم، ومن هنا عمت الريب.

وأكد حقى العظم ان السوريين على استعداد للتفاهم مع مهاجرى الاسرائيليين بالشروط التالية(٤٠):

١ - أن يقبل المهاجرون اليهود الرعوية المحلية ظاهرا وباطنا، حتى يتساوى الجميع أمام القانون.

٢ - أن تبقى البلاد العربية بمعزل عن كل مساس سياسى أو إدارى.

وعلى الرغم من تأكيدات (ع.ح) وحقى العظم و«الأهرام» وغيرهم، استعداد السوريين والفلسطينيين للاتفاق مع الصهيونيين، رد جبر فارحى - احد الكتاب الصهيونيين فى مصر - شاكرا الكتاب العرب دعوتهم الصهيونيين إلى الاتحاد مع العرب، وقال إنهم يتقبلون ذلك منهم بمزيد من الشكر والامتنان، وأنه لا يخال الصهيونيين يترددون عن قبول هذا الاقتراح.. لأنه مبدأهم الجوهرى، ولكن جبر فارحى عاد

مرة أخرى إلى المراوغة، فطالب الكتاب العرب ان يوقفوا الصهيونيين على حقيقة مرماهم، والسبب الذى دفعهم لمفاتحتهم بهذا الموضوع، وإن كان لديهم تفويضات رسمية من أولى الشأن بذلك، أم هم مدفوعون لإنقاذ الإنسانية المعذبة ليس إلا؟[٤١].

وقد توالت المبادرات من جانب السوريين بهدف طمأنة الصهيونيين وحفزهم على التفاهم مع العرب بدلا من تفاهمهم مع الاتحاديين، فنشرت «الأهرام» قرار حزب اللامركزية الذى ينص على أن مبدأهم الواضح يقوم على أساس أن اختلاف الأجناس والأديان والمذاهب لا يخل بحقوق الوطنية العثمانية كاملة بما تقتضيه من حق وواجب، وأن اختلاف المذاهب لا يمكن أن يكون بحال من الأحوال سببا لحرمان أى فريق من العثمانيين عامة، والسوريين خاصة من أى حق من الحقوق العامة والوطنية[٤٢]، كما أدلى عبدالحميد الزهراوى رئيس المؤتمر السورى العربى فى باريس بتصريح لمحرر جريدة «الجون ترك» عن نوايا العرب الحسنة نحو إخوانهم اليهود. وقد لاقى هذا التصريح ترحيبا فى أوساط الصهيونيين فى مصر، واعتبروه برهانا واعترافا بأن فلسطين تستفيد من وجود اليهود فيها، كما رأوا فيه «ضربة قاضية» للقوم الذى كانوا يتخوفون من نزول الاسرائيليين إلى تلك البطاح[٤٣].

ولم يقف دور «الأهرام» عند مجرد نشر اراء واقتراحات العرب والصهيونيين بالنسبة لموضوع التفاهم، وإنما قام مراسلها فى الآستانة - إبراهيم سليم نجار - بخطوة عملية فى هذا الاتجاه، إذ يذكر انه حاول شخصيا عقد اتفاق بين العرب والاسرائيلين، فلم تكن النتيجة كما كان يظن، إذ كتب فى عام ١٩١٣ إلى صديق[٤٤] له من كبار رجال الحركة الصهيونية، يعمل مديرا لجريدة افرنجية فى

الآستانة يدعى سامى هوخبرج، يعرض عليه الاتفاق مع العرب، فرحب بالفكرة، وجاء الى القاهرة حيث قدمه نجار إلى بعض أعضاء حركة اللامركزية، واتفقوا على تبادل الخدم والمساعدات توصلا إلى الاتفاق، ولكن «نجار» يقول إن الاسرائيليين أعقل من أن يتركوا الحقيقة للتمسك بالخيال فقد رأوا أن حركة اللامركزية غير منظمة.. فلم نقم بتعهداتنا، ولم يقوموا بتعهداتهم وبقى الاتفاق حبرا على ورق..

وقد أراد نجار بذكره هذه الواقعة فى عام ١٩١٤، اثبات اتفاق الاسرائيليين مع الحكومة المركزية، وقال إنه لولا هذا الاتفاق لدفعوا اللامركزيين إلى العمل، وساعدوهم بالمال وعضدوهم أدبيا، كما فعلوا ويفعلون مع الاتحاديين(٤٥).

وكان الجديد فى التحرك الذى قام به نجارهو أنه أراد ان ينقل المسألة من إطار المناقشات المحلية، إلى الإطار العملى، بطرح الفكرة على بعض الشخصيات الصهيونية المسئولة، وكان هوخبرج من بين الأشخاص المكلفين بالعمل الصهيونى السياسى فى الآستانة.

ويبدو أن عرض التفاهم الذى طرحته «الأهرام» فى القاهرة كان مفاجأة للمنظمة الصهيونية بما يحمل فى طياته من الإشارة إلى ظهور حركة جديدة بين العرب. ولهذا فإنه بعد أن كان اتجاه العمل الصهيونى يتركز على الحكومة العثمانية، بدأت المنظمة توجه انتباهها نحو تلك الحركة الجديدة الناشئة، وما يمكن أن تقيمه من عقبات فى طريق الأهداف الصهيونية، ومن هنا مال الرأى الرسمى الصهيونى إلى الاستجابة لعرض التفاهم، لكسب الحركة العربية بدلا من معاداتها(٤٦).

ففي شهر مارس عام ١٩١٣ عقدت «جمعية العمل الصهيونية» جلسة فوق العادة في برلين، تلا فيها اوسشكين تقريرا عن الحركة السياسية الصهيونية في فلسطين - نشرته صحيفة «الأهرام» - استرعى فيه الانتباه إلى انها لم تعلق أية أهمية حتى ذلك الوقت على مسألة من أهم المسائل وهى «العمل السياسى فى فلسطين» وقال إنه من الواجب على الصهيونيين أن يعلنوا عن مقاصدهم ونياتهم جهارا للرأى العام العربى، حتى يفهم أن مصالح اليهود والعرب متفقة، وأن مهمة الصهيونيين هى إحياء الزراعة القديمة فى فلسطين، والنهوض بها حتى تبلغ أقصى درجة من التقدم، وأنهم بعملهم هذا يوفقون بين مدنية الشرق ومدنية الغرب... ويعاونون الشرق حتى يجارى الغرب فى المدنية... ويستطيع الدفاع عن نفسه ضد هجمات الغرب، وأنه لا يوجد شعب قادر على ذلك كالشعب الاسرائيلى لأنه من أصل شرقى وله فى مدنية الغرب اليد الطولى، وأنه لكى ينهض الشرق لا بد لليهود والعرب من أن يتصافحوا ويتعاونوا(٤٧).

كانت هذه أول استجابة من احد المسؤولين فى المنظمة الصهيونية العالمية لعرض التفاهم الذى عرضته «الأهرام» وأعضاء حزب اللامركزية، ثم تلتها تلك الزيارة التى قام بها هوخبرج رئيس تحرير جريدة «لوجون ترك» إلى القاهرة وبيروت لدراسة الحركة الاصلاحية فى مصر وسوريا، فى اعقاب تلقيه رسالة ابراهيم سليم نجار - التى أشرنا اليها آنفا.

وقد جاء فى التقرير الذى أعده هوخبرج عن هذه الزيارة «أن الحركة العربية هى أكثر جدية مما يتخيلها المرء فى الآستانة، وأن هذه الحركة سوف تصبح بعد الانتهاء من تنظيمها قوة مدهشة بحيث لا نستطيع ولا يجب أن نسقطها من حسابنا، وأن هناك طريقة لإيجاد

مجال للاتفاق بين هذه الحركة وبين الصهيونية، وأنه يجب استمالتها منذ البداية، حتى لا نتيح الفرصة لأعدائنا لاستمالتها ضدنا»[٤٨].

وقد تم خلال زيارة هوخبرج للقاهرة التوصل إلى اتفاق شفهى بين حركة اللامركزية وهوخبرج ينص على أن تسعى حركة اللامركزية نظرا لتأييدها الاستيطان اليهودى فى سورية وفلسطين، وتأييدها الاتفاق مع الصهيونية إلى خلق تقارب بين العالم العربى والعالم الاسرائيلى من خلال الدعاية الخطابية والصحافة العربية.. فى مقابل أن تتولى صحيفة «لوجون ترك» تأييد قضية الحركة العربية، طالما أنها تتفق مع وحدة وسلامة الامبراطورية العثمانية[٤٩].

وكانت هذه الاتفاقية الشفهية تهدف ـ كما يقول هوخبرج ـ إلى تبادل المنافع، وبصفة خاصة إلى تنوير الرأى العام العربى الذى لم يفهم جيدا مشروعات الصهيونية، إلى أن يتم توقيع اتفاقية كاملة فى المستقبل، وفى اطار هذا الاتفاق الشفهى تم تكليف نجار بكتابة مجموعة من المقالات فى صحف مصر وسورية وفلسطين بتوقيعات مختلفة من أعضاء حزب اللامركزية[٥٠].

وتقول خيرية قاسمية إنه يبدو أن الجانب الثانى من الاتفاق وهو الكتابة فى الصحف العربية لم ينفذ، بل إن الإشارة إلى الاستيطان اليهودى فى فلسطين وفوائده التى كانت ترددها صحف مصر وسورية قد توقفت أيضا، اللهم إلا من موضوعين نشر أحدهما فى «الأهرام» نقلا عن مجلة «لارونيسانس جويف» ـ النهضة اليهودية ـ بمصر، والآخر نشر فى «المقطم» بقلم نسيم ملول[٥١].

وعلى الرغم من أن الحديث عن التفاهم والتعاون مع الصهيونيين قد توقف منذ شهر مارس عام ١٩١٣، إلا أن «الأهرام» افسحت صدر

صفحاتها خلال الفترة المتبقية من ذلك العام أمام الكتاب الصهيونين الذى نشروا ٦ مقالات تنطوى جميعها على التعريف بالصهيونية وأهدافها، بالإضافة إلى تغطية لأعمال المؤتمر الصهيوني الحادى عشر استغرقت ست حلقات أيضا، ونشرت على ستة أيام بتوقيع كاتب صهيونى رمز لنفسه بالحرف (ز).

ويبدو أن أنصار فكرة التفاهم مع الصهيونيين وعلى رأسهم «الأهرام» كانوا يعلقون أملا كبيرا على المؤتمر الصهيونى فى أن يقوم بخطوات عملية نحو تنفيذ فكرة التفاهم بين العرب والصهيونيين، ولكن يبدو من الخطاب الافتتاحى للمؤتمر أن الصهيونيين لم يكن لديهم استعداد للتخلى عن علاقتهم بالحكومة الاتحادية، فقد أشار دواربورج إلى أن الخطة التى انتهجتها اللجنة الإجرائية منذ المؤتمر العاشر تنحصر فى ثلاث كلمات هى:

أولا : أن الصهيونية سائرة فى معارج التقدم والقوة.

ثانيا : سلامة الصهيونية مرتبطة بسلامة الدولة العثمانية.

ثالثا : أن المسألة اليهودية والمسألة العربية متفقتان تمام الاتفاق، لا تناقض احداهما الأخرى.

و قال واربورج إن النتائج الناشئة عن الأعمال الصهيونية المنفذة فى فلسطين سوف تكون قاعدة جوهرية طبيعية للتقريب بين الصهيونيين والعرب، ثم تحدث عن الفوائد التى ستعود على العرب من وراء هذه الأعمال(٥٢).

كذلك فإن ولفسون رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، ورئيس المؤتمر أوضح فى كلمته مزايا نمو العنصر الاسرائيلى فى فلسطين لترقية السلطنة، ولكنه فى الوقت نفسه أشار إلى أن مسلك السكان

العرب فى فلسطين باعتبارهم الأكثرية من السكان لا يقل أهمية لديهم، وأنهم أولوا هذه المسألة اهتمامهم ولم يذهب مسعاهم فى هذا الاتجاه سدى، إذ ابتدأ منهج زعماء الحركات العربية أن يكون حبيا وداديا [٥٣].

وقد تحدث المسيو سرور مندوب الصهيونيين فى مصر إلى المؤتمر فنبه إلى وجوب العناية بمصر عناية خاصة، لأنها مهد الحركة العربية وميدانها[٥٤] أما داود أيلين، فقد حدد لوازم أهالى البلاد الفلسطينية - أى اليهود - فى أربعة مطالب كان أحدها تحسين العلاقات مع الأهالى العرب[٥٥].

وعلى الرغم من هذه التغطية الكبيرة لأعمال المؤتمر الصهيونى الحادى عشر، فإنه لم يرد ضمن ما نشر فى «الأهرام» ما يفيد قيام هذا المؤتمر باتخاذ خطوات عملية نحو الدفع بفكرة التفاهم والتعاون بين الصهيونيين إلى الأمام، اللهم إلا ما ورد فى صحيفة «المقطم» من أنه فهم أن من قررات المؤتمر الصهيونى الحادى عشر التفاهم مع العرب.

الصحافة ومشروعات الاتفاق مع الصهيونيين :

فى أواخر عام ١٩١٣ وأوائل عام ١٩١٤ تجددت محاولات الاتفاق العربى الصهيونى مرة اخرى، وكانت «المقطم» هى التى اتخذت زمام المبادرة هذه المرة، وذلك حينما قام مراسلها فى الآستانة أسعد داغر بطرح فكرة التفاهم على بعض الزعماء الصهيونيين فى الآستانة[٥٦]، وقام مكاتبها فى فلسطين بإثارة المسألة مع بعض الزعماء الصهيونيين الذين كانوا يفدون إلى فلسطين.

ففى عام ١٩١٤ أجرى مكاتب «المقطم» فى فلسطين حديثا مع ناحوم سكولوف عضو اللجنة التنفيذية للمنظة الصهيونية العالمية، أثناء زيارته لفلسطين طلب منه فيه توضيح القواعد التى بنى المؤتمر الصهيونى عليها قراره بالتفاهم مع العرب.

ويتضح من إجابة سوكولوف أنه كان يرى أن التفاهم ينبغى أن يتم على أساس الاعتراف بحق اليهود فى العودة إلى فلسطين وطن اليهود والعرب المشترك منذ قديم الزمان، وعلى أساس أن اليهود والعرب شعبان شقيقان، أما عن السبل التى يرى الصهيونيون ولوجها للتفاهم مع العرب فقد حددها فيما يلى:

١ ـ تعليم اللغة العربية، وتدريس الآداب والحضارة العربية فى المدارس الاسرائيلية.

٢ ـ تعيين أطباء يجولون لمداواة العيون المصابة بمرض التراخوما المنتشر بكثرةولا سيما فى المدارس الأهلية الإسلامية.

٣ ـ فتح تكايا وملاجىء عمومية للفقراء والغرباء على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم، ولا سيما العرب منهم[٥٧].

وحينما سأله المراسل إذا ما كانوا فكروا فى إجراء أمور مادية تعود على الأهالى العرب، بالنفع، أجاب بأنهم قرروا إنشاء فروع لبنك الأنجلو فلسطين فى أكثر بلدان فلسطين لتسليف النقود للأهالى إلى أجال طويلة، وبفوائد زهيدة[٥٨].

وقد رد رفيق العظم على حديث سوكولوف بأن اليهود ما زالوا حتى ذلك الوقت فى عزلة تامة عن سكان البلاد العرب، وأن هذا هو السر فى تذمر العرب من سكان سورية وفلسطين، وإحساسهم بالخطر خصوصا وأن المهاجرين يتمسكون بجنسيتهم الأجنبية التى يخشى الأهالى أن تكون سببا فى الاحتلال الأجنبى.

ويبدو مما كتبه العظم أنه لم يوافق على المقترحات التى قدمها سوكولوف كوسيلة للتفاهم مع العرب قائلا إن إنشاء مستشفيات لمداواة العيون فى فلسطين لا يغنى عن مداواة القلوب، وحدد العظم من جانبه قواعد التعاون مع الصهيونيين على الأسس التالية[٥٩] :

١ - اندماج اليهود فى الوطنية السورية ليعملوا للوطن كمواطنين لا كأجانب عنه طامعين فيه..

٢ - تدريس اللغة العربية فى المدارس الاسرائيلية إلى جانب اللغة العبرية وفتح مدارس الاسرائيليين أمام أبناء العرب لإيجاد الألفة بين الفريقين فى مقاعد الدراسة، وحتى تسود روح التفاهم مع العرب بلغتهم.

٣ - ان يتجنس المهاجرون بالجنسية العثمانية كى يكون لهم من الحقوق ما لأهل البلاد أنفسهم.

وفى الآستانة أجرى مندوب «المقطم» الخصوصى حديثا مع من وصفه بأكبر زعماء الصهيونية فى العاصمة العثمانية - دون أن يذكر اسمه - وقدم المندوب للحديث بقوله إنه رأى فى حديث الزعيم الصهيونى من الإخلاص فى الغاية، والرغبة فى اتفاق العرب والإسرائيليين، وحسن النية التى يرمى إليها دافعا له كى ينشر حديثه برمته، وطلب من العرب أن يحلوا هذا الحديث محله من التدبير والاهتمام.

وقد أعرب الزعيم الصهيونى فى هذا الحديث عن ارتياحه لمقال رفيق العظم الذى رد به على سوكولوف ووافقه على الكثير من آرائه، وقال إن اتفاق العرب والاسرائيليين فى فلسطين هو الغاية الأولى التى يجب تحقيقها، والأمنية التى سيمهدون السبيل للحصول عليها.

وأكد أنه ليس بين زعماء الصهيونية.. زعيم واحد لا يعتقد بوجوب ذلك الاتفاق.

وأرجع الزعم الصهيونى عزلة المهاجرين اليهود عن الأهالى - والتى أخذها عليهم رفيق العظم - إلى جهلهم باللغة المحلية وأخلاق الأهلين، وانكبابهم على أشغالهم، ولكنه تنبأ بأن النشء الاسرائيلى الجديد فى تلك البلاد سيكون عاملا قويا على اندغام الشعبين الشقيقين.

ووعد الزعيم الصهيونى بالعناية بتدريس اللغة العربية وتاريخ العرب وآدابهم فى المدارس الاسرائيلية بفلسطين، وقال إنهم يقومون بتدريسها بالفعل واقترح أن يقوم العرب أيضا بتدريس اللغة العبرية وتاريخ الاسرائيليين فى المدارس الوطنية.. لأن تعلم العربية والعبرية يكونان اساسا متينا يبنى عليه الفريقان اتفاقا وطيد الأركان فى المستقبل.. وقال إنه تمت الموافقة على ما طلبه منه بعض أصدقائه العرب من السعى لدى الجمعية الصهيونية فى مساعدة العرب معنويا وماديا على نشر العلوم وإنشاء المدارس فى سائر البلاد العربية[٦٠].

وفى ٢٩ مايو من العام نفسه نشر «المقطم» تتمة حديث مندوبه فى الآستانة مع ذلك الزعيم الصهيونى الكبير، وقد أعلن الزعيم موافقته رفيق العظم على وجوب تجنس اليهود بالجنسية العثمانية، ووعد بإقناع الاسرائيليين والأجانب بالتجنس بها، وقال إنه إذا كان التجنس بها فى الماضى أمرا عسيرا، فقد أصبح اليوم أمرا سهلا، وعرض على المراسل قائمة بأسماء أعيان الإسرائيليين فى فلسطين ممن يطلبون ذلك، وقال إن الباقين سيقتفون أثرهم، وخلص من ذلك إلى أن مسألتى الجنسية والتدريس أوشكتا على الحل على الوجه الذى أشار به رفيق العظم.

أما بالنسبة للأمور الاقتصادية والاجتماعية ومخاوف الوطنيين من مزاحمة المهاجرين، فقد رأى أن المخاوف وهمية وليس لها أى أساس، حيث ادعى أن عدد المهاجرين إلى فلسطين قليل جدا، وأن كثيرين منهم يعودون أدراجهم لأنهم لا يجدون فيها أبوابا للرزق، كما ادعى أن الشركات الإسرائيلية التى تقوم بشراء الأراضى فى فلسطين يهمها قبل كل شىء المحافظة على مصلحة الفلاح لتكسب صداقته، وتأمن شره فى المستقبل، ولذلك فكرت فى تعيين لجنة خاصة تقدر مساحة الأملاك التى يجب إبقاؤها فى حيازة الفلاحين الذى سيصبحون ملاكا حقيقيين بعد خمسة عشر أو عشرين سنة، بعد أن كانوا شركاء أو أجراء(٦١).

وعن الطرق الودية التى رأى الزعيم الصهيونى أنها يمكن أن تؤدى إلى الاتفاق بين العرب والاسرائيليين، فقد اقترح أولا أن ينصح زعماء الأمة العربية أخوانهم بالتروى والعدول عن معاملة الاسرائيليين بالشدة والعنف، وعن تخويف الوطنيين مما يسمونه بالخطر الصهيونى، وألا يمنعوا الاسرائيليين من عقد اجتماعات صهيونية قانونية تؤدى إلى كشف الحقائق والنيات، وإلى التعارف.

وقال الزعيم الصهيونى إن الصهيونيين من جانبهم يبذلون قصارى جهدهم لشد ربط الاتفاق والوفاق بين الشعبين، ثم اقترح ثانيا تشكيل لجنة مختلطة من الصهيونيين، ومن الزعماء العرب المخلصين للسعى فى إزالة سوء التفاهم من أذهان العرب والاسرائيليين بطرق مرضية تحسم المشاكل الحاضرة(٦٢).

لا شك فى أن حديث الزعيم الصهيونى يكشف عن أسلوب الكذب والخداع والتضليل الذى لجأت إليه الدعاية الصهيونية من أجل تهدئة الأوضاع إلى أن يتم لها ما تريد، فليس صحيحا أنهم كانوا يقبلون

بالجنسية العثمانية، أو أنهم كانوا حريصين على مصالح الفلاح الفلسطينى ، وكل ما هنالك ان الصهيونيين سعوا إلى تبديد مخاوف العرب بمثل هذه الادعاءات، حتى يتسنى لهم كسبهم إلى جانبهم، أو على الأقل تحييدهم إلى أن يتمكنوا من تحقيق أهدافهم.

ومع ذلك فقد أثار حديث الزعيم الصهيونى لدى رفيق العظم فكرة عقد مؤتمر يضم أرباب المصالح الكبرى فى فلسطين والخبيرين بسير المسألة الصهيونية، وفريقا من زعماء الصهيونية، كى يتبادلوا الآراء بكل صراحة واعتدال للتوصل إلى ما يضمن راحة البال للفريقين، وتقرير القواعد التى تنتهى عندها أغراض الصهيونيين، ومصلحة الوطنيين.

وأبدى العظم استعداد لجنة حزب اللامركزية بالقاهرة لعقد هذا المؤتمر فى مصر، وبذل المساعى لدى سراة الفلسطينيين، كى ينتخبوا من يمثل وطنهم فى هذا المؤتمر أحسن تمثيل(٦٣).

وبطرح فكرة عقد مؤتمر للتفاهم مع الصهيونيين، أعلن رفيق العظم أنه سيصرف النظر عن تتبع بقية حديث الزعيم الصهيونى، لإنه يرى أن طول المناقشة القلمية لا يجدى طالما وجدت هناك فكرة للعمل دون القول.

وإذا كان بعض السوريين قد رأوا إمكانية تحقيق تفاهم مع الصهيونيين فإن بعض الفلسطينيين كانوا يرون استحالة تحقيق مثل ذلك التفاهم، لأن أهداف الصهيونيين تتعارض تماما مع حقوق الفلسطينيين، وقد اتضح ذلك من الرد الذى نشره فى « المقطم» الصحفى الفلسطينى داود العيسى على ادعاءات الزعيم الصهيونى، فقد استشهد العيسى بحديث أجرته جريدة «الايكونوميست» مع

ماكس نوردو - الذى وصفه بأنه أشهر زعماء الصهيونية بعد هرتزل - قال فيه «إنه أفهم الحكومة العثمانية صراحة أنهم لمجرد كونهم صهيونيين، فإنه لا يمكنهم الامتزاج بالأهالى الوطنيين...»، كما استشهد داود العيسى أيضا بتصريحات وكتابات العديد من زعماء الصهيونية التى تنفى ادعاءهم بالرغبة فى التفاهم والتعاون مع العرب ومنهم اوسشكين الذى قال فى برنامجه السياسى: «إن فلسطين لا يمكن أبدا أن تكون لنا إلا إذا استولينا على أرضها جميعا أو أكثرها، وإلا كانت حالتنا فيها مثلها فى جميع البلاد التى كانت كمنفى لنا»(٦٤).

وبعد أن نشرت «المقطم» رد رفيق العظم وداود العيسى على حديث الزعيم الصهيونى فى عدد واحد، أعلنت إقفال باب البحث فى مسألة التفاهم مع الصهيونيين مؤيدة فى ذلك وجهة نظر رفيق العظم، وطالبت الكتاب الذين يكتبون إليها أن يوجهوا عنايتهم إلى إقناع زعماء الفلسطينيين والصهيونيين بعقد هذا المؤتمر، وأعلنت أيضا أنها لن تعود إلى نشر شىء من هذا القبيل إلا بعد عقد المؤتمر إذا عقد(٦٥).

وفى الوقت الذى اثارت فيه «المقطم» من جديد مسألة التفاهم بين العرب والصهيونيين عام ١٩١٤، كانت كتابات كتاب «الأهرام» - أول صحيفة تطرح هذه المسألة - تأخذ اتجاها معاكسا، فقد سبق أن أشرنا إلى رواية إبراهيم سليم نجار فى «الأهرام» عام ١٩١٤، عن المحاولة الشخصية التى قام بها للتوصل إلى اتفاق مع الصهيونيين فى عام ١٩١٣، وقد أدى ا يمان نجار بعدم إمكانية التفاهم مع الصهيونيين إلى أن نشر فى عام ١٩١٤ بحثه عن الاسرائيليين فى فلسطين، الذى أوضح فيه الأخطار التى تكتنف مستقبل البلاد بسبب

الهجرة اليهودية إليها، وإزاء إدراكه عدم قدرة الحكومة والمسلمين على مقاومة تيار الحركة الصهيونية الجارف، عرض رأيا استحسنه لمن وصفه بأحد أذكياء المسيحيين في فلسطين، ألا وهو أن تتألف جمعيات دينية مسيحية في أوروبا أو في فرنسا على شكل الجمعيات الاسرائيلية لتساعد الأهلين، وقال نجار إنه عرض هذه الفكرة على بعض زعماء المسلمين فاستحسنوها وأكدوا له أنها أحسن حل لهذا الإشكال(٦٦).

من ناحية أخرى نجد أن إبراهيم سليم نجار الذى درس المسألة الفلسطينية على أرض الواقع، ووعى جميع أبعادها، يستحسن الاقتراح الذى طرحه رفيق العظم فى «المقطم» بشأن عقد مؤتمر فى مصر بين العرب والصهيونيين للتباحث فى مسألة الاتفاق فيما بينهم، ولكن نجار استبعد إمكانية أن يتوصل هذا المؤتمر إلى أن اتفاق لأنه رأى أن الخلاف بين العرب والصهيونيين ينحصر فى مسألتين اساسيتين هما: مسألة الجنسية، ومسألة اللغة - ثم طرح هذين السؤالين:

هل يرجع الصهيونيون عن فكرتهم الجنسية واللغوية؟ وإذا كانوا لا يرجعون عنها، هل تتفق مصلحة الجنسية، واللغة العربية، مع مصلحة جنسية ولغة أخرى، أبناؤهما أغنى علما ومالا من أبناء الجنسية واللغة اللتين تحاولان النزول إلى جانبهما؟

وقال نجار إن هذا ما يجب أن يدور عليه البحث وأن تجلى غوامض كتابته قبل عقد المؤتمر، على اعتقاد أنه سيعقد ذات يوم.. لأنه لو كانت المسألة مسألة موظف يجب استبداله بغيره. أو نوع حكم يجب تغييره لسهل أمره، ولكنها مسألة عنصر يهدد بأعز أمانيه، أى بجنسيته ولغته، ولذلك استصعب نجار طريق الاتفاق، اللهم إلا إذا

ضحى كل من الفريقين بأعز أمانيه التى يعمل لها بجد ونشاط، ولكنه رأى أن هذه التضحية ليست بالأمر اليسير[٦٧]، ومعنى ذلك أنه كان يستبعد إمكانية التوصل إلى اتفاق..

ويبدو أن باقى السوريين من أعضاء حزب اللامركزية أدركوا هم أيضا عدم إمكانية تحقيق اتفاق مع الصهيونيين، بسبب مضى الصهيونيين فى تحقيق أهدافهم، يتضح ذلك مما ذكره رفيق العظم - أحد انصار فكرة الاتفاق - حيث كتب فى «المقطم» يقول: «لقد نصحنا للصهيونيين... بأن يحسنوا اختيار الوسائل التى تؤلف بينهم وبين العرب من سكان سورية وفلسطين، فلم يستمعوا إلى نصحنا، ومضوا فى سبيلهم.. غير وجلين، اعتمادا على تساهل الحكومة، حتى كان من إصرارهم هذا، ما كان من نهوض الشعب السورى للوقوف فى وجههم، وتعطيل حركتهم»[٦٨].

وبعد أن كان رفيق العظم يكتب عن الأسس التى يمكن أن يبنى عليها اتفاق بين العرب والصهيونيين. بدأ فى الكتابة عن الوسائل التى تكفل للسورين والفلسطينيين، التصدى للخطر الصهيونى الزاحف، فقد نصح لأبناء سورية وفلسطين بأن الزمن ليس زمن الشكوى والعويل، وإنما هو زمن العمل والجد، والأخذ بالوسائل العملية الناجعة، لأن نوم ساعة اليوم.. يفضى إلى موت العرب من سكان سورية موتا أبديا لا قيام بعده.

وكانت الوسائل العملية التى نصح العظم أبناء سورية وفلسطين باتباعها لوقف تيار المهاجرة اليهودية إلى فلسطين، وحماية الملكية الوطنية تتلخص فيما يلى[٦٩] :

١ ـ مطالبة الحكومة بمسح أراضى قرى سورية وفلسطين وتقسيمها على أربابها، وإلغاء الملكية الشائعة إلغاء باتا.

٢ ـ مطالبة الحكومة بوضع قانون خاص لحماية ملكية الفلاح.

٣ ـ الاهتمام بتأليف النقابات الزراعية.

٤ ـ مطالبة الحكومة بجعل البنك الزراعى المجموعة أمواله من مال الفلاحين حاميا لملكية الفلاحين، وإذا أبت الحكومة ذلك، تؤلف شركات زراعية تقوم مقامه.

وانتقل بعض الزعماء السوريين والفلسطينيين إلى الأخذ بالوسائل العملية فى مواجهة التغلغل الصهيونى، فألفوا فى القاهرة جمعية لمقاومة تيار الصهيونيين المندفع فى فلسطين، وانتخبوا حقى العظم رئيس حزب اللامركزية معتمدا عاما للجمعية،، ووهبة أفندى العيسى المحامى أمينا لصندوقها.

وقد طبعت الجمعية منشورا، أوضحت فيه أهدافها على النحو التالى(٧٠):

١ ـ مقاومة الصهيونيين بكل الطرق المشروعة بتنبيه الرأى العام وتوحيد الأفكار والأعمال فى هذا السبيل، وبنشر مبادىء الجمعية بين كل طبقات الأمة العربية عموما، والفلسطينية والسورية خصوصا.

٢ ـ تأسيس فروع وجمعيات فى أنحاء فلسطين وسوريا لهذا الغرض.

٣ ـ السعى إلى بث روح التضامن بين جميع العناصر التى يتكون منها الأهالى.

٤ ـ تنشيط وتعضيد المشروعات الاقتصادية والتجارية والزراعية وتنوير أفكار الفلاحين والمزارعين، ليتمكنوا من اتقاء أخطار الصهيونيين.

وقد بينت الجمعية فى هذا المنشور أخطار الحركة الصهيونية، وطلبت إلى كل ذى همة وشمم عربى أن يمدها بآرائه ويعضدها بأفكاره، رجاء أن يكون من وراء الاشتراك والتضامن فى العمل نجاح المساعى وتحقيق الغاية.

من العرض السابق يتضح لنا ان علاقة الصهيونيين بالاتحاديين حصلت على أعلى التكرارات فى كتابات صحف الدراسة حيث حصلت على (٤٣,٠٢٪) من إجمالى المادة التى عالجت موضوع الاتفاق مع الصهيونيين ، فى حين حصلت أضرار العلاقة بين الصهيونيين والاتحاديين على (٣٠,٢٤٪)، وحصلت الفئة الخاصة برغبة السوريين فى التفاهم مع الصهيونيين على (٢٦,٧٤٪).

ويرجع السبب فى انخفاض نسبة المادة الصحفية التى تناولت موضوع الاتفاق مع الصهيونيين، إلى أن العرب سرعان ما أدركوا أن التعارض بين أهداف الصهيونيين وأهدافهم، لا يمكن أن يؤدى بأى شكل من الأشكال إلى الاتفاق المنشود.

فقد كان السوريون يرغبون فى الاتفاق مع الصهيونيين بشأن الاحتفاظ بالهوية العربية لفلسطين ممثلة فى لغتها، وأغلبيتها السكانية العربية، وكانوا يشترطون قبول المهاجرين بناء على اتفاق يضمن مصالح الوطنيين، مع عدم المساس بالمركز السياسى واللغوى للبلاد، كما كانوا يشترطون اندماج المهاجرين اليهود فى المجتمع الفلسطينى، وحصولهم على الجنسية العثمانية..

أما الصهيونيون فكانوا يشترطون قبول نزول مضطهدى اليهود إلى أرض فلسطين، واعتراف العرب بحق اليهود فى العودة إلى وطنهم القديم، كمقدمة لتحقيق هدفهم الرامى إلى استعادة مملكتهم القديمة.

ولم يكن إعلان الصهيونيين عن استعدادهم لقبول الجنسية العثمانية، وتدريس العربية فى مدارسهم، والحفاظ على ملكية الفلسطينيين للأرض، والتعاون مع العرب من أجل تعمير فلسطين سوى مجرد وعود قصد بها تهدئة مخاوف الفلسطينيين والسوريين، أما المسائل الجوهرية وهى الاتفاق على الاحتفاظ لفلسطين بهويتها العربية، فلم يتبين مما نشره الصهيونيون فى صحف الدراسة استعدادهم لقبول شروط العرب فى هذا الصدد، وقد أثبت تطور الأحداث فيما بعد أنه كان من المستحيل تحقيق اتفاق بين العرب والصهيونيين بما يصون حقوق الفلسطينيين، لأن هذه الحقوق كانت تتعارض مع الأهداف الصهيونية التى لم تكن ترضى بديلا عن الاستيلاء على فلسطين وإقامة دولة إسرائيل على أنقاضها. وها هى ذى تحاور وتراوغ حتى اليوم بغية ضم أكبر مساحة من الأراضى لهذه الدولة التى لا تزال بلا حدود ثابتة.

موقف صحف الدراسة من تصريح بلفور:

أدى نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ إلى توقف الحديث عن الاتفاق مع الصهيونيين، وفى ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ حدث تطور جديد، فقد صدر وعد بلفور الذى جاء ثمرة للجهود التى بذلتها الحركة الصهيونية خلال نحو ٢٠ عاما، وحينما صدر هذا الوعد كانت صحف «الأهرام» و«المقطم» و«الاهالى» هى الصحف المستمرة فى الصدور من عينة صحف الدراسة.

وكانت صحيفة «المقطم» هى الصحيفة الأولى من بين صحف الدراسة التى أوردت نبأ صدور هذا التصريح، ولكن يوم العاشر من نوفمبر - أى بعد صدوره بنحو ثمانية أيام - وقد نشرته فى صفحتها الخامسة نقلا عن صحيفة «الجويش كرونكل» اللندنية، وجاء ضمن

التلغرافات الخصوصية التى وردت إلى «المقطم» من مكاتبه فى لندن يوم الجمعة ٩ نوفمبر، وقد نشرته الصحيفة تحت عنوان «الاسرائيليون وفلسطين» على النحو التالى:

تلغرافات خصوصية للمقطم من مكاتبه بلندن..

تلقينا الليلة البارحة التلغراف التالى من مكاتبنا فى لندن فى الموضوع المتقدم فعربناه فيما يلى وهو:

« لندن الجمعة فى ٩ نوفمبر الساعة ٣ بعد الظهر»

« ماذا يقول المستربلفور وزير الخارجية»

«ذكرت جريدة «جويش كرونكل» أن المستر بلفور وزير الخارجية البريطانية كتب إلى اللورد روتشلد ما نصه »:

«يسرنى جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك أنها تنظر بعين الرضى والارتياح إلى المشروع الذى يراد به أن ينشأ فى فلسطين وطن قومى لشعب اليهود، وتفرغ خير مساعيها لتسهيل إدراك هذا الغرض. ولكن ليكن معلوما انه لا يسمح بإجراء شىء يلحق بالضرر الحقوق المدنية والدينية التى للطوائف غير اليهودية الموجودة فى فلسطين الآن، أو بالحقوق التى يتمتع بها اليهود فى البلدان الأخرى وبمركزهم السياسى فيها».

ونشرت «المقطم» مضمون هذا الخبر مرة أخرى على صفحتها الثالثة يوم ١٢ نوفمبر نقلا عن رويتر تحت عنوان «الاسرائيليون فى فلسطين» على النحو التالى:

«لندن فى ٨ نوفمبر - أبلغ المستر بلفور البارون روتشلد بالنيابة عن الحكومة بلاغا يتضمن العطف على الصهيونيين وأمانيهم. فقد قال إن الحكومة توافق على إنشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى

فلسطين وتبذل مجهودها لتسهيل الوصول إلى هذا الغرض بشرط أن لا يعمل شيء يجحف بحقوق سكان فلسطين الآخرين مدنية كانت أم دينية أو بحقوق اليهود فى البلدان الاخرى ومركزهم السياسى فيها - رويتر».

ونشرت صحيفة «الأهالى» نبأ صدور تصريح بلفور يوم ١١ نوفمبر فى ذيل صفحتها الثانية كما يأتى:

« آخر ساعة.. تلغرافات خصوصية وعمومية»

«انجلترا وأمانى الصهيونيين»

«لندن فى ٨ منه - أرسل مستر بلفور باسم الحكومة الى البارون روتشلد تصريحا هاما قال فيه إن الحكومة تنظر بعين العطف الى أمانى الصهيونيين، وتوافق على أن تنشأ فى فلسطين بلاد للشعب الاسرائيلى وستبذل جهدها فى تحقيق هذه الأمنية. ولكن من البديهى أنه لا يمكن أن يعمل عمل يوقع ضررا بالحقوق المدنية أو الدينية للطوائف غير الاسرائيلية فى فلسطين ولا بالمركز الاجتماعى للاسرائيليين فى بلد من بلاد العالم ».

أما صحيفة «الأهرام» التى لم تصدر يومى الراحة الأسبوعية فى ٥ و١٢ نوفمبر، فقد عثرنا على أول إشارة بها إلى تصريح بلفور يوم ١٣ نوفمبر وردت فى تلغراف خصوصى من واشنطن عن ابتهاج الاسرائيليين الامريكيين «بوعد المستر بلفور» جاءت كالآتى:

« ابتهاج الاسرائيليين»

«بوعد المستر بلفور»

«لندن فى ١٠ نوفمبر - لمراسل الأهرام الخصوصى»..

« جاء في تلغراف من واشنطن أن جميع طبقات اليهود فى أمريكا ابتهجوا بتصريح المستر بلفور والمتضمن وعد الحكومة البريطانية بمساعدة اليهود على إنشاء مركز وطنى لهم فى فلسطين خصوصى».

وقد أولت «الأهرام» هذا الخبر اهتمامها، فنشرته فى بداية العمود السادس من صفحتها الأولى، وذلك على عكس صحيفتى «المقطم» و«الأهالى» اللتين نشرتاه فى صفحاتهما الداخلية..

وتوالى بعد ذلك نشر أنباء ابتهاج الاسرائيليين فى انجلترا ومصر وفى أنحاء أخرى من العالم بالتصريح، وكان عدد الأخبار التى نشرتها «الأهرام» عن ردود فعل تصريح بلفور فى أوساط اليهود ثمانية أخبار، نشرتها جميعها على الصفحة الأولى، وكان مجموع الأخبار التى نشرت فى «المقطم» حول الموضوع نفسه ستة أخبار، نشر ثلاث منها على الصفحة الثالثة، واثنان على الصفحة الخامسة وخبر واحد على الصفحة الأولى.

أما صحيفة «الأهالى» فقد نشرت فى ١٣ ديسمبر ١٩١٧ خبرا واحدا عن الاجتماع الكبير الذى اقامه الاسرائيليون فى مضمار سباق منشستر لشكر الحكومة الانجليزية على التصريح، ثم اعادت نشر الخبر بالنص نفسه فى اليوم التالى.

على أن الاجتماع الذى أقامه الصهيونيون فى أوبرا لندن يوم ٢ ديسمبر هو الذى حظى باهتمام صحيفتى «المقطم» و«الأهرام»، فقد حشدت الصهيونية لحضور هذا الاجتماع بعض كبار الشخصيات اليهودية والبريطانية، كما حرصت على أن يكون للعرب والأرمن - بوصفهما من الشعوب التى عانت من الحكم العثمانى - تمثيل فى هذا الاجتماع لإعطاء انطباع بتأييد العرب والأرمن لوعد بلفور باعتباره خطوة نحو تحقيق الأمانى الوطنية لهذه الشعوب، ولتجنب ظهور أى

معارضة للتصريح فى الأوساط العربية والأرمنية بفلسطين، يتضح ذلك من تعقيب ورد ضمن خبر نشرته «الأهرام» عن اجتماع لندن يقول: «وقد كان هذا الاجتماع ذا مغزى كبير لأنه بمقام أول مظاهرة عظيمة عمومية للتقريب بين العناصر العربية والأرمنية والاسرائيلية»(٧١).

وقد نشرت «الأهرام» ثلاثة أخبار عن هذا الاجتماع: خبرتحت عنوان «شكر الصهيونيين لانكلترا»(٧٢) وأوردت فيه باختصار كلمات بعض المتحدثين من الجانب اليهودى والبريطانى، وخبر آخر مختصر لمراسلها الخصوصى فى لندن عن رد فعل الكلمتان اللتان القاهما فى الاجتماع المندوبان العربيان يوسف سكزان ممثل مسيحيو سوريا، والشيخ إسماعيل عبدالحق ممثل العرب عموما.

أما الخبر الثالث فقد نشرته نقلا عن وكالة رويتر وجاء به تفاصيل ما دار بهذا الاجتماع، ونص الكلمات التى ألقاها المتحدثون، وقد نشر الخبران الأخيران فى يوم واحد تحت العناوين التالية(٧٣):

«المسألة الصهيونية »

«اجتماع عظيم فى لندن»

«تصريحات خطيرة»

كذلك فإن صحيفة «المقطم» نشرت نبأ اجتماع لندن تحت هذه العناوين:

« اجتماع الاسرائيليين العظيم فى لندن»

«شكر الحكومة البريطانية ـ الوطن القومى للاسرائيليين ـ الدولة العربية ـ استقلال ارمينية ـ اتحاد الجنس السامى».

ويتضح من هذه العناوين مدى الأهمية التى أسبغتها «الأهرام» و«المقطم» على هذا الاجتماع، فقد حاول البعض الإيحاء بأن وعد بلفور يعد خطوة نحو حصول الشعوب الأخرى على حقها فى حكم نفسها بعد الحرب، فعلى سبيل المثال قال اللورد سيسل وكيل وزارة الخارجية البريطانية فى هذا الاجتماع.. إن الاعتراف بالصهيونية كان من بعض الوجوه أكبر خطوة فى سبيل تحقيق المبدأ الذى بموجبه يكون لجميع الشعوب الحق فى أن تتولى مقاليد أمورها بنفسها، دون أن تخشى تهديد جارة أقوى منها.. وأن هذا أول مجهود حقيقى تم فى سبيل التجديد المرغوب فى نظام العالم بعد الحرب (٧٤).

على أية حال كانت صحيفة «الأهرام» من أكثر الصحف اهتماما بمتابعة أصداء وعد بلفور فى الأوساط اليهودية من ناحية عدد الاخبار التى نشرتها، والموقع الذى خصصته لتلك الاخبار، تليها صحيفة «المقطم» وأخيرا «الأهالى».

وعلى الرغم من أن وعد بلفور جاء تعزيزا للأطماع الصهيونية فى فلسطين، وعلى الرغم من أن تلك الأطماع كانت معروفة لصحف الدراسة - كما جاء بالفصلين السابقين - إلا أنه يؤخذ على الصحف الثلاث أنها لم تتخذ موقفا من التصريح، كما أنها لم تسع إلى استطلاع رأى الزعماء السوريين أو الفلسطينيين إزاءه، وربما يرجع ذلك إلى ظروف الحرب العالمية الأولى، وإلى المعارك التى كانت دائرة فى فلسطين فى ذلك الوقت بين القوات البريطانية والقوات العثمانية، وسيطرة أحداث الحرب على غيرها من الأحداث.

من ناحية أخرى يبدو أن الصحافة المصرية لم تكن فى وضع يسمح لها باتخاذ موقف فى ظل فرض الأحكام العرفية، وفرض الرقابة على الصحف بسبب حالة الحرب خاصة وأن بريطانيا التى

اصدرت هذا الوعد كانت صاحبة السيادة الفعلية على مصر، كما أنها أجرت اتصالات سرية فى أثناء الحرب مع الشريف حسين أمير مكة حرضت فيها العرب على الثورة ضد الحكم التركى، وأعربت خلال هذه الاتصالات عن تأييدها لأمانى العرب بإقامة مملكة عربية مستقلة تضم بلاد الحجاز والعراق وسوريا وفلسطين بزعامة الشريف حسين، وربما لهذا السبب آثرت صحف الدراسة اتخاذ موقف الانتظار والترقب.

ومن المرجح أيضا أن تكون صحيفتا «الأهرام» و«المقطم» اللتين ناصرتا الدعوة إلى الاتفاق مع الصهيونيين، قد وجدتا فى هذا التصريح ضالتهما، فقد نص التصريح - كما أشرنا آنفاً - على عدم إلحاق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التى للطوائف غير اليهودية الموجودة فى فلسطين، وكذلك فإن اللورد روتشيلد رئيس الطائفة اليهودية فى لندن، والذى صدر التصريح موجها إليه، أعلن فى اجتماع لندن أنهم يحترمون حقوق جيرانهم من الشعوب غير اليهودية فى فلسطين.

وفضلا عن ذلك يبدو أن ما نشر عن مشاركة ممثلين عن العرب والأرمن فى الاجتماعات التى أقامها اليهود فى لندن لشكر الحكومة البريطانية على تصريح بلفور، وكذلك الكلمات التى ألقاها المشاركون فى هذا الاجتماع قد أسهمت فى تضليل الصحافة المصرية، فقد ذكر أن من يدعى بالمندوب العربى الشيخ إسماعيل عبدالحق قد حضر هذا الاجتماع.

ولم يكن الشيخ إسماعيل عبدالحق معروفا لأحد، ولذلك نشرت «المقطم» اسمه مقرونا بعلامة استفهام، ولكن الرجل تحدث عن نفسه إلى الحضور فقال إنه كان محكوما عليه بالإعدام من الحكومة

العثمانية لأنه انضم إلى الحركة العربية، ولذلك وجه الشكر إلى الحكومتين البريطانية والفرنسية اللتين منحتاه ملجأ فى بلديهما، وقال إنه - كمسلم - أمضى خمس سنوات فى المعاهد الدينية وأحرز شهادة العالمية[٧٥].

وقد ذكر إسماعيل عبدالحق أن ذلك الاجتماع كان للاحتفاء بما وصفه بعمل الحكومة البريطانية العظيم، إذ اعترفت بأميال الشعب الاسرائيلى وتطلعه إلى مركز واحد يكون وطنا له.

وخطب يوسف ساكزان باسم مسيحيى سوريا فقال إن الأمة العربية لا تعترف اليوم بانقسام حزبى أو طائفى وقال إن العرب ينتظرون من فرنسا وإنكلترا أن يصلحا ما فسد.

وحاول البعض تغذية بعض التطلعات لدى العرب والأرمن فى إمكان حصولهما على دعم الصهيونية وتأييدها لأمانيهم، فزعم مارك سايكس الذى تحدث فى هذا الاجتماع أن الصهيونيين لم يفكروا بأنفسهم لما جاء دور الفصل فى تاريخهم، وجاهرت الحكومة البريطانية بتصريحها لهم، بل إنهم ذكروا أخوانهم فى البلايا والرزايا: الأرمن والعرب.

كذلك لوح الزعيم الصهيونى ناحوم سوكولوف بأن هناك ما يدعو إلى الأمل فى إرساء قاعدة يقوم عليها اتفاق ودى حقيقى بين الاسرائيليين والعرب والأرمن وأشار إلى أن الصهيونيين والعرب والأرمن على رأى واحد فى ذلك اليوم فى تصميمهم على أن يكفلوا لكل واحد منهم الخيار فى مصيره، كما أعرب عن تأييد الصهيونيين لأمانى العرب بقوله: إننا ننظر بعين الحب الأخوى إلى إنشاء مملكة عربية، وإحياء القومية السامية بمجدها وحريتها[٧٦].

وهكذا نجد أنه على الرغم من أن صحيفة «الأهرام» كانت قد أدركت قبل الحرب استحالة تحقيق اتفاق مع الصهيونيين بسبب تعارض أهدافهم مع أهداف العرب، إلا أنها اقتصرت وصحيفة «المقطم» على نشر ردود فعل تصريح بلفور فى أوساط اليهود فى أنحاء متفرقة من العالم، وكانت الصحيفتان متأثرتين فى تغطيتهما لتلك الأخبار بما كانت تنشره وكالة رويتر والصحافة الغربية، كذلك يبدو أن مكاتبى الصحيفة الخصوصيين كانوا متأثرين أيضا بطريقة نشر هذه الأخبار فى الصحافة الغربية، والتى حرص الصهيونيون من خلالها على إبراز ابتهاج يهود العالم بالتصريح لإثبات أن بريطانيا استطاعت أن تكسب دعمهم الفعال.

وربما يرجع ذلك الموقف من «الأهرام» إلى الأسباب التى ذكرناها آنفا بالإضافة إلى الجمود الذى ران على الحركة العربية تجاه المسألة الصهيونية بسبب ظروف الحرب من ناحية، وبسبب أعمال القمع التى مارستها السلطات العثمانية ضد قادة الحركة العربية مما دفعهم إلى الاتجاه نحو بريطانيا التى كانت تخطط لاستخدام العرب فى مهاجمة الدولة العثمانية، وقد أدى ذلك إلى خلق حالة من التشوش والارتباك بالنسبة لصحف الشاميين فى مصر على الأقل، فبينما كانت مصر تسعى للتحرر من السيطرة البريطانية، كان قادة الحركة العربية فى سوريا والحجاز يتحالفون مع بريطانيا لتحقيق أمانيهم، ولهذا قنعت هذه الصحف بنشر ما يصلها من أخبار عن طريق وكالات الأنباء الدولية والصحافة الأوروبية، ولم تقو على اتخاذ موقف خاص فى مواجهة ذلك الضجيج الإعلامى فى الغرب الذى رافق إعلان وعد بلفور.

هوامش الفصل الخامس

(١) خيرية قاسمية: مرجع سابق ص١٤٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) هو نسيم مازلياح المحامى مندوب الجمعية الصهيونية فى الآستانة، وقد عين ناظرا للزراعة، ويذكر رشيد رضا أن مازلياح لم يكن الوزير الاسرائيلى الوحيد فى الوزارة، وإنما كان هناك وزيرين آخرين هما جاويد بك الذى شغل منصب ناظر المالية، وكان قد اعتنق الاسلام، وبساريا أفندى الذى عين ناظرا للنافعة، وكان قبل ذلك رئيسا لتحرير جريدة «الجون ترك، ومراقبا من قبل الجمعية الصهيونية على ما ينشر فيها (انظر: خيرية قاسمية ص١٤٤).

(٤) المرجع السابق ص١٥٥.

(٥) تذكر خيرية قاسمية انه ربما كان سليم نجار هو كاتب هذا المقال، ولكن كاتبا آخر كتب فى «لأهرام» بتوقيع (ع.ح) بتاريخ ١٩١٣/٢/١٨ نسب هذا المقال إلى مراسل «الأهرام» فى الآستانة، وكان مراسل «الأهرام» فى ذلك الوقت هو إبراهيم سليم نجار.

(٦) هم نسيم مازلياح، وجاويد بك، وبساريا افندى.

(٧) خيرية قاسمية: مرجع سابق ص١٥٥.

(٨) انظر ملحق رقم «٦».

(٩) وكالة الانباء التركية.

(١٠) صحيفة صهيونية.

(١١) الأهرام فى ١٠ أبريل ١٩١٤ العدد ١٠٩٨١ «الاسرائيليون فى فلسطين» ص١.

(١٢) المصدر السابق فى ١٨ فبراير ١٩١٣ العدد ١٠٦٣٠ «تواطؤ الاتحاديين والصهيونيين» ص.

(١٣) المصدرالسابق فى ٧ فبراير ١٩١٣ العدد ١٠٦٢١ «حكاية الهجوم على الباب العالى» ص١.

(١٤) المصدر السابق ١٨ فبراير ١٩١٣ العدد ١٠٦٣٠.

(١٥) المصدر السابق فى ١٣ اكتوبر ١٩١٤ العدد ١١١٥٣ «الاتفاق بين الصهيونيين والاتحاديين» ص٢.

(١٦) الأهالى فى ٢٦ أبريل ١٩١١ العدد ١٥٦ «الحركة الصهيونية وتركيا» ص١.

(١٧) المؤيد فى ٢٦ فبراير العدد ٦٩١٨ «اخبار عثمانية» ص٤ (١٨)الأهالى فى ٢٢ سبتمبر ١٩١٣ العدد ٨٨٧ «مؤتمر الصهيونيين» ص١.

(١٩) المقطم فى ٢٩ مايو ١٩١٤ العدد ٧٦٥٤ «المسألة الصهيونية» ص١.

(٢٠) الجريدة فى ١٣ ديسمبر ١٩٠٨ العدد ٥٣٨ «تلغرافات عمومية» ص٦.

(٢١) الأهرام فى ٨ مارس ١٩١٣ العدد ١٠٦٤٦ «الحركة الصهيونية» ص١.

(٢٢) المصدر السابق فى ١٤ فبراير ١٩١٣ العدد ١٠٦٢٧ «الاسرائيليون وخصومهم» ص٢.

(٢٣) المصدر السابق فى ٢٠ فبراير ١٩١٣ العدد ١٠٦٣٢ «الصهيونيون والشعوب» ص١.

(٢٤) المصدر السابق فى ٢١ فبراير ١٩١٣ العدد ١٠٦٣٣ «الاسرائيليون وخصومهم» ص١.

(٢٥) المصدر السابق نفسه.

(٢٦) المصدر السابق فى ٢٠ فبراير ١٩١٣ العدد ١٠٦٣٢.

(٢٧) المصدر السابق فى ٧ فبراير ١٩١٣ العدد ١٠٦٢١. وفى ١٨ فبراير ١٩١٣ العدد ١٠٦٣٠.

(٢٨) و(٢٩) المصدر السابق فى ٢٥ فبراير ١٩١٣ العدد ١٠٦٣٦ «الصهيونيون فى فلسطين وسورية» ص١.

(٣٠) المؤيد فى ٢٠ فبراير ١٩١٣ العدد ٦٩١٢ «الصهيونيون فى سوريا) ص٥.

(٣١) الأهرام فى ٢٢ فبراير ١٩١٣ العدد ١٠٦٣٤ «الصهيونيون والعرب» ص١.

(٣٢) المصدر السابق فى ١٤ فبراير ١٩١٣ العدد ١٠٦٢٧ «الاسرائيليون وخصومهم» ص٢.

(٣٣) المصدر السابق ٢٠ فبراير ١٩١٣ العدد ١٠٦٣٢ (الصهيونيون والشعوب) ص١.

(٣٤) المصدر السابق ١٨ فبراير ١٩١٣ العدد ١٠٦٣٠ «تواطؤ الاتحاديين والصهيونيين» ص١.

(٣٥) المصدر السابق ٢٢ فبراير١٩١٣ العدد ١٠٦٣٤ «الصهيونيون والعرب» ص١.

(٣٦) المصدر السابق ١٨ فبراير ١٩١٣.

(٣٧) المصدر السابق ٢٠ فبراير ١٩١٣.

(٣٨) المصدر السابق ١٤ فبراير ١٩١٣.

(٣٩) المصدر السابق ٢٢ فبراير ١٩١٣.

(٤٠) المصدر السابق ٢٥ فبراير ١٩١٣ العدد ١٦٠٣٦ الصهيونيون فى فلسطين وسورية» ص١.

(٤١) المصدرالسابق ٨ مارس ١٩١٣ العدد ١٠٦٤٦ «الحركة الصهيونية» ص١.

(٤٢) المصدر السابق ١٢ مايو ١٩١٣ العدد ١٠٦٩٨ «حزب اللامركزية» ص٥.

(٤٣) المصدر السابق ٣٠ يوليو ١٩١٣ العدد ١٠٧٦٦ «الاسرائيليون وتصريح الزهراوى».

(٤٤) هو سامى هوخبرج Hochburg رئيس تحرير جريدة «لوجون ترك» (انظر:

حيرية قاسمية: مرجع سابق ص١٦٠).

(٤٥) المصدر السابق فى ١٠ أبريل ١٩١٤ العدد ١٠٩٨١ ص١.

(٤٦) خيرية قاسمية: مرجع سابق ص١٥٩.

(٤٧) الأهرام فى ٢٢ أبريل ١٩١٣ العدد ١٠٦٨٢ «الحركة الصهيونية» ص٣.

(٤٨) خيرية قاسمية: مرجع سابق ص١٦٣.

(٤٩) المرجع السابق ص١٦٦.

(٥٠) المرجع السابق نفسه.

(٥١) المرجع السابق ص١٦٧.

(٥٢) الأهرام فى ١٢ سبتمبر ١٩١٣ العدد ١٠٨٠٣ «المؤتمر الصهيونى» ص٢.

(٥٣) المصدر السابق فى ١٦ سبتمبر ١٩١٣ العدد ١٠٨٠٦ «المؤتمر الصهيونى» ص٢.

(٥٤) المصدر السابق ٢٣ سبتمبر ١٩١٣ العدد ١٠٨١٢ «المؤتمر الصهيونى» ص٢.

(٥٥) المصدر السابق نفسه ص ١.

(٥٦) انظر خيرية قاسمية: مرجع سابق ص٢١٩.

(٥٧) المقطم فى ١٠ ابريل ١٩١٤ العدد ٧٦١٣ «حديث هام مع زعيم صهيونى» ص١

(٥٨) المصدر السابق نفسه .

(٥٩) المصدر السابق فى ١٤ أبريل ١٩١٤ العدد ٧٦١٦ «كلمتنا فى الصهيونيين والعرب» ص١.

(٦٠) المصدر السابق فى ٢٧ مايو ١٩١٤ العدد ٧٦٥٢ «بحث جليل فى المسألة الصهيونية» ص١

(٦١) المصدر السابق ٢٩ مايو ١٩١٤ العدد ٧٦٥٤ «المسألة الصهيونية» ص٢.

(٦٢) المصدر السابق نفسه

(٦٣) المصدر السابق فى ٣٠ مايو ١٩١٤ العدد ٧٦٥٤ « حديث الزعيم الصهيونى وجوابى عليه ص٥

(٦٤) المصدر السابق «مغالطات صهيونية» ص١.

(٦٥) المصدر السابق فى أول يونيو ١٩١٤ العدد ٧٦٥٦ «الصهيونية فى فلسطين» ص٦.

(٦٦) الأهرام في ١٠ أبريل ١٩١٤ العدد ١٠٩٨١.

(٦٧) الأهرام فى أول يونيو ١٩١٤ العدد ١١٠٢٤ «الحركة الصهيونية» ص١

(٦٨) المقطم في ٢٩ مايو ١٩١٤ العدد ٧٦٥٤ «المسألة الصهيونية وكيف يدفع خطرها» ص١.

(٦٩) المصدر السابق

(٧٠) الأهرام فى ٢٥ يوليو ١٩١٤ العدد ١١٠٧٢ «مقاومة تيار الصهيونية فى فلسطين» ص٥.

(٧١) و (٧٢) المصدر السابق فى ٤ ديسمبر ١٩١٧ العدد ١٣٢٩٠ ص ١.

(٧٣) و (٧٤) المصدر السابق فى ٦ ديسمبر ١٩١٧ العدد ١٢٢٩٢

(٧٥) المقطم فى ٤ ديسمبر ١٩١٧ العدد ٨٧٣٩.

(٧٦) الأهرام فى ٦ ديسمبر ١٩١٧ العدد ١٣٢٩٠

والمقطم فى ٦ ديسمبر ١٩١٧ العدد ٨٧٣٩.

الفصل السادس

صورة اليهود والفلسطينيين في الصحافة المصرية

صورة اليهود والفلسطينيين
في الصحافة المصرية

أثبتت الدراسات ان «الصورة الذهنية» التى تتكون لدى الأفراد تقوم بدور مهم فى تكوين الآراء، وتشكيل السلوك واتخاذ القرارات. والصورة الذهنية هى الناتج النهائى للانطباعات الذاتية التى تتكون لدى الافراد او الجماعات ازاء شخص معين، أو نظام ما، أو شعب أو جنس بعينه، أو منشأة أو مؤسسة أو منظمة محلية أو دولية، أو مهنة معينة، أو أى شىء آخر يمكن أن يكون له تأثير على حياة الإنسان.

وتتكون هذه الانطباعات من خلال التجارب المباشرة وغير المباشرة، وترتبط هذه التجارب بعواطف الأفراد واتجاهاتهم وعقائدهم. وبغض النظر عن صحة أو عدم صحة المعلومات التى تتضمنها خلاصة هذه التجارب، فهى تمثل بالنسبة لأصحابها واقعا صادقا ينظرون من خلاله الى ما حولهم، ويفهمونه أو يقدرونه على أساسها(١).

وتشكل الصور جانبا كبيرا من مدارك الفرد ومعارفه، مما يجعل لهما تأثيرا واضحا على سلوكه، وقراراته وحساباته وتوقعاته وردود أفعاله وحياته بصفة عامة..

وهناك ارتباط وثيق بين الصور والقرار، وبقدر دقة الصور لدى صانع القرار، تكون آراؤه وتصرفاته ناجحة، وبقدر عدم صدق الصور لديه يكون الإخفاق فى التوصل إلى الاختيارات الصحيحة والملائمة بين البدائل المختلفة..

ولما كانت الصورة عنصرا حاسما لتحديد الموقف الذى يتخذه صانع القرار، لذا فهى تمثل الإطار النفسى العام لاتخاذ القرارات، أو

البيئة السيكولوجية التى تتم فيها عمليةصنع القرار واختياره وتنفيذه. وإذا كانت الصور تقوم بكل هذا الدور الهام فى حياة الأفراد فإنها تقوم بدورغاية فى الخطورة والأهمية فى حياة الدولة، الأمر الذى يبرر ذلك الاهتمام الكبير من جانب الدول - صغيرها وكبيرها - بصورتها لدى الآخرين[٢].

وقد ازداد وضوح أهمية الدورالذى يمكن أن تؤديه الصورة فى مجالات السياسة والعلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، إذ ظهرت لهذا الدور أبعاد جديدة أكبر وأوسع بكثير عما قبل، وتأكد أن التأثير القوى للاتصال يتضمن من العناصر النفسية ما يفوق كثيرا العناصر الطبيعية والمادية، واصبح يقاس مدى نجاح الاتصال فى إحداث تأثيره القوى بمدى نجاحه فى تشكيل الصور المرجوة لدى الأطراف الأخرى، وكأنه الفن الذى يجعل الآخرين يرون العالم كما نريد لهم أن يروه، ويتصرفون ويعملون وفقا لهذه الصور[٣].

وتمثل وسائل الاتصال الجماهيرية بصفة عامة، والصحافة بصفة خاصة مصدرا مهما للمعلومات التى تقوم بدوركبير فى تكوين تصورنا عن العالم الذى نعيش فيه. وتتميز الصحافة - وغيرها من وسائل الإعلام المطبوعة - على وسائل الاتصال الجماهيرى الأخرى، بقدرتها على عرض التفاصيل الدقيقة، والموضوعات الطويلة، التى تساعد فى توضيح الأمور للقراء، وتهيئة الدراسة المتأنية لهم[٤].

وإذا كان البعض يأخذ على الصحافة أنها تتطلب نوعا خاصا من الجمهور هو الجمهور القارئ، الذى يستطيع أن يكمل الاتصال بقدرته على التخيل والتفسير[٥]، فإننا نرد بأن ذلك لا يعد عيبا، وإنما ربما يعد ميزة تضاف إلى مزايا الصحافة، فجمهور الصحافة الخاص يضم بين صفوفه قادة الرأى الذين يتميزون بقدرتهم على

التأثير فيمن حولهم، كما يضم راسمى السياسة، ومتخذى القرار، ومن هنا تتضح أهمية دور الصحافة فى تكوين الصورة الذهنية لصناع القرار فى المجتمع، وفى التأثير على قراراتهم..

وإذا ما عدنا إلى موضوع دراستنا سنجد أن الصورة قامت بدور كبير فى الصراع العربى الإسرائيلى، فقد أكد د.هربرت كيلمان أستاذ الأخلاقيات الاجتماعية بجامعة هارفارد دور الصورة فى الصراع العربى الإسرائيلى، فقد قال «إن الصراع العربى الإسرائيلى صراع حقيقى للغاية، ولكن الصور لعبت دورا هاما جدا فى هذا الصراع، ويمكن أن يكون لها أيضا دوركبير فى مستقبله، إذا تم استخدامها بشكل مناسب وفى الإطار الصحيح»(٦).

وتشير كثير من الدراسات إلى نجاح الصهيونية فى تحقيق الكثير من أهدافها من خلال براعتها فى استخدام الصورة الذهنية، فقد نجحت الصهيونية منذ عهد بعيد فى تغيير صورة اليهودى التائه، تلك الشخصية التى تجلب النحس والدمار، وأحلت محلها صورة اليهودى المضطهد الذى يتعرض للإبادة فى كل مكان، تلك الصورة التى استطاعت أن تحصل من خلالها على تعاطف الرأى العام وتأييده لمطالبتها بأن يكون لليهود وطن مثل سائر الشعوب. كذلك فقد استطاعت الصهيونية تغيير صورة اليهودى المرابى، وأحلت محلها صورة اليهودى المتحضر الذى يساهم فى الحضارة الإنسانية كل يوم بجديد.

ونحن إذا ما رجعنا إلى صحف الدراسة - التى كانت تعد من أهم وسائل الاتصال الجماهيرى فى المجتمع المصرى فى ذلك الوقت - لاستكشاف أبعاد الصورة التى قدمتها لجمهورالصفوة فى مصر عن الإسرائيليين والفلسطينيين، وعن فلسطين نفسها، سنجد أن صورة

اليهود حصلت على نحو ٣٦٠ تكرارا بنسبة (٨٥,٥٪) من إجمالى ٤٢١ تكرارا، أما صورة الفلسطينيين فقد حصلت على ٢٥ تكرارا (بنسبة ٦٪)، فى حين حصلت صورة فلسطين على ٣٦ تكرارا (بنسبة ٨ر٥ ٪).(*)

وتشير نتائج التحليل إلى أن الكتابات المنشورة فى صحف الدراسة قدمت بعض السمات الإيجابية وبعض السمات السلبية لصورة اليهود، ولكن حصلت الأخيرة على أعلى التكرارات، إذ سجلت السمات السلبية حوالى ١٩٢ تكرارا «بنسبة ٥٣,٤٪)، فى حين حصلت الأولى على ١٦٨ تكرارا بنسبة (٤٦,٦٪)، ولكن التحليل الكيفى يشير إلى عكس ذلك، إذ أن الأبعاد السلبية لصورة اليهود كانت تعطى فى الوقت نفسه بعدا إيجابيا، وهو ما سنتناوله فيما بعد.

وقد تحددت السمات الإيجابية والسمات السلبية فى الفئات التالية:

أولا - السمات الإيجابية لصورة اليهود :

١ - الإسرائيليون مقتدرون ماديا ومعنويا (٦٧ تكرارا بنسبة ٣٩,٩٪).

٢ - اليهود شعب (٦٤ تكرارا بنسبة ١٧,٧٪).

٣ - اليهود أمة (٢١ تكرارا بنسبة ٥,٨٪).

٤ - أخرى (١٦ تكرارا بنسبة ٤,٥٪).

ثانيا - السمات السلبية لصورة اليهود :

١ - اليهود مضطهدون (١٧٨ تكرارا بنسبة ٩٢,٧٪).

٢ - اليهود متفرقون مشتتون (١٤ تكرارا بنسبة ٧,٣٪).

وسوف نتناول كل واحدة من هذه السمات بشيء من التفصيل.

أولا ـ السمات الإيجابية :

١ ـ اليهود مقتدرون ماديا ومعنويا :

حصلت هذه الفئة على ٦٧ تكرارا (بنسبة ٣٩,٩٪) من إجمالى التكرارات الإيجابية فى حين سجلت (١٨,٦٪) من إجمالى تكرارات صورة اليهود.

كانت صحيفة «المقطم» فى طليعة صحف الدراسة التى تحدثت عن اقتدار الإسرائيليين ماديا ومعنويا، إذ سجلت ٢٧ تكرارا (بنسبة ٤٠,٣٪) من إجمالى تكرارات هذه الفئة، فى حين سجلت صحيفة «الأهرام» ٢١ تكرارا (بنسبة ٣١,٤)، ثم صحيفة «المؤيد» ١٣ تكرارا بنسبة (١٩,٤٪)، وأخيرا صحيفة «اللواء» ٦ تكرارات (بنسبة ٨,٩٪).

وكان وجه اقتدار اليهود المادى يتركز فى قدرتهم المالية، وقد حصلت هذه الفئة على ١٨ تكرارا بنسبة ٢٦ر٩٪ جاء سبع تكرارات منها فى «الأهرام»، فى حين جاء فى «المقطم» ٦ تكرارات و«المؤيد» خمس تكرارات.

وقد تم التعبير عن هذه الفئة بعبارات منها أن الإسرائيليين قوم لديهم المال متوفرا، وأنهم قوامون على المال والتجارة، وأنهم حينما فارقوا اسبانيا صارت جسما بلا روح، كما أن فرنسا كانت تستدعيهم لأن وجودهم فيه تحريك للتجارة والأخذ والعطاء(٧).

وقد وصف أحد كتاب «المقطم» اليهود بأنهم «القابضون على زمام ثروة العالم»، وذكر أنه فى عيد رأس السنة العبرية تعطلت أعمال البورصة تقريبا فى فرنسا، وقال إن قيصر روسيا العظيم اضطر أن

يتزلف إلى روتشيلد ويهديه وساما - مع ما اشتهر عن قياصرة الروس من كره لليهود - لأنه إذا اعتصب روتشيلد وأمثاله يدا واحدة، أضروا بقراطيس روسيا المالية(٨).

وقال كاتب آخر إن الاسرائيليين أصبحوا من أغنى أهل الأرض، وصاروا أينما حلوا محور حركة الأموال، حتى أصبحت الدول تهتز لحركة متموليهم(٩).

وقالت «المؤيد» إن اليهود فى فلسطين قابضون بيد من حديد على أزمة التجارة والصناعة.. كما أنهم أخذوا يستخدمون وسائلهم المعروفة للاستئثار بالثروة(١٠)، ووصف كاتب آخر فى «المؤيد» اليهود بأنهم «ملوك المال بغير ما جدال»(١١).

وذكرت «المؤيد» عن روتشلد أنه كلما احتاجت إحدى الحكومات وضاقت السبل فى وجهها تلجأ إليه، وعندما يشعر بنك بحرج مركزه فى الأسواق المالية فلا مساعدة له غيره.. وأعادت الصحيفة فى الأذهان أن روتشلد كان قد أقرض الحكومة المصرية أموالا كثيرة، وأنه اشترى خراج الدولة العثمانية فيها لمدة ستين سنة(١٢).

أما فئة اليهود أهل جد ونشاط، فقد جاءت فى المرتبة الثانية، وحصلت على ١٣ تكرارا (بنسبة ١٩٫٤٪) جاء سبع تكرارات منها فى صحيفة «المقطم» وأربع تكرارا فى صحيفة «الأهرام»، وتكراران فى صحيفة «المؤيد».

وقد اقتصر وصف «المقطم» لليهود بأنهم أهل جد ونشاط على المهاجرين منهم إلى فلسطين، فقد قال عنهم سليم قبعين إنهم قوم جد ونشاط، يحاربون البلاد، بالعمل، واكتساب المال بالعزم والطرق الشريفة.. كما قال إنهم يقضون سحابة نهارهم رجالا ونساء فى

الاشتغال بالأرض وحينما يعودون إلى بيوتهم فى المساء للراحة يذهبون الى مكتبة المستعمرة كل ليلة للاطلاع[١٣].

وكتب نسيم بن سهل فى «المقطم» أيضا أنه لم يغل سواعدهم أو يحبس جدهم واجتهادهم أمر: لا رداءة الجو، ولا صعوبة النقل، ولا ظهور الآفات.. وقال إنهم مفيدون للبلاد مالا ونشاطا[١٤].

وفى «الأهرام» وصف جاك ليفى طنطاوى اليهود بأنهم أحد الشعوب العاملة[١٥]، كما نقل كاتب إسرائيلى اخر عن الصهيونيين قولهم بأنهم رجال جد ونشاط وزراعة وفلاحة[١٦].

وفى المؤيد كتب سليم قبعين أيضا أن المهاجرين اليهود إلى فلسطين حققوا آمال روتشلد، فاشتغلوا فى الأرض بجد ونشاط، وأنهم يقضون أوقات فراغهم فى المكتبة العامة[١٧].

وكتبت «المؤيد» عن عميد عائلة روتشلد وكيف أنه كان معروفا بجده واجتهاده حيث نجح فى وضع أساس تلك الثروة الهائلة. وأنه على الرغم من كبرسنه، وعلى الرغم من ثرائه، إلا أنه كان لا يفتر عن الذهاب يوميا إلى محله ليباشره[١٨].

وتلى فئة اليهود أهل جد ونشاط فئة اليهود ذوى نفوذ وسلطة حيث جاءت فى المرتبة الثالثة وحصلت على ١١ تكرارا بنسبة ٤ر١٦٪، وحظيت هذه الفئة بأعلى التكرارات فى صحيفة «المقطم» حيث حصلت على سبع تكرارات، فى حين حصلت فى «الأهرام » وفى «المؤيد» على تكرارين اثنين لكل منهما .

فقد ذكرت «المقطم» أن اليهود ذوو نفوذ كبير فى فرنسا، وأنهم يسيطرون على أعظم جريدة فى باريس لسان حال الحزب الملكى، وحامية الدين الكاثوليكى وهى جريدة «الغولوى» التى يديرها رجل اسرائيلى.

وقال مكاتب «المقطم» فى باريس انه تشكل فى فرنسا حزب «الانتى سمتيك» - اى ضد الساميين - وغايته مقاومة نفوذ الاسرائيليين هناك، وعلى الرغم من ان هذا الحزب يقوى يوما فيوم، الا انه لم يؤثر فى شىء.. بل انه كالناطح فى الصخر، وما ذلك الا لان الاسرائيليين يتمتعون بنفوذ قوى، وكان مصدر هذا النفوذ من وجهة نظره كونهم «قابضين على مالية العالم».

ومضى مكاتب «المقطم» يقول انه لم يكن يصدق مايسمعه عن نفوذ الاسرائيليين فى فرنسا قبل مجيئه الى البلاد، اما الآن فقد رأى بعينه، وسمع بأذنه فصدق الخبر. (١٩)

ومرة أخرى أشارت «المقطم» إلى قوة نفوذ اليهود الذى يستمدونه من قوتهم المالية، فذكرت أن روسيا لجأت إلى أصحاب البنوك الاسرائيلية فى البلاد لعقد قرض للاستمرار فى أعمال مد السكك الحديدية، ولكن أصحاب البنوك رفضوا أن يبحثوا ذلك حتى يمنح مواطنيهم اليهود بعض الامتيازات، وأن ناظر الداخلية لما رأى إصرارهم على ذلك مع شدة حاجة البلاد إلى المال، أصدر منشورا سريا إلى حكام المقاطعات بمنع التضييق على اليهود... (٢٠)

ونشرت «المقطم» موضوعات لبعض الكتاب تحدثوا فيها عن قوة نفوذ الاسرائيليين والصهيونيين على وجه الخصوص فى دوائر الحكومة العثمانية فى الآستانة، وفى فلسطين، إلى درجة أنهم أصبحوا يشكلون فى فلسطين دولة داخل الدولة - وقد أشرنا إلى ذلك آنفا.

وخاضت «المؤيد» هذا الموضوع أيضا، فأشارت إلى أن اليهود فى فلسطين صاروا على جانب عظيم من النفوذ والسطوة داخل

مستعمراتهم، حتى إن الداخل إلى مستعمراتهم لايصدق أنهم يهود لما اشتهرت عليه هذه الطائفة من الإستكانة فى سائر أنحاء الارض [٢١].

وتحدث كتاب آخرون فى «المؤيد» عن أن اليهود يستمدون نفوذهم فى فلسطين من الامتيازات الأجنبية التى تكفل تسلطهم على أبناء الوطن [٢٢].

وفضلا عن أن اليهود ذوو نفوذ وسلطة جاءت فئة اليهود حملة المدنية الحديثة فى المركز الرابع. وانفرد بتأكيد هذه الصفة صحيفتا «المقطم» ٦ تكرارات و«اللواء» ٤ تكرارات بإجمالى ١٠ تكرارارت بنسبة ١٥٪، فقد كتب نسيم بن سهل فى «المقطم» عن ذلك العنصر الاسرائيلى الشرقى الذى اتخذ عادات الغرب واخلاقه، وأنه بهذه المزية وبالعلم يمكن أن يكون حلقة الاتصال بين الشرق والغرب [٢٣]، ونشرت «المقطم» حديثا أجراه مكاتبها فى فلسطين مع الزعيم الصهيونى ناحوم سوكولوف تحدث فيه عن أن الاسرائيليين النازحين إلى فلسطين يعودون إلى وطنهم بعدما اقتبسوا الشىء الكثير من وسائط التمدن والعمران [٢٤].

ولم يكن الحديث عن أن اليهود المهاجرين إلى فلسطين يحملون معهم المدنية الحديثة مجرد دعاية يرددها بعض الدعاة الصهيونيين، وإنما يبدو أن ذلك كان هو الصورة المنطبعة فى اذهان بعض الزعماء والكتاب العرب، وخصوصا أولئك الذين زاروا فلسطين وشاهدوا بأعينهم مستعمرات ومدن الاسرائيليين هناك، فقد وافق رفيق العظم على ماقاله ناحوم سوكولوف من أن اليهود النازحين من أوربا يحملون كثيرا من وسائل المدنية الحديثة، بل إنه رأى أن الصهيونيين بما يحملون من وسائل الترقى الحديث، وإذا أخلصوا النية وعزموا عزما أكيدا على ترقية الوطن السورى بالتعاون مع إخوانهم العرب.. فإنهم بالغون مايتمنون من تجديد مجد المدنية السامية [٢٥] .

وصرح صهيوني آخر بأن الاسرائيليين الذين يهاجرون إلى فلسطين يحملون معهم الشيء الكثير من وسائل الحضارة والمدنية التي نشأوا بين اهلها واقتبسوا من فوائدها، وأنهم قادرون على استعمالها والتذرع بها لتغيير الحالة الحاضرة في فلسطين، وترقية فن الزراعة في البلاد (٢٦).

وأكد ذلك الزعيم الصهيوني على أن الاسرائيليين وهم شرقيون في عاداتهم وأخلاقهم وتاريخهم وآمالهم، وغربيون في ادابهم وعلومهم ومدنيتهم وحضارتهم يكونون الواسطة الوحيدة التي توصل بين العرب والمدنية الغربية (٢٧).

اما صحيفة «اللواء» فقد تحدثت عن أن اليهود أدخلوا بعض الحرف التي لم تكن معروفة في البلاد العثمانية مثل صناعة البارود والمدافع وغيرها (٢٨)، كما تحدثت عن أنهم اشتركوا في تقدم فرنسا في الحرف والصنائع والفنون والأمور المالية (٢٩).

وجاءت فئة اليهود أهل علم وفن في المركز الخامس وحصلت على ٨ تكرارات (بنسبة ٩ر١١٪) ثلاثة منها في «الاهرام»، واثنان في «المؤيد»، و٣ تكرارات في «اللواء»، وقد ساهم في ترويج هذه الفكرة كل من الكتاب العرب والصهيونيين على السواء، فقد ذكر كاتب اسرائيلي أن خلفاء بني امية ثم العباسيين قربوا إليهم اليهود نظرا إلى فضلهم في المعارف واللغات.. (٣٠) وقال جاك ليفي طنطاوي إن العرب لم يصلوا إلى ذلك الشأو البعيد من العلوم الا بواسطة مانقله لهم علماء اليهود من كتب الفلسفة والطب والفلك في عهد الخلفاء الاسلاميين الذين اعتادوا أن يسالموا اليهود دائما ويقربوهم، ويستضيئوا بنبراسهم الوهاج.. ناهيك بدولة بني العباس وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم من السلاطين العظام، فإن تودد هم لليهود وتواطؤهم معا في سبيل الارتقاء أشهر من أن تعاد ذكراه (٣١).

وكتب «ع. ح» فى «الأهرام» أنه بالعلوم والفنون التى يحملها الاسرائيليون إلى سوريا نفع عظيم للبلاد، وقد وافقته «الأهرام» على هذا الرأى الذى لاقى ارتياحا لدى الدوائر الصهيونية فى مصر.

وقالت «المؤيد» إن الأمة اليهودية لم تتمكن من إيقاف تيار الاضطهاد الذى كان منصبا عليها إلا عندما هب أفراد منها إلى طلب المعارف والعلوم، فنجحوا نجاحا بينا حتى أصبحوا يعدون فى الدرجة الأولى بعلومهم وآدابهم، ونبغ منهم مخترعون وكتاب وفلاسفة فى كل ممالك أوربا، شهد لهم بالسبق أفاضلها وأكبر علمائها (٣٢).

أما «اللواء» فذكرت أن اليهود أفادوا الدولة العثمانية بعلومهم، وأنه كان يعتمد عليهم فى الترجمة وفى أمور كثيرة أخرى، لأنهم كانوا يعرفون لغات كثيرة، كما كان منهم كثيرون ممن تعلموا الطب فى الأندلس، فلما استوطنوا البلاد العثمانية، تعاطوا هذه المهنة حتى إن طبيب السلطان مرادخان الثانى كان يهوديا (٣٣).

وفيما يتعلق بفئة اليهود ذوى ذكاء ومواهب نجد أنها جاءت فى الترتيب السادس، حيث حصلت على ٧ تكرارات «بنسبة ٤ر١٠٪» جاء ثلاثة منها فى «الأهرام» و اثنان فى«المقطم»، وتكرار واحد فى «المؤيد» وفى « اللواء » .

ففى «المقطم» تحدثت استير مويال عن نبوغ الشعب الاسرائيلى وعبقريته، فأشارت إلى أنه نبغ منه أعظم الرجال مثل موسى وسليمان وابن رشد وغيرهم، وذكرت أنه لم يسقط بعد ولم تتضعضع أموره، بل رقى كثير من أفراده إلى أعلى درجات السؤدد والمجد، وأحرزوا غنى مابعده غنى، وأن الشعب الاسرائيلى انتصر على باقى الشعوب فى ميدان العقل والذكاء (٣٤).

أما صحيفة «الأهرام» فقد وصفت اليهود بأنهم ذوو ذكاء ومواهب[٣٥]، فى حين تحدث بعض الكتاب فى المؤيد» عن دهاء اليهود الغريب، وعن نبوغ بعض المخترعين والفلاسفة من بينهم.

وهكذا نجد أن الأفكار التى رددتها صحف الدراسة بشأن قدرة اليهود المادية التى تتمثل فى سيطرتهم على ثروة العالم، وقدراتهم المعنوية التي تتلخص فى ذكائهم ومواهبهم، ومايتمتعون به من نفوذ وسلطة في جميع دول العالم، بالاضافة إلى اجتهادهم ونشاطهم، وامتلاكهم ناصية العلوم والفنون الحديثة، واحتكاكهم بالمجتمعات الاوروبية، ومساهماتهم الحضارية فيها، كل ذلك كان يسهم فى رسم صورة ذهنية طيبة عن اليهود بما يخدم ماكانت تردده الدعاية الصهيونية فى ذلك الوقت من أن المهاجرين اليهود يمثلون عنصرا مفيدا لفلسطين وللعرب بصفة عامة، وأن المال والعبقرية اليهودية سوف يتعاونان على إنهاض العرب، وأن اليهود هم رسل الحضارة الغربية إلى فلسطين والبلاد العربية.. وغير ذلك من الادعاءات.

١ - اليهود شعب :

جاءت هذه الفئة فى الترتيب الثانى بعد فئة اليهود مقتدرون ماليا، وقد حصلت على ٦٤ تكرارا «بنسبة ١٧,٧٪» من إجمالى تكرارات صورة اليهود و٣٠٪ من اجمالى التكرارات الايجابية. وكان نصيب «الأهرام» منها ٣٨ تكرارا «بنسبة ٥٩,٣٪» و«المقطم» ٢٤ تكرارا» «بنسبة ٣٧,٥٪» و«المؤيد» تكراران «بنسبة ٣,٢٪». وقد لوحظ استخدام الكتاب العرب فى «الأهرام» لمصطلح الشعب الاسرائيلى، أو الشعب الموسوى، أو الشعب العبرى أو الشعب اليهودى، مما ينم عن عدم وعيهم بتأثير استخدام هذا المصطلح على تكوين الصورة الذهنية لدى جمهور القراء العرب عن اليهود كشعب له الحق فى أن يكون له وطن مثل باقى الشعوب.

وتجدر الإشارة إلى أن الكتاب الصهيونيين كانوا أكثر استخداما لمصطلح الشعب اليهودى أو الشعب الاسرائيلي.. من الكتاب العرب، فقد سجل استخدام هذا المصطلح فى كتابات الصهيونيين فى «الأهرام» نحو ٢٥ تكرارا في مقابل ١٣ تكرارا فى كتابات العرب، وفى «المقطم» جاء نحو ٢٣ تكرارا فى كتابات الصهيونيين فى حين جاء تكرار واحد في كتابات العرب، أما فى جريدة «المؤيد» فقد جاء التكراران اللذان تم تسجيلها فى استمارة التحليل فى كتابات العرب فقط.

وتجدر الإشارة إلى أن صحف الدراسة لم تتدخل من جانبها لمنع استخدام هذا المصطلح بحذفه من الموضوعات والتصريحات التى كانت تنشرها نقلا عن الصحافة الغربية.

واذا كان عدد التكرارات التى أشارت إلى اليهود كشعب يعد قليلا بالنسبة إلى طول فترة الدراسة التى غلب فيها استخدام كلمتى «اليهود أو الاسرائيليون»، فإن تكرار الإشارة إلى اليهود كشعب بين الحين والآخر وبصفة خاصة على صفحات صحف عربية، كان يسهم في إعطاء الصورة الذهنية عن اليهود بعدا ايجابيا، خاصة وأن الموضوعات التى تناقش صحة ادعاءات الصهيونيين بأن اليهود شعب وامة كادت أن تنعدم فى صحف الدراسة خلال تلك المرحلة، اللهم إلا مقالا واحدا نشرته صحيفة «الاهرام» حاول فيه كاتبه أن ينفى أن اليهود أمة (٣٦).

٢ - اليهود امة :

حصلت فئة اليهود امة على ٢١ تكرارا «بنسبة ٥,٨٪»، وبذلك احتلت المركز الثالث فى صحيفة التحليل، وقد حظيت هذه الفئة بأعلى

التكرارات فى صحيفة «الأهرام» حيث سجلت ١١ تكرارا «بنسبة ٥٢,٥٪»، جاء سبعة تكرارات منها فى كتابات الصهيونيين، وأربع تكرارات فى كتابات العرب، أما صحيفة «المقطم» فقد كان نصيبها أقل من «الأهرام»، حيث سجلت ٩ تكرارات «بنسبة ٤٢,٨٪»، ستة منها فى كتابات العرب، وثلاثة فى كتابات الصهيونيين، وفى «المؤيد» حظيت هذه الفئة بتكرار واحد فقط فى كتابات العرب «بنسبة ٤,٧٪».

٣ ـ أخرى تذكر :

حصلت هذه الفئة على ١٦ تكرارا بنسبة ٤,٥٪، وضمت ثلاث فئات فرعية حظيت كل منها بتكرارات بسيطة ولكنها كانت تضيف أبعادا ايجابية إلى صورة اليهود، وأول هذه الفئات الفرعية فئة اليهود مسالمون وحصلت على ثمانية تكرارات، جاء أربعة تكرارات منها فى «المقطم» واثنان فى «الاهرام» واثنان فى «المؤيد»، فعلى سبيل المثال ذكر سليم قبعين فى «المقطم» أن الاسرائيليين فى فلسطين يعاملون الاهالى بالرقة والوداعة، ويكرمون شيوخ البلاد وسراتها ويقدمون إليهم الهدايا الوافرة ليمنعوا عنهم تعديات الأشقياء، [٣٧] وذلك ردا على ادعاءات محمد القلقيلى بأن اليهود يعتدون على الفلسطينيين، وحتى يبرهن قبعين على ضعف اليهود وميلهم إلى مسالمه الاخرين، ذكر أنه ليس لهم دولة تشد أزرهم، أو تمنع عنهم ضيما كسائر الأجانب [٣٨].

وفى إطار التشديد على أن اليهود مسالمون وغير معتدين تم وصفهم بأنهم لينو الجانب، وضعفاء، وطيبو المعشر.

أما فى صحيفة «الأهرام» فقد وصف جاك ليفى طنطاوى اليهود بأنهم شعب هادىء ساكن بعيد عن المشاغبات [٣٩]، وقال إسرائيلى مطلع إن العرب والاسرائيليين تجاوروا عدة قرون على أوفى وئام،

[٤٠]، وفى « المؤيد» رد سليم قبعين على مدير جريدة «ريزورجيتى» الذى رمى جماعة من الاسرائيليين بالتعصب فقال إن العام والخاص فى مشارق الأرض ومغاربها يعلم أن الأمة الاسرائيلية أمة مسالمة، لم تناهض أمة غيرها فى معتقداتها، ولم تشركها فى إيمانها، ولم يشتم منها رائحة التعصب.. وطالب مدير الصحيفة بتقديم اعتذاره عن اتهام الاسرائيليين بالتعصب [٤١].

وثمة كاتب آخر وصف اليهود بأنهم أضعف الأمم، وبأنهم لم يتمكنوا باتحادهم من وقف تيار الاضطهاد الذى تعرضوا له إلا بإحدى الوسائل السلمية وهى طلب العلم والمعارف [٤٢].

وكانت الفئة الفرعية الثانية ضمن أخرى تذكر هى فئة اليهود متحدون، وقد حصلت على خمسة تكرارات جاء اثنين منها فى صحيفة «الأهرام»، واثنين فى صحيفة «المؤيد»، وتكرار واحد فى صحيفة «المقطم»، فقد ذكرت «الأهرام» إن انتباه اليهود ويقظتهم كان داعيا لاتحادهم، لا إلى انقسامهم [٤٣]، وإن ما أصابهم من نكد العيش والقهر والاعنات، أولد فيهم شعور التضام[٤٤]. وذكر أحد الكتاب فى «المؤيد» أن الإسرائيليين أصحاب جامعة تربطهم ببعضهم البعض أنى وجدوا، وأن هذه الجامعة هى التى حفظتهم كل هذه القرون العديدة بعد سبى بابل[٤٥]، وأشار كاتب آخر إلى أنه إذا سعت آية حكومة فى طلب أى إسرائيلى وتمكنت من إلقاء القبض عليه، قامت الأمة الإسرائيلية بأجمعها وقعدت، وهددت بالثورة[٤٦].

وفى صحيفة «المقطم» ذكر محمد عبدالرحمن العلمى أن الأمة الصهيونية أخذت بالأسباب الموصلة إلى غايتها فبادرت إلى توحيد كلمتها، وبث روح الألفة بين أفرادها ، واخذت تلم شعثها من أطراف البلاد بعد ان كانت أمة مشتتة حتى أصبحت الآن أمة تذكر على

صفحات الجرائد، كما أشار العلمى إلى اتحاد كلمة اليهود فى فلسطين على حصر المنفعة بينهم، وأن هذا كان هو السبب الوحيد فى ارتفاع شأنهم[٤٧].

أما الفئة الأخيرة فى أخرى تذكر فكانت اليهود شرقيون، وحصلت على ثلاثة تكرارات فقط: تكراران فى «المقطم» وواحد فى "الأهرام"، وعلى الرغم من أن التأكيد على الروابط العرقية والصلات التاريخية بين العرب واليهود كان أحد المنطلقات الرئيسية فى الدعاية الصهيونية، إلا أنه لم يحظ فى هذه المرحلة باهتمام كبير، ربما لأن المعارضة العربية للمشروعات الصهيونية لم تكن قد وصلت بعد إلى درجة كبيرة فى ذلك الحين، ولهذا حصلت هذه الفئة على ثلاثة تكرارات فقط.

وقد بدأ الحديث عن الانتماء الشرقى لليهود حينما ارتفعت الدعوة إلى تحقيق تفاهم وتعاون بين العرب والصهيونيين، فذكر زعيم صهيونى فى حديث مع «المقطم» أن الاسرائيليين ـ المهاجرين من أوروبا ـ شرقيون فى عاداتهم وأخلاقهم وتاريخهم[٤٨].

ووصف نسيم بن سهل المهاجرين «بالعنصر الإسرائيلى الشرقى»[٤٩] كما وصف إسرائيلى مطلع اليهود بأنهم شعب شرقى أصيل، وأنهم والعرب من سلالة إبراهيم وأبناء سام، وأنهم ـ أى الإسرائيليين ـ عاشوا عيشة البداوة مع قبائلهم فى الجزيرة العربية، وشاركوا العرب فى إقامة أسواق الأدب[٥٠].

ثانيا ـ السمات السلبية :

١ ـ اليهود مضطهدون :

حصلت هذه الفئة على ١٧٨ تكرارا (بنسبة ٩٢,٧٪) ـ كما أشرنا آنفا ـ وكانت أهم مظاهر الاضطهاد الذى تعرض له اليهود ـ كما أوردتها صحف الدراسة ـ تتركز فى نقطتين أساسيتين هما:

١ ـ الاعتداءات. ٢ـ الحرمان من الحقوق

وفيما يتعلق بالنقطة الأولى سنجد أن الاعتداءات التى تعرض لها اليهود فى كل زمان ومكان سجلت أعلى التكرارات، فقد حصلت على ١١٠ تكرارا من إجمالى ١٩٢ تكرارا بنسبة ٥٧,٣٪، وكانت صحيفة «المقطم» من أكثر صحف الدراسة التى تحدثت عن الاعتداءات التى يتعرض لها اليهود فى مختلف البلدان، إذ سجلت ٥٣ تكرارا (بنسبة ٤٨,٣٪)، وتلتلها صحيفة «اللواء» ٢٤ تكرارا (بنسبة ٢١,٨٪)، ثم صحيفة «المؤيد» ١٨ تكرارا (بنسبة ١٦,٣٪) وصحيفة «الأهالى» ٧ تكرارات (بنسبة ٦,٣٪)، وصحيفة «الأهرام» ٥ تكرارات (بنسبة ٤,٦٪)، وأخيرا صحيفة «الجريدة» ٣ تكرارات (بنسبة ٢,٧٪).وكان الاعتداء على حياة اليهود بالقتل والحرق والإعدام والذبح من أكثر أنواع الاعتداءات التى تحدثت عنها صحف الدراسة، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى ما كانت تنقله وكالات الأنباء والصحافة الغربية من أنباء الاعتداءات والاشتباكات التى كانت تقع بين اليهود ومواطنيهم فى دول أوروبا الشرقية وخصوصا حوادث كيشنيف التى وقعت فى روسيا عام ١٩٠٣، والتى وصفتها الدعاية الصهيونية «بالمذبحة» أحيانا، و«المجزرة» أحيانا أخرى، وقد استخدمت صحيفة «المقطم» هذين اللفظين أثناء حديثها عن أحداث كيشنيف، وكذلك حوادث بيلوستوك التى وقعت فى روسيا عام ١٩٠٦، هذا فضلا عن

الحديث عن أعمال القتل والذبح والحرق التى تعرض لها اليهود خلال عصور التاريخ المختلفة سواء فى اسبانيا، أم فى فرنسا، أم فى ألمانيا.. وغيرها، ولذلك سجلت أعمال القتل والحرق والإعدام والذبح ٤٢ تكرارا (بنسبة ٣٨,١٪)، تلاها الحديث عن الاعتداءات التى يتعرض لها اليهود بصفة عامة ودون تفصيل وحظيت بنحو ٢٦ تكرارا (بنسبة ٢٣,٦٪). ثم أعمال الإثارة والتحريض ضد اليهود ١٤ تكرارا (بنسبة ١٢,٧٪) وجاءت كلها فى صحيفة «المقطم» وحدها، وحصلت أعمال السلب والنهب وتدمير ممتلكات اليهود على ١٢ تكرارا (بنسبة ١٠,٩٪)، ونسبة النقائص إلى اليهود وخصوصا «تهمة الدم»(*) ٩ تكرارات (بنسبة ٨,٣٪)، وإساءة المعاملة والمطاردة والحبس ٧ تكرارات (بنسبة ٦,٤٪).

وكان المظهر الثانى لاضطهاد اليهود هو الحرمان من الحقوق، وقد جاء فى المركز الثانى بعد فئة الاعتداءات، إذ حصل على ٦٨ تكرارا (بنسبة ٣٥٪).

ويكشف تحليل مضمون صحف الدراسة عن أنها أولت حرمان اليهود من الحريات الشخصية اهتمامها، إذا حظى هذا الموضوع بحوالى ٥٠ تكرارا (بنسبة ٧٣,٥٪) من إجمالى تكرارات هذه الفئة وهو ٦٨ تكرارا.

وكانت صحيفة «اللواء» فى طليعة صحف الدراسة التى ركزت على إبراز حرمان اليهود من الحريات الشخصية، حيث سجلت هذه الفئة لديها ٢٦ تكرارا (بنسبة ٣٨,٢٪) من إجمالى ٦٨ تكرارا ثم تلتها صحيفة «المقطم» ١٢ تكرارا (بنسبة ١٧,٦٪)، «فالأهرام» ٥ تكرارات (بنسبة ٧,٣٪)، و«الأهالى» ٤ تكرارات (بنسبة ٥,٨٪)، و«الجريدة» تكرار واحد (بنسبة ١,٤٪).

وقد اهتمت صحف الدراسة التى تحدثت عن حرمان اليهود من الحريات الشخصية بإبراز أوجه هذا الحرمان وتمثلت فى حرمانهم من حرية الاعتقاد (١٤ تكرارا) وإجبارهم على التنصير والعماد فى بعض الدول الأوروبية، وإغراء أبنائهم من جانب المبشرين فى مصر على ترك دينهم لاعتناق المسيحية، وحملهم على الدخول فى الإسلام أو مهاجرة البلاد من جانبالمهديين، بعد استيلائهم على الحكم فى الأندلس وشمال افريقيا[٥١].

كذلك كان حرمان اليهود من حرية اختيار العمل الذى يرغبون فيه، ومنعهم من ممارسة بعض الأعمال كالزراعة والحرف اليدوية ومداواة المسيحيين، والوظائف العمومية، والملاحة، والتجارة، وحمل السلاح، واضطرارهم إلى احتراف أحقر المهن، وأدناها ـ كالدعارة ـ (٧تكرارات)، ثم إجبارهم على ارتداء زى معين ووضع شارات معينة، ومنعهم من قص شواربهم[٥٢] (٦ تكرارات) بعض مظاهر الحرمان من الحريات الشخصية..

وفضلا عن الحرمان من ممارسة الحريات الشخصية، تحدثت صحف الدراسة أيضا عن حرمان اليهود من حرية الحركة الاجتماعية، فأشارت بعض الكتابات إلى تحديد إقامة اليهود فى أماكن معينة (٦ تكرارات)، وحرمانهم من حرية الانتقال ومن دخول القدس ومن بناء الكنائس (٤ تكرارات).

وفى إطار الحديث عن حرمان اليهود من الحقوق أشارت بعض الكتابات إلى حرمان اليهود من حق المواطنة بنفيهم وطردهم من البلدان التى اتخذوها أوطانا لهم كفرنسا وأسبانيا ورومانيا وروسيا وغيرها خلال عصور التاريخ المختلفة (١٤ تكرارا)، وحرمان اليهود من حق التعليم وحق التملك والحرمان من الحقوق بصفة عامة(١٦ تكرارا).

٢ ـ اليهود متفرقون مشتتون :

حصلت هذه الفئة على ١٤ تكرارا (بنسبة ٧,٣٪) من إجمالى ١٩٢ تكرارا جاء سبعة تكرارات منها فى جريدة «الأهرام» وسبعة تكرارات أخرى فى جريدة «المقطم». وقد أجمعت كتابات العرب والصهيونيين على أن الإسرائيليين أمة هامت فى التيه ثمانية عشر قرنا، عاش خلالها اليهود كشعب من متوطنين وضيوف رحل ومتشردين.. حتى أفاضلهم كانوا ينالون من الدنيا حظ الضيوف والرحل(٥٣).

وذكرت بعض كتابات الصهيونيين أن الحكومات هى التى أكرهت الإسرائيليين على التغرب والابتعاد عن أوطانهم(٥٤).

وأوضحت بعض كتابات العرب أن الإسرائيليين ملة كان لها فى العصور الخوالى الملك والسؤدد، ولكن الدهر أخنى عليها فذهب بعزها، وأودى بمجدها.. فتشتت الإسرائيليون ولم تبق لهم أرض خاصة بهم تجمعهم ولا سلطان منهم يرأسهم ولا حكومة لهم تأخذ بناصرهم ولا أساطيل تحميهم، فأصبحوا من أضعف أهل الأرض... ولذلك مالوا إلى المال لما رأوا أنه كثيرا ما يغنى عن الجيوش والأبطال.. ولكن نجاح الإسرائيليين فى استثمار أموالهم كان السبب الأكبر فى اضطهادهم، وإيغار الصدور عليهم، وإخراجهم من البلاد التى يقطنونها ظلما وعدوانا..(٥٥)

وفيما يتعلق بالدول التى تضطهد اليهود والتى تحدثت عنها صحف الدراسة، جاءت روسيا فى طليعة هذه الدول، إذ حظيت أنباء اضطهادها لليهود بنحو ٤٦ تكرارا (بنسبة ٤١,٨٪) من إجمالى ١١٠ تكرارات، وذلك بسبب بعض الأحداث التى وقعت فيها سواء فى كيشنييف أو بيلو ستوك أو أودسا خلال فترة الدراسة.

أما الجزائر فقد جاءت فى المركز الثانى بعد روسيا، إذ حصلت أنباء اضطهاد اليهود فيها على حوالى ٢٠ تكرارا (بنسبة ١٨,٢٪) جاء ١٨ تكرار منها فى صحيفة «المقطم» وتكراران فقط فى صحيفة «الأهرام».

وتجدر الإشارة إلى أن الجزائر كانت خاضعة فى ذلك الوقت للحكم الفرنسى، وقد تركزت أخبار معاداة اليهود فى الجزائر خلال الفترة الواقعة بين عامى ١٨٩٨ و١٩٠١، وهى الفترة التى تم فيها إعادة النظر فى قضية دريفوس، التى أحدثت انقساما فى أوساط الرأى العام الفرنسى تجاه اليهود، كما صادفت وجود المسيوماكس رجى محافظا لمدينة الجزائر، والذى كان يرأس إحدى الجمعيات المقاومة للإسرائيليين - على حد قول «المقطم»[٥٦] - وربما يرجع اهتمام «المقطم» بأخبار معادة اليهود فى الجزائر إلى تأثر مكاتبها فى باريس بالحملة التى شنها اليهود فى فرنسا على محافظ مدينة الجزائر، والتى أدت إلى مناقشة هذه المسألة داخل مجلس النواب الفرنسى عام ١٩٠١، ثم استعفاء المسيومكس رجى محافظ الجزائر، أو إقالته بمعنى أصح[٥٧].

وجاءت الدولة العثمانية فى المركز الثالث بين الدول التى تضطهد اليهود، ولكن بنسبة قليلة من التكرارات، إذ حصلت أخبار اضطهاد اليهود فيها على ٨ تكرارات فقط (بنسبة ٧,٢٪)، ويرجع السبب فى انخفاض عدد تكرارات اضطهاد اليهود فى الدولة العثمانية إلى أن الصهيونيين حرصوا فى كتاباتهم على كسب الآستانة إلى جانبهم، وتجنبوا إثارة غضبها عليهم، ولذلك دأبوا على الإشادة بالأوضاع التى يتمتع بها اليهود فى ظل الحكومة العثمانية، وعلى التعبير عن رغبتهم فى العيش فى كنفها، ولم يرد حديثهم عن بعض حوادث

الاعتداء التى وقعت على اليهود فيها إلا فى بعض الموضوعات التاريخية التى تحدثت عن قضية الأب توما فى دمشق عام ١٨٤٠ والتى اتهم اليهود فيها بقتل قس مسيحى لاستنزاف دمه لصنع فطير الفصح، ثم فى أثناء الحرب العالمية الأولى بسبب الإجراءات التى اتخذها جمال باشا، حاكم فلسطين ضد الصهيونيين، وبعد أن باتت هزيمة تركيا فى هذه الحرب أمرا مؤكدا..

أما باقى الدول التى نشرت صحف الدراسة أنباء عن وقوع اعتداءات فيها على اليهود فكانت اسبانيا والبرتغال ورومانيا وفرنسا وألمانيا وبلغاريا وبولندا والنمسا ومصر والمغرب وتونس واليمن والمسلمون والعرب بصفة عامة، وقد تراوحت نسبة تكرارتها بين ٥,٤٪ و٩٪ وهى نسبة قليلة بالمقارنة مع روسيا والجزائر اللتين استأثرتا بأعلى التكرارات، ولكن إذا أضفنا الدول العربية إلى الدولة العثمانية فإن مجموع التكرارات يصبح ٤٠ تكرارا بنسبة ٣٦,٣٪ فى مقابل الدول الأوروبية وروسيا التى يصبح مجموع تكراراتهم ٧٠ تكرارا بنسبة ٦٣,٧٪.

وإذا كانت الأبعاد السلبية لصورة اليهود تعطى انطباعا بأن اليهود شعب ضعيف.. متفرق.. مشتت.. ليس له حكومة تدافع عنه.. محتقر ومضطهد بين الشعوب.. فإنها فى الوقت نفسه كانت تعطى بعدا إيجابيا لأنها كانت تثير العطف والشفقة على اليهود، وتدفع الشعوب الأخرى إلى العطف على أمانيهم القومية، يتضح ذلك من اتجاهات صحف الدراسة نحو اليهود والصهيونية، ففى صحيفة «الأهرام» على سبيل المثال نجد أن اتجاه الكتابات المنشورة فيها نحو الصهيونية كان إيجابيا، ففى مقابل صفة واحدة سلبية للصهيونيين تصفهم بأنهم دساسون نجد سبع صفات أخرى تصف الصهيونيين بأنهم

أقوياء بالمال، شجعان، عسكريون، يحترمون الأديان الأخرى، أما أعداء الصهيونية فقد تم وصفهم بأنهم سيئو النية.

أما كتابات «المقطم» فقد وصفت الصهيونيين بأنهم أمة وبأنهم منظمون وأشارت إلى علو شأن الصهيونية بقولها إنها تضم أعظم الشخصيات.

وكان بعض كتاب «الأهرام» حينما يتحدثون عن الصهيونيين يصفونهم «بأخواننا الصهيونيين»، « وأخواننا الإسرائيليين»، كما كانوا يصفون الأمة الإسرائيلية بصفة «الكريمة»، أما فى «المقطم» فقد أطلق بعض الصهيونيين على المنظمة الصهيونية «الحزب الصهيونى المبارك».

من ناحية أخرى كان من شأن الحديث عن الاضطهاد الذى يتعرض له اليهود فى مختلف البلدان، حفز أبناء الطوائف اليهودية فى جميع أنحاء العالم إلى النهوض لتغيير الواقع المؤلم الذى يعيشه أخوانهم فى البلدان التى تضطهدهم، وكان من شأنه أيضا زعزعة الإحساس بالأمن الذى كان يتمتع به بعض اليهود فى بعض البلدان فقد كان الحديث عن اضطهاد اليهود الذين تنصروا واندمجوا فى المجتمعات الأوروبية، كفيل بإقناعهم بأنه لا أمن ولا أمان إلا فى وطن يهودى.. تحكمه حكومة يهودية تتولى حمايتهم داخله، وتقوم بالدفاع عمن يعيشون خارجه..

ثالثا ـ صورة الفلسطينى :

إذا ما حاولنا التعرف على صورة الفلسطينى كما قدمتها صحف هذه الدراسة، فسنجد أن هذه الصحف لم تول الفلسطينيين الاهتمام الواجب، وإنما تعرضت لأوضاعهم ومعاناتهم عرضا أثناء حديثها عن

الصهيونية، والأضرار التي يمكن أن تنجم عن النشاط الصهيوني في فلسطين، ولذلك لم تحظ صورة الفلسطينيين إلا بنحو ٢٥ تكرارا في ثلاث صحف من صحف الدراسة هي «المقطم» (١٥ تكرارا) و«المؤيد» (٩ تكرارات) و«الأهرام» تكرار واحد وذلك في مقابل (٣٦٠ تكرارا) لصورة اليهودي.

وكان من أبرز سمات شخصية الفلسطيني كما عبرت عنها الكتابات المنشورة في صحيفتي « المقطم » و « المؤيد » هي أن الفلسطيني ضعيف ، وكانت مظاهر هذا الضعف تتمثل في أن الفلسطيني جاهل وفقير وكسول ، وقد حصلت هذه الصفات على ٨ تكرارات في « المقطم » و ٧ تكرارات في المؤيد باجمالي ١٥ تكرارا بنسبة ٦٠ ٪ من مجموع تكرارات صورة الفلسطيني وقدرها ٢٥تكرارا ، أما « الاهرام » فقد سجلت فيها هذه الفئة تكرارا واحدا ، وصفت فيه الفلسطيني بأنه اضعف مالا وعلما من الصهيوني .

وتجدر الإشارة إلى أن كتابات الصهيونيين في «المقطم»، والمدافعين عن الصهيونيين أمثال سليم قبعين وكتابات العرب المدافعين عن الفلسطينيين في «المؤيد» أجمعت على وصف الفلسطينيين بهذه الصفات، وكان هدف الصهيونيين والمدافعين عنهم من وراء ذلك إبراز احتياج فلسطين والفلسطينيين إلى مال وعلم ونشاط المهاجرين اليهود لتحسين أوضاع البلاد وسكانها، أما فريق المدافعين عن الفلسطينيين فقد استهدفوا من وراء وصفهم بهذه الصفات إبراز عدم قدرة الفلسطينيين على التصدي للخطر الصهيوني، وبالتالي الحاجة إلى تدخل الحكومة العثمانية لإيقاف ذلك الخطر الزاحف الذي يتهدد جزءا عزيزا من السلطنة.

وكانت سمات الشخصية الفلسطينية الأخرى ـ كما وردت فى صحيفتى «المقطم» و«المؤيد» هى أن الفلسطنيين متعصبون مذهبيا وجنسيا وحصلت على ٣ تكرارات فى «المقطم» بنسبة ١٢٪، ووصفت معارضى الصهيونية من الفلسطينيين بأنهم سيئو النية وطلاب مصالح خاصة (تكراران بنسبة ٨٪)، أما باقى السمات فقد حصلت على تكرار واحد بنسبة ٤٪ وهى أن الفلسطينيين يعانون ظلم حكامهم، وأنهم حديثو عهد بالنهضة الحديثة، وذلك فى مقابل صفتين إيجابيتين هما أن الفلسطينيين أهل البلاد، وسكان القدس كرام.

رابعا ـ صورة فلسطين :

حصلت صورة فلسطين على ٣٦ تكرارا، وكان من أبرز السمات التى قدمتها كتابات صحف الدراسة أن فلسطين أراض خربة، وأطلال دوارس وحصلت على ١٤ تكرارا بنسبة ٣٨,٨٪. وقد جاء سبع من تكرارات هذه الفئةفى صحيفة «المقطم» التى كانت تؤيد الاستعمار اليهودى لفلسطين لتحويل قفارها وأراضيها الخربة إلى قرى ومدن حافلة بالحياة والعمران، كما جاء ست من تكرارات هذه الفئة فى كتابات الصهيونيين فى «الأهرام» وتكرار واحد فى جريدة «المؤيد».

أما السمة الثانية فتتلخص فى أن فلسطين كانت وطن اليهود قديما ، وحصلت هذه الفئة على ١٢ تكرارا بنسبة ٣ر٣٣ ٪ ، جاء ٨ تكرارات منها فى « المقطم »، و ٤ تكرارات فى « الأهرام »، وقد وصفت هذه التكرارات وطن اليهود القديم بأنه كان خصبا ومزدهرا، وأنه كان مزدحما بالسكان، وذلك فى مقابل الفئة الاولى التى وصفت فلسطين بأنها اصبحت أراض خربة فى ظل الوجود العربى بعد ان رحل اليهود عنها.

وجاءت فئة اخرى تذكر فى المركز الثالث واشتملت على بعض السمات التى سجلت تكرارات بسيطة بلغ عددها نحو ١٠ تكرارات بنسبة ٢٧٫٨ ٪ ، ووصفت فلسطين بأنها لاشعب فيها (٣ تكرارات) لابراز حاجتها الى المهاجرين اليهود الذين لن يمثلوا اى عبء عليها، وأنها اصبحت جنة فيحاء بفضل المهاجرين اليهود (٣ تكرارات)، وأنها وطن العرب واليهود المشترك (تكراران)، وانها مهددة باحتلال أجنبى (تكراران).

من العرض السابق يتضح لنا أن صحف الدراسة لم تفطن إلى أهمية الصورة التى كان يجرى تشكيلها فى أذهان قرائها من خلال ما كانت تنشره عن اليهود والصهيونية وفلسطين والفلسطينيين، كما أنها لم تفطن أيضا إلى تأثير هذه الصورة وخطورتها على عملية صنع القرار فى المدى البعيد.

ومن المؤسف أنه جرى توظيف الصحافة المصرية عن غير قصد فى تكوين صورة إيجابية عن اليهود الصهيونيين الذى جاؤوا إلى فلسطين لانتزاعها من أيدى أصحابها، وقد تم ذلك على حساب صورة فلسطين والفلسطينيين التى جرى إهمالها وتشويهها، وهو ما كان يقدم أفضل خدمة للدعاية الصهيونية.

ولا شك فى أن ما ردده كتاب صحف الدراسة من الجانب العربى الذين كان معظمهم من قادة الرأى، ومن المشاركين فى صنع القرار السياسى يعكس الصورة المنطبعة فى أذهانهم عن اليهود وعن الصهيونيين وعن فلسطين والفلسطينيين، تلك الصورة التى كان للصحافة بدورها نصيب كبير فى تشكيلها، والتى استقت معالمها من الصحافة ووكالات الأنباء الأوروبية التى كانت تعكس وجهة النظر الصهيونية.

هوامش الفصل السادس

(١) علي عجوة: العلاقات العامة والصورة الذهنية، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٣ ص١٠.

(٢) راجية أحمد قنديل، صورة إسرائيل في الصحافة المصرية أعوام ٧٢، ٣٤، ١٩٧٨ رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الإعلام بجامعة القاهرة عام ١٩٨١ ص ٥١-٥٤.

(٣) المصدر السابق ص٥٦.

(٤) و(٥) علي عجوة مرجع سابق ص٩٢.

(٦) راجية أحمد قنديل: المصدر السابق ص٩٥.

(★) انظر ملحق رقم (٨) و ملحق رقم (٩).

(٧) الأهرام في ١٨ أكتوبر ١٨٩٧، وفي ٢٩ ابريل ١٨٩٩.

(٨) المقطم في ٢٣ أكتوبر ١٨٩٧ العدد ٢٦١١ ص١.

(٩) الأهرام في ٣١ أكتوبر ١٩٠٣ العدد ٧٧٣٥ ص١.

وفي ٢٩ أبريل ١٨٨٩ العدد ٦٤١٥ ص١.

(١٠) المؤيد في ١٨ يوليو ١٨٨٩ العدد ٢٨١٥، ص٢.

(١١) المصدر السابق في ١٣ ديسمبر ١٩٠٤ العدد ٤٤٣٨ ص١.

(١٢) المصدر السابق في ١٧ نوفمبر ١٩١٠

(١٣) المقطم في ١٢ يناير ١٩٠٥ العدد ٤٨٠٢ ص٥.

(١٤) المصدر السابق فى ٣١ يناير ١٩١٢

(١٥) الأهرام فى ٢٢ أغسطس ١٩١٣ العدد ١٠٧٨٦ ص٢.

(١٦) المصدر السابق فى ١٠ يوليو ١٩٠٩ العدد ٩٥٢٠ ص١.

(١٧) المؤيد فى ٦ نوفمبر ١٩٠٤ العدد ٤٤٠٨ ص١.

(١٨) المصدر السابق فى ١٩ نوفمبر ١٩١٠ العدد ٢٦١٨ ص٥.

(١٩) المقطم فى ٢٣ اكتوبر ١٨٩٧ العدد ٢٦١١ ص١.

(٢٠) المصدر السابق فى ٢١ يونية ١٩٠٤.

(٢١) المؤيد فى ١٥ أكتوبر ١٨٩٩ العدد ٢٨٨٢ ص٢.

(٢٢) المصدرالسابق فى ١٣ ديسمبر ١٩٠٤ العدد ٤٤٨٣ ص١.

(٢٣) المقطم فى٣١ يناير ١٩١٢ العدد ٦٤٩٣ ص١.

(٢٤) المصدر السابق فى١٠ ابريل ١٩١٤ العدد ٧٦١٢ ص١.

(٢٥) المصدر السابق فى ١٤ ابريل ١٩١٤ العدد ٧٦١٦ ص١.

(٢٦) المصدر السابق ٢٧ مايو ١٩١٤ العدد ٧٦٥٢ ص١.

(٢٧) المصدر السابق ٢٩ مايو ١٩١٤ العدد ٧٦٥٤ ص١.

(٢٨) اللواء فى ٢٤ يوليو ١٩٠٧ العدد ٢٣٩٧ ص١.

(٢٩) المصدر السابق فى ٢٠ اغسطس ١٩٠٧ العدد ٢٤٢٠ ص١.

(٣٠) الأهرام فى ٥ يوليو ١٩١٢ العدد ١٠٧٤٥ ص١.

(٣١) المصدر السابق فى ٢٠ فبراير ١٩١٣ العدد ١٠٦٣٢ ص١.

(٣٢) المصدر السابق فى ١٨ فبراير ١٩١٣العدد ١٠٦٣٠ص١.

(٣٣) المؤيد فى ٢ اغسطس ١٨٩٩ص١.

(٣٤) المقطم فى ٢٣ فبراير ١٩٠٣ العدد ٤٣٠٠ ص١.

(٣٥) الأهرام فى ١٤ فبراير ١٩١٣ العدد ١٠٦٢١ ص١.

(٣٦) المصدر السابق في ١٩ نوفمبر ١٩٠٦ العدد ٨٧١٦ «اليهود والشعوب» ص١.

(٣٧) المقطم فى ١٢ يناير ١٩٠٥ العدد ٤٨٠٢ ص٥.

(٣٨) المصدر السابق في ٣١ يناير ١٩٠٥ العدد ٤٨١٠ ص١.

(٣٩) الأهرام في ٢٢ اغسطس ١٩١٣ العدد ١٠٧٨٦ ص٢.

(٤٠) المصدر السابق في ٥ يوليو ١٩١٣ العدد ١٠٧٤٥ ص١.

(٤١) المؤيد فى ٢١ نوفمبر ١٩١٠.

(٤٢) المصدر السابق فى ٢ اغسطس ١٨٩٩.

(٤٣) الأهرام فى ١٧ ديسمبر ١٨٩٨ العدد ٦٣٠٦ ص١.

(٤٤) المصدر السابق فى ٢٩ ابريل ١٨٩٩ العدد ٦٤١٥ ص١.

(٤٥) المؤيد فى ٢ اغسطس ١٨٩٩.

(٤٦) المصدر السابق فى ١١ اغسطس ١٩١٠.

(٤٧) المقطم فى ٦ مايو ١٩١٤ العدد ٧٦٣٤ ص١.

(٤٨) المصدر السابق فى٢٩ مايو ١٩١٤ العدد ٧٦٥٤ ص١.

(٤٩) المصدر السابق فى ٣١ يناير ١٩١٢ العدد ٦٩٤٣ ص١.

(٥٠) الأهرام فى ٢٥ يوليو ١٩١٣ العدد ١١٠٧٢ ص٥.

(★) اتهم اليهود بأنهم يذبحون أولاد النصارى ليمزجوا بدمائهم فطير عيد الفصح، وقد جلبت عليهم هذه التهمة الاعتداءات كلما اختفى طفل من أطفال النصارى.

(٥١) اللواء في ١٥ اغسطس ١٩٠٧ العدد ٢٤١٦ ص٢.

(٥٢) المصدر السابق في ١٥ و٢٠ اغسطس ١٩٠٧.

والجريدة في ٢٨ مارس ١٩٠٧.

(٥٣) الأهرام في ٢٥ يولية ١٩٠١ وفي ١٢ اغسطس ١٩١١ وفي ٨ مارس ١٩١١.

(٥٤) المقطم في ٢٣ فبراير ١٩٠٩.

(٥٥) المصدر السابق نفسه.

(٥٦) المصدر السابق في ٢٣ نوفمبر ١٨٩٨ العدد ٢٩٣٩ «أخبار بريد أوروبا» ص١.

(٥٧) المصدر السابق في ٢٤ يونيو و١٢ يوليو ١٩٠١ العددان ٣٧١٩ و٣٧٣٥.

الخـــاتمة

الخاتمة

سعت هذه الدراسة إلى الإجابة عن مجموعة من التساؤلات التى استهدفت اكتشاف مدى إدراك الصحافة المصرية لوجود الحركة الصهيونية، ومدى وعيها بأهدافها، ثم التعرف على موقفها منها، وذلك خلال واحدة من أخطر المراحل فى تاريخ هذه الحركة، وفى تاريخ القضية الفلسطينية أيضا، وهى المرحلة التى تبدأ فى اغسطس عام ١٨٩٧ بانعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة «بال» بسويسرا - ذلك المؤتمر الذى وضع برنامج الحركة الصهيونية، الذى ينص على إنشاء وطن لليهود (فى فلسطين)، ويحدد السبل المؤدية إلى ذلك - وتنتهى فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ بصدور وعد بلفور الذى تعهدت بريطانيا بمقتضاه بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين.

وترجع خطورة هذه المرحلة أولا: إلى نجاح الصهيونيين فى كسب تأييد إحدى القوى العظمى فى ذلك الوقت لأمانيهم - وهى بريطانيا - وتعهدها بتحقيقها، ثم إلى أن هذه المرحلة كانت بمثابة حجر الأساس الذى أقيم عليه البنيان فيما بعد.

وقد كشفت هذه الدراسة عن أن الصحافة المصرية كانت على علم بوجود الحركة الصهيونية، وعلى علم بنشاطها منذ بدايته، فقد كتبت اثنتان من صحف الدراسة، ومن كبريات الصحف المصرية فى ذلك الوقت، وهما «المقطم» و«الأهرام»، عن المؤتمرات الصهيونية التى كان يعقدها اليهود فى أوروبا، فكتبت الأولى عن المؤتمر الصهيونى العالمى الأول عام ١٨٩٧، فى حين كتبت الثانية عن المؤتمر الصهيونى الثانى عام ١٨٩٨، كما أمكن حصر ١٨١ خبرا، و١٥٩ مقالا، و٢٤ رسالة للقراء، وحديثين صحفيين بإجمالى ٣٦١ موضوعا فى عينة صحف الدراسة، تناولت المسألة الصهيونية وفلسطين.

وقد يرى البعض أن هذا الكم من المضوعات ضئيل بالنسبة لطول فترة الدراسة، وعدد الصحف المتضمنة فيها، وبالتالى فإن قلة عدد الموضوعات يمكن أن يكون مؤشرا على عدم الاهتمام، ولكن الاعتماد على لغة الأرقام فى هذه الناحية لن يعطى مؤشرات دقيقة لعدة اعتبارات منها:

١ ـ أن صحف الدراسة لم تغط فترة الدراسة كاملة، ففى حين استمرت صحيفتا «الأهرام» و«المقطم» فى الصدور طوال هذه الفترة وما بعدها، توقف «المؤيد» عن الصدور فى عام ١٩١٥، وبالنسبة لصحيفة «اللواء» فقد صدرت فى عام ١٩٠٠ وتوقفت عام ١٩١٢، أما صحيفة «الجريدة» فقد صدرت عام ١٩٠٧ وتوقفت عام ١٩١٥، كذلك فإن صحيفة «الأهالى» صدرت عام ١٩١٠، ولكنها واصلت الصدور إلى ما بعد فترة الدراسة.

٢ ـ السياسيات التحريرية لصحف الدراسة: فقد صدرت بعض هذه الصحف ومنها «اللواء» و«المؤيد» و«الجريدة» فى الأساس لخدمة القضية المصرية، وقد مرت هذه القضية خلال فترة الدراسة بتطورات متلاحقة استحوذت على اهتمام هذه الصحف تماما، فضلا عن اهتمام الصحف المصرية بأخبار الدولة العثمانية وقضاياها، وكانت هذه الفترة حافلة بالأحداث بالنسبة للدولة العثمانية، ولذلك استحوذت على جانب كبير من اهتمام الصحافة المصرية، وبالتالى على جانب كبير من مساحتها، ثم كانت هناك أيضا القضايا الدولية وغيرها من الشؤون التى كانت تشغل جانبا كبيرا من مساحة هذه الصحف.

وعلى الرغم من أن صحيفتى «المؤيد» و«اللواء» كانتا من أنصار الجامعة الإسلامية، وكان ذلك يقتضى منهما الاهتمام بفلسطين باعتبارها جزءا من السلطنة العثمانية، إلا أنهما لم تفعلا ذلك، فعلى

الرغم من أن على يوسف كان من أنصار فكرة الجامعة العربية، إلا أنه انحاز إلى الإنجليز، كما أن صحيفة «اللواء» تخلت عن فكرة الجامعة الإسلامية، وابتعد أصحابها عن الفكرة العربية بسبب تشجيع الإنجليز لها، وتبنت فى مقابل ذلك فكرة القومية المصرية.

وفيما يتعلق بصحيفة «الأهالى» فقد صدرت أساسا لمحاربة التعصب بين المسلمين والمسيحيين فى مصر، وكان تعرضها للحركة الصهيونية ربما يجعلها عرضة للاتهام بالتعصب ضد اليهود.

٣ ـ تقييد حرية الصحافة فى مصر من جانب السلطات العثمانية، وسلطات الاحتلال البريطانى، ووقوع أصحاب الصحف فى مأزق الارتباط بالقوى السياسية التى كانت تسير الأمور فى مصر، ونجاح هذه القوى فى إخضاعهم لرغباتها، فضاعت موضوعية بعض الصحفيين تحت ضغوط مصالحهم الخاصة أيضا.

٤ ـ حساسية مناقشة المسألة الصهيونية بسبب وجود طائفة يهودية فى مصر تسيطر على الاقتصاد المصرى وبالتالى على الإعلانات من ناحية، ثم ارتباط الشخصيات البارزة من أبناء هذه الطائفة بالسلطات الحاكمة، وبعض الشخصيات المصرية البارزة فى المجتمع المصرى من ناحية ثانية، ثم الضغوط التى كان يمارسها بعض اليهود المصريين ممن انضموا إلى الحركة الصهيونية على أصحاب الصحف، وعلى بعض الكتاب الذى كانوا يتعرضون لمناقشة الخطر الصهيونى على فلسطين.

٥ ـ كان ما يزيد على ٢٥٪ من مساحة صحف الدراسة مخصصا للإعلانات. فقد كانت الصفحة الأخيرة فى صحف الدراسة مخصصة بكاملها للإعلانات، بالإضافة إلى بعض الإعلانات المتناثرة على

الصحفات الداخلية، ولذلك فإننا نرى أن النسبة التى احتلتها موضوعات الصهيونية وفلسطين من مساحة صحف الدراسة كانت معقولة، إذا أخذنا فى الاعتبار أنه كانت هناك قضايا مصرية وعثمانية، ومحلية ودولية، ينبغى لهذه الصحف تغطيتها وإعطائها حقها، وبخاصة وأن التوسع الصهيونى فى فلسطين لم يكن قد وصل فى تلك المرحلة إلى درجة الخطورة التى أصبح عليها فيما بعد، وإنما كان واقعه ينذر بالخطر، وهذا هو ما استشعرته صحف الدراسة.

وعلى الرغم من كل هذه الضغوط والقيود، فقط كانت الصحافة المصرية على علم بالنشاط الصهيونى وأهدافه منذ بدايته ـ كما أشرنا آنفا ـ إذ لم تكن الصحافةفى مصر بمعزل عما يدور فى العالم من أحداث، وخصوصا فى أوروبا بالذات، فقد أملت ظروف مصر السياسية على القوى الوطنية متابعة ما يجرى فى بريطانيا وغيرها من الدول الأوروبية ـ وبخاصة فرنسا ـ وذلك للإفادة منها لصالح القضية المصرية، ولهذا كانت الصحافة الأوروبية تحظى باهتمام المصريين، لاستقاء أنبائهم ومعلوماتهم عما يحدث فى أوروبا منها من ناحية، ولكسب تأييدها للقضية المصرية من ناحية اخرى، ومما يؤكد ذلك تلك المساعى التى كان يبذلها الزعيم الوطنى مصطفى كامل فى الدوائر الصحفية والأدبية الأوروبية ـ وبخاصة فى فرنسا ـ لكسبها لصالح القضية المصرية، ويبدو أن مصطفى كامل أدرك نفوذ اليهود فى الصحافة الأوروبية، ولذلك زار تيودور هرتزل زعيم الحركة الصهيونية مرتين كانت إحداهما فى عام ١٨٩٧ ـ قبل انعقاد المؤتمر الصهيونى ـ طالبا مساعدته الصحفية.

وفضلا عن الصحافة الأوروبية، اعتمدت الصحافة المصرية على وكالتى رويتر وهافاس فى استقاء أنبائها الخارجية، وكانت الصحافة

الأوروبية واقعة تحت تأثير النفوذ اليهودى، كذلك كان مؤسسا رويتر وهافاس من اليهود، وإن يكن مؤسس رويتر قد اعتنق المسيحية فيما بعد، ولكن مع ذلك ظل النفوذ اليهودى متغلغلا فى الوكالتين، ولهذا كانت اخبار الحركة الصهيونية تحظى باهتمامهما .

وقد أتاحت هذه المصادر التى اعتمدت عليها الصحافة المصرية فى استقاء أنبائها الفرصة لها للتعرف على الحركة الصهيونية، ومتابعة نشاطها، وتعريف القراء بأهدافها، ولكن كان الاعتماد على الصحافة الأوروبية ووكالتى رويتر وهافاس فى استقاء أنباء الحركة الصهيونية سلاحا ذا حدين، فقد وقعت الصحافة المصرية دون أن تدرى فى مأزق ما نسميه اليوم «بمشكلة التدفق الإعلامى فى اتجاه واحد»، حيث قامت فى بعض الأحيان بنقل وجهة النظر الصهيونية كما تورطت فى خدمة الأهداف الصهيونية فى أحيان أخرى، فعلى سبيل المثال واظبت الصحافة المصرية على نشر أنباء ما اسمته الحركة الصهيونية باضطهاد اليهود فى أوروبا، وخصوصا قضية دريفوس، التى تم التركيز عليها من جانب الصهيونيين إعلاميا لخلق موجة من التعاطف مع الأمانى الصهيونية، وتأييد مطالبة اليهود بأن يكون لهم وطن مستقل مثل سائر الشعوب، وقد أدى نشر مثل هذه الأخبار فى الصحافة المصرية إلى خلق موجة من الاهتمام بين القراء بقضية دريفوس، حتى إن صحيفة «المؤيد» قامت بنشر وقائع جلسات القضية نزولا على رغبة القراء - عل حد قولها - ولكنها توقفت فجأة عن نشر تفاصيل الجلسات دون إبداء الأسباب..

من ناحية أخرى كشفت الدراسة عن أن الأخبار التى نشرتها صحيفتا «المقطم» و«المؤيد» عن الاعتداءات التى كانت تقع فى أوروبا بين اليهود ومواطنيهم، وعن قضية دريفوس، فاقت ما نشرته

الصحيفتان عن أخبار الحركة الصهيونية وأطماعها فى فلسطين، وقد أدى ذلك إلى وقوع هاتين الصحيفتين فى مأزق، ففى الوقت الذى كانت تنشران فيه أخبارا عن المذابح التى يتعرض لها اليهود، كان من الصعب عليهما اتخاذ موقف معاد لهجرتهم إلى فلسطين لدوافع إنسانية من ناحية، ثم خشية الاتهام بمعاداة السامية من ناحية أخرى، وربما لذلك السبب ـ ولأسباب أخرى بالتأكيد ـ امتنعت الصحيفتان عن اتخاذ موقف، وتركتا للكتاب من خارجها التعبير عن مواقفهم ـ كما سنرى فيما بعد.

وفى الوقت الذى أبرزت فيه الصحافة الأوروبية ووكالتا رويتر وهافاس أخبار اضطهاد اليهود، وقضية دريفوس، جرى التعتيم على الانتشار السرطانى للاستيطان اليهوى فى فلسطين، وعلى معاناة الفلسطينيين من جراء مهاجرة اليهود إلى بلادهم، وكان ذلك أحد نتائج مشكلة التدفق الإعلامى فى اتجاه واحد من الشمال إلى الجنوب، بسبب احتكار وكالتى رويتر وهافاس لجمع الأخبار وتوزيعها.

وقد أمكن التمييز خلال فترة الدراسة بين مرحلتين: مرحلة تمتد بين عامى ١٨٩٧ وعام ١٩٠٨، ومرحلة تقع بين عامى ١٩٠٩ و١٩١٧، وقد تميزت المرحلة الأولى بقلة ما نشر فى صحف الدراسة عن الحركة الصهيونية بسبب القيود والضغوط التى أشرنا إليها آنفا، وربما بسبب وجود السلطان عبدالحميد على رأس السلطة فى الأستانة، واطمئنان الجميع إلى سياسته الرافضة للأطماع الصهيونية فى فلسطين..

وفيما يتعلق بالحركة الصهيونية، اعتمدت الصحافة المصرية فى تغطيتها لنشاطها فى هذه المرحلة على الخبر، وكان ذلك يتناسب مع

الظروف السياسية والقيود الصحفية السائدة، كما كان يتناسب مع طبيعة الصهيونية كحركة جديدة غير معروفة، بحاجة إلى تعريف القراء بها، ولهذا قامت الصحافة المصرية فى هذه المرحلة بوظيفة الإخبار أو الإعلام بالنسبة لهذه الحركة، فكان عدد الأخبار المنشورة فى صحف الدراسة في هذه المرحلة حوالى ٦٩ خبرا، فى حين بلغ عدد المقالات نحو ٢٦ مقالة..

وفى المرحلة الثانية تغيرت الظروف إلى حد كبير، فقد أعلن الدستور العثمانى فى عام ١٩٠٨، وبعد ذلك تمت الإطاحة بالسلطان عبدالحميد واستولى حزب الاتحاد والترقى على السلطة عام ١٩٠٩ ، الأمر الذى اتاح هامشا أكبر من الحرية سواء بالنسبة للصحافة العربية بصفة عامة، أو بالنسبة للعمل الصهيونى فى فلسطين، فقد كانت الإطاحة بالسلطان عبدالحميد بمثابة إزالة عقبة كأداء من طريق الصهيونية.

وفى مصر كانت قد تمت الإطاحة باللورد كرومر منذ عام ١٩٠٧، وجيء باللورد جورست، الذى اتبع سياسة التهدئة، وتوسع فى تطبيق أسلوب محاربة الصحافة بالصحافة، كما أن بريطانيا شجعت الاتجاهات المعادية للدولة العثمانية، فرحبت بالسوريين الفارين من بطش الحكم التركى، والمعادين لسياسة التتريك التى بدأ الاتحاديون فى تطبيقها، وقد شجع هذا المناخ الصحافة المصرية على الانتقال من مرحلة الإخبار إلى مرحلةإبداء الرأى فيما يتعلق بالأطماع الصهيونية فى فلسطين، خصوصا بعد أن تكشفت علاقات التواطؤ بين الاتحاديين والصهيونيين فيما يتعلق بفلسطين، ولذلك يمكن القول بأن المقال تفوق على الخبر فى هذه المرحلة، فقد قفز عدد المقالات من ٢٦ مقالة فى المرحلة الأولى إلى ١٣٩ مقالة فى المرحلة الثانية، وذلك فى

مقابل ١١٢ خبرا، فى حين انفردت «المقطم بنشر حديثين فقط مع اثنين من الزعماء الصهيونيين.

وقد كشفت هذه الدراسة عن أن صحف الشاميين كانت أكثر اهتماما من صحف المصريين بالحركة الصهيونية وأهدافها، فبينما صدرت صحف المصريين أساسا لخدمة مصلحتهم الأساسية المتمثلة فى تحقيق الجلاء والاستقلال، نجد أن اهتمام الشاميين بفلسطين والأطماع الصهيونية كان نابعا أيضا من أنهم أصحاب مصلحة حقيقة، فقد كانت فلسطين جزءا من سوريا، أو من بلاد الشام كما كان يطلق عليها فى ذلك الوقت، ولهذا فقد اختص السوريون والفلسطينيون - سواء المقيمون منهم فى مصر أو فى سوريا - صحف الشاميين برسائلهم ومقالاتهم وشكاياتهم من الغزو الصهيونى لفلسطين، ولذلك كان إجمالى عدد الموضوعات التى نشرت فى صحف الشاميين وهى «الأهرام» و«المقطم» يفوق عدد الموضوعات التى نشرت فى صحف المصريين، ففى «الأهرام» كان إجمالى عدد الموضوعات خلال فترة الدراسة حوالى ٢٢٦ موضوعا، وفى المقطم ٧٥ موضوعا أما فى صحف المصريين: المؤيد ١٧ موضوعا، واللواء ٢٦ موضوعا، والجريدة ٨ موضوعات، والأهالى ٢٠ موضوعا (يلاحظ أنه لم يتم العثور على المجموعات الكاملة للمقطم واللواء والمؤيد كما حدث بالنسبة للأهرام ، ولكن مع ذلك تبين أن « الأهرام » كانت اكثرهم اهتماما من خلال متابعة سنوات معينة توفرت فيها مجلدات هذه الصحف).

ولقد كانت بعض صحف الشاميين فى مصر فى وضع يمكنها من مناقشة موضوع الصهيونية وفلسطين سواء فى مواجهة السلطات العثمانية، أو السلطات البريطانية وذلك بسبب حصولها على الحماية

الأجنبية، ففي حين كانت «الأهرام» حماية فرنسية، كانت «المقطم» تتمتع بالحماية البريطانية، ولذلك كانت «المقطم» أقل حرية من «الأهرام» فى اتخاذ موقف معارض للأطماع الصهيونية فى فلسطين، بسبب ارتباط الأولى ببريطانيا، التى كانت تسعى إلى إيجاد حل للمسألة اليهودية على حساب أى شعب آخر، ولو كان الشعب الفلسطيني، ويسبب العلاقات التى كانت تربط بين أصحابها وبعض الشخصيات البارزة فى الطائفة اليهودية بمصر، كما اتضح من هذه الدراسة .

ومع ذلك فإن «الأهرام» لم تتمتع بحرية مطلقة فى مناقشة المسألة الصهيونية، وإنما اتضح أنها كانت تذعن للضغوط التى كانت تمارس عليها فى بعض الأحيان، كما أنها كانت تتحاشى هى ومعظم الصحف الصادرة فى تلك الفترة التورط فى مناقشة الأطماع الصهيونية فى فلسطين، ولذلك كثيرا ما كانت هذه الصحف تجد مخرجا من هذا المأزق بترك هذه المهمة للكتاب من خارجها، بدعوى الرغبة فى إجلاء الغموض الذى يحيط بالمسألة الصهيونية التى يزداد حولها الجدل.

أما صحف المصريين وهى «المؤيد» و«اللواء» و«الجريدة» و«الأهالى»، فقد كشفت الدراسة كما رأينا ـ أنها كانت أقل اهتماما بالمسألة الصهيونية للأسباب التى ذكرناها آنفا، وقد كان ذلك دليلا على قصر النظر، وغياب النظرة المستقبلية والشمولية فيما يتعلق بالأمن القومى المصرى على الأقل فى هذه المرحلة، التى لم تكن قد ازدهرت فيها فكرة الجامعة العربية أو القومية العربية كما أطلق عليهافيما بعد، ومن هذا المنطلق سنجد أن جميع الكتاب الذين كتبوا فى موضوع الصهيونية وفلسطين كانوا من الشاميين وليسوا من

المصريين،بوصفهم أصحاب مصلحة حقيقية، وبوصفهم أكثر علما واطلاعا على الأحوال فى فلسطين.

وفضلا عن ذلك كان هؤلاء الكتاب الشاميين من ذوى المكانة فى الحياة السياسية والأدبية العربية، كما كان بعضهم من أصحاب الصحف أو من المشتغلين بالعمل الصحفى، أو من قادة الرأى ومن المشاركين فى صنع القرار أمثال: الأمير شكيب أرسلان، وأمين أرسلان، وحقى العظم، وشبلى شميل، وإبراهيم سليم نجار، وكامل مدور، وداود العيسى، وبشارة تقلا، وأنطون الجميل وغيرهم.

وفيما عدا الكتاب الشاميين، دخل الكتاب الصهيونيون أيضا مجال الكتابة فى موضوع الصهيونية وفلسطين، وقد مكنت أوضاع الصحافة المصرية وأوضاع اليهود فى المجتمع المصرى الحركة الصهيونية من اختراق العقل المصرى وتضليله فى ذلك الوقت ببث بعض الأفكار الكاذبة والمضللة فيما يتعلق بأهداف الصهيونية فى فلسطين.

وقد نجحت الحركة الصهيونية فى تجنيد بعض اليهود المقيمين فى مصر من المتمكنين من اللغة العربية، ومن ذوى الميول الأدبية والصحفية لتتبع ما ينشر فى الصحافة المصرية عن الصهيونية وتقويمه والرد عليه، بالإضافة إلى الكتابة فى الصحف المصرية بدعوى تنوير المصريين فيما يتعلق بالحركة الصهيونية، وقد أتاح لهؤلاء الكتاب الصهيونيين النجاح فى مهمتهم أنهم كانوا على اتصال وثيق ببعض أصحاب الصحف ومديريها، كما كانت تربطهم علاقات طيبة ببعض الشخصيات البارزة فى المجتمع المصرى، وفى أوساط السوريين المقيمين فى مصر.

من ناحية أخرى استطاع هؤلاء الكتاب استغلال بعض مواد قانون المطبوعات المصرى، ومنها حق الرد، كما استغلوا قيام بعض الصحف بفتح الباب لمناقشة المسألة الصهيونية، فاستخدموا بعض الصحف المصرية كمنابر لهم لبث دعاياتهم، فى وقت لم يكن يصدر لهم فى مصر صحف ناطقة باللغة العربية توزع على نطاق واسع، ولذلك فإن عدد المقالات التى كتبها الصهيونيون عن المسألة الصهيونية وفلسطين فاق عدد المقالات التى كتبها الشاميون، فبينما كان عدد مقالات الشاميين حوالى ٤٢ مقالة بنسبة حوالى ٣٥٪، كان عدد مقالات الصهيونيين حوالى ٧٧ مقالة بنسبة ٦٥٪، وفى حين كان عدد الكتاب الشاميين الذى خاضوا هذا الموضوع فى صحف الدراسة نحو ٢١ كاتبا من خارج صحف الدراسة، كان عدد الكتاب الصهيونيين حوالى ٤١ كاتبا - اى حوالى ضعف الكتاب العرب تقريبا..

وقد استخدم الكتاب الصهيونيون بعض التكتيكات فى سعيهم لإسكات الأصوات المعارضة، منها إمطار أى كاتب عربى يتصدى لموضوع الصهيونية بوابل من المقالات وفى صحف متعددة، بحيث لا يتمكن ذلك الكاتب بمفرده من ملاحقة ما يكتب ضده والرد عليه، فيضطر إلى اللجوء إلى الصمت. كذلك فقد اتبع الكتاب الصهيونيون أيضا أسلوب المبادرة إلى توجيه الاتهامات إلى الكتاب العرب والتشكيك فى نواياهم فاتهموهم بقلة الإطلاع، وقلب الحقائق، وتحريف الأشياء، والسعى إلى تحقيق مآرب خاصة من وراء إقحام أنفسهم فى هذا الموضوع.

وقد نجح هذا الأسلوب فى إسكات بعضهم، وفى تعديل بعضهم الآخر لمواقفهم، أو توضيح وجهة نظرهم بما يرضى الصهيونيين، وقد

حدث هذا مع صحيفة «الأهرام» ومع الأمير شكيب أرسلان، وإبراهيم سليم نجار وغيرهم.

ونجح الصهيونيون أيضا فى استقطاب بعض الكتاب الفلسطينيين إلى جانبهم، وكان سليم قبعين الذى عمل وكيلا «للمؤيد» فى سوريا، وعمل مدرسا للغة العربية فى مدرسة الاتحاد الاسرائيلى بمصر عام ١٩٠٥ أحد هؤلاء الكتاب، فقد كان الفلسطينى الوحيد فى صحف الدراسة الذى تصدى للكتاب الفلسطينيين الذين عارضوا الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وكتب مؤيدا الهجرة، ومشيدا بالاستيطان الإسرائيلى لبلاده..

وهكذا نجد أنه بينما كان الكتاب الصهيونيين يعملون كفريق واحد فى التصدى للدعاية المضادة، نجد الكتاب العرب يكتبون منفردين، ودون أن تكون هناك هيئة توجههم، أو رؤية مشتركة تجمعهم، ولذلك تضاربت آراؤهم واختلفوا بين مؤيد ومعارض، وكان لذلك انعكاساته السيئة على الجمهور الذى اختلطت عليه الأمور، ويبدو أنه آثر الانتظار إلى أن تتضح الرؤية أمامه.

وعلى أية حال فقد كانت الرؤية واضحة أمام الصحافة المصرية فيما يتعلق بأهداف الحركة الصهيونية منذ بداية نشاطها، إذ أجمعت صحف الدراسة على أن الهدف الحقيقى للصهيونية هو إنشاء دولة يهودية مستقلة فى فلسطين، وكانت السبل التى سلكتها الحركة الصهيونية إلى تحقيق هذا الهدف واضحة أيضا، فقد حددتها الصحف فى:

أ - تهجير اليهود إلى فلسطين لإحلالهم محل سكانها الفلسطينيين.

ب - الاستيلاء على أراضى فلسطين بالشراء.

وقد كان واضحا أيضا مما نشرته صحف الدراسة أن الهجرة اليهودية إلى فلسطين فى تلك المرحلة المبكرة، كانت فى ازدياد مستمر، وأنها أصبحت تشكل تهديدا للمصالح الفلسطينية والعثمانية، ولذلك انهمكت صحف الدراسة فى مناقشة مزايا الهجرة اليهودية إلى فلسطين وأضرارها.

وقد تلخصت مزايا الهجرةاليهودية إلى فلسطين - كما حددها كتاب صحف الدراسة - فى زيادة دخل الفلسطينيين من بيع أراضيهم، وبيع محصولاتهم ودواجنهم لليهود، وفى زيادة أسعارالأراضى، وارتفاع أجر الفلاح الفلسطينى، وإيجاد فرص عمل له فى مستعمرات الإسرائيليين، وتعلم الفلسطينيين فنون الزراعة الحديثه والصناعة والتجارة والحرف من المهاجرين اليهود، بالإضافة إلى ازدياد العمران فى فلسطين، والنهوض بها، بإدخال دم جديد إلى البلاد ممثلا فى العنصر اليهودى النشط - رسول المدنية الغربية الحديثة إلى الشرق - بما يحمله من مال وعلم وعبقرية.

أما بالنسبة للمزايا التى ستعود على الدولةالعثمانية من هجرة اليهود فقد تمثلت فى إسهام المهاجرين فى تمويل خزانة الدولة، وزيادة حصيلتها من الرسوم والجمارك والضرائب التى سيدفعونها على ممارسة نشاطهم المتزايد، ومن إسهامهم فى زيادة عمران البلاد وذلك بزيادة عدد سكانها.

وفضلا عن ذلك فقد أوضح بعض الصهيونيين أن المهاجرين اليهود سوف يسهمون أيضا فى الحفاظ على أمن السلطنة، حيث سيشكلون فى فلسطين منطقة عازلة أمام المد القومى العربى المتنامى، وخصوصا فى الجزيرة العربية التى كانت مصدرا للثورات فى ذلك الوقت، بالإضافة إلى أنهم سيقدمون للدولة العثمانية خدمات مادية

ومعنوية ممثلة فى القروض وفى التبرعات، وفى الخدمات التى سيقدمونها لها فى الصحافة الغربية مقابل عطفها على الأمانى الصهيونية.

وفى مقابل هذه الأفكار التى تنم عن غفلة وعن جهل شديدين من جانب بعض الكتاب العرب، والتى تدل على ما كان يمارسه الصهيونيون من تضليل للعقلية العربية، كان هناك بعض الكتاب الذين تميزوا ببعد النظر، فأدركوا الأضرار السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى ستعود على الطرفين الفلسطينى والعثمانى على المدى البعيد.

وقد احتلت الأضرار السياسية المرتبة الأولى فى اهتمام هؤلاء الكتاب (حيث حصلت على ٤١,٥٪ من التكرارات)، فقد وجدوا أن ازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين يهدد بتشتيت الفلسطينيين مثل اليهود، أو القضاء عليهم كالهنود الحمر، كما أن زيادة عدد اليهود فى فلسطين سوف يمكنهم من وضع يدهم على السلطة فى البلاد حينما يصبحون أغلبية، وهنا يكمن الخطر الأكبر إذ لا يستبعد أن يطلب الإسرائيليون الاستقلال بالبلاد وإرجاعها إليهم كما كانت فى الأعصر الخالية.

كذلك أوضح هؤلاء الكتاب أن المستعمرات اليهودية فى فلسطين أصبحت بالفعل تمثل دولة داخل الدولة من حيث استقلالها الإدارى، واضطلاعها بمسئولية الأمن بعيدا عن سلطة الدولة، خصوصا وأنه أصبحت لهم طوابعهم البريدية وعلمهم، ومحاكمهم الخاصة، الأمر الذى سيؤدى حتما إلى تقلص سلطة الدولة العثمانية على هذا القطر العزيز، ويهدد بخلق مسألة يهودية تضاف إلى المشكلات القومية التى كانت السلطنة تعانى منها بالفعل، كالمشكلة الأرمنية ومشكلة البوسنة والهرسك.

أما الأضرار الاقتصادية للهجرة اليهودية فقد جاءت فى المركز الثانى (وحصلت على ٤١٪ من التكرارات) وتمثلت فى سيطرة اليهود على عنق فلسطين اقتصاديا، وفى أن الهجرة ستؤدى إلى فقدان الفلسطينيين لأراضيهم، وفى أنها ستعود عليهم بالضعف والخراب وتعطيل الأعمال بسبب مزاحمة اليهود لهم فى أعمالهم، وقصرهم المنفعة على الإسرائيليين. وفضلا عن ذلك كان واضحا لصحف الدراسة خطورة سيطرة اليهودعلى فلسطين اقتصاديا، لأن السيطرة الاقتصادية ستؤدى حتما إلى السيطرة السياسية.

وقد جاءت الأضرار الاجتماعية فى المرتبة الأخيرة (وحصلت على ٨٪ من التكرارات) ودارت حول اضرارالیهود بأخلاق مجاوريهم من الفلسطينيين وتعليمهم معاقرة الخمر، وإقامة علاقات غير شرعية مع فتياتهم، بالإضافة إلى عدم قدرة الفلسطينيين على مجاراة الشعب الإسرائيلى بسبب اقتداره المالى والعلمى.

أما الأضرار الأخرى فقد حصلت على ٩,٥٪ من التكرارات.

وعلى الرغم من أن مزايا الهجرة فازت بتكرارات أعلى من أضرارها بسبب دخول الصهيونيين ميدان الكتابة فى هذا المجال، إلا أنه بدا واضحا أن أضرار الهجرة كانت قاتلة، ولهذا بدأت بعض صحف الدراسة فى تحديد مواقفها من الهجرة اليهودية.

فصحيفة «الأهرام» أيدت الهجرة اليهودية للاستفادة من مزاياها، ولكنها ربطت هذا التأييد بشرطين أولهما: أن يجعل اليهود هدفهم استعمار تركيا لا استعمار فلسطين، حتى لا تدفعهم كثرتهم العددية يوما ما إلى السعى لاستعادة ملكهم القديم، أما الشرط الثانى فكان ضرورة حصول المهاجرين اليهود على الجنسية العثمانية.

أما صحيفة «المؤيد» فقد مالت إلى رفض الهجرة اليهودية إلى فلسطين بسبب الأضرار المتأتية عنها، ولذا امتنعت عن نشر أية مقالات تؤيد الهجرة كما لم تسمح بنشر مقالات للصهيونيين، فيما عدا مقالا واحدا لنسيم ملول بعنوان «اليهود والتعصب»، كذلك فإن سليم قبعين الذى كتب فى «المقطم» مؤيدا الهجرة اليهودية، لم يجرؤ على البوح بهذا الرأى صراحة فى مقالاته التى نشرها فى «المؤيد»، وإن كان قد ألمح فيها ضمنا إلى مزايا الهجرة اليهودية أثناء حديثه عن مستوطنات الإسرائيليين فى فلسطين، وأثناء مقارنته بين العرب واليهود، وبين القدس القديمة والقدس الحديثة.

وقد التزمت صحيفة «المقطم» الحياد إزاء الهجرة اليهودية، فلم تعلن عن رأيها الخاص فى هذه المسألة، وإن كانت قد فتحت صفحاتها أمام مؤيدى الهجرة ومؤيدى استعمار اليهود لفلسطين ومعارضيها على السواء، كما أن مراسلها فى الإسكندرية أعرب عن تأييده مشروع استيطان اليهود اراضى ما بين النهرين .

ومع ذلك فإن استقراء نتائج التحليل يجعلنا نقول إن الاتجاه العام لصحيفة «المقطم» كان يؤيد الهجرة اليهودية إلى فلسطين، خصوصا إذا أخذنا فى الاعتبار أن حراس البوابة فى أى صحيفة يسمحون بنشر المقالات التى تتفق مع سياسة الجريدة التحريرية، فقد كانت نسبة الكتاب الذين نشروا فى «المقطم» يؤيدون الهجرة اليهودية حوالى ٧٠٪ ونسبة الكتاب الذى عارضوها حوالى ٣٠٪.

أما باقى صحف الدراسة وهى «اللواء» و«الجريدة» و«الأهالى»، فإنها لم تول هذا الموضوع اهتمامها، ولم يكن لها موقف واضح إزاءه.

وقد كشفت الدراسة أيضا أن الصحف الثلاث التى اهتمت بموضوع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وهى «الأهرام» و«المقطم»

و«المؤيد» اهتمت أيضا بكشف الأساليب التى يسلكها الصهيونيون فى إدخال المهاجرين اليهود إلى فلسطين، وفى التحايل على القوانين والفرمانات السلطانية التى تمنع الهجرة وتمنع شراء اليهود للأراضى فى فلسطين، وقد حددت هذه الأساليب فيما يلى:

١ ـ رشوة الحكام وذوى النفوذ فى فلسطين والتواطؤ معهم.

٢ ـ إغراء الفلاحين بالأسعار المرتفعة.

٣ ـ استصدار ملوكهم وسفرائهم - باعتبارهم أجانب ـ الإرادات السنية التى تمكنهم من شراء الأراضى.

٤ ـ استخدام أساليب تتمثل فى القسر والإجبار والتحايل والمكر والخداع فى الاستيلاء على أراضى الفلسطينيين.

ولم تقف صحف الدراسة عند مجرد مناقشة المسألة الصهيونية وأهدافها، أو الحديث عن مزايا الهجرة اليهودية وأضرارها، وإنما سعت بعض هذه الصحف وبعض الكتاب إلى طرح الحلول الكفيلة بالتصدى للخطر الصهيونى. فقد أيدت «الأهرام» الإرادة السنية بمنع تملك الإسرائيليين للأراضى فى فلسطين، كما طالب بعض الكتاب الحكومة العثمانية بمنع بيع الأراضى فى فلسطين منعا باتا، فى حين طالب آخرون بمنع تملك الأجانب للأراضى فى فلسطين، والتدقيق فى عمليات البيع التى تتم، كما طالبوا بمنع الهجرة اليهودية الى فلسطين، وتغيير رجال الشرطة العاملين فى الموانىء الفلسطينية الذى يسهلون دخول المهاجرين إلى البلاد، واستبدالهم بغيرهم ممن عرف عنهم الإخلاص والولاء للدولة.

وطالب بعض الكتاب بتدخل الدولة العثمانية، وبألا تدع رعيتها بدون سند بإزاء الأجانب الهاجمين لاستعمار قطعة من بلادها،

واقترحوا أن تسترشد الحكومة العثمانية بسياسة كرومر فى مصر، وذلك بسن القوانين التى تنص على احتفاظ الفلسطينيين بجزء من أراضيهم، وإنشاء بنك زراعى لإقراض الفلاحين بفوائد مقعولة لحمايتهم من الوقوع فى حبائل الإسرائيليين، كما طالبوا بإلغاء نظام المشاع، والتخفيف عن الفلاحين الذى يضطرون لبيع أراضيهم بسبب فحش الضرائب والعشور.

ووجد بعضهم الحل فى الاهتمام بالتعليم، فدعت «الأهرام» الفلسطينيين إلى نبذ المنافسة المذهبية المنحصرة فى بناء الكنائس والصوامع، والاتجاه إلى بناء المدارس حتى يكونوا على مستوى الإسرائيليين، وناشد بعض الكتاب السلطان العثمانى إنشاء مدرسة صناعية زراعية فى فلسطين لخلق فرص عمل أمام أبناء الفلسطينيين وتمكينهم من مجاراة اليهود.

ولكن السوريين وقد يئسوا من استجابة الحكومة العثمانية لمطالبهم، وبخاصة بعد وصول الاتحاديين إلى السلطة، وتوثيق العلاقات فيما بينهم وبين اليهود بسبب مساعدة الأخيرين لهم فى الثورة ضد السلطان عبدالحميد، وظهور دلائل على وجود تواطؤ فيما بين الصهيونيين والاتحاديين بالنسبة لفلسطين، بالإضافة إلى إدراك بعضهم أنه لم يصبح بمقدور الدولة العثمانية ولا الأهالى التصدى لتيار الهجرة اليهودية الجارف، لكل هذه الأسباب رأى بعض السوريين أن يأخذوا بزمام المبادرة ويقطعوا الطريق على التواطؤ الاتحادى الصهيونى بأن يعقدوا اتفاقا مع الصهيونيين بما يحقق مصالح الطرفين ويصون للفلسطينيين حقوقهم.

وهكذا فإنه قبل أن يقوم الرئيس السادات بمبادرته السلمية تجاه إسرائيل بنحو ما يزيد على ستين عاما، انطلقت من بين أوساط

السوريين المقيمين فى مصر من أعضاء حزب اللامركزية الإدارية دعوة فى عام ١٩١٣ للاتفاق مع الصهيونيين، وقد أيدت صحيفتا «الأهرام» و«المقطم» هذه الدعوة، ولكن كان رد فعل الصهيونيين فى مصر على هذه الدعوة فاترا ومراوغا، فقد كان عقد اتفاق ينص على عدم المساس بالبلاد وبهويتها العربيه سياسيا وإداريا - كما يريد السوريون - يتعارض مع الأهداف الصهيونية، ولذلك لجأوا إلى المماطلة والمراوغة.

وحاول الصهيونيون فى مصر والآستانة الاستفادة من عرض التفاهم بأن سعوا إلى إقناع مقدميه بأن ينصح زعماء الأمة العربية أخوانهم بالتروى والعدول عن معاملة الإسرائيليين بالشدة والعنف، وبأن يسعوا إلى تحقيق تقارب بين العرب والإسرائيليين من خلال الدعاية الخطابية والصحافة العربية، وذلك بتفنيد كل المزاعم التى تنتشر بين العرب حول الاستيطان اليهودى ، والتى تمنع التقارب العربى الإسرائيلى حتى يمكن تهيئة الأجواء للاتفاق..

ولكن سرعان ما أدرك أحد محررى «الأهرام» استحالة التوصل إلى اتفاق بين الصهيونيين والعرب لأن الخلاف بينهما ينحصر فى مسألتين جوهريتين، لا قبل لأى من الطرفين تقديم تنازلات بشأنهما وهما:

١ - الجنسية.

٢ - اللغة.

وقد انتهى الأمر بالتخلى عن فكرة الاتفاق لإعراض الصهيونيين عنها.

وهكذا تشير الحلول المطروحة إلى إدراك الكتاب العرب فى الصحافة المصريةفى ذلك الوقت أن الصراع بين الفلسطينيين

والصهيونيين هو صراع حضارى لن يمكن حله بالقوة، وإنما بجعل الفلسطينيين على نفس المستوى مع الصهيونيين حتى يستطيعوا مجاراتهم والتصدى لهم، وأن ذلك لن يتأتى إلا بنشر التعليم الزراعى والصناعى بين الفلسطنيين، وباقتداء الفلسطينيين باليهود والأخذ عنهم، بل إن بعضهم اقترح تأليف جمعيات مسيحية فى أوروبا على غرار جمعيات الإسرائيليين، تتولى الإشراف على الفلسطنيين ومساعدتهم على تحقيق هذا الهدف، لأنهم لن يكونوا قادرين على تحقيقه بأنفسهم، ولكن نشوب الحرب العالمية الأولى شغل الجميع عن التفكير فى تنفيذ أى من هذه الحلول ، كما أن الصهيونيين هاجموا هذه الفكرة.

وعلى الرغم من أن الصحافة المصرية توصلت إلى النتيجة نفسها بعد نكسة عام ١٩٦٧ - وهى أن الصراع بين العرب وإسرائيل هو صراع حضارى فى الأساس، وأن حله لن يتحقق إلا بأن يكون العرب فى مستوى الإسرائيليين حضاريا فإن العرب لم يتمكنوا طيلة ما يقرب من نحو قرن من تحقيق هذا الهدف، بسبب خضوعهم لنظام دولى تسيطر عليه قوى عظمى تساند الصهيونية، ثم اسرائيل فيما بعد، وعجز الحكام العرب عن التعامل مع هذا النظام بما يحقق مصالح شعوبهم، ولهذا كانت الحلول التى طرحتها الصحافة المصرية غير عملية، لأنها لم تكن قابلة للتنفيذ فى ظل تلك الظروف، ولأن الأخذ بأساليب المدنية والحضارة الحديثة كان يحتاج إلى وقت طويل حتى تظهر نتائجه، وخلال هذا الوقت كان الصهيونيون قادرين على تحقيق أهدافهم.

وقد كشفت هذه الدراسة عن أن الصحافة المصرية وكتابها لم يفطنوا إلى أهمية الصورة الذهنية التى تسهم الصحافة فى تكوينها،

وإلى دور هذه الصورة فى تكوين الاطار النفسى العام الذى يتم فيه اتخاذ القرار، ولذلك انزلق بعض كتاب صحف الدراسة دون أن يدروا إلى المساهمة فى رسم الصورة الذهنية التى تريدها الصهيونية عن اليهودى في أذهان قرائهم من صناع القرار، وراسمى السياسة، وقادة الرأى، والجمهور العادى.

وكانت أبعاد الصورة التى قدمتها صحف الدراسة عن اليهود تتلخص فى أنهم: مقتدرون ماديا، وذوو نفوذ، وأنهم شعب وأمة، وعنصر شرقى، وأنهم أهل علم وفن، مضطهدون، مشتتون. وكانت هذه الصفات كفيلة بإثارة التعاطف معهم من ناحية، وخلق استعداد لقبول هجرتهم إلى فلسطين للاستفادة من مالهم وعلمهم ونشاطهم، خصوصا وأن هذه الصحف قدمت صورة سلبية فى المقابل عن فلسطين والفلسطينيين.

لقد كانت أبعاد صورة الفلسطينى كما قدمتها صحف الدراسة هى أنه جاهل وفقير، وكسول، وضعيف، ومتعصب عرقيا ومذهبيا، أما صورة فلسطين فهى أنها أصبحت أراضى خربة وأطلالا، لا شعب فيها بعد أن كانت تفيض لبنا وعسلا وحافلة بالسكان فى الأعصر الخالية، وكانت هذه الصورة تخدم إلى حد كبير ادعاءات الصهيونية بأن فلسطين أراض خربة لا شعب فيها، فى حين أن اليهود شعب بلا أرض، فإذا عاد هذا الشعب إلى أرض كانت ملكا له، استطاع أن يعيد فلسطين إلى سابق مجدها بعد الخراب الذى لحق بها على أيدى سكانها من العرب والبدو.

ومن ناحية أخرى كشفت الدراسة عن أن عينة الصحف تباينت أيضا فى درجة اهتمامها بموضوع الصهيونية وفلسطين من منظور المساحة التى خصصتها لهذا الموضوع ، وكذلك الموقع وشكل المادة الإعلامية.

ففى صحيفة «الأهرام» بلغ حجم المساحة التى احتلتها موضوعات الصهيونية وفلسطين حوالى ٢,٪ من المساحة الكلية بما فيها مساحة الإعلانات، فى حين كانت النسبة فى «المقطم» ١٤,٪، وفى «المؤيد» ٠٦,٪، وفى «الأهالى» ٠٣,٪، وفى «الجريدة» ٠١,٪.

وقد يرى بعضهم أن هذه النسبة ضئيلة بمنظورنا فى هذه الأيام، ولكننا نعتقد أنها كانت معقولة وملائمة بالنسبةللفترة التى نشرت فيها وذلك للظروف التى أوردناها فى مقدمة هذه الخاتمة.

وإذا كانت فئة المساحة قد تعطى انطباعا بعدم الاهتمام من جانب الصحف بموضوع الدراسة فإن فئة الموقع تجب هذ الاطباع، فقد نشرت «الأهرام» حوالى ٧٠٪ من المادة المتعلقة بالصهيونية وفلسطين على صفحاتها الأولى، فى حين نشرت ٢٨٪ منها على الصحفة الثانية، و٢٪ على الصفحات الداخلية، أما صحيفة «المقطم» فقد نشرت حوالى ٥٣,٥٪ من هذه المادة على الصفحة الأولى، و٤٦,٥٪ على الصفحات الداخلية..

ولم تول صحيفة «المؤيد» موضوعات الصهيونية وفلسطين الدرجة نفسها من الاهتمام التى أولتها إياها «الأهرام» و«المقطم» أو التى أولتها صحيفة «المؤيد» نفسها لأخبار اضطهاد اليهود وقضية دريفوس، فقد نشرت «المؤيد» ٤٦٪ من الموضوعات المتعلقة بالصهيونية وفلسطين على الصفحة الأولى، و٥٤٪ على الصفحات الداخلية، فى حين نشرت ٨٣,٣٪ من الموضوعات المتعلقة باضطهاد اليهود وبقضية دريفوس على الصفحة الأولى، و١٦,٧٪ على الصفحات الداخلية، وكان هذا يتفق مع اتجاه «المؤيد» الذى كان يتحاشى التطرق إلى تلك المسألة الحساسة، ويهتم فى الأساس بالقضية المصرية وأخبار الدولة العثمانية بوصفها صحيفة إسلامية..

أما صحيفة «اللواء» فإنها لم تول موضوعات الصهيونية وفلسطين اهتمامها لا من حيث الكم، ولا من حيث المساحة أو الموقع، فقد بلغت مساحة هذه الموضوعات حوالى ١٠ر٪ من اجمالى المساحة الكلية للجريدة، وبالنسبة للموقع سنجد أنها نشرت ٨٨٪ من موضوعات الصهيونية وفلسطين على الصفحة الثالثة، و٤٪ على كل من الصفحة الأولى، والصفحة الثانية، والصفحة الرابعة..

وبالنسبة لصحيفة «الجريدة»، فعلى الرغم من أنها لم تول اهتمامها لموضوع الصهيونية وفلسطين إلا أنها أولته اهتمامها من زاوية الموقع، فقد نشرت ٦٠٪ من موضوعاتها التى تطرقت إلى هذه المسألة على الصفحة الأولى، فى حين نشرت ٤٠٪ منها على الصفحة الثانية، مما يدل على أن هذه الصحيفة كانت تدرك أهمية هذه المسألة التى لم تكن ضمن اهتماماتها.

ونشرت صحيفة «الأهالى» حوالى ٤٧٪ من مادتها التى تناولت المسألة الصهيونية على صفحتها الأولى، فى حين نشرت ٥٣٪ منها على الصفحات الداخلية..

ومن هذه النسب يتبين أن حوالى ٥٠٪ من صحف الدراسة كانت تدرك أهمية المسألة الصهيونية وخطورتها بالنسبة لفلسطين ولذلك أحلتها الصفحات المهمة من أعدادها فى حين أن النصف الثانى من صحف الدراسة ويشمل «اللواء» و«المؤيد» و«الأهالى» فإنها لم تعط هذا الموضوع اهتمامها من حيث الموقع.

وفيما يتعلق بالفنون الصحفية التى استخدمتها صحف الدراسة لمعالجة هذه المسألة، سنجد أن صحيفة الأهرام» اعتمدت فى المرحلة الأولى (١٨٩٧ ـ ١٩٠٨) على الخبر الذى بلغت نسبته ٩٠٪ من المادة الإعلامية التى تناولت هذا الموضوع، فى حين احتل المقال ٧,٥٪، وبريد القراء٥ر٢٪ .

أما فى الفترة الثانية (١٩٠٩ - ١٩١٧) تراجع الخبر ليحل محله المقال من حيث المساحة، أما من حيث الكم فكانا متقاربين اذ بلغت نسبة المقالات التى نشرت فى هذه الفترة ٦ ,٤٧٪، والأخبار ٦ ,٤٤٪، وبريد القراء ٨ ,٧٪.

وكانت هذه المعالجة تتماشى مع طبيعة كل مرحلة، ففى المرحلة الأولى اعتمدت «الأهرام» على الخبر للتعريف بالصهيونية كحركة جديدة، وفى المرحلة الثانية حينما اتضحت الأمور ودخلت الصحيفة مرحلة إبداء الرأى اعتمدت على المقال هى والكتاب من خارجها.

أما صحيفة «المقطم» فقد اعتمدت على المقال فى كلا المرحلتين فى معالجتها لموضوع الصهيونية وفلسطين، ففى المرحلة الأولى بلغت نسبة المقالات ٦ ,٦١٪ والأخبار ٧ ,٣٠٪، وبريد القراء ٧ ,٧٪، أما فى الفترة الثانية فكانت نسبة المقالات ٣ ,٦٠٪ والاخبار ٣ ,٢٩٪، وبريد القراء ٦٪، والحديث الصحفى ٤ ,٤٪.

وقد يبدو غريبا اعتماد «المقطم» على المقال فى الوقت الذى كانت تتحاشى فيه هى نفسها الخوض فى المسألة الصهيونية، ولكن كانت هذه النسب المرتفعة للمقالات ترجع إلى أن الصحيفة كانت تفتح الباب أمام الكتاب وأصحاب الرأى لمناقشة المسألة الصهيونية، وكان المقال هو وسيلة هؤلاء الكتاب للتعبير عن آرائهم..

ويمكن قول الشيء نفسه عن جريدة «المؤيد»، فقد كانت نسبة المقالات فيها ٤ ,٦٨٪ والأخبار ٤ ,٢١٪، وبريد القراء ٦ ,١٠٪.

أما صحيفتا «الجريدة» و«الأهالى» فقد اعتمدتا على الخبر أساسا - رغم قلة الأخبار المنشورة فيهما عن الصهيونية وفلسطين - فقد بلغت نسبة الأخبار فى «الأهالى» ١٦ ,٦٣٪ والمقالات ٨٤ ,٣٦٪، وفى «الجريدة» كانت نسبة الأخبار ٥ ,٦٢٪، والمقالات ٥ ,٣٧٪.

مما سبق يتضح لنا أن الاعتماد على فئة« كيف قيل؟» لم يكن ليعطى مؤشرات حقيقية عن اتجاهات الصحافة المصرية إزاء الحركة الصهيونية وأطماعها فى فلسطين فى تلك الفترة المبكرة من نشاط الحركة، وإنما استطاعت فئة« ماذا قيل؟» أن تفى بهذا الغرض، فقد تبين أن بعض كبريات الصحف المصرية قامت بدورها فيما يتعلق بالتعريف بالحركة الصهيونية وأهدافها، وبالتحذير من الهجرة اليهودية إلى فلسطين وأخطارها، كما اجتهدت فى تقديم الحلول والمقترحات التى رأت أنها كفيلة بالتصدى لهذا الخطر.

ولقد صدق ما تنبأت به صحف الدراسة،فها هم الفلسطينيون شعب لاجىء، مشتت بين دول العالم يتعرض للقتل والتشريد بين الحين والآخر، على أيدى القوات الإسرائيلية. وها هم الإسرائيليون قد استقلوا بالبلاد، وأنشأوا فيها دولتهم المنشودة.

ويذكرنى تحذير صحيفة «الأهرام» - بوصفها الصحيفة الوحيدة الباقية على قيد الحياة من صحف الدراسة من الهجرة اليهودية إلى فلسطين فى أوائل هذا القرن بموقفها من هجرة يهود الفلاشا واليهود السوفييت إلى إسرائيل حاليا، مما يجعلنى أقول ما أشبه الليلة بالبارحة، فكما حذرت الصحيفة من الهجرة اليهودية فى السابق تحذر منها حاليا، ولكن كما لم تتصرف الحكومات العربية حيالها فى الماضى، فإنها لم تتخذ موقفا فى الوقت الحاضر، وهكذا يمكن القول بأن المشكلة لم تكن فى أن العرب لا يعرفون، ولكن المشكلة تكمن فى أنهم يعرفون ولكن لا يتصرفون، لأنه ليست لديهم القدرة على التصرف..

وإذا كانت الصحافة المصرية قد أخطأت بقبولها بعض الحلول الوسط فيما يتعلق بالهجرة اليهودية إلى فلسطين فإن ذلك ينبغى أن

يعلمنا درسا فى أنه لا يجب قبول المساومة أو الحلول الوسط فى المسائل المصيرية، تماما كما فعلت الصهيونية، حينما صممت على فلسطين ورفضت كل أرض دونها.

وإذا كان الصهيونيون قد استطاعوا النفاذ إلى الصحافة المصرية وبث دعايتهم، وتضليل الرأى العام من خلالها، فإن ذلك يدعونا إلى التدقيق ألف مرة فى كل ما ننشره، بتربية كوادرنا الإعلامية على الموضوعية، وعلى كيفية التعامل مع نظام إعلامى يتدفق فى اتجاه واحد، ونعتمد فيه على وسائل الإعلام الغربية - التى يتغلغل فيها اليهود - كمصدر رئيسى للمعلومات، حتى لا نكون كمن يعمل ضد نفسه.

ونعتقد أن السبب فى عدم وضوح الرؤية أمام بعض الكتاب العرب الذين أيدوا الهجرة اليهودية إلى فلسطين للاستفادة من مزاياها يرجع إلى غيبة النظرة المستقبلية من تفكيرنا، وانفصال التعليم عن قضايا المجتمع، مما أدى إلى عدم إدراك بعضنا الحدود التى يمتد إليها أمننا الوطنى والقومى..

مصادر البحث ومراجعه

مصادر البحث ومراجعه

اولا : المصادر العربية

١ـ الصحف والمجلات محل الدراسة :

١ ـ صحيفة الأهرام	اغسطس ١٨٩٧	ديسمبر ١٩١٧
٢ ـ صحيفة المقطم	اغسطس ١٨٩٧	ديسمبر ١٩٠١
	يناير ١٩٠٢	يونية ١٩٠٦
	يناير ١٩٠٧	مارس ١٩٠٧
	يناير ١٩٠٨	ديسمبر ١٩١٠
	يناير ١٩١٢	ديسمبر ١٩١٢
	ابريل ١٩١٤	ديسمبر ١٩١٤
	يناير ١٩١٥	ديسمبر ١٩١٧
٣ ـ صحيفة المؤيد	نوفمبر ١٨٩٧	ديسمبر ١٨٩٧
	يولية ١٨٩٩	ديسمبر ١٨٩٩
	يناير ١٩٠٤	ديسمبر ١٩٠٥
	يولية ١٩٠٦	سبتمبر ١٩٠٦
	يناير ١٩٠٧	سبتمبر ١٩٠٧
	ابريل ١٩٠٨	يونية ١٩٠٩
	يولية ١٩١٠	ديسمبر ١٩١٠
	ابريل ١٩١١	يونية ١٩١٥

٤- صحيفة اللواء	يناير ١٩٠٢	ديسمبر ١٩٠٩
	ابريل ١٩١١	مارس ١٩١٣
٥- صحيفة الجريدة	مارس ١٩٠٧	مارس ١٩١١
	يولية ١٩١١	سبتمبر ١٩١١
	ابريل ١٩١٢	يونية ١٩١٣
	يناير ١٩١٤	يونية ١٩١٥
٦- صحيفة الاهالى	اكتوبر ١٩١٠	ديسمبر ١٩١١
	ابريل ١٩١٢	ديسمبر ١٩١٢
	يولية ١٩١٣	مارس ١٩١٦
	اكتوبر ١٩١٦	ديسمبر ١٩١٧

٢- دراسات عربية غير منشورة :

١- ابراهيم الدسوقى المسلمى : صحافة الحزب الوطنى ١٩٠٠ - ١٩٥٣ ، رسالة دكتوراه مقدمه الى كلية الاعلام جامعة القاهرة عام ١٩٨٥ .

٢- تيسير ابو عرجة : جريدة المقطم ودورها فى الدعاية للاحتلال الانجليزى ١٨٨٩ - ١٩١٩ ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاعلام ، جامعة القاهرة عام ١٩٧٨ .

٣- راجية احمد قنديل : صورة اسرائيل فى الصحافة المصرية اعوام ٧٢، ٧٤ ، ١٩٧٨ ، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الاعلام بجامعة القاهرة عام ١٩٨١ .

٤ـ سليمان سالم صالح : جريدة المؤيد ١٨٨٩ ـ ١٩١٥ ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاعلام جامعة القاهرة ١٩٨٥ .

٥ـ د. محمد سيد محمد : الغزو الثقافى والمجتمع العربى ، محاضرة غير منشورة ، القيت بوكالة الانباء العمانية فى مارس ١٩٩١ .

ثانيا : المراجع العربيـة

١ـ د. ابراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ١٧٩٨ ـ ١٩٨١ ، الطبعة الرابعة ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ١٩٨٢ .

٢ـ د. ابراهيم عبده : جريدة الاهرام تاريخ مصر فى خمس وسبعين سنة ، دار المعارف بمصر ١٩٥١ .

٣ـ د. احسان عسكر : الصحافة العربية فى فلسطين ، الاردن ، سوريا ، لبنان ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ١٩٨٢ .

٤ـ د.احمد الشرباصى : امير البيان شكيب ارسلان ، ج ١ ، دار الكتاب العربى بمصر القاهرة ١٩٦٣ .

٥ـ د.احمد الشرباصى : شكيب ارسلان داعية العروبة والاسلام ، سلسلة اعلام العرب رقم ٢١ ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣ .

٦ـ د.احمد عطية الله : القاموس السياسى ، دار النهضة العربية، القاهرة ،١٩٨٠ .

٧ـ ارثر جولد شميت (الابن) : الحزب الوطنى المصرى (مصطفى كامل ـ محمد فريد) ، ترجمة فؤاد دوارة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٣ .

٨ـ د. امين عبد الله محمود : مشاريع الاستيطان اليهودى منذ الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الاولى ، سلسلة عالم المعرفة رقم ٧٤ ، الكويت ، ١٩٨٤ .

٩ـ جورج انطونيوس : يقظة العرب ، تاريخ حركة العرب القومية ، ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٢ .

١٠ـ حاييم وايزمان : مذكرات وايزمان ، ترجمة نخبة من الشباب الفلسطينى ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٤ .

١١ـ حسن عثمان : منهج البحث التاريخى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

١٢ـ خير الدين الزركلى : الاعلام ، قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، المجلدات ١ ، ٢ ، ٣،٥، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٦ .

١٣ـ د.خيرية قاسمية : النشاط الصهيونى فى الشرق العربى وصداه ١٩٠٨ ـ ١٩١٨ ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٣ .

١٤ـ رمزى ميخائيل جيد : تطور الخبر فى الصحافة المصرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٥ .

١٥ـ د.سامى عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨ .

١٦ـ د. سمير حسين : بحوث الاعلام الاسس والمبادىء ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٦٧ .

١٧ ـ د.سمير حسين : تحليل المضمون ، الطبعة الاولى ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٣ .

١٨ـ د.سهام نصار : اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم ١٨٧٧ ـ ١٩٥٠ ، العربى للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٠ .

١٩ـ د.سهام نصار : الصحافة الاسرائيلية والدعاية الصهيونية فى مصر ، الطبعة الاولى ، الزهراء للاعلام العربى ، القاهرة ١٩٩١ .

٢٠ـ شاهين مكاريوس : تاريخ الاسرائيليين ، مطبعة المقتطف بمصر ١٩٠٤ . ٢١ـ طاهر عبد الحكيم : الشخصية الوطنية المصرية ، الطبعة الاولى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٦ .

٢٢ـ عبد الرحمن الرافعى : مصر البعث الوطنى ، سلسلة دراسات قومية رقم ١٣ ، العدد الخامس ، مركز النيل للاعلام ، القاهرة, ١٩٨٩ .

٢٣ـ د.عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج ٢ ، ٣ ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٣ .

٢٤ـ د. عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨ ـ ١٩٣٦ ، ط ٢ ، مكتبة المدبولى ، القاهرة ١٩٨٣ .

٢٥ـ د. عبد الوهاب المسيرى : الايديولوجية الصهيونية ، القسم الاول، سلسلة عالم المعرفة رقم ٦٠ ، الكويت ١٩٨٢ .

٢٦ـ عصام ضياء الدين السيد على الصغير : الحزب الوطنى والنضال السرى ١٩٠٧ ـ ١٩١٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٧ .

٢٧- د. على عجوة : العلاقات العامة والصورة الذهنية ، ط ١ ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٣ .

٢٨- فاروق ابو زيد : صفحات مجهولة من عصر التنوير الصحفى، العربى للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨١ .

٢٩- لو لنجوروود ، ر . ج : فكرة التاريخ ، ترجمة محمد بكر خليل ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦١ .

٣٠- محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ، مكتبة الانجلو ، القاهرة ١٩٨٥ .

٣١- محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ، ج ١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥١ .

٣٢- محمد على علوية : ذكريات اجتماعية وسياسية ، المركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة ١٩٨٢ .

٣٣- محمود حسن صالح منسى : تاريخ الشرق العربى الحديث ، دار الوزان للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٩٠ .

٣٤- محمود حسن صالح منسى : حركة اليقظة العربية ، ط ١ ، دار الفكر العربى ١٩٧٤ .

٣٥- مركز دراسات الوحدة العربية : القومية العربية والاسلام ، مجموعة بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التى نظمها المركز ، ط ٢ ، بيروت ١٩٨٢ .

٣٦- د. نبيه بيومى عبد الله : تطور فكرة القومية العربية فى مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٥ ٣٧,- يونان لبيب رزق : الاحزاب السياسية فى مصر ١٩٠٧ - ١٩٨٤ ، كتاب الهلال ، العدد ٤٠٨ ، القاهرة ١٩٨٤ .

ثالثا : المراجع الاجنبيـة

1- Herzl, Theodore : The Complete Dairies of Theodore Herzl , Patai, Raphael (editor) Zohn , Harry (translator) , Thomas Yoseloff (publisher) Herzel press and Thomas Yoseloff , New York , Lon don 1960 .

2- Colliers Encyclopedia , Macmillan Educational Company New Yourk , P.F Colliers , Inc ., London , 1985 .

3- Encyclopedia Americana, connecticut , Grolier Incorporated 1990 .

4- Emery , Michael and Smyth, Ted Curtis : Reading in mass Communication , 5 th edition , W M.C Brown Company publishers, Iowa, 1988 .

الملاحـــق

ملحق رقم (١)

توزيع الاشكال الصحفية للمادة المنشورة عن الصهيونية فى صحف الدراسة
خلال الفترة من ١٨٩٨ ـ حتى ١٩١٧

الاشكال الصحفية / الصحيفة	١٨٩٧ - ١٩٠٨ خبر ك	خبر ٪	مقال ك	مقال ٪	بريد القراء ك	بريد القراء ٪	الاجمالى ك	الاجمالى ٪
الاهرام	٥٠	٧٢,٢	٦	٣٣,٣	٢	٣٣,٣	٥٨	٥٧,٤
المقطم	٤	٥,٨	٨	٣٠,٨	١	١٦,٧	١٣	١٢,٩
المؤيد	صفر	صفر	٤	١٥,٤	صفر	صفر	٤	٤
اللواء	١٠	١٤,٥	٨	٣٠,٨	٢	٥٠	٢١	٢٠,٧
الجريدة	٥	٧,٢	صفر	صفر	صفر	صفر	٥	٥
الاهالى	-	-	-	-	-	-	-	-
الاجمالى	٦٩	١٠٠	٢٦	١٠٠	٦	١٠٠	١٠١	١٠٠

الاشكال الصحفية / الصحيفة	١٩٠٩ - ١٩١٧ خبر ك	خبر ٪	مقال ك	مقال ٪	بريد القراء ك	بريد القراء ٪	حديث ك	حديث ٪	الاجمالى ك	الاجمالى ٪
الاهرام	٧٥	٦٦,٩	٨٠	٥٧,٦	١٣	٧٢,٢	صفر	صفر	١٨٦	٦٣
المقطم	١٧	١٥,٢	٤٠	٢٨,٨	٣	١٦,٧	٢	١٠٠	٦٢	٣٣
المؤيد	٤	٣,٦	٧	٥	٢	١,١	صفر	صفر	١٣	٤,٨
اللواء	٣	٢,٧	٢	١,٤	صفر	صفر	صفر	صفر	٥	١,٨
الجريدة	صفر	صفر	٣	٢,٢	صفر	صفر	صفر	صفر	٣	١
الاهالى	١٣	١١,٦	٧	٥	صفر	صفر	صفر	صفر	٢٠	٧,٤
الاجمالى	١١٢	١٠٠	١٣٩	١٠٠	١٨	١٠٠	٢	١٠٠	٢٧١	١٠٠

الاشكال الصحفية / الصحيفة	١٨٩٧ - ١٩١٧ خبر ك	خبر ٪	مقال ك	مقال ٪	بريد القراء ك	بريد القراء ٪	حديث ك	حديث ٪	الاجمالى ك	الاجمالى ٪
الاهرام	١٢٥	٦٩	٨٦	٥٢	١٥	٦٢,٥	صفر	صفر	٢٢٦	٦٠,٨
المقطم	٣١	١١,٦	٤٨	٢٩	٤	١٦,٧	٢	١٠٠	٧٥	٢٠,١
المؤيد	٤	٢,٢	١١	٦,٧	٢	٨,٣	صفر	صفر	١٧	٤,٦
اللواء	١٣	٧,٢	١٠	٦	٣	١٢,٥	صفر	صفر	٢٦	٦,٩
الجريدة	٥	٢,٨	٣	١,٨	صفر	صفر	صفر	صفر	٨	٢,٢
الاهالى	١٣	٧,٢	٧	٤,٥	صفر	صفر	صفر	صفر	٢٠	٥,٤
الاجمالى	١٨١	١٠٠	١٦٥	١٠٠	٢٤	١٠٠	٢	١٠٠	٣٧٢	١٠٠

ملحق رقم (٢)

مفهوم صحف الدراسة لاهداف الصهيونية
خلال الفترة من ١٨٩٧ ـ حتى ١٩١٧

الأهداف / الصحيفة	انشاء دولة مستقلة في فلسطين		استعمار فلسطين		ايجاد ملجا للمضطهدين في فلسطين		انشاء مملكة تحت السيادة العثمانية		انشاء وطن في فلسطين		انشاء مركز ادبى اقتصادى علمى في فلسطين		ليس اقامة دولة مستقلة في فلسطين		اخرى		الإجمالي	
الصحيفة	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
الاهرام	٥١	٦٧,٢	٣٠	٤٤,١	٨	٨٠	٦	٥٤,٥	٥	٤٥,٥	٩	٩٠	٨	٣٥,٣	٢١	٥٣	١٣٨	٥٧,٥
المقطم	١٦	٢١	٣٢	٤٧	٢	٢٠	٤	٣٦,٤	٤	٣٦,٤	١	١٠	٧	٤٦,٧	١٣	٣٤,٢	٨٠	٣٣,٣
المؤيد	٦	٧,٩	٥	٧,٤	صفر	صفر	صفر	صفر	٢	١٨,١	صفر	صفر	صفر	صفر	١	٢,٦	١٤	٥,٨
اللواء	١	١,٣	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	١	٢,٦	٢	,٨
الجريدة	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	١	٩,١	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	١	,٤
الاهالى	٢	٢,٦	١	١,٥	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	٢	٥,٣	٥	٢,٢
الاجمالى	٧٦	١٠٠	٦٨	١٠٠	١٠	١٠٠	١١	١٠٠	١١	١٠٠	١٠	١٠٠	١٥	١٠٠	٢٨	١٠٠	٢٤٠	١٠٠

ملحق رقم (٣)

مزايا الهجرة اليهودية بالنسبة لفلسطين
فى صحف الدراسة خلال الفترة من ١٨٩٧ ـ حتى ١٩١٧

المزايا / الصحيفة	تعمير فلسطين والنهوض بها										ادخال دم جديد الى فلسطين												الاجمالى	
	البناء		العناية بالزراعة		النهوض بالتجارة والصناعة		اخرى		الاجمالى		اليهود اهل علم وعمل		اليهود من اصل شرقى		اليهود رسل الحضارة		اليهود مقتدرون ماليا		اخرى		الاجمالى			
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
الاهرام	١٣	٥٤,٢	٦	٣٧,٥	٥	٣٨,٥	١	٢٥	٢٥	٤٣,٩	٥	٤١,٧	٤	٤٤,٤	٢	٢٨,٦	٤	٥٧,١	١	٢٥	١٦	٤١	٤١	٤٢,٧
المقطم	٧	٢٩,١	٨	٥٠	٦	٤٦,٢	٢	٥٠	٣٣	٤٠,٣	٦	٥٠	٥	٥٥,٦	٥	٧١,٤	٢	٢٨,٦	٢	٥٠	٢٠	٥١,٣	٤٣	٤٤,٨
المؤيد	٤	١٦,٧	٢	١٢,٥	٢	١٥,٣	١	٢٥	٩	١٠,٨	١	٨,٣	صفر	صفر	صفر	صفر	١	١٤,٣	١	٢٥	٣	٧,٧	١٢	١٢,٥
الإجمالى	٢٤	١٠٠	١٦	١٠٠	١٣	١٠٠	٤	١٠٠	٥٧	١٠٠	١٢	١٠٠	٩	١٠٠	٧	١٠٠	٧	١٠٠	٤	١٠٠	٣٩	١٠٠	٩٦	١٠٠

ملحق رقم (٥)

مزايا الهجرة اليهودية بالنسبة للدولة العثمانية في صحف الدراسة خلال الفترة من ١٨٩٧ - حتى ١٩١٧

المزايا / الصحيفة	تمويل خزانة الدولة		زيادة السكان وزيادة العمران		الحفاظ على أمن وسلامة السلطنة		مساعدات أدبية		الاجمالى	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
المقطم	١٤	٥٦	١١	٥٥	٨	٤٤ر٤	٣	٧٥	٣٦	٥٣ر٧
الاهرام	١٠	٤٠	٩	٤٥	١٠	٥٥ر٦	١	٢٥	٣٠	٤٤ر٨
المؤيد	١	٤	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	١	١ر٥
الإجمالى	٢٥	١٠٠	٢٠	١٠٠	١٨	١٠٠	٤	١٠٠	٦٧	١٠٠

ملحق رقم (٤)

مزايا الهجرة اليهودية بالنسبة للفلسطينين
في صحف الدراسة خلال الفترة من ١٨٩٧ ـ حتى ١٩١٧

المزايا / الصحيفة	زيادة دخل الفلسطينين		تعليمهم الزراعة والصناعة والتجارة		أخرى		الاجمالى	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
المقطم	١٧	٧٣ر٩	٧	٥٨ر٣	٢	١٠٠	٢٦	٧٠ر٣
الاهرام	٦	٢٦ر١	٤	٣٣ر٣	صفر	صفر	١٠	٢٧
المؤيد	صفر	صفر	١	٨ر٤	صفر	صفر	١	٢ر٧
الإجمالى	٢٣	١٠٠	١٢	١٠٠	٢	١٠٠	٣٧	١٠٠

ملحق رقم (٦)

اضرار الهجرة اليهودية بالنسبة لفلسطين والفلسطينيين والدولة العثمانية

الاضرار / الصحيفة	اضرار الهجرة اليهودية بالنسبة للفلسطينيين								اضرار الهجرة لفلسطين		اضرار الهجرة للدولة العثمانية		الإجمالى	
	سياسية		اقتصادية		اجتماعية		الإجمالى		سياسية		سياسية			
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
المقطم	١٦	٤٢	١٨	٦٠	٤	٦٧	٣٨	٥١	١	٢٥	٨	٣١	٤٧	٤٥
الأهرام	٨	٣١	٤	١٣	٢	٣٣	١٤	١٩	صفر	صفر	٨	٣١	٢٢	٢١
المؤيد	١٤	٣٧	٨	٣٧	صفر	صفر	٢٢	٣٠	٣	٧٥	١٠	٣٨	٣٥	٣٤
الإجمالى	٣٨	١٠٠	٣٠	١٠٠	٦	١٠٠	٧٤	١٠٠	٤	١٠٠	٣٦	١٠٠	١٠٤	١٠٠

ملحق رقم (٧)

معالجة صحف الدراسة لموضوع الاتفاق مع الصهيونيين خلال عامى ١٩١٣و ١٩١٤

معالجتها لموضوع الاتفاق / الصحيفة	علاقة الصهيونيين بالاتحاديين		اضرار العلاقة بين الصهيونيين والاتحاديين		الاتفاق بين العرب والصهيونيين		الاجمالى	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
الأهرام	٢٩	٧٨.٤	٢٢	٨٤.٧	١٧	٧٣.٩	٦٨	٧٩
المقطم	٣	٨.١	٣	١١.٥	٦	٢٦.١	١٢	١٣.٩
الأهالى	٣	٨.١	صفر	صفر	صفر	صفر	٣	٣.٦
الجريدة	١	٢.٧	صفر	صفر	صفر	صفر	١	١.١
المؤيد	١	١.٧	٣.٨	صفر	صفر	صفر	٢	٢،٤
الاجمالى	٣٧	١٠٠	٢٦	١٠٠	٢٣	١٠٠	٨٦	١٠٠

ملحق رقم (٨)

صورة اليهود في صحف الدراسة
خلال الفترة بين عامي ١٨٩٧ - ١٩١٧

السمات / الصحيفة	السمات الإيجابية: اليهود مقتدرون ماليا ومعنويا: مقتدرون ماليا		أهل جد ونشاط		ذوو نفوذ وسلطة		حملة المدنية الحديثة		أهل علم وفن		ذوو ذكاء ومواهب		الاجمالي		اليهود شعب		اليهود أمة		أخرى		الاجمالي		السمات السلبية: اليهود مضطهدون: الاعتداءات		الحرمان من الحقوق		الاجمالي		اليهود متفرقون مشتتون		الاجمالي		الاجمالي	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
المقطم	٦	٣٣,٣	٧	٥٣,٨	٧	٦٣,٦	٦	٦٠	–	–	٣	٤٢,٨	٢٧	٤٠,٣	٢٤	٣٧,٥	٩	٤٢,٨	٧	٤٣,٨	٦٧	٣٩,٩	٥٣	٤٨,٢	١٧	٢٥	٧٠	٣٩,٣	٧	٥٠	٧٧	٤٠	١٤٤	٤٠
الأهرام	٧	٣٨,٩	٤	٣٠,٨	٢	١٨,٢	–	–	٣	٣٧,٥	٢	٢٨,٦	٢١	٣١,٣	٣٨	٥٩,٣	١١	٥٢,٥	٥	٣١,٢	٧٥	٤٤,٦	٥	٤,٦	١٠	١٤,٧	١٥	٨,٤	٧	٥٠	٢٢	١١,٥	٩٧	٢٦,٢
المؤيد	٥	٢٧,٨	٢	١٥,٤	٢	١٨,٢	–	–	٢	٢٥	١	١٤,٣	١٣	١٩,٤	٢	٣,٣	١	٤,٧	٤	٢٥	٢٠	١١,٩	١٨	١٦,٣	٥	٧,٤	٢٣	١٢,٩	–	–	٢٣	١٢	٤٣	١١,٩
اللواء	–	–	–	–	–	–	٤	٤٠	٣	٣٧,٥	١	١٤,٣	٦	٩	–	–	–	–	–	–	٦	٣,٦	٢٤	٢١,٨	٣١	٤٥,٦	٥٥	٣٠,٩	–	–	٥٥	٢٨,٦	٦١	١٦,٩
الأهالي	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	٧	٦,٣	٤	٥,٩	١١	٦,٢	–	–	١١	٥,٧	١١	٣,٢
الجريدة	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	٣	٢,٧	١	١,٤	٤	٢,٢	–	–	٤	٢,٢	٤	١,١
الاجمالي	١٨	١٠٠	١٣	١٠٠	١١	١٠٠	١٠	١٠٠	٨	١٠٠	٧	١٠٠	٦٧	١٠٠	٦٤	١٠٠	٢١	١٠٠	١٦	١٠٠	١٦٨	١٠٠	١١٠	١٠٠	٦٨	١٠٠	١٧٨	١٠٠	١٤	١٠٠	١٩٢	١٠٠	٣٦٠	١٠٠

ملحق رقم (٩)

صورة فلسطين والفلسطينيين
فى صحف الدراسة خلال الفترة بين عامى
١٨٩٧ - ١٩١٧

السمات / الصحيفة	صورة فلسطين								صورة الفلسطينيين						الإجمالى	
	اراض خرية		وطن اليهود القديم		أخرى		الاجمالى		ضعفاء		أخرى		الإجمالى			
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
المقطم	٧	٥٠	٨	٦٦,٧	٩	٩٠	٢٤	٦٦,٧	٨	٥٠	٧	٧٧,٨	١٥	٦٠	٣٩	٦٣,٩
الاهرام	٦	٤٢,٩	٤	٣٣,٣	١	١٠	١١	٣٠,٦	١	٦,٣	-	-	١	٤	١٢	١٩,٧
المؤيد	١	٧,١	-	-	-	-	١	٢,٧	٧	٤٣,٧	٢	٢٢,٢	٩	٣٦	١٠	١٦,٤
الإجمالى	١٤	١٠٠	١٢	١٠٠	١٠٠	١٠٠	٣٦	١٠٠	١٦	١٠٠	٩	١٠٠	٢٥	١٠٠	٦١	١٠٠

الفهرس

الموضوع	الفهرس	رقم الصفحة
	تقديم : اد. خليل صابات	٣
الفصل الاول	مقدمة	٥
	التيارات السياسية والاتجاهات الفكرية فى مصر فيما بين عامى ١٨٩٧ ـ ١٩١٧	٢١
الفصل الثانى	صحف الدراسة وكتابها	٧٣
الفصل الثالث	مفهوم الصهيونية فى الصحافة المصرية	١٥١
الفصل الرابع	موقف الصحافة المصرية من الهجرة اليهودية الى فلسطين	١٨٩
الفصل الخامس	موقف صحف الدراسة من الدعوة الى الاتفاق مع الصهيونيين	٢٨٩
الفصل السادس	صورة اليهود والفلسطينيين فى الصحافة المصرية .	٣٤١
الخاتمة		٣٧٣
مصادر البحث ومراجعه		٤٠١
الملاحق		٤١١

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الأيداع بدار الكتب٨٦٦٥ / ١٩٩٣

I.S.B.N. 977-01 -3510-0